

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة العربي التبسي - تبسة



كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

أطروحة مقدّمة لنيل دكتوراه الطور الثالث "ل. م. د"

تخصص: اللسانيات وتحليل الخطاب

شعر الأطفال في الجزائر أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) أنموذجاً

إعداد الطالب:

يوسف عمر

إشراف:

د. لزهرة فارس

لجنة المناقشة:

الرقم	الاسم واللقب	الرتبة العلمية	المؤسسة الأصلية	الصفة
1	رشيد رايس	أستاذ	جامعة العربي التبسي- تبسة	رئيساً
2	لزهرة فارس	أستاذ محاضر	جامعة العربي التبسي- تبسة	مشرفاً ومقرراً
3	الشريف حبيبة	أستاذ	جامعة العربي التبسي- تبسة	عضواً مناقشاً
4	لخضر حشلافي	أستاذ	جامعة زيان عاشور- الجلفة	عضواً مناقشاً
5	مسعودة لعربط	أستاذ محاضر	جامعة مولود معمري- تيزي وزو	عضواً مناقشاً
6	سميرة قروي	أستاذ محاضر	جامعة عباس لغرور - خنشلة	عضواً مناقشاً

السنة الجامعية: 2016 / 2017

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة العربي التبسي - تبسة



كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

أطروحة مقدمة لنيل دكتوراه الطور الثالث "ل. م. د"

تخصص: اللسانيات وتحليل الخطاب

شعر الأطفال في الجزائر أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

إعداد الطالب:

يوسف عمر

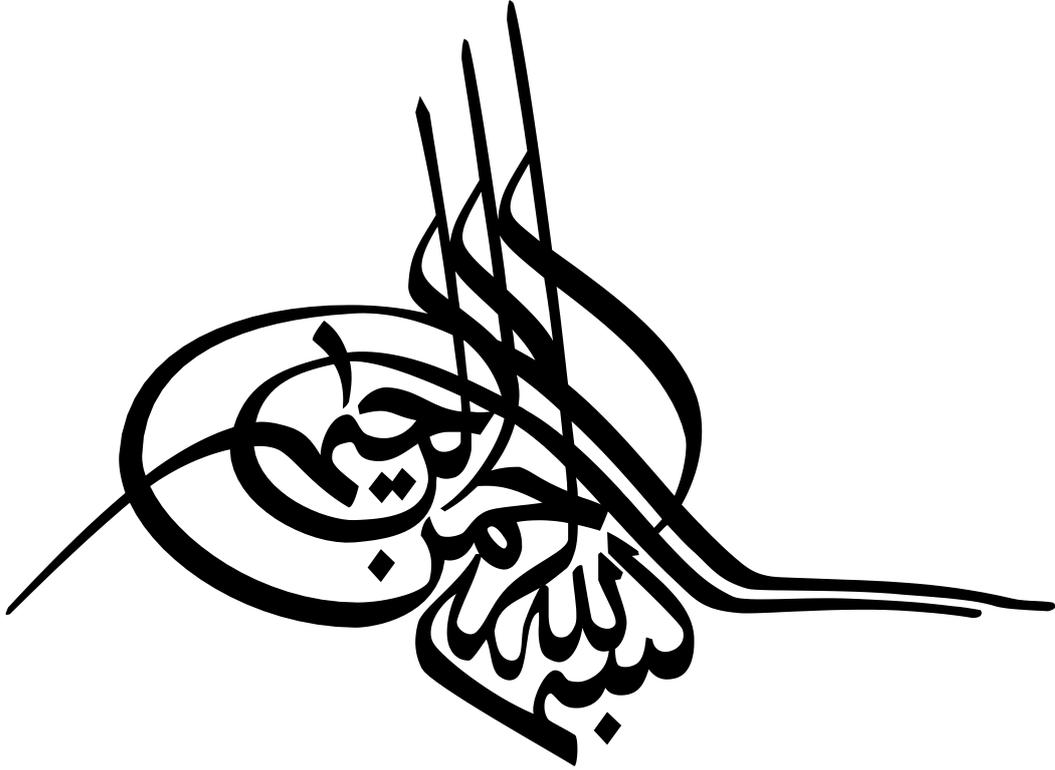
إشراف:

د. لزهة فارس

لجنة المناقشة:

الرقم	الاسم واللقب	الرتبة العلمية	المؤسسة الأصلية	الصفة
1	رشيد رايس	أستاذ	جامعة العربي التبسي - تبسة	رئيساً
2	لزهة فارس	أستاذ محاضر	جامعة العربي التبسي - تبسة	مشرفاً ومقرراً
3	الشريف حبيبة	أستاذ	جامعة العربي التبسي - تبسة	عضواً مناقشاً
4	لخضر حشلافي	أستاذ	جامعة زيان عاشور - الجلفة	عضواً مناقشاً
5	مسعودة لعربط	أستاذ محاضر	جامعة مولود معمري - تيزي وزو	عضواً مناقشاً
6	سميرة قروي	أستاذ محاضر	جامعة عباس لغرور - خنشلة	عضواً مناقشاً

السنة الجامعية: 2016 / 2017



إهداء

إلى كلِّ طفلٍ صغيرٍ وطفله...

وإلى روح (جمال الطاهري)

الطاهرة أرفع هذا العمل

مقدمة

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

لاشك في أنّ أدب الطفل صار من أبرز الأدوات الفنيّة في تنشئة الطّفلة ومن أهمّ وسائل التّربية على القيم الأصيلة، والمبادئ الإسلاميّة النبيلة، ومن أرقى وسائط الثقافة للمعرفة والاستكشاف، وتنمية الإبداع؛ أجل مدّ الطفل حقّه من الثقافة، وبناء شخصيته وإعداده للمستقبل، على اعتبار أنّه الطّاقة البشريّة الأساسيّة في المجتمع.

ولعلّ من أصعب الأمور تحمّل مسؤوليّة الكتابة للأطفال، ذلك أنّ الموهبة والمقدرة على الكتابة للكبار ليست بالضرّورة معبراً للكتابة للصّغار؛ لأنّ مجالات أخرى تفرض نفسها فرضاً على كُتّاب الأطفال؛ لتقف كفارقة جذرية للتّحول من عالم الكبار إلى عالم الصّغار، هذا الأخير؛ الذي لا بدّ من تلبية حاجاته النفسيّة والاجتماعيّة والفنيّة، ويأتي على رأس ذلك الشّعور الموجّه للأطفال، إذ مردّ الأمر فيه أن يكون شاعر الأطفال فضلاً عن موهبته، على دراية بعلم لها أنساب مع أدب الطفل بعامة، وشعره بخاصّة، كعلم اللّغة وعلوم التّربية وعلم نفس الطفل؛ وعلم الاجتماع، بالإضافة إلى شروط وفنّيات أخرى تأتي كقائمة ممنوعات لا يمكن تجاوزها أثناء الكتابة الشعريّة للأطفال.

ورغم ذلك؛ فقد تحمّل بعض الشعراء في الجزائر أعباء رسالة الكتابة للأطفال، فكثرت الإنتاج الشعري، في شكل إنتاجات فريدة، أو دواوين طفليّة تفاوتت في الكيفيات الفنيّة بين جيل الرّواد قبل الاستقلال، وجيل الاتّجاه التربوي الجديد بعد الاستقلال، إلّا أنّ بحوثاً كان من المفروض أن تُجرى حول هذا الإنتاج، إلّا أنّها ورغم أهمّيّتها لم تُجر بعد. فبقي معظمه عالماً بكرابيس الأرفف وزوايا المكتبات، ولم تمسسه أقلام النّقاد، إلّا النّزر القليل الذي تطرق فيه دارسوه إلى فنّ القصّة الطفليّة، والمسرح، وإهمال الشّعور في كثير من جوانبه النّقديّة والموضوعاتيّة والفنيّة؛ ومردّ ذلك إلى نظرة قاصرة من قبل بعضهم حول أدب الطفل بعامة، والشّعور منه بخاصّة، على أنه أدب وضيع، لا يستحق دراسة ولا تحليلاً، وبخاصّة الجزائري منه؛ لأنّ ما تمّ إنجازه حول أدب الطفل بعامة من دراسات كان حول إنتاجات غير جزائريّة، بالإضافة إلى أنّ كثيراً ممّن لهم صلة بعالم الطّفلة وبخاصّة في حقل التّربية والتّعليم، يجهلون أنّ للأطفال الجزائر شعراً جزائرياً كُتب من أجلهم يسمى شعر الأطفال، وإذا كانوا يجهلون اسمه، فهم بالضرّورة لا يعلمون أهدافه وأهمّيّته ودوره التربوي، والنّفسي، والإبداعي؛ بل إنّ معظمه مغيب عن مناهجنا المدرسيّة فكان كلّ أولئك

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

من الدوافع التي جعلتنا نلج بوابة شعر الأطفال في الجزائر من خلال واحد من رواد هذا الفن ألا وهو الشاعر جمال الطاهري.

جمال الطاهري أحد الشعراء الجزائريين الذين خاضوا تجربة الكتابة للطفل في مختلف مراحلها كشاعر لمع نجمه في بيئة ضيقة، فهو وإن كان من جيل ما قبل الاستقلال مولداً، فإنه من جيل الاستقلال، وما بعده رائداً في أدب الأطفال عامة وفي شعرهم خاصة، غير أن الزاكن الثقافي أقل نجمه بسجن قصائده الطفلية، حسب ما قال متحدّثاً عن مجموعته الشعرية في مقدمة الجزء الأول من ديوان الزهور: "...ثم نامت المجموعة في مكتبي، وغرقت مع وضعنا الثقافي في سبات عميق، مقيدة الأيدي، مكممة الشفاه...ومن يومها حكم عليها بالسجن مع التنفيذ، وطرحت في غيابات الحب...وهكذا حكم على ديواني هذا؛ أن يدخل إصلاحية الأحداث، ومازال إلى اليوم نزيل زنزانته المجهولة، بعد أن تغيّرت مرارا وتكرارا أسماء سجونها، وسجانيها، وليتنا عرفنا إلى الساعة سبب سجنه أو التهمة الموجّهة إليه. وهكذا حُبس هذا الطفل البريء ببسماته وقهقهاته، بلهوه وألعا به، بصلواته وأدعيته، بأحلامه وأمانيه، بندنثاته وأغانيه، ليُحرم من نور الشمس، ومن نسيمات البساتين الزكية الصافية".

فهل كان محقاً في وصفه لمجموعته الشعرية؟ وهل فعلاً هو شاعر أطفال؟ وإن كان، فهل حقّق فيه شروطه الفنية؟ وهل عالج في موضوعاته ما يوائم مراحل الطفولة؟ وهل أنّ جمال الطاهري ضحّى بمجده الأدبي للكبار، من أجل أطفال الجزائر أم أنّه لم يجد ما يكتب للكبار فتوجّه للصغار بحثاً عن هذا المجد؟ وبعد كلّ ذلك؛ هل يستحقّ أن يلبس الباحث لأجله عباءة المحامي لتحقيق نبوءة الحب؟ تلكم هي إشكالية البحث.

ومن منطلق أنّ الشعر لا يموت، حاول البحث فكّ أسر طفله البريء، وإماطة اللثام عن أعماله السجينة، وتسليط بعض النور عليها؛ بجعل عنوانه: **شعر الأطفال في الجزائر أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً**، وكان المضي فيه دون زاد يذكر غير هذا العنوان، وما إن أخذنا بعملية الجمع والاستقراء؛ حتّى انبلجت أبوابه وآفاقه وتملّكنا رعب امتداده، ورويدا رويدا أمسكنا بأطرافه تماشياً مع طبيعته، وبالمدّة الزمنية

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

المخصّصة له، وبعد جهد تمّ تقسيم هذا البحث إلى مدخل وثلاثة أبواب، تسبقها مقدّمة وتلوها خاتمة، وتتمّتها قائمة للمصادر والمراجع، وأخيراً فهرس تفصيلية.

يحيى المدخل حديثاً موجزاً عن إشكالية مفهوم مصطلحي (أدب الأطفال وثقافة الأطفال)؛ والتفريق بينهما من حيث الدلالة والمقصود؛ إذ العلاقة بينهما أنّ ثقافة الطفل ترتبط بثقافة المجتمع، وأدب الأطفال ليس مقطوعاً عنها، وإنّما هو لون من ألوانها ووسيط أساسي من وسائلها؛ حتى غداً فرعاً من شجرتها؛ كما حوى المدخل تعريفاً لشعر الأطفال وبياناً عن نقاط الالتقاء، ونقاط الفارقة بينه وبين شعر الكبار، وتوضيحاً عن الفرق بين ما يكتب للأطفال، وما يكتب عن الأطفال، وما يصلح أن يكون للأطفال فضلاً عن ترجمة موجزة لحياة الشاعر جمال الطاهري وأهم أعماله. أمّا أبواب الرسالة فقد قسمنا كل باب منها إلى فصلين فكانت كالتالي:

الباب الأول الموسوم بـ: **التقنين والتأصيل في شعر الأطفال**، خُصّص الفصل الأول منه؛ لدراسة مختلف مراحل الطفولة، بتعريفها، ومعالجة مراحلها ضمن خصائصها من جوانب علمية متعدّدة؛ للوقوف على الأدب الذي يوائم كل مرحلة، فضلاً عن أهميتها ونظرة الإسلام إليها. وفي الفصل الثاني قمنا بدراسة تأصيلية لشعر الأطفال في التراث العربي القديم فيما يعرف بأغاني الهددة والترقيص، وفي الأدب العربي الحديث بعامّة وفي الأدب الجزائري الحديث بخاصّة؛

أمّا الباب الثاني كان عنوانه: **الموضوعات في شعر الأطفال عند جمال الطاهري** تعرّض فصله الأول إلى موضوعات شعر الطبيعة بمضامينها المختلفة ثمّ موضوعات الشّعور الوطني والقومي، وجمعنا الطبيعة والوطن في فصل واحد؛ لارتباط كليهما بالأرض، فضلاً عن تعلق الشاعر في وطنياته وثورياته بعناصر الطبيعة. وتعرّض الفصل الثاني إلى موضوعات الشعر الديني، ثمّ موضوعات الشعر الاجتماعي فموضوعات شعر التربية والتعليم؛

وأما الباب الثالث والذي اصطفينا أن يكون: **البناء الفني في شعر الأطفال عند جمال الطاهري**، عالج فصله الأول بنية اللّغة الشعريّة، حيث عرّج على مراحل النّمو

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

اللغوي واستقراء المعجم الطفلي لمقارنته بالمعجم الشعري في اللغة الشعرية في جانبها اللفظي والتركيبي، ومدى انسجامه مع مستويات الطفل اللغوية والادراكية. كما عالج الهنات التي وقع فيها الشاعر من أخطاء لغوية وتوظيف للعامية، فضلا عما تمّ توظيفه من صعب اللغة وغموض الرمز وتحليق الخيال، وتناول فصله الثاني بنية الصورة الشعرية بشكل مفصل انطلاقا من مفهومها، ومرورا بأنماطها المتنوعة بين الصورة البلاغية بأشكالها التشبيهية والاستعارية والكنائية، والصورة الرمزية وكذا عناصرها المختلفة ودلالاتها. كما تناول هذا الفصل البنية الموسيقية، أين صدرنا ذلك بمفهوم الموسيقى وعلاقتها بالطفل، ثم دراسة الموسيقى الخارجية في جوانب الوزن والقافية وعبورها في شعر الأطفال، ثم الموسيقى الداخلية والتي ركّزنا فيها على التكرار باعتباره ظاهرة فنية عند جمال الطاهري في أعماله الشعرية للأطفال؛

وقد تصدّر كل فصل من هذا البحث تمهيد قصير بمثابة المفتاح لما يأتي بعده ونهاية كلّ فصل خلاصة قصيرة أيضا تجمع شتاته.

وإذ تمّ لنا الفراغ من هذه الأبواب أوفينا إلى الخاتمة؛ وفيها تمّ استعراض أهم النتائج والملاحظات؛ وإبراز الظواهر والخصائص؛ التي توصل إليها الباحث بعد هذه الرحلة البحثية في شعر جمال الطاهري للأطفال؛ ثم قائمة المصادر والمراجع مرتبة ترتيبا أبجديا ومصنفة حسب أولوية استعمالها، ومسك ختامها فهارس تفصيلية. وبذلك تمت الدراسة وفقا للخطة المرسومة.

ولجعل الرؤية واضحة جلية، كان اعتماد البحث في الفصول التطبيقية على المصادر الأصلية، لاستقاء المادة الشعرية من موردها الأصلي كما رسمها الشاعر في ديوان (نفع الياسمين) وفي ديوان (الزهور) بأجزائه الخمسة، وفي المسرحية الشعرية (الدجاجة المخدوعة) لجمال الطاهري، كما كان الاعتماد على مراجع أخرى كثيرة ومتعددة في كلّ العلوم التي لها أنساب مع شعر الأطفال، والتي أفادت في تحديد طبيعة الموضوع ودلت على كثير من طرق التناول، وكانت الصدارة في ذلك للكتب ذات الصلة بالموضوع على غرار (النص الشعري الموجه للأطفال في الجزائر) للأستاذ الدكتور العيد جلولي وهي الدراسة الوحيدة الرائدة في مجال البحث حول شعر الأطفال في الجزائر

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

والوحيدة التي لامست موضوع الدراسة ملامسة مباشرة، ولو بقسط يسير جدا من أعمال جمال الطاهري؛ لأنّ مؤلف هذه الدّراسة سلك سبيل التعميم في دراسة الأعمال الشعريّة الطفليّة الجزائريّة واكتفى بالتمثيل لكلّ عمل؛ وكتاب (شعر الأطفال في الوطن العربي دراسة نقدية تاريخية) للشاعر الناقد بيان الصّفدي، وهي بحقّ رحلة تاريخية في شعر الأطفال في معظم الأقطار العربيّة، وتتضمّن زادا مهمّا في هذا المجال، بالإضافة إلى كتاب (أدب الأطفال في الجزائر) لمحمد الصالح خرفي.

كما اعتمد البحث على كتاب (أدب الأطفال... فن المستقبل) للدكتور أنور عبد الحميد الموسى، وكتاب الدكتور نجيب الكيلاني (أدب الأطفال علم وفن) فضلا عن (أدب الأطفال، وثقافة الأطفال) لهادي نعمان الهيّتي، ومؤلّفات الدكتور أحمد زلط (أدب الأطفال، أدب الطّفولة، أدب الطّفّل العربي، أدب الطّفولة بين كامل كيلاني ومحمد الهراوي، أدب الأطفال بين أحمد شوقي وعثمان جلال) وكتاب (أدب الأطفال) لسمير عبد الوهاب أحمد، وعلى غيرهم ممن كتبوا ونظّروا لأدب الأطفال في الوطن العربي وإن كانت معظم هذه المؤلّفات عالجت أدب الأطفال بعامة، ولم يقصد مؤلّفوها إلى المعالجة الحقيقيّة لفن شعر الأطفال؛ الذي جاء فيها شذرا متناثرا لم يتعدّ بضع صفحات بالإضافة إلى تشابه مضامينها، أو تكريرها مع تغيير عناوينها، وكثرة السرقات الأدبية فيها.

هذا وقد استأنسنا ببعض الرسائل الجامعية المخطوطة على غرار: أدب الأطفال في الجزائر (دراسة لأشكاله وأنماطه) لزهراء خواني من جامعة تلمسان، ومجلات الأطفال ودورها في بناء الشخصية الإسلامية لطارق البكري من جامعة الأوزاعي الكويتية. كما كانت لنا جولة مع طائفة من الكتب التّراثية والمعاجم العربيّة في بعض الجوانب الخادمة للموضوع، كما أتاح لنا هذا البحث الاطّلاع على بعض المؤلّفات المعاصرة التي عالجت فيها أصحابها المقوّمات الفنّيّة في الشّعريّة. والقليل جدّا من الدّوريات والمواقع الإلكترونيّة.

وكان الهدف الرّئيس لهذا البحث، هو نفض الغبار عن أعمال واحد من القامات الجزائريّة في مجال شعر الأطفال، فضلا عن أهداف أخرى منها: معرفة الأدوار التي يقوم بها الشّعري في صقل شخصية الطّفّل، وبناء كيانه المعرفي واللّغوي والدّوقي، وتحقيق

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

متعة الموسيقى والغناء، وتنمية خيال الطفل وتربية الإبداع عنده. بالإضافة إلى الاستفادة الشخصية نظرياً وعلمياً، وإثراء المكتبة الجزائرية ببحث نزع أنه سيعود بالفائدة على المهتمين بمجال أدب الأطفال.

واعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي، الذي يقوم على مبدأ جمع المعلومات وتحليلها وتفسيرها؛ وعلى المنهج التاريخي من خلال دراسة الجذور التاريخية لشعر الأطفال في التراث العربي القديم وبعض الشذرات من مراحل الطفولة، وكذا منهج تحليل المضمون في دراسة الموضوعات. والمنهج الفني؛ بمعالجة شاعرية اللغة، فنيات التصوير، متابعة الموسيقى والإيقاع، وبعض الفنيات الأخرى.

وإذا كان لكلّ بحث عوائق وصعوبات، فإنّ هذه الرحلة البحثية لم تسلم من ذلك لوعورتها، فكان العزم مفتاح إنجازها على قدر الاستطاعة، ويأتي على رأس هذه العوائق والصعوبات، ضيق الفسحة الزمنية المخصّصة لها، وندرة البحث المتخصّص في شعر الأطفال في الجزائر، مروراً بالتفتيش الطويل، والتتقيب الدقيق، والعودة في كل جزئية من تحليل مضامين الموضوعات؛ لإسقاطها على مراحل الطفولة وخصائصها، ذلك أنّ الشاعر لم يقنن دواوينه وفق التوأمة بين هذه المراحل والتطور اللغوي لكلّ مرحلة وما يلائمها من أدب؛

ومما صعّب ذلك كمّ القصائد الذي تجاوز (130) قصيدة؛ فضلاً عن (350) بيتاً أو أكثر في المسرحية الشعرية؛ والتي استنزفت الوقت الكثير أثناء قراءتها وتحليل معجمها وفرزها وتصنيفها. ومن مضمّنات ذلك أيضاً حضور (لو) التي فعلت فعلتها (لو غيرت لو أضفت، لو تركت...) وهو دليل على نقص أصاب عملنا البشري.

ورغم المعاناة في ذلك إلا أننا وبفضل الله سبحانه وتعالى وله الشكر والحمد أولاً وآخراً؛ ثم بفضل الدكتور المشرف: **لزهر فارس**؛ الذي إن قلنا له شكراً، فالشكر لن يوفيه حقّه، فقد سعى وكان سعيه مشكوراً، أخذ باليد، وبث في الدواخل روح الدافعية، بتوجيهاته العلمية، وملاحظاته القيّمة، بعد أن تكبّد ملالة القراءة، وعناء المتابعة، ومن قبلُ تكرم بقبول الإشراف على هذا البحث الذي ولد من رحم المجهول، فكان المشرف الحازم

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

في صورة الأخ العطوف الخلق، والبشوش، بفضل كل ذلك يغمرنى احساس بالاطمئنان والقلم يخطّ آخر السطور في هذا البحث.

وأشعر في آخر هذه المقدّمة أنّه من الواجب تقديم الشّكر الجزيل لكل من كانت يده طولى في مدّ العون لي، وأخصّ بالذكر عائلة الشّاعر جمال الطّاهري التي زوّدتني بنصف أعمال الشّاعر، والأسّاذ الدكتور العيد جّلّولي الذي أمّدي بالنّصف الآخر بوساطة الأسّاذين خوليف عبد القادر، والدّكتور محمد عروس من جامعة تبسة، دون أن أنسى المشرفين على مكتبة كلية الآداب واللّغات، الذين سهّلوا لي الحصول على ما أردت من مراجع، والشّكر موصول لكلّ من اقتطع من وقته الثّمين وصلات زمنية للاطلاع على هذا العمل لتقييمه وتقويمه ومناقشته.

وأخيراً أزعّم أنّي حاولت فتح الباب، لمزيد من الدّراسات حول شعر الأطفال في الجزائر مع قامات جزائرية أخرى. وحسبي المحاولة، فإنّ أصبت فتاك منّة من الله وحده وإنّ جانب الصّواب فمن نفسي ومن آزر الشّيطان.

جامعة العربي الببّي في: 16 أفريل 2016

يوسف عمر

محتل :

أدب الأطفال وثقافتهم وشعرهم
- إشكالية المصطلحات والمفاهيم -

تمهيد

- 1- أدب الأطفال
- 2- ثقافة الأطفال
- 3- شعر الأطفال
- 4- ترجمة الشاعر: جمال الطاهري

تمهيد:

ما زال عالم الطفولة يشغل حيزاً مهماً في الرّاهن الثقافي، تتقاطع فيه أنساب وانتماءات إلى أصول تربوية، ونفسية، واجتماعية، ولغوية، وأدبية، وقد ظلّت الطفولة لسنوات طوال تستولد الأسئلة باستمرار حول علامة دونيتها وقهرها، وكان على الإنسانية أن تجد أجوبة لأسئلتها "التي انتظرت آلاف السنين حتى أتى الفيلسوف والمربي الطبيعي (جان جاك روسو Jan Jack Rosso 1712-1778م) في عصر التنوير ليحرّض من خلال صحبته الشهيرة (اعرفوا الطفولة) على ممارسة نظرة مغايرة تتعامل مع الطفل كطفل لا كراشد صغير"¹ حيث اهتمّ بدراسة الطفل كإنسان حرّ، وأخرجه من المجال السلبي الذي وسّمه به البالغ.

ومع حلول القرن العشرين الذي يسمّيه البعض بعصر الطفل، شكّلت الطفولة محور الكثير من الدراسات التي تناولتها كظاهرة نفسية واجتماعية، الأمر الذي أدّى إلى ظهور كتابات موجّهة للأطفال، توسم تارة بثقافة الأطفال وطورا بأدب الأطفال، وكانّ المصطلحين يقفان على نفس المعنى، فقد لوحظ أنّ هناك من الباحثين والدارسين الذين يؤلّفون في قضايا أدب الطفل "لا يميّزون بين مدلول أدب الأطفال، ومدلول ثقافة الأطفال، لذلك نجدهم يقعون في بعض الأخطاء الجسيمة حين لا يدركون حقيقة المقصود في أدب الأطفال، وحقيقة المقصود في ثقافة الأطفال، فيخلطون في أمر المقصودين"² دون إعطاء كلّ منهما حقّه في دلالاته وفهمه، وتشخيصه؛ لكي لا يلتبس الأمر، ناهيك عن التوجّه الغريب لأصحاب العنوانات الآتية تحت مظلة أدب الطفل: الألوان والطفل صحّة الطفل، التربية والطفل، تربية البنين، تربية البنات، أمية الطفل، الإذاعة والطفل السنيما والطفل، رعاية الطفل، صحافة الطفل، كتاب الطفل، مكتبة الطفل، فنون الطفل ألعاب الطفل، ثقافة الطفل، القراءة والطفل، لغة الطفل، مسرح الطفل، قصّة الطفل التلّزيون والطفل³، وغيرها، فصار أدب الطفل سلّة تُرمى فيها كرات العلوم الإنسانية

¹ - أحمد فرشوخ: الطفولة والخطاب، ط1، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، 1995، ص:13.

² - فاضل الكعبي: كيف نقرأ أدب الأطفال، ط1، مؤسسة الوراق، الأردن، 2012، ص:49.

³ - أحمد زلط: أدب الطفولة بين محمد الهراوي وكامل الكيلاني (د، ط) دار المعارف، القاهرة، 1994، ص:7-8.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

والوسائط الإعلامية، مما أدى إلى اختلاط المفاهيم وتداخلها، وبالتالي غياب الرؤى والأهداف لدى من يكتب للأطفال، ولسنا هنا ننفي عدم استفادة أدب الطفولة من منجزات العلوم الأخرى ولكن هي دعوة لأن يدرك كل متخصص في مجال موقعه من أدب الطفولة؛ لأن هذا الأخير بأجناسه وأنواعه وأشكال تعبيره في حاجة إلى إسهامات الأدب والنقد وعلم النفس وعلوم التربية وغيرها، شرط أن يشبع للطفولة تذوقها، مراعيًا مراحلها المتتالية.

1- أدب الأطفال:

إنّ مصطلح (أدب الأطفال) مصطلح إسفنجي يمتصّ عدّة تعريفات، وأكثر من تسمية، فهو على مستوى الشكّل يلتصق اسم نوعه باسم متلقّيه، فحين نتكلّم عن أدب الكبار أو البالغين فإننا نكتفي بلفظة (الأدب) دون إضافة اسم المتلقّي (الكبار) وهو على مستوى التسمية يتنوّع بتنوّع المؤلفات والدراسات فمن (أدب الطفل) إلى (أدب الأطفال) ومن (أدب الطفولة) إلى (الأدب الطفلي) إلى (الأدب الصبباني) وغيرها من التسميات، وبالتالي يثير مصطلح (أدب الأطفال) ومن خلاله (شعر الأطفال) موضوع الدراسة كما سيأتي لاحقاً عدّة تساؤلات حول طبيعة مفهومه وتحديد مصادره ووسائطه وهل يقصد به الأدب الذي ينتجه الطفل بنفسه، أم ما يكتبه الكبار للطفل؟ وهل ما يكتب عن الطفل يعدّ أدباً للطفل؟ وهو على مستوى التخصص كفنّ أدبي "مصطلح حديث النشأة، وحديث الانتشار؛ لأنّه بدأ تقريباً مع نهاية الحرب العالمية الثانية، لينتشر أكثر مع صدور إعلان حقوق الطفل عن الجمعية العامّة للأمم المتّحدة... فعندما أضيفت كلمة (الأطفال) للأدب، أضيفت معها مواصفات جديدة، مثل: مراعاة مراحل أعمار هؤلاء الأطفال، وميولهم واحتياجاتهم وقواميسهم اللغوية؛ لكي يجدوا فيه المتعة العقلية والعاطفية"¹.

فإذا كانت النظرة إلى أدب الأطفال على أنّه كلّ ما يكتب للأطفال شعراً كان أم نثراً، فإننا سنجد ذلك مبنوفاً في الكتب ووسائل الإعلام السّمعية والبصرية، وبالتالي

¹ - إسماعيل عبد الفتاح: أدب الأطفال في العالم المعاصر، ط1، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، 2000 ص:22.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

تتوسّع مجالات أدب الأطفال لتشمل الكتب المدرسية بما حوته من كتابات للطفل وأخرى عن الطفل، وجملة من المعارف الإنسانية ويظهر أنّ ذلك "يحمل أدب الأطفال أكثر ممّا يحتمل كمفهوم، ومجال اهتمام ومواضيع ومعارف إنسانية شاملة تفوق مصطلح أدب الأطفال، وتضعه في مستوى ثقافة المجتمع"¹.

أمّا إذا كانت النظرة إليه على أنّه مطلق الكتابة للأطفال، شرط أن تستهويها أنفسهم ويشغفون بها؛ فإنّ أدب الأطفال يصبح "كلّ ما يقدّم للأطفال من نصوص أدبية كُتبت خصيصاً لهم، وفق أسس نفسية وتربوية ولغوية تتناسب مع مميزات كلّ مرحلة من مراحل الطفولة، وتعالج الموضوعات التي تهّم الأطفال، والمواقف والمشكلات التي تلبي حاجاتهم للمعرفة والاطّلاع والاكتشاف، عبر الفنون الأدبية المتمثلة في القصة والحكاية والنشيد والتمثيلية والتي تُقدّم بأساليب مبسّطة، تتفق مع مستوى تطوّر الأطفال ونموّهم المعرفي وقدرتهم على الفهم والاستيعاب"² أي أنّ أدب الأطفال بفنونه المتنوّعة هو الذي يلقى الإقبال من قبل الصغار، لانسجامه مع طبيعتهم، ولما فيه من أدوات تثير خيالهم، وأساليب تجلب لهم المتعة، وتحملهم إلى آفاق مذهشة، تغذي أرواحهم وتسمو بمشاعرهم، وترقى بسلوكهم.

فضلا عما سبق يذهب آخرون إلى أنّ ما يكتبه الكبار من أدبٍ للأطفال ليس أدب أطفال، وأنّ أدب الأطفال هو ما يكتبه الأطفال أنفسهم، ولعلّ هذا الموقف أخذ من دعوات التربية الحديثة في الغرب بعد أزمت المجتمع الرأسمالي، والحرب العالمية الثانية... تلك الدّعوات التي ركّزت على الطفل ودعت إلى تحرّره من كلّ القيود المرافقة لتربيته خوفاً من الأزمت النفسية³، وعلى نفس النهج يرى البعض أنّ أدب الأطفال "هو الأدب الموجّه للأطفال سواء من الكبار أو من الأطفال أنفسهم، ويشمل كافة الصّور الأدبية من قصة وشعر وحكاية وكتب معلومات، وكتب عملية وأخلاقية ومسرحية

¹ - أنور عبد الحميد الموسى: أدب الأطفال... ((فن المستقبل)) ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 2010، ص:11.

² - عيسى الشّماس: أدب الأطفال بين الثقافة والتربية، ط1، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 2004، ص:33.

³ - أنور عبد الحميد الموسى: أدب الأطفال... ((فن المستقبل)) ص:13.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

وموسوعات للطفولة¹ فإذا كان المقصود بعبارة (أو من الأطفال أنفسهم) نشاط الأطفال الأدبي والفني الذي يعتمد على إظهار الموهبة المبكرة، والذي يكون عادة على شكل محاولات بدائية للأطفال، إلا من أسعفتهم الموهبة أن يكتبوا جيداً في ظل جهلهم بحدود كل فن أدبي على غرار علم العروض، فكم سيكون عددهم في عالمنا العربي؟ وإذا كان المقصود هو نشاطهم في كل الصور الأدبية، فذلك ضرب من الخيال يجانب الحقيقة في كل شيء.

وقد استدلل أصحاب اتجاه أن أدب الأطفال هو ما يكتبه الأطفال أنفسهم بأسماء وشواهد متنوعة، على مستوى الأدب العربي والأجنبي، قديماً وحديثاً "حيث تشير المصادر إلى أن الشاعر (ليبيد العامري) قد كتب الشعر في سن العاشرة، والشاعر (طرفة بن العبد) كتب أول قصيدة له في سن السابعة...و(بدر شاكر السياب) كتب الشعر وهو في العاشرة، والشاعر (أبو القاسم الشابي) كتب الشعر وهو في العاشرة، وشاعر فرنسا الكبير (رامبو Arthur Rimbaud) كتب الشعر في عمر التاسعة، والشاعر الإنجليزي (اليوت T.S.Eliot) كتب أول قصيدة وعمره لم يتجاوز العاشرة"² والأمثلة في هذا الاتجاه كثيرة، ومعظمها يحيلنا على التبوغ المبكر في الكتابة في عمر الطفولة؛ لأن كل الذين سبق ذكرهم كانوا شعراء نابغين في كل مراحل حياتهم، غير أن ما كتبوه في صغرهم لا ينبع من تجاربهم الطفلية، ولا يدخل ضمن اتجاهات أدب الطفل، ذلك "أن هذا المستوى في الإنتاج الأدبي الذي يقدمه طفل صاحب موهبة كبيرة لا علاقة له بالأطفال ولا يخاطب تجاربهم، أو وعيهم؛ لأنه في مستوى من الرؤية والتشكيل أعلى بكثير مما يتوافرون عليه"³ وعلى ذلك لا يمكن أن يكون أدباً للطفل ولا يمكن إدخاله ضمن ما يوصف بأدب الأطفال وبذلك يتأكد لدينا أن أدب الأطفال ليس هو الأدب الذي يكتبه الأطفال بأنفسهم إلا ما ندر منه.

¹ - محمد السيد حلاوة: الرعاية الثقافية وأدب الطفل (مدخل إلى أدب الطفل) (د، ط) دار المعرفة الجامعية الاسكندرية مصر، 2011، ص: 61.

² - فاضل الكعبي: كيف نقرأ أدب الأطفال، ص: 29-30.

³ - حداد علي: اليد والبرعم، دراسات في أدب الطفل، ط1، مركز عبّادي للدراسات والنشر، اليمن، 2000، ص: 32.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

وإذا تجاوزنا محنة الأسئلة السابقة التي تطرح نفسها في بلادنا وغيرها، فإنّ هناك سؤال آخر يتحتم علينا أن نقممه وهو: هل يوجد أدب للأطفال؟ أو بصيغة أخرى: هل يُعدّ أدب الأطفال أدباً؟ فكثيراً ما أثّرت معضلة (كُتّاب الأطفال) على صفحات المجلّات المتخصصة وفي الندوات والمؤتمرات ولعلّ بعضها أقرّ بعدم وجود هذا الأدب "وكثيراً ما رفض الكُتّاب الكبار والمؤسّسات الجامعية، النّظر إلى أدب الأطفال على أنّه أدب وقد يتساهل بعضهم فيصفونه بقولهم: إنّه أدب مساعد، أو تجسيد للأدب، أو نائب أو بديل، أمّا كلمة أدب ذاتها فهي كبيرة على الأطفال الصّغار"¹ ومن الكُتّاب من اجتهد وتمخّض اجتهاده عن مبدأ "أنّ الطّفل مخلوق يحتاج إلى الحبّ والحنان فأخذته العاطفة الجياشة فكتب انطلاقاً منها أدباً كلّه عاطفة مفعمة بالحبّ والحنان"² إنها نظرة احتقار ودونية واستصغار، وهذه النّظرة الضيقة كانت ولا تزال سبباً مباشراً في تخلف هذا الأدب وتقهره في بلادنا العربية في الوقت الذي شيّد فيه غيرنا صرحاً له، بمحاربة تلك الأوهام حتى غداً واحداً من أهمّ مناشط المؤتمرات يترجّع على مساحة له في المقرّرات الجامعية في أطر موضوعية تحدّد أنماطه وأشكاله.

وصفوة القول: إنّ أدب الأطفال، أدب جديد على الأدب في طبيعته ومصادره وغاياته، يتحمّل أعباءه الأدباء والشّعراء والمربّون وعلماء النفس ورجال الإعلام وغيرهم "وهو جزء من الأدب بشكل عام، وينطبق عليه ما ينطبق على الأدب من تعريفات إلاّ أنّه يتخصّص في مخاطبة فئة معيّنة من المجتمع، وهي فئة الأطفال، وقد يختلف أدب الأطفال عن أدب الكبار تبعاً لاختلاف العقول والادراكات، ولاختلاف الخبرات نوعاً وكماً"³. أي أنّ أدب الأطفال لا يكون له تعريف مستقل، بل يندرج تحت مظلة الأدب بشكل عام، إلاّ أنّه يلتزم بضوابط نفسية وتربوية واجتماعية وجمالية، مستعيناً بوسائل الثقافة الحديثة للوصول إلى الأطفال.

¹ - إبراهيم محمود وآخرون: ثقافة الطّفل واقع وآفاق (د، ط) دار الفكر، دمشق، 1997، ص: 71-72.

² - إسماعيل الملحم: كيف نعتني بالطّفل وأدبه، دار علاء الدّين، ط1، دمشق، 1994، ص: 5.

³ - هاشمية حميد جعفر الحمداني، وعبد الإله عبد الوهاب العروادي: أدب الأطفال بين المنهجية والتطبيق ط1، دار الرضوان للنشر والتوزيع، عمّان، 2014، ص: 11.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

إنّ هذه الالتزامات تحيل على أنّ أدب الأطفال هو شكل تعبيرى من أشكال الأدب وفنّ رفيع، يوجّه إلى جمهور اسمه الأطفال، يتضمّن كلّ "ما كُتب وصُوّر وقرئ ليقراه ويراه ويسمعه الطّفل بأقلام أطفال أو راشدين؛ وهو الأدب الوحيد الذي يلتصق اسم نوعه باسم متلقّيه، وبعدّ أدبا شائكا لتعدّد وسائطه وأجناسه، ولارتباطه بشكل وثيق بمراحل نمو الطّفل، ولارتباطه في كلّ مرحلة عمرية بنمط من أنماط السلوك والتّجارب. ولهذا يودّي هذا الأدب المتعدّد الأجناس مجموعة من الوظائف السلوكية والعلاجية والتّدوئية والاجتماعية والتّعليمية، وتتحقّق عبره مجموعة من الأهداف الفنّية والتّربوية والعلمية"¹ ممّا يجعله يتّسم بمزايا خاصّة جدّا، يفرضها الواقع الذي نتعامل به مع الطّفل الذي يصدّق كلّ ما يرى ويسمع، ومن أهمّ هذه المزايا أنّه يهتمّ بميول واحتياجات هذا الجمهور، بإثارة الإحساسات الجمالية، والانفعالات العاطفية، وبالتالي ملاءمة المضمون والأسلوب واللّغة والإخراج الفنّي لمختلف مراحل النّمو.

2- ثقافة الأطفال:

لم تتعدّ إفادة لفظ (الثّقافة) في معاجم قواميس اللّغة العربية ثلاث دلالات، الأولى تتّصل بصفات المتعلّم كالحذق والفتنة والخفّة²؛ والثانية تتّصل بكونها آلة لتسوية المعوج من الرّماح³؛ وأمّا الثالثة فتتّصل بموضوع الثّقافة كونها العلوم والمعارف والفنون التي يطلب فيها الحذق⁴.

أمّا على المستوى الاصطلاحي فقد باتت لفظة (الثّقافة) مما يستعصي حصر تعريفها الدّقيق، لضبابية مفهومها وغموض دلالاتها واتّساع نطاقها "فهي لم تبق في عربيتنا مفردة جامدة أسيرة تعريف من الاشتقاق اللّغوي لدينا من نوع (ثقف الرّمح) فتجاوزته لما هو أرحب فكريا وعقديا وحضاريا، فتغدو وعاء للسياسة والاقتصاد والتّاريخ

¹ - أشنتي شوكت: القيم الاجتماعية في أدب الأطفال، ط1، دار النّضال، (د، ب) 1999، ص:64.

² - الفيروز آبادي مجد الدّين محمد: القاموس المحيط، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، ط8، مؤسسة الرسالة، بيروت 2005، ص795.

³ - مجمع اللغة العربية: المعجم الوجيز (د، ط) دار التحرير للطبع والنشر، مصر، 1989، ص:75.

⁴ - مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط (د، ط) مكتبة الشروق الدّولية، مصر، 2004، ص:98.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

والدين والعادات والتقاليد والاجتماع؛ لأنها طريق مميز لحياة الجماعة ونمط متكامل لحياة أفرادها"¹. فتعريفاتها إذن تتعدّد بتعدّد مناهج المعرفة المستخدمة في كلّ تعريف وتعدّد الزوايا المنظور منها إليها، ومن الصّعب احتواءها وبالتالي لا يهّم الانشغال بها بقدر ما يهّمنا ما يجمعها من اتفاق فهي في جلّها تتفق على أنّ الثقافة هي "ذلك المركّب الذي يشتمل على المعرفة والعقائد والفن والأخلاق والقانون والعادات وغيرها من القدرات التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضواً في المجتمع"² وبالتالي فهي ليست ترفاً روحياً قد يتأجّل بل هي قوّة تبني الشّخصية الإنسانية وتهبّها الخواص والصفّات المكتسبة والمادة المكوّنة من المعاني والمضامين والمعارف والألوان والأنغام التي تصنع روح الإنسان وتصلّ عقله وتثير بصيرته وتقوّم موقفه وتهذّب سلوكه³، وما الأطفال في النّهاية إلا صورة من صور الإنسانية وثمرتها تتقاسمها الفطرة والثقافة؛ والأطفال في كلّ مجتمع لهم لغة خاصّة بهم يتّصلون بها مع غيرهم، وقيم ومعايير وألعاب ينفردون بها، فضلاً عن إنتاجاتهم الفنّية والماديّة وكلّ ما هو محبّب لديهم، وهم يتميّزون بخصوصية فيما يفكّرون به وما يتخيّلونه من الأشياء، وما يكونون من انطباعات في عالم مصغّر؛ ممّا يشكّل لديهم ثقافة خاصّة، هي ثقافة الأطفال.

إنّ الكلام عن ثقافة الأطفال ليس كلاماً من قبيل اللّهُو الفكري، وإنّما هو ضرورة حياتية، كونها ثقافة جزئية متفرّعة عن ثقافة المجتمع، وهي "تنفرد بمجموعة من الخصائص والسّمات العامّة وتتشترك في مجموعة أخرى؛ ومادام الأطفال ليسوا مجرد راشدين صغاراً، فإنّ لهم قدرات عقلية وجسمية ونفسية واجتماعية ولغوية خاصّة بهم ومادامت لهم أنماط سلوك متميّزة، حيث إنّهم يحسّون ويدركون ويتخيّلون ويفكّرون في دائرة ليست مجرد دائرة مصغّرة من تلك التي يحس ويدرك ويتخيّل ويفكّر فيها الرّاشدون؛ لذا فإنّ ثقافة الأطفال ليست مجرد تبسيط أو تصغير للثقافة العامّة في المجتمع؛ بل هي ذات خصوصية في كلّ عناصرها وانتظامها البنائي"⁴.

¹ - عمر بن قينة: المشكلة الثقافية في الجزائر، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمّان، 2000، ص:11.

² - أحمد سويلم: ثقافتنا في مفترق الطرق، ط1، مكتبة الشروق الدوليّة، القاهرة، 2004، ص:15.

³ - نجيب محفوظ: حول الثقافة والتّعليم، ط1، الدّار المصريّة اللبنانيّة، القاهرة، 1990، ص:119.

⁴ - هادي نعمان الهيتي: ثقافة الأطفال (د، ط) المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1988، ص:30.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

ومادام الأطفال غير متجانسين في تركيبتهم الاجتماعية، ويتباينون بتباين أطوار نموهم في شتى المجالات، فقد تمّ تقسيم الطفولة إلى مراحل مختلفة سنّاتي على تفصيلاتها في فصل مستقل، الأمر الذي ترتّب عنه وجود ثقافة فرعية خاصة بكلّ مرحلة عمرية، تتوافق وسمات وخصائص الأطفال فيها، ولكنها ليست مقطوعة عن بعضها، فقد تختلف في سمات عامّة، وتتشرك في أخرى، وقد تختلف هذه الثقافات الجزئية داخل المجتمع الواحد، وداخل الأسر تبعاً للمؤثرات الثقافية في كلّ بيئة اجتماعية "وحتى لو توقّرت للأطفال في مجتمع واحد ظروف متشابهة فلا يمكن للطفل أن يتعرّض لكلّ المؤثرات الثقافية في ثقافة مجتمعه، بل يتعرّض لجزء منها، كما أنّه لا يستطيع أن يستوعب إلاّ جانباً من الثقافة. ومن هنا تظهر في ثقافة الطفل عموميات وخصوصيات وبديلات، ويختلف الأطفال في قدر ونوع كلّ من هذه العناصر إلى حدّ ما"¹. فأما العموميات فهي تلك التي يشترك فيها أطفال المجتمع، من أفكار عامّة وقيم وعادات ولغة، وهو ما يسمى بالعموميات الثقافية، أو النمط العام للثقافة "وسعة العموميات ورسوخها في مجتمع من المجتمعات يوّلد اهتمامات ومشاعر وأهدافاً وطرقاً مشتركة تقود إلى مزيد من التماسك الاجتماعي، بينما تخفّف قلة العموميات وضعفها من ذلك"².

وأما الخصوصيات فهي تخصّ بعض الشرائح من الأطفال داخل المجتمع تبعاً للانتماء الطبقي، أو التخصص المهني، أو التواجد الجغرافي، وتتمظهر في شكل مهارات وممارسات وجوانب معرفية؛ ولكنها ليست بالضرورة لصيقة شريحة دون أخرى بشكل منعزل، فكلّ شريحة تلمّ بالقدر المتاح بخصوصيات الشريحة الأخرى. وأما البديلات أو ما يسمّى بالمتغيّرات أو الوافدات، وهي مكونات ثقافية دخيلة على الثقافة الأم، وقد تتموقع بصيغتها الأصلية وتسري بين الأطفال عن طريق التقليد، لذا وجب الحذر منها والاحتراس والدقة حين نقلها، وغربلتها بما يتوافق مع سياق الأطفال والخطط الرسمية المرسومة لهم.

¹ - هادي نعمان الهيتي: ثقافة الأطفال، ص: 31.

² - محمد السيد حلاوة: الرعاية الثقافية وأدب الطفل، ص: 22.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

إنّ الثقافة الطفلية ترتبط بثقافة المجتمع السائدة، حيث يمتصّ الطفل تلك الثقافة بطرقه الخاصة بما يلائم اتجاهاته وميوله "وتعتبر البيئة الثقافية العامل الأساسي في تكوين شخصية الإنسان وتحديد سلوكه وأسلوبه في الحياة. لذا تتخذ شخصية الطفل الصيغة التي تشكّلها المؤثرات الثقافية، وهذا يعني أنّ شخصية الطفل تنمو وتتبلور في المناخ الثقافي للمجتمع، بحيث يهيئ له هذا المناخ فرص النمو والتعلّم حيث أنّ تكوين الشخصية هو عبارة عن عملية يتمّ فيها دمج العناصر الثقافية المكتسبة مع خصائص الطفل التكوينية لتشكلًا معا وحدة وظيفية متكاملة"¹.

واستنادا على ما سبق يمكن القول: إنّ الحديث عن ثقافة الأطفال ليس مقطوعا عن أدب الأطفال؛ إذ إنّ هذا الأخير هو وسيط وأحد العناصر الأساسية التي تشكل ثقافة الأطفال، ومرآة لها تعكس مكانتهم في المجتمع، وهو جزء "من عملية تثقيف الطفل، هذه العملية التي لا ينهض بأعبائها النتاج الأدبي وإنما هي تقوم على عاتق مؤسسات اجتماعية وتربوية أولها وأهمّها الأسرة والمدرسة ووسائط الاتصال المختلفة؛ التي تحمل فيما تحمله ثقافة موجّهة للطفل يكون الأدب أحد عناصرها. وقد يتّسع مفهوم الأدب تبعا للدور الوظيفي الذي يملك أن يسهم فيه، أي الأدب، بكلّ ما يكتب للطفل وعنه في آنٍ واحد في مختلف فروع الثقافة الإنسانية بحيث يغطّي كلّ أساليب السلوك وأنماط التفكير وعالم القيم والعالم الفيزيائي..."² وبذلك يصبح أدب الأطفال لونا من ألوان الثقافة للأطفال، ويفارقها في كونه يتصل بالنفس دونها، فهو كالغصن من شجرة الثقافة.

أما الثقافة فيندرج تحتها كل ما أنتجه وأخرجه الإنسان من بنايات وصناعات واختراعات وأفكار وعادات وقيم اجتماعية "فليست الثقافة أدبا وفلسفة وفنّا جميلا فحسب بل هي كل المعارف والفنون المتصلة بالنشاط الإنساني المنتج، وبتطبيقات العلم والتكنولوجيا... وغير ذلك من مظاهر الحياة اليومية..."³. ويتجلى ذلك في الوسائط المكتوبة للأطفال التي تضم فضلا عن أدب الأطفال بما يحويه من حكايات وقصص

¹ - مريم سليم: أدب الطفل وثقافته، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 2001، ص: 18.

² - إسماعيل الملح: كيف نعتني بالطفل وأدبه، ص: 06.

³ - محمد السيد حلاوة: الرعاية الثقافية وأدب الطفل، ص: 18.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

متنوعة وأغاني وتمثيلات وأشعار ومجالات متخصصة في الأدب الموجّه للطفل وقواميس وكتب وسير وتراجم، الوسائط المسموعة والمرئية التي "تتضمّن المسلسلات والحكايات والبرامج التي تعرض في الإذاعة، وبرامج التلفزيون على اختلافها: تربية تعليمية، وثائقية ترفيهية، مغامرات تاريخية وبوليسية... والوسائط المجسّدة من مسرح أطفال ومسرح دمي على اختلاف موضوعاتها ومستوياتها، وكذا الفنون الجميلة وتتضمّن الموسيقى والأغاني للأطفال والفنون التشكيلية..."¹ وهذه الوسائط الفنيّة والإعلامية والمكتبية والمعلوماتية مجتمعة في مضمونها القيمي، تتكامل وظيفياً فيما تحمله إلى الطّفل من ثقافة، مشكّلة شبكة علائقية تستوعب الطّفل وتحيط به "مما يجعل دورها في تحديد عالمه وتوجّهاته يفوق كل تصوّر أو نظرة سطحية. وهي في تكاملها تعزّز تأثير بعضها على البعض الآخر، ويتراوح هذا التأثير ما بين التّوجيه الواعي والفعل الخفي الذي يتوجّه إلى أعماق نفس الطّفل ويتفاعل مع قواها"² غير أنّ هذا التأثير يتباين إلى حدّ كبير، فالبيئة الثقافيّة مثلاً ليس لها تأثير يذكر على النّمو الجسمي بقدر تأثيرها في النّمو الانفعالي والاجتماعي، فالانفعال هو استجابة يظهرها الطّفل أثناء تعرّضه للمثيرات التي تعرّضه في شكل مواقف، وكلّ سلوك يبديه الطّفل تجاه كلّ موقف هو في الواقع استجابة انفعالية لها علاقة بهذا السلوك؛ بمعنى أنّ السلوك هو نتيجة للحركة التفاعلية بين ثقافة المجتمع، والثّقافة الموجّهة للطّفل وشخصيته، التي تفكّر وتستجيب وفق ما تمليه عناصر ثقافته المعيشة وعناصر العالم المحيط به، إذ في تفاعله معها يكتسب عاداته وأفكاره وقيمه واتجاهاته.

إنّ مفهوم ثقافة الطّفل يتّصل بواقع متغيّر يكتسب وصفه وتوصيفه من خلال تفحص النّظرة والاهتمام بثقافة الطّفل في بلادنا وفي العالم العربي، وكذا معاينة دور كلّ مؤسسة تحمل أعباء هذه الثّقافة، سواء كانت اجتماعية أم تربوية، أم إعلامية، وسواء كانت رسمية أو غير رسمية، فضلاً عن الفعاليات التثقيفية أو ما يسمّى بالآليات عبر الوسائط المتعدّدة لثقافة الأطفال، ووسائل الاتّصال، والتّواصل مع جماهير الأطفال أي الصّورة التي يتحقّق بها البناء الثّقافي للأطفال الذي يشبه إلى حدّ بعيد "بناء برج مرتفع

¹ - مريم سليم: أدب الطفل وثقافته، ص: 30-31.

² - المرجع نفسه، ص: 31.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

كل حَجْرَة تضاف إليه، أساسية وضرورية، وذات أهمّية في تشييده، لا يمكن الاستغناء عنها، والبرج الثقافي، يحتاج أول ما يحتاج، أجهزة تربوية مؤهّلة تأهّيلاً جيّداً، ومن دونها لا يمكن البناء على الإطلاق...¹. ذلك أن الخطر الأكبر في حياة المجتمع يتمثّل في جهل المربّين بالأصول العلمية للتربية، وتنقيف الطّفل، ففي تربية الأطفال "قانون صارم هو أنّه إذا كنت لا تربيّ تربية علمية صحيحة فأنت تربيّ تربية خاطئة، والتربية الخاطئة تؤدّي إلى تدمير الأطفال نفسياً وعقلياً واجتماعياً. وبناء على هذا القانون التربوي فإنّ أيّة تربية تقدّمها للطّفل تلحق به الأذى وتدمّره إذا لم تكن تربية علمية"²؛ أي أنّ هذه التربية لا بدّ أن تقوم على وعي أصيل ينبع من معطيات علم الطّفولة وعالمها الذي في إطاره صاغت الخطة الشّاملة للثقافة العربية أسسه الثّابتة لتنمية ثقافة الأطفال العرب وهي:

- تأصيل الهوية الثقافيّة مع التّطلّع المستقبلي، مع اهتمام خاصّ باللّغة العربيّة.
- التّأكيد على التّراث العربي الإسلامي وما يزخر به من منجزات.
- استخدام الثقافة من أجل إطلاق طاقات النّمو عند الطّفل.
- التّأكيد على التّحصين الثقافيّ العربي ضدّ الغزو الثقافيّ والاعتراب.
- اعتماد مبدأ وشمولية التّخطيط لثقافة الطّفل والتّنسيق بين جميع مجالاتها ووسائطها
- وقيام هذا التّخطيط على دراسات علمية تتناول جميع جوانب حياة الطّفل، يقوم على جهود المختصّين في مختلف وسائط ثقافة الطّفل.
- العناية الخاصّة بإعداد الخبراء والفنّيين في مختلف مجالات ثقافة الطّفل وتربيته³.

إنّ ثقافة الطّفل هي دعامة التّمية الشّاملة، التي يصبو إليها كل مجتمع ويتمنّاها لأطفاله، أجلّ تطوير المعرفة لديهم، ومخاطبتهم من تقاليدهم الثقافيّة والاتّصالية وإروائهم من الينابيع التّراثية والشّعبية الممزوجة بالمعاصرة، وكلّ أولئك يستدعي تخطيطاً تربوياً يرشّد سبل الخطاب الثقافيّ للأطفال في المؤسّسات المتحمّلة مسؤوليته، والنّاهضة

¹ - عبد اللطيف الصّوفي: فن القراءة، ط2، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص:73.

² - سمير عبد الوهاب أحمد: أدب الأطفال (قراءات نظرية ونماذج تطبيقية) ط2، دار المسيرة، عمّان، 2009، ص:33.

³ - إبراهيم محمود وآخرون: ثقافة الطّفل واقع وآفاق، ص:24.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

بوظائفه، عن طريق التلقّي الموضوعي، لإضاءة العوالم الخيرة لدى الأطفال والابتعاد بهم عن ثقافة الاغتراب وفراغ القيم .

3- شعر الأطفال:

إنّ من أشهر الفنون العربية الأولى عند العرب فنّ الشعر، فقد برز هذا الفنّ عندهم في تاريخهم الأدبي منذ أقدم العصور إلى أن أصبح ديوانهم الذي يُمكن من خلاله التّعرف على دينهم، وثقافتهم، وأحوالهم، وتاريخهم، ودليلهم إلى فصاحة القول والتعبير .

والشعر في اللغة هو "النظم الموزون، وحده ما تركّب تركباً متعاضداً وكان مقفياً موزوناً مقصوداً به، فما خلا من هذه القيود أو من بعضها فلا يسمّى شعراً، ولا يسمّى قائله شاعراً، ولهذا ما ورد في الكتاب أو السنّة موزوناً، فليس بشعر لعدم القيد والتقفية وكذلك ما يجري على ألسنة بعض الناس من غير قصد؛ لأنّه مأخوذ من (شعرتُ) إذا فطنت وعلمت، وسمّي شاعراً؛ لفطنته وعلمه به، فإذا لم يقصده، فكأنّه لم يشعر به"¹ وعلى هذا فإنّ الشعر يشترط فيه أربعة أركان وهي: المعنى والوزن والقافية والقصد.

أما مفهومه في الاصطلاح فيعدّ من أهمّ القضايا النقدية، حيث نال اهتماماً كبيراً من قبل النقاد قديمهم وحديثهم، وشغلهم على مرّ العصور وعلى اختلاف بيئاتهم بالبحث في ماهيته، إلا أنّه من الصّعب أن نجد تعريفاً موحّداً عند جميع الأدباء والنقاد. ويبدو أنّ ما قدّمه هؤلاء الأدباء والنقاد كان نتيجة وجهة نظر وتعبير خاصّ، يعكس التكوين الشّخصي والموقف الأدبي لكل منهم.

ولعلّ من أشهر القدامى الذين وقفوا على تحديد ماهية الشعر بوعي وثقافة، وعمق في الفهم، الشّاعر والنّاقد بن رشيق القيرواني، والذي سأكتفي بتعريفه، حيث يرى في الشعر فناً وإبداعاً لا يمكن فصل شكله عن مضمونه فالشعر يقوم عنده من بعد النية من أربعة أشياء، وهي: "اللفظ، والوزن والمعنى والقافية؛ فهذا هو حدّ الشعر؛ لأنّ من الكلام موزوناً مقفياً وليس بشعر؛ لعدم القصد والنية، كأشياء إترنت من القرآن

¹ - الفيومي محمد بن علي: المصباح المنير (د، ط) مكتبة لبنان، بيروت، 1987، ص:120.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

ومن كلام النبي ﷺ وغير ذلك مما لم يطلق عليه أنه شعر، والمتّزن: ما عرض على الوزن قبله¹. نلاحظ أنّ العناصر التي حدّدها تتضافر وتتكامل لتحديد كيان الشعر فهو لا يقوم إلا وهي مجتمعة، ولا يمكن لواحدة منها أن تؤدي وظيفتها النفسية بمعزل عن الأخرى، وهذه العناصر هي: اللفظ والوزن والمعنى والقافية، ويرى بعض النقاد أنّ هذا هو التحديد العلمي والعروضي للشعر.

ومصطلح الشعر في أصل تسميته هو الشعر الموجّه للكبار، ونظّمه الكبار للكبار ولتمييز ما هو خاص بالصغار فقد أضيف اسم المتلقي (الأطفال) إلى لفظة الشعر فأصبح (شعر الأطفال) ومن المتعارف عليه أننا نقصد بهذه العبارة الشعر الذي ينظمه الشعراء الكبار للأطفال، غير أن التداول لهذه العبارة في أدبيات الأطفال، وفي نظّمها اللغوي تشير في واقع دلالتها إلى الشعر الذي ينظمه الأطفال بأنفسهم. ولا ضير في أن يكتب الأطفال شعراً جميلاً يعبر عن أحاسيسهم ومشاعرهم التي تتبع من براءتهم وحاجات الطفولة ومتطلباتها² غير أنّ مسألة الطفل الشاعر، أو الطفل الكاتب تُجافي البعد التربوي للكتابة، ولا توافي الأدب في الوقت نفسه، وقد سماها بعضهم (أسطورة) ومنهم من وسم كتابه بـ: (أسطورة الأطفال الشعراء) ورأى أنّ الطفل الخلاق غير موجود لأنّ الخلق يتطلب صفات الرشاد؛ والأولى أن نعنى بتربية إبداع الأطفال ليكون منهم الشاعر والكاتب في المراحل المقبلة من العمر³. وهذا يعني أنّ تربية الموهبة في وقت مبكر من حياة الطفل المبدع لها أكبر الأثر في تكوين الطابع اللغوي السليم، لاكتساب المقدرة على الإبداع.

وللشعر عند الأطفال نصيب في ذلك حيث "يخلق عندهم الملكة الإبداعية ويشارك في تنشئتهم وتربيتهم تربية متكاملة، فهو يزوّدهم بالحقائق والمفاهيم والمعلومات في مختلف المجالات، ما يمدّهم بالألفاظ والتراكيب التي تنمي ثروتهم اللغوية

¹ - ابن رشيق أبو علي الحسن القيرواني: العمدة في محاسن الشعر، وآدابه، ونقده، ط5، ج1، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، 1981، ص: 119-120.

² - أحمد علي كنعان: الطفولة في الشعر العربي والعالم مع نماذج شعرية لأطفال شعراء، ط1، دار الفكر، دمشق، 1995، ص: 160.

³ - عبد الرزاق جعفر: أسطورة الأطفال الشعراء، ط1، دار الجيل، بيروت، 1992، ص: 36.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

وأحاسيسهم، وكذلك التذوق الفني والأدبي عندهم، كما يساعد الشعر على انفتاح عقلية الطفل وفاعليته مع ثقافة المجتمع¹ من خلال العواطف الإنسانية التي يعبر عنها والحياة الاجتماعية التي يشرحها، فيرسم بذلك "الطريق إلى المثل العليا في الانفعالات التي تساعد على تكوين اتجاهات واضحة وقيم متعدّدة، كما ينقل شعر الأطفال الأفكار بتقديم الخبرات البشرية في صورة نقيّة مهذّبة من خلال التعبير اللغوي"² فضلاً عن الإيقاع الذي يميل إليه الأطفال ويغرمون بحركاته.

وضمن هذا السياق يتراءى لنا أنّ الطفل "الصيق بالشعر، وله اتّصال عفوي به عبر وجود صفات مشتركة عديدة بين الشعر والطفل خاصّة في الصّفة الموسيقية، التي تنطلق من الواقع التّغيمي والإيقاعي في الجرس الموسيقي، وذلك؛ لأنّ الشعر يقوم على أساس موسيقي، ويبنى على هذا الأساس بناء إيقاعيا ونغميا وفق نظام لغوي صوتي موزون، يميّزه عن النثر، كذلك الطفل فهو كائن إيقاعي، يميل إلى التّغيم والأصوات الموسقة في مجمل نشاطه وانفعالاته"³ وتتميّز حاسة الذّوق عنده حينما يطرق جرس الإيقاع أذنيه منذ ولادته، عن طريق الأساليب الفنّية التي تعرف بأغاني المناغاة والهددة، وفي مرحلة تالية بأغاني التّرقيص؛ حيث ينصت الطفل إلى أمّه التي تغنّيه بإيقاع رتيب بهدف إبهاجه وتهنئته، وبثّ الطمأنينة في نفسه، وذرّ النّوم في عينيه. وبذلك يصبح الشعر الفنّ الأسبق إلى إدراك الطفل، وطبيعة عملية التذّوق عنده.

ويرى بعض الباحثين أنّ شعر الأطفال بعامة ينقسم إلى ثلاثة أنواع: شعر مكتوب عن الأطفال، وظاهره يخاطب الأطفال، إلّا أنّه "يحمل خصائص أو جماليات الشعر المكتوب للكبار سواء من ناحية تركيب الصّورة، أو اللّغة غير القريبة من منال الطفل أو الرّمز، أو الإيحاء، أو الإحالة التّاريخية...وما إلى ذلك من تقنيات الشعر بعامة، التي يصعب على الأطفال دون مرشد أو معلّم فهم مراميها، وما ترمز إليه في كثير من الأحيان"⁴ كقول نزار قبّاني في آخر قصيدة (هوامش على دفتر النّكسة):

¹ - إسماعيل عبد الفتّاح: أدب الأطفال في العالم المعاصر، ص: 52.

² - سمير عبد الوهّاب أحمد: أدب الأطفال، ص: 113.

³ - فاضل الكعبي: كيف نقرأ أدب الأطفال، ص: 176.

⁴ - أحمد فضل شبلول: الطفل والحرب في فضاء الشعرية العربية المعاصرة (د، ط) الاسكندرية، 2004، ص: 5.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

يا أيها الأطفال...

من المحيط للخليج، أنتم سنابل الآمال
وأنتم الجيل الذي سيكسر الأغلال
ويقتل الأفيون في رؤوسنا
ويقتل الخيال..

يا أيها الأطفال أنتم - بعدُ - طيبون
وطاهرون، كالندى والتلج، طاهرون
لا تقرؤوا عن جيلنا المهزوم، يا أطفال
فنحن خائبون

ونحن، مثل قشرة البطيخ، تافهون
ونحن منخورون...

منخورون...

منخورون كالنعال

لا تقرؤوا أخبارنا

لا تقبلوا أفكارنا

لا تقتفوا آثارنا

يا أيها الأطفال:

يا مطر الربيع، يا سنابل الآمال

أنتم بذور الخصب في حياتنا العقيمة

وأنتم الجيل الذي سيهزم الهزيمة¹.

إنّ النّظر إلى هذا النّوع من الشّعْر على أنّه يدخل ضمن الشّعْر الموجّه للأطفال هو نظر قاصر، ولا يعي حقيقة وسمات وأهداف شعر الأطفال بمعناه العلمي. ولو صحّ هذا النّظر لأصبح أغلب النّتاج الأدبي العام، في واقعنا وواقع المجتمعات الأخرى، أدباً للأطفال... فالمطالع لهذا النّتاج سيجد نصوصاً كثيرة تتضمّن رموزاً ودلالات الطّفّل

¹ - نزار قبّاني: الأعمال السياسية الكاملة (د، ط) ج3، منشورات نزار قبّاني، بيروت (د، ت) ص: 96-97-98.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

والطّفولة، بمعانيها واتّجاهاتها¹، وهو أمر طبيعي؛ لأنّ الطّفّل صورة جميلة، وآية إنسانية ورمز اجتماعي يمكن لأيّ فنّان استعمال صورته في تعابيره.

وشعر يحمل خصائص وجماليات الشعر المكتوب للأطفال، كاستخدام الصّورة الشعريّة البسيطة وسهولة الألفاظ وخفّتها، وتوافر عناصر البناء الموسيقي الداخلي والخارجي في قولبة موسيقية مجزوءة البحور، مع رسم صورة شعرية جميلة وجذّابة للموضوعات، فضلاً عن التقليل من أفعال الإرشاد والنّصح، كقول الشّاعر جمال الطاهري في قصيدة (العب يا طفلي):

العبُ أيا طفلي	في جنّة الحقل
يا فرحة الأهل	في خفّة الظلّ
العبُ معي واسعُدْ	باللّعبِ ذا تشنّدْ
أرجوك لا تبتعدْ	عن مسرح الحقلِ
اركضْ معي اركضْ	بالطولِ أو بالعرضْ
زيّنْها ذي الأرضِ	يا وردة الحقلِ
اركضْ معي خبياً	وازرع هنا طرباً
سبحان من وهباً	إشراقه الحقلِ
قمْ وأبدِ الحفلاً	وامرُحْ به نحلاً
فاليومُ ذا أحلى	في حفلة الحقلِ ²

أمّا النّوع الثّالث وهو الشّعر البسيط الذي كتبه الشّعراء الكبار للكبار وهو في مضمونه وشكله يصلح أن يكون شعراً للأطفال دون قصديّة أن يكون لهم حيث لجأ إليه المربّون ومخطّطو المناهج المدرسية قبل أن يتبلور شعر الأطفال على صورته المعاصرة، فأعملوا فيه التّبسيط والشّرح ليناسب الأطفال؛ من ذلك قصيدة (الشّاعر) لجمال الطاهري؛ التي يتحدّث في مضمونها عن تجربته في نظم الشّعر، ومدحه لمختلف تركيبات المجتمع الجزائري، وهي في ظاهرها وشكلها موجّهة للصغار يقول فيها:

¹ - فاضل الكعبي: كيف نقرأ أدب الأطفال، ص: 32.

² - جمال الطاهري: الزهور، ط1، ج5، مؤسسة أشغال الطّباعة، المدية، 1993، ص: 13.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

إِنِّي فِي الْجَمْعِ شَاعِرٌ شَاعِرُ الشَّعْبِ الْمُظْفَرُ
وَقَصِيدِي الْيَوْمَ يَشْدُو لِلْعَدِ الزَّاهِي الْمُنَوَّرُ
يَمْدَحُ الْفَلَّاحَ حُرًّا طَافِحَ الْأَمَالِ أَكْثَرُ
يَمْدَحُ الْجَنْدِيَّ فَهَدًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَزَارُ
يَمْدَحُ الْعَمَالَ جَمْعًا إِنَّهُمْ جَنْدُ نَوْفَمَبْرُ
بِهِمْو تَزْهُو بِلَادِي حُرَّةً فِي كُلِّ مَنْبَرُ
يَا بِلَادِي يَا بِلَادِي كَبْرِي فَالشَّعْبُ كَبْرُ
وَإذْكَرِي فِيْنَا شَهِيدًا عَانِقَ الْأَرْضِ وَحَرَّرُ
دُمُهُ فِي كُلِّ شَبْرٍ يَلِثُمُ الْأَعْلَامَ أَحْمَرُ¹

إن شعر الأطفال هو الشعر المكرس لهم، وينطبق عليه ما ينطبق على الشعر عامّة من تعريفات ومفاهيم، وعلى ذلك فهو "لون من ألوان الأدب يحقق السرور والبهجة والتسلية، والمتعة للأطفال، ويتضمن الخبرات التربوية المناسبة، وجوانب الطبيعة التي تتفق والميول الأدبية للأطفال، والتي تتصف بالحركة والنشاط والحيوية ذات الإيقاع الموسيقي، ويأخذ هذا الشعر الشكل القصصي، أو المسرحي، أو الغنائي، ولا يشترط فيه أن يكون المؤلف متخصصاً للأطفال، بل يشترط فيه أن يكون مناسباً للأطفال"² غير أنّ مسألة التخصص هذه تثير إشكالات كثيرة؛ لأنّ الكتابة للأطفال عموماً مسألة محفوفة بالصعوبات وتخضع لشروط، ولعلّ الشعر الموجّه للأطفال من أصعب فروع الشعر "لأنّ شروطه كثيرة جداً، ومن أجل ذلك كان كتاب هذا النوع قلّة قليلة مقارنة مع كتاب القصة والحكاية والمسرحية... ليس بالنسبة إلى العالم العربي فحسب؛ بل في كلّ دول العالم...ولذا، لا غرابة في أن نقرأ بعض العبارات المجازية التي يستخدمها شعراء الأطفال من دون أن يدركوا خطورة توظيفها كما لو كانوا يخاطبون رجالاً أو أدباء أو راشدين كقولهم: الشجرة تبكي، وأيادي الشجرة، وللمساء منامة كاملة وعيناً الوطن وزنده...فهذه العبارات لا يستسيغها الطفل، لأنّها تحمل معاني مجازية"³ وكثير

¹ - جمال الطاهري: الزهور، ط1، ج3، دار الحضارة، المدينة، 1992، ص: 04.

² - نجلاء محمد علي أحمد: أدب الأطفال، ط1، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2011، ص: 109.

³ - أنور عبد الحميد الموسى: أدب الأطفال... (فن المستقبل)) ص: 426.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

من هؤلاء هم في الأصل متحولون من الكتابة للكبار إلى الكتابة للصغار، بعد تجربة طويلة ورغم الإيجابيات في ذلك "فإن أولئك الأدباء لا يتحررون من عالم الكبار فيما يكتبون، فتأتي مؤلفاتهم حول ما يهتم به الطفل، دون الولوع في عالمهم الخاص"¹ فضلاً عن المثالية المفرط فيها، حيث يصورون للطفل الجمال في كل شيء، ويبتعدون به عن الواقع.

إنّ الشعر الموجّه للأطفال يلتزم بضوابط فنية ولغوية، ونفسية وجمالية واجتماعية وتربوية، ويهدف إلى تصوير الحياة بالتعبير المتميز، وعرض أفكار وأحاسيس وأخيوالات تتفق ومدارك الناشئة وميولاتهم. ويتناول كل ما يمكن لألوان الأدب الموجّه للأطفال الأخرى أن تتناوله، إلا أنه يتشكّل في صيغ أدبية متميزة تمكّن الأطفال من خلاله أن يحلقوا بعيداً في أجواء الفضاء، ولذلك فهو يتطلّب رؤية وخبرة تراعي الاعتبارات السابقة الذكر بالإضافة إلى التمرس النوعي في فنّ التعامل مع الأطفال من حيث الأسلوب، والفكر، والسلوك، وهي اعتبارات شرطية لا بدّ أن تجتمع في شخص كاتب الأطفال؛ حتّى يصل بكتاباته إلى الأهداف المرجوة.

وتتجلّى الصعوبة في شعر الأطفال في كونه فناً مقيداً بجمهور خاص جداً وتظهر هذه الخصوصيات في نوعية المتلقّي؛ لأنّ الأطفال كجمهور يتفاوتون في الخصائص النمائية والقدرات اللغوية، ودرجة النمو النفسي بالإضافة إلى الفارقة من حيث المستوى الثقافي والتكيّف الاجتماعي، والتواجد الجغرافي فأطفال المدن الكبرى وبعض الأحياء الراقية يختلفون عن أطفال الصحراء والقرى والأرياف والمدامر النائية التي تقتقر إلى الثورة التكنولوجية والوسائل التقنية؛ بل إنّ من المناطق العميقة التي لاتزال تجهل معالم الحضارة المعاصرة في أبسط وسائلها كالكهرباء الذي بانعدامه تحتجب كثيراً من وسائل أدب الأطفال كالتلفاز وهنا "تبدو الصعوبة من جديد في الشعر، ومهما حاول الشاعر أن يكون حريصاً على التقريب بين هذه الفروقات الفردية والاجتماعية والثقافية ومهما حاول مراعاة الشمول وتعميم النظرة الواسعة، فإنه يظلّ في كثير من الأحيان مقصراً عن الوصول إلى جمهوره وصولاً كاملاً. لذلك يمكن القول: إنّ الشاعر عندما

¹ - منيرة صالح: راهن أدب الطفل في الأردن، ط1، دار غيداء، عمان، 2011، ص:76.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

يكتب للأطفال فإنه يدخل (متاهةً جميلةً) قد تتقلب فيها الفصول الأربعة كل يوم، ولهذا فإن جميع المربين والقادة والعظماء، طالبوا بالبحث عن الطفولة واحترام إنسانيتها ودغدغة مشاعرها، وتنمية مواهبها وقدراتها، وتأمين السلامة والأمان لها¹ فخصتها الأمم المتحدة بيوم عالمي، واجتهدت المجتمعات في تخصيص يوم وطني لها، ورأى كثير من النقاد أن تتصف الكتابة للطفولة بتقنيات عالية، ولعل أرقاها في الشعر.

إنّ شعر الأطفال يلتقي مع شعر الكبار، أو ما يسمى شعر الرّاشدين في عدّة نقاط، ويفارقه في نقاط أخرى، فأولى نقاط الالتقاء ترتبط بطبيعة المتلقّي نفسه، سواء كان طفلاً أم راشداً، فداخل كلّ شاعر صورة طفل تدغدغ جوانحه وتتطبع على صفحات وعيه ولا وعيه، ولعلّ ما ذهب إليه (بابلو نيرودا Pablo Neruda 1904-1973م) الشّاعر الشّيلي يصبّ في هذا الاتجاه إذ يقول: "إذا فقدَ الشّاعرُ الطّفَلَ الذي يعيش بداخله، فإنّه سيفقد شعره"² أي أنّ الذاكرة الطفولية للشّاعر تحفر في تجاويف وعيه نقوش الزّمان والمكان، وحركة الإنسان في ثناياها حاملة معاناته وفرحه، ومن البديهي أن تكون "مواد الصّورة الطفولية في الذاكرة الطفولية، غزيرة متدفقة فيّاضة، ذلك أنّ المخزون الطفولي من أهم مصادر المعرفة إن لم يكن أغزرها"³ وللصّورة الطفولية أثر نفسي يتحوّل إلى قوّة قادرة على إثارة عواطف الشّاعر والتّلاعب بها أحياناً، وتحويله إلى طفل بريء يجتذب كلّ ما سمعه أو شاهده عبر مراحل طفولته، ويخزّنه في ذاكرته فالشّاعر لا ينسى حتى أبسط النّغمات التي سمعها في طفولته؛ أي أنّ المخزون المنقوش على جداريات الذاكرة لا يتلاشى في ظلّ ظروف طبيعية يحياها الشّاعر أو في حالة التوهج الإبداعي النفسي بكلّ محتوياتها وتقلّباتها؛ وعلى ذلك لا غرابة في أن تحتشد المواد اللّغوية في صور الشّعراء وتتوّعها حين عودتهم إلى ذكريات الطفولة، وقد عبّر عن ذلك (فرنسيس جامس f. James) بقوله: "الشّاعر طفل، وإذا لم يكن طفلاً سادجاً بريئاً يتكلّم

¹ - محمد قرانيا: قصائد الأطفال في سوريا (د، ط) منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2003، ص: 24-25.

² - فوزي عيسى: أدب الأطفال (الشعر-مسرح الطّفّل- القصة) ط1، دار الوفاء، الاسكندرية، 2008، ص: 75.

³ - عمر أحمد الربيعات: الشّاعر وذاكرة الطّفّل في الشعر العربي الحديث (دكتوراه مخطوطة) جامعة مؤتة، 2010 ص: 23.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

قلبه، بطل أن يكون شاعراً عظيماً¹ وعلى ذلك فعالم الطفولة عالم مغناطيسي يجتذب إليه الشعراء للتخفيف من سلطتهم كراشدين، واستقطاب عواطفهم لمنح الأطفال أوبة الإحساس وتجسيد أحلامهم بالعودة إلى العالم الطفولي، عالم الامتلاء الذي إذا ما غرد في موحش الرمل أعشب، فما بالك بروح الشاعر وهو يتعطر بمعاني الدهشة والبراءة ويكتحل بالطهر والحنين والألفة؛ في ملعب الأحلام والحرية ليعيد إنتاج الطفولة باستدعائها وتكثيف نماذجها، لأنها المرأة التي لا تهتم .

أما ثاني نقاط الالتقاء فتعلق بالشعر كشكل أدبي وبنشأته؛ فالشعر على ما يبدو هو الفن الأدبي الأول الذي سيطر على الحياة البدائية حتى عدّ لغة الطفولة الإنسانية وأسبق فنونها إلى الوجود، حيث نشأ بدافع من حاجتها إلى التعبير عن المشاعر والهموم والأحاسيس²، وهذه الحاجة هي مطلب غريزي يخلق مع الإنسان، ويرتقي كلما ارتقت الحاجة، أي أن الشعر نشأ مع الإنسان وترعرع مع مجتمعاته، ونما بنموه، وتطور بتطوره، فهو "مرتبط ارتباطاً وثيقاً بطفولة الإنسانية، فقد كان هو السائد عندما كانت الإنسانية تخطو خطواتها الأولى... فقد وجد هذا الإنسان ملاذه في الشعر؛ لأنه مساحة تسمح له أن يشكّل واقعه ويغيّره، كان بالشعر يغير مكانه الطبيعي المحدود إلى مكان نفسي يساعده على إقامة توازنه النفسي؛ ليستمرّ في البقاء؛ ولذلك يعتبر الشعر عنده الزمن الذي يجسّد به المكان، والعلاقة بين الزمان والمكان هي الطفولة فالشعر طفولة الإنسانية، وطفولة الإنسان هي بدايتها"³. وأجلّ ذلك كلّه يعود الشاعر إلى زمن الطفولة يريد بوهم جميل التقليل من خسائر العمر المتقدّم بالتعويض والتكوص إلى الماضي في حنين موجع؛ لكنّه لذيذ حينما يجد ضالته في شعره الموجّه للأطفال؛ والعكس فقد وجد الأطفال ضالّتهم في الشعر الموجّه للراشدين متنقّساً حين كانت ينابيع الإبداع لهم جافة ولم تتبلور بعد في شكل مفاهيم معاصرة.

¹ - العيد جلّولي: النص الشعري الموجّه للأطفال في الجزائر، دراسة، ط1، موفيم للنشر، الجزائر، 2008، ص: 8.

² - محمد علي سعد: المنجد في الأدب والنصوص (د، ط) دار العلم والإيمان، مصر، 2007، ص: 05.

³ - العيد جلّولي: النص الشعري الموجّه للأطفال في الجزائر، ص: 09.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

ومن أبرز نقاط الالتقاء وهي الثالثة فتعود إلى طبيعة الشعر كفن لغوي يتوافر على مختلف أساليب السحر والإدهاش وبالتالي التأثير والإقناع، وإشباع الحاجات الفكرية والعاطفية للإنسان، باستعمال اللغة التي يفهمها المتلقي، وهو تقاطع يلتقي فيه الطفل مع الراشد، مع الإشارة إلى اختلاف مستويات التلقي فالطفل في حاجة إلى أدوات تمكنه من تلقي الشعر الموجّه له لا تتجاوز في أقصاها فهم المعجم في دلالاته الأولية؛ عكس الراشد الذي يتجاوز في تلقيه للشعر إلى مستويات الرمزية والتأويلية، والغوص في البنية الجمالية والمعرفية وفكّ شفرات النص.

بالإضافة إلى ذلك فإنّ محتوى الشعر هو إثارة الانفعال والشعور لدى المتلقي باستعمال الوسائل الفنية في صياغته أي الشعر، وذلك "بتأليف أصوات موسيقية تضيف موسيقاها إلى قوة التصوير، فتنرسل بها المشاعر، وهذه المشاعر بدورها طريق بثّ أفكار تتمكّن من النفس عن طريق التصوير بالعبارات الموقّعة...فقوة الشعر تتمثّل في الإيحاء بالأفكار عن طريق الصّور والعنصر الموسيقي يضيف إلى الإيحاء ويقوّي من شأن التصوير"¹.

أمّا الفروقات التي تميّز شعر الأطفال من شعر الكبار فليست كثيرة؛ لأنّ العناصر البنائية واحدة في كليهما، لكن الاختلاف قد يرتبط بطبيعة المتلقي أيضاً، على مستوى درجة توظيف هذه العناصر وأساليب التّواصل، فالطفل "يحتاج إلى خطاب ثقافي نتواصل به معه، بشكل مخالف لأساليب التّواصل مع الراشدين اعتماداً على ما يعرف بخصائص المراحل العمرية الثمائية، التي تحدّد ما يمكن أن يتلقاه الطفل ويدركه اعتماداً على مستوى نموه العقلي وقدراته العقلية في كلّ مرحلة عمرية"² حسب معطيات علوم التربية وعلم نفس الطفل وقائمة الممنوعات التي تتدخّل لتضع حدّاً فارقاً بين دلالات الألفاظ في شعر الأطفال، وفي شعر الكبار، وبخاصة في جانبها العاطفي.

¹ - محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، (د، ط) دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1997 ص:356.

² - كمال الدين حسين: أدب الأطفال (المفاهيم، الأشكال، التطبيق) ط2، دار العالم العربي، القاهرة، 2010 ص:40.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

كما يكون التباين في الموضوعات والأهداف، إذ إنّ شعر الأطفال يهتم أكثر ما يهتم بالموضوعات التي تثير اهتمامات الأطفال وتعبّر عن بيئتهم المحيطة بهم، وعالمهم المعيش، وتساؤلاتهم، واحتياجاتهم، في شكل قصصي أو درامي أو تعليمي، ويتجلى هذا الاختلاف ويبدو واضحاً في "مسرح الطفل الشعري والأناشيد والأغاني، ومع أنّه لا يمكن حصر الموضوعات إلاّ من خلال منظومة القيم، فإنّ طبيعة جمهور الأطفال في مراحلها المختلفة تتطلب حساسية خاصة، وبراعة في استلهام التراث وشخصياته التاريخية ومن ثمّ التوجّه إلى العصر وما يطرحه من موضوعاتٍ على السّاحة الثقافيّة؛ كحبّ الوطن والتشبّث بالأرض، وجمال الطبيعة والحفاظ على البيئة، وحبّ الوالدين، وصلة الرّحم، واحترام المعلّمين وكبار السنّ، والحفاظ على الممتلكات العامة، والرّفق بالحيوان والحرص على الأخلاق، والدين"¹ وكلّ ما من شأنه أن يدغدغ أحاسيس الأطفال، ويزرع بذور الخير والعدل في نفوسهم. فهذه الموضوعات خارج اهتمامات الكبار، ولا ترتبط بعالمهم الذي يهتم بموضوعات أوسع وأصعب في مضامينها كالشعر النّقافي، والحماسي والهجاء، والرّثاء، وغيرها من الأغراض الشعرية التي تبدعها قرائح الشعراء في ظلّ مطالب الحياة.

أمّا على مستوى الأهداف فمآله إلى أنّ شعر الكبار هو وجع الذات الذي يضيء من شفافية روح الشاعر، وينعكس عن مرآة نفسه، محلّه قلبه وشاهدُه عقله، في علاقة جوهرية بينه وبين المتلقّي في نقل عواطفه الإنسانيّة وخبراته الدّاتية، وذلك لبّ مضمون شعره، أمّا بالنسبة لشعر الأطفال فالأمر ليس سيان، فهو ليس تعبيراً عن عاطفة "يقدر ما هو تعبير عن وجهة نظر عقلانية يحاول الشاعر أن ينقلها إلى الأطفال بقصدية من أجل طرح وجهة النّظر الخاصّة بالشّاعر تجاه موقف، أو شخصيّة، أو قيمة أو مفهوم، أو سلوك ما، ويهدف تعليمي تربوي في أغلب الأحيان؛ لهذا يأتي شعر الأطفال: وصفي سريع، واضح، متماثل مع عالم الطّفولة"² أي أنّ شاعر الأطفال لا يعيش تجربة بشرية متكاملة، وإنّما يعيش موقفاً تربوياً، يغدّيه برؤية إنسانية أخلاقية تحسّن كلّ ما سبق الإشارة إليه.

¹ - أنور عبد الحميد الموسى: أدب الأطفال... (فن المستقبل)) ص: 428.

² - كمال الدين حسين: أدب الأطفال: (المفاهيم، الأشكال، التطبيق) ص: 132.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

وهناك فارقة أخرى تتضح على مستوى عملية النقد، إذ تتباين المعايير التي على أساسها يمكن الحكم على شعر الأطفال، فهذا الأخير له مميّزاته وخصائصه التي يدور حولها فلك النقد، مثل: المرح، مناسبة الطّباع والميول، الوضوح والإيقاع والحركات التكرار، اللّحن المشوق، السّهولة، ومناسبة الموضوع، بينما شعر الكبار له استمراريته وحرّيته وعملية نقده تتبلور في قيمه وجمالياته ونظرياته الأدبية المبنوثة في كتب النقد؛

ونخلص إلى أنّ شعر الأطفال يعتبر وسيطاً تربوياً؛ لأنّ التّربية ترى في الطّفل فيلسوفاً صغيراً، يتمتّع بخيال غير محدود، ويتميّز هذا الشّعْر بالأفكار ذات المغزى والهدف التّربوي، معانيه حسّية قابلة لإدراك الطّفل، وبعيدة عن التّجرّد الذي يستعصي عن الفهم، ألفاظه بسيطة لا تنثر استشارة المعاجم إلّا ما قلّ منها، متجانسة مع الأفكار في أسلوب واضح، ورقيق، وشفّاف وجميل؛ ينمّي الذّوق الأدبي عند الأطفال، ويعالج موضوعات قريبة من عالم الطّفولة وثقافتها، وتنأى عن عالم الكبار، يتشكّل أكثره في طابع غنائي، بلغة شاعرية مناسبة، سهلة المعنى والمبني، عذبة الموسيقى والإيقاع مبهرة الخيال ولها مغزى عظيم وشريف؛ وكل أولئك إشباعاً لحاجات الأطفال، وتكوين اتجاهاتهم، بتقديم الخبرات في صورة نقية مهذّبة، تتسامى بالروح وترقى بالوجدان، وذلك أقصى ما تتمنى كلّ أمّة لأطفالها.

4- ترجمة الشاعر: جمال الطاهري



هو عبد الكريم علّجي المزداد بتاريخ: 14 سبتمبر 1947 بحي عين الذهب بولاية المدية. واختار الاسم الأدبي "جمال الطاهري" لظروف اجتماعية خاصة.

تعليمه:

التحق سنة 1953 بمدرسة الزبيرية الحرة، وتتلّمذ على يد الشيخ الطاهر بركاني والشيخ المهدي بن حجر، والشيخ محمد بن حفري. تحصل على الإعدادية سنة 1963 ثم التحق بدار المعلمين ببوزريعة، الجزائر العاصمة، أين أمضى سبع سنوات من الدراسة بعدما نال شهادة البكالوريا سنة 1969 دخل المعهد التكنولوجي للتربية من دون مسابقة وتخرج مع أول دفعة مكونة من 19 أستاذاً معرباً على المستوى الوطني سنة 1971 متحصلاً على شهادة الكفاءة للتعليم المتوسط، في اختصاصي اللغة العربية والتاريخ والجغرافيا¹.

نشاطاته:

- أستاذ التعليم المتوسط للغة العربية منذ سنة 1971 بإكاديمية رقية مصطفى للبنات بالمدية، ثم انتقل سنة 1978 إلى إكاديمية الفضيل اسكندر للبنات بنفس الولاية، حتى وافته المنية.

- مؤسس أول رابطة للكُتّاب الشباب العرب باسم (فينيس) سنة 1971.

¹ - جمال الطاهري: الزهور، ج2، دار الحضارة، المدية، 1991، ص: الغلاف الأخير.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

- عضو اتحاد الكتاب الجزائريين منذ سنة 1972.
- عضو اللجنة المديرة لاتحاد الكتاب الجزائريين منذ سنة 1996.
- صدر اسمه ضمن معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين الطبعة الأولى 1995¹.

من مؤلفاته:

- ديوان ملحق آمال للشعر صدر عن وزارة الإعلام والثقافة سنة 1970.
- ديوان نوح الياسمين، ط2، مجموعة أناشيد للأطفال، مؤسسة أشغال الطباعة المدية 1997. كانت طبعته الأولى سنة 1980.
- ديوان الزهور، ط1، ج1، قصائد للفتيان والفتيات، دار الحضارة، المدية، 1991.
- ديوان الزهور، ط1، ج2، قصائد للفتيان والفتيات، دار الحضارة، المدية، 1991.
- ديوان الزهور، ط1، ج3، قصائد للفتيان والفتيات، دار الحضارة، المدية، 1992.
- ديوان الزهور، ط1، ج4، قصائد للفتيان والفتيات، دار الحضارة، المدية، 1992.
- الدجاجة المخدوعة، ط1، مسرحية شعرية للأطفال، مؤسسة أشغال الطباعة المدية 1992.
- ديوان الزهور، ج5، ط1، قصائد للأطفال، مؤسسة أشغال الطباعة، المدية، 1993.
- مجموعة قصصية للأطفال بعنوان "أحلى الحكايا" صدر منها جزءان.
- له مجموعة مؤلفات في الرواية والقصة القصيرة، والأوبرات، والنقد، إلى جانب دواوين أخرى تنتظر الطبع².

جوائز:

- المرتبة الثانية لمجلة الشباب 1970.
- الجائزة الأولى للشعر لجبهة التحرير الوطني سنة 1971.
- الجائزة الثالثة للمسرح الشعري 1982³.

¹- جمال الطاهري: نوح الياسمين، مؤسسة أشغال الطباعة، المدية، 1997، ص: الغلاف الأخير.

²- جمال الطاهري: نوح الياسمين، ص: الغلاف الأخير.

³- المصدر نفسه، ص:ن.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

قالوا في دواوينه الطفلية:

- تضم مجموعة من القصائد موجّهة لبراعمنا وفيها من الأناشيد والقصائد لاسيما تلاميذ المدارس الابتدائية- ما يفتح مخيّلاتهم، على هذا العالم، ويغرس في نفوسهم حبّ الجمال وحبّ المعرفة والعلم، وكذلك الاهتمام إلى الدروب التربوية، والأخلاقية، وعشق الوطن والطبيعة. (حمزة تلايف: جريدة الخبر)

- تتضمن الزهور قصائد وأناشيد شعرية جميلة جدا خاصة بالأطفال، لاسيما منهم تلاميذ المدارس، وهي قصائد تهدف إلى ترسيخ الأخلاق الحميدة في نفوس الأطفال... (و. أ. ج)

- ظلّ صاحب ديوان نفع الياسمين يملأ الأجواء الثقافية بأريج الياسمين وعطر الزهور متجاوزا بعفوية، وبتصميم واع، إلى الكتابة التابعة من عالم الطفولة حتى أصبح بحق وجدارة واحدا من أبرع الشعراء المتخصّصين في الكتابة للطفل في الجزائر. (محمد لخضر عبد القادر السائحي)¹.

وفاته:

وبعد معاناة طويلة مع مرض العجز الكلوي، التحق بالرّفيق الأعلى - رحمه الله - في يوم الاثنين 08 نوفمبر 1999، عن عمر ناهز 52 سنة.

¹ - جمال الطاهري: الزهور، ج5، ص: الغلاف الأخير.

الباب الأول :

التقنين والتأصيل في شعر الأطفال

* الفصل الأول: تقنين الشعر ومراحل الطفولة

* الفصل الثاني: نشأة شعر الأطفال، وتطوره في الأدب

العربي

الفصل الأول :

تقنين الشعر ومراحل الطفولة

تمهيد

1- تعريف الطفولة

2- مراحل الطفولة

3- أهمية الطفولة

4- الطفولة في الإسلام

خلاصة

تمهيد:

إنّ الطّفولة كالأرض البكر، ترتوي بما يساق إليها من ماء، إن عذب هذا الماء أينعت وأثمرت وتهيأت للقطاف، وإن تأجج وتعكر خبثت وفسدت وتهيأت لليباب ومن المعلوم أنّ الطّفّل "هو البذرة التي يبذرّها الإنسان في البيئة السليمة ثمّ يتعهدها بالعناية والرعاية في ظروف سوية وملائمة، حتى تنبت نباتاً حسناً وتؤتي ثماراً طيبة وليس أسعد للمرء من أن يرى طفله سويّ الخلق والخلق، سالم العقيدة على نهج الفطرة وعلى هدى مستقيم"¹ والله درّ الشاعر صالح بن عبد القدوس إذ يقول:

وإنّ من أدبته في الصّبا كالعود يُسقى الماء في غرسه
حتى تراه مورقاً ناضراً بعد الذي أبصرت من يبسه²

وحيثما نقّلب البصر نجد أنّ كلّ العلوم قد دسّت أئوفها إلى عالم الطّفولة لكنّها كانت ولا تزال تعمل في تنافر ومعزل شبه تام عن بعضها؛ لأننا وكما يقال نعيش عصر النفرة في شتى الميادين. وإزاء ذلك وبعد إرجاع البصر، استملحت أن أطلّ إطلاة مقتضبة فيما قالته العلوم عن الطّفولة، غير مدّع البحث في علم النفس دون غيره أو علم الاجتماع بمفرده، أو علم اللّغة بمنأى عن العلوم الأخرى، بل أردت أن أقف عند مرج بعض الشواطئ "مع العلم أن التّعرف على الطّفّل علمياً، يتطلّب إضافة إلى ذلك دراسات متكاملة إذ ليس بالوسع فهم الطّفّل من خلال أيّ واحد من هذه العلوم بمفرده وقولنا هذا لا يحمل الدّعوة إلى مزج هذه العلوم معاً، بل هو يلحّ على ضرورة التعاون المتبادل بينها كي يتهيأ المجال لأنّ تتقدّم العلوم المختلفة خطوات أوسع وتتّضح صورة الطّفّل بشكل أدق"³.

وتعتبر دراسة الطّفولة ومراحلها المختلفة، من العوامل المهمّة والضرورية لجميع من يتعامل مع الأطفال، وبخاصة في مجال ثقافة الطّفّل، كالكُتّاب والأدباء، والشّعراء

¹ - الأسعد عمر: أدب الأطفال (د، ط) مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، الأردن، 2010، ص: 07.

² - ابن عبد ربه أحمد بن محمد: العقد الفريد (د، ط) ج2، تحقيق مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت (د، ت) ص: 272.

³ - هادي نعمان الهيتي: ثقافة الأطفال، ص: 17.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

والمصمّمين من الرسّامين، والخطّاطين، وكلّ من كانت له صلة بالخدمات المكتبية الطفّلية وكذا المكتبات العامّة والمدرسية. إذ لا بدّ لأيّ دارس لأدب الطّفل، أن يكون على دراية بالمرّاحل التي يمرّ بها الطّفل تبعاً لنموّه وتطوّر سنّه، للوقوف تفصيلاً على كلّ متغيّرات النّمو في ظلّ علم نفس الطّفل العام، وعلم نفس النّمو الخاص، فضلاً عن علوم التّربية التي تعتبر الحاضنة التي تفقس فيها مضامين أدب الطّفل.

وفي ضوء الدّراسات الخاصّة بنمو الأطفال، اهتمّ علماء النّفس والتّربية بالطّفل وقسموا مراحل نموّه إلى تقسيمات عديدة، ومراحل متعدّدة، كل منها لها خصائص معيّنة تميّز الأطفال من النّواحي المعرفية والنفسية، والعقلية والوجدانية "وبيّنوا ما يجب أن يُقدّم للطّفل في كلّ مرحلة من هذه المراحل أجلّ الوصول إلى الهدف الذي نسعى إليه جميعاً وهو خلق الطّفل القارئ، الذي سيكون هو الرّجل القارئ في المستقبل، والذي سيكون العالم المبدع المبتكر والذي سيبنّي المجتمع"¹ وهذه التّقسيمات تُعين على التّعريف على ما يميل إليه الأطفال، من الأدب الموجّه إليهم في سنّتي فنونه، وما يتناسب معهم من الأفكار والموضوعات "وتتيح الوقوف على الطّفل نفسياً واجتماعياً وتهيّء وضع أسس سليمة لأساليب الاتّصال بهم تعليماً وتربيّةً وتنقيفاً؛ وتحقيق الأهداف المبتغاة من هذه العمليّات"² التي تتجّه بالطّفل نحو البناء المتدرّج في النّمو من كلّ الجوانب حتى يصل إلى مرحلة النّضج.

وعلى الرّغم من ذلك نلاحظ أنّ علماء النّفس لم يتّفقوا على تقسيمات موحّدة لمرّاحل نمو الطّفل، الأمر الذي أدّى بهم إلى عدم الاتّفاق على بدايات ونهايات هذه المراحل فضلاً على تداخلها زمنياً، واختلافها بين الأولاد والبنات بل واختلافها باختلاف الشّعوب أضف إلى ذلك أنّ معظم ما لدينا من دراسات وبحوث، هو من إنتاج العلماء الأجانب في أوساط غير أوساطنا، وعلى أطفال يختلفون كلّ الاختلاف عن أطفالنا في البيئّة الاجتماعية، وألوان التّراث، وأوعية النّقافة التي يكتسبها الأفراد من المجتمع بتقاليده

¹ - مفتاح محمد دياب: مقدّمة في ثقافة وأدب الأطفال، ط1، الدار الدولية للنشر والتوزيع، مصر وكندا، 1995 ص:61.

² - هادي نعمان الهيتي: ثقافة الأطفال، ص:17.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

وعاداته وديانته، واتجاهاته المختلفة؛ وهذا لا يعني أننا نرفض إنتاج الآخرين بالمطلق فنفعه أكثر من ضرره إذا ما أحسنّا الاختيار، دون أن ننسى "التطور الحضاري الحديث والتقدم الضخم في التكنولوجيا، وتطبيقات العلم، ووسائل الإعلام بصفة خاصة والتلفزيون بصفة عامة... كل هذا لا يترك الأطفال لمراحل نموهم الطبيعية ويحدث تأثيرات تختلف باختلاف الظروف والبيئات ودرجات التقدم والاتصال"¹. فعصر التنقيتات هذا، قلب كل الموازين رأساً على عقب حيث أثر في الحياة الاجتماعية وغير في القيم الثقافية فضلاً عن الخصائص النفسية للناس والعادات والتقاليد وفي كثير من المفاهيم، وطبعاً لم تسلم الطفولة بمراحلها المختلفة من ذلك؛ غير أن الأمر لا يسلب للطفولة أهميتها، ولا يقلل من ضرورة دراسة مراحلها، ومعرفة خصائصها المتنوعة.

وبسبب الاختلاف في الميول والحاجات والدوافع لدى الأطفال في مراحل نموهم المختلفة اقتضى الأمر تقنين الأدب المقدم لهم، بحيث يتواءم في شكله ومضمونه مع تلك الظواهر في كل مرحلة، ويمكنهم من الفهم والتدبر، ومن ثم الانتقال من مرحلة دنيا إلى أخرى تالية دون صعوبات، ويرى بعض الباحثين أن التقسيم يبدأ بالسنة الثالثة من عمر الإنسان؛ لأنّ الطفل لا يكون قادراً على تلقي الثقافة قبل هذا العمر، فضلاً عما يراه البعض الآخر، وهو أن الطفل يمرّ بعد انقضاء ثلاث سنوات من عمره بتحوّل مهمّ يسمّى أزمة الشخصية الأولى "حيث يدرك فيها الطفل أنّ له ذاتاً مستقلة، يحقّ له أن يعبر عنها بعد أن كانت في السابق مبهمّة، وغير واضحة المعالم"². وقد لا يكون لكلّ مرحلة حدود معيّنة ملموسة؛ لأنّها قد تختلف من طفل إلى آخر، ومن بيئة إلى أخرى كما ذكرنا سابقاً، زمنياً وجغرافياً، حيث تتداخل فيما بينها إلى حدّ كبير، غير أنّ الأطفال يمرّون فيها في تتابع، ولكي نصل إلى تحديد ذلك ينبغي أن نحدّد مواصفات تلك المراحل وخصائص الأطفال خلالها، وفق التقسيم الشائع في كتب أدب الأطفال، وهذا التقسيم يعتمد أكثر على الجانب التربوي، الذي لا يشكّل تقسيماً في حياة الطفل (التقسيم العضوي) بقدر ما يؤلّف تصنيفاً لأشكال ومضامين ثقافة الطفل في المراحل المختلفة

¹ - أحمد نجيب: أدب الأطفال علم وفن، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، 1991، ص:38.

² - البكري طارق: مجلات الأطفال ودورها في بناء الشخصية الإسلامية (دكتوراه مخطوطة) جامعة الأوزاعي، الكويت 1999، ص:28.

وإدراك مضمون الرسالة الإعلامية التي من الواجب أن يتحلّى بها الخطاب الموجّه للأطفال في ملاءمته لمختلف مراحل أعمارهم.

1- تعريف الطفولة:

1.1 - الطّفّل في اللّغة:

وردت لفظة الطّفّل في القرآن الكريم أربع مرّات (طفلاً مرّتان - الطّفّل مرّة - الأطفال مرّة) وليس معنى هذا "أن القرآن لم يهتم بمسألة الطّفّل، بل هناك آيات كثيرة تشير إلى الأطفال، ولكن بألفاظ أخرى، من مثل لفظة [فتى، فتية صبيبا، غلام، ولد، أولاد صغيراً، بني...] وما شابه ذلك، ولكلّ كلمة أو لفظة مدلولها حسب ما ترد في آيات القرآن الكريم"¹ اثنتان تشيران إلى المرحلة المبكرة، في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تَرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا² وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ³ وَلِتَبْلُغُوا أَجْلاً مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ²﴾ وفي قوله: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ تَرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ³ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ³﴾³ ومعنى ذلك أن الله سبحانه وتعالى هو الذي يقبّل الإنسان في هذه الأطوار كلّها وحده لا شريك له وعن أمره وتدبيره و تقديره يكون ذلك كله "وأنّ الله يخرج الإنسان ضعيفاً في بدنه وسمعه و بصره و حواسّه و بطشه و عقله، ثم يعطيه القوّة شيئاً فشيئاً ويلطف به ويحنّن عليه والديه، في آناء اللّيل وأطراف النّهار، حتّى

¹ - أحمد خليل جمعة: الطّفّل في ضوء القرآن والسنة والأدب، ط1، اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، وبيروت 2001، ص:38.

² - سورة غافر: الآية:67.

³ - سورة الحج : الآية:05.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

تتكامل قواه وتتزايد ويصل إلى عنفوان الشباب، وحسن المنظر"¹. ومرة للمرحلة المتوسطة من عمر الطفل، في قوله عزّ وجلّ: ﴿أَوِ الْطِفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾² ولفظة الطفل هنا تدلّ على الجمع، أي الأطفال الذين هم دون سنّ التمييز، وما زالوا لا يفهمون أحوال النساء "وعوراتهنّ من كلامهنّ الرّخيم وتعطفهنّ في المشية، وحركاتهنّ وسكناتهنّ، فإذا كان الطفل صغيراً لا يفهم ذلك، لا بأس بدخوله على النساء، فأما إذا كان مراهقاً، أو قريباً منه بحيث يعرف ذلك ويدريه، ويفرق بين الشّواء والحسنا فلا يمكن من الدّخول على النساء"³. والأخيرة لمرحلة الطفولة المتأخّرة، في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَعِذُوا كَمَا اسْتَعَانَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ⁴ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ⁵ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾⁴. والمعنى هو تربية الأطفال على الأدب الرّفيع والسّامي وفق المنهج القرآني.

ولم تختلف كتب اللّغة قديمها وحديثها في تعريف مادّة (طفل) فجاءت جلّها متقاربة في المعنى شكلاً ومضموناً مع اختلاف في استخدام اللفظ.

ففي لسان العرب تفصيل للأصول اللّغوية لمادّة (طفل) ومما يذكر والطفل والطفلة: الصّغيران. والطفل: الصّغير من كلّ شيء... ولا فعل له وقد أشار إلى الآية: ﴿ثُمَّ خَرَجُكُمْ طِفْلاً...﴾ بقوله: قال الزّجاج: طفلٌ هنا في موضع أطفال، يدلّ على ذلك ذكر الجماعة وكأنّ معناه: ثمّ يخرج كلّ واحد منكم طفلاً، كما أشار إلى الآية: ﴿أَوِ الْطِفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾ بقوله: والعرب تقول: جارية

¹ ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر: تفسير القرآن العظيم، (د، ط) ج4، دار الكتاب الحديث، بيروت (د، ت) ص:1376.

² سورة النور: الآية:31.

³ ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر: تفسير القرآن العظيم، ج3، ص:1453.

⁴ سورة النور: الآية:59.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

طِفْلةٌ وَطِفْلٌ، وجاريتان طِفْلٌ وجوارٍ طِفْلٌ، وغلّام طِفْلٌ، وغلّمانٌ طِفْلٌ والطِفْلُ: المولود وولد كلّ وحشية أيضاً طِفْلٌ ويكون الطِفْلُ واحداً وجمعاً... والطِفْلُ: الصغير من أولاد النَّاسِ والدَّوابِّ وأطفلت المرأة والظبيّة والنَّعم إذا كان معها ولدٌ طِفْلٌ¹.

وقال لبيد في معلقته في هذا المعنى:

فَعَلًا فروعَ الأيهقان، وأطفلتُ
بالجهلتين ظباؤها ونعامها²

أمّا في مقاييس اللغة: (طفل) الطّاء والفاء واللام أصل صحيح مطّرد ثمّ يقاس عليه، والأصل المولود الصّغير؛ يقالُ هو طِفْلٌ، والأنثى طِفْلةٌ. والمُطْفِلُ: الظبيّة معها طِفْلهَا، وهي قريبة عهد بالنتاج. ويُقال طِفْلُنَا إبْنَا تطفيلاً إذا كان معها أولادها، فرفقنا بها في السّير، فهذا هو الأصل. وممّا اشتقّ منه قولهم للمرأة النّاعمة: طِفْلةٌ، كأنّها مشبّهة في رطوبتها ونعمتها بالطِفْلة، ثمّ فرّق بينهما بفتح هذه وكسر الأولى³.

وجاء في مختار الصحاح: (طفل) الطِفْلُ المولود وولد كل وحشية أيضاً طِفْلٌ والجمع أطفالٌ وقد يكون الطِفْلُ واحداً وجمعاً مثل الجُنْب...يقال منه أطفلت المرأة والطِفْلُ بفتحين مطرّاً، والطفيليّ الذي يدخل وليمة لم يُدع إليها⁴.

وعلى شاكلة ما سبق وردت لفظة (الطِفْل) في المصباح المنير: (الطفل) الولد الصّغير من الإنسان والدّواب، قال بن الأنباري: ويكون الطِفْل بلفظ واحد للمذكّر والمؤنث والجمع...ويجوز المطابقة في التثنية والجمع والتأنيث فيقال: طفلة وأطفال وطفلات وأطفلت كلّ أنثى إذا ولدت فهي مُطْفِلٌ قال بعضهم ويبقى هذا الاسم للولد حتّى يميّز ثمّ لا يقال له بعد ذلك طفلاً بل صبيّاً وحزوّراً ويافعٌ ومراهقٌ وبالغٌ، وفي التّهذيب يُقال له طفل إلى أن يحتلم⁵.

¹ - ابن منظور أبو الفضل جمال الدين: لسان العرب، مج11 (د، ط) دار صادر، بيروت (د، ت) ص: 401-402.

² - الرّوزني: شرح المعلقات السبع، تحقيق: أحمد أحمد شتيوي، ط1، دار الغد الجديد، القاهرة، 2009، ص: 99.

³ - ابن فارس أحمد بن زكرياء القزويني: معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون (د، ط) ج3، دار الفكر للطباعة، القاهرة، 1979، ص: 413.

⁴ - الرازي محمد بن أبي بكر: مختار الصّحاح، ط1، المطبعة الكلية، مصر، 1329هـ، ص: 430-431.

⁵ - الفيومي أحمد بن محمد بن علي: المصباح المنير (د، ط) مكتبة لبنان، بيروت، ص: 142.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

ومما ورد في القاموس المحيط: الطُّفْلُ: الرَّخْصُ النَّاعِمُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ج: طِفَالٌ وَطُفُولٌ، وَالطُّفْلُ بِالْكَسْرِ الصَّغِيرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، أَوْ الْمَوْلُودُ، وَوَلَدَ كُلٌّ وَحْشِيَّةٌ أَيْضاً... وَطُفَلَ الْكَلَامَ تَطْفِئاً: تَدَبَّرَهُ، وَطُفَلَ اللَّيْلُ: دَنَا، وَطُفَلَتِ الشَّمْسُ: دَنَتِ مِنَ الْغُرُوبِ¹.

وورد في فقه اللغة للثعالبي ترتيب لطيف لسنّ الطُّفْلِ إِلَى أَنْ يَنْتَاهِيَ شَبَابَهُ: يُقَالُ لِلصَّبِيِّ إِذَا وُلِدَ رَضِيَعٌ وَطُفُلٌ، ثُمَّ فَطِيمٌ، ثُمَّ دَارِجٌ، ثُمَّ حَفَرٌ ثُمَّ مُطْبَخٌ، ثُمَّ كَوَكِبٌ. ومما ورد فيه أيضاً: مادام في الرَّحِمِ فهو جنينٌ، فإذا ولد فهو وليدٌ، ومادام لم يستتم سبعة أيام فهو صديقٌ، ثم مادام يرضع فهو رضيعٌ ثم إذا قُطِعَ عنه اللَّبَنُ فهو فطيمٌ، ثم إذا غَلُظَ وذهبت عنه تَرَارَةُ الرِّضَاعِ فهو جَحُوشٌ... ثم هو إذا دبَّ ونمى دارِجٌ، فإذا بلغ طوله خمسة أشبار فهو حماسيٌّ فإذا سقطت روضعه فهو مَثغُورٌ، فإذا نبتت أسنانه بعد السَّقُوطِ فهو مُثَغِرٌ فإذا كاد يبلغ الحلم أو بلغه فهو يافعٌ ومراهٍ...².

ولم تحد المعاجم الحديثة والمعاصرة في تعاريفها اللغوية للفظ (طفل) عن المعاجم التراثية، ففي معجم اللغة العربية المعاصرة: طُفْلٌ [مفرد] ج أطفال: ولدٌ صغيرٌ يتراوح عمره بين الولادة والبلوغ. وطفولة [مفرد]: فترة ما بين الميلاد والبلوغ³.

وفي المنجد في اللغة والأعلام، ورد تفصيل مستطرد نقتطف منه: الطُّفْلُ: جمع أطفال، مؤنثه طفلة، الصَّغِيرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، يُقَالُ: (هو يسعى لي في أطفال الحاجات) أي في ما صغر منها. يقال (جارية طفل وطفلة) وقد يكون الطُّفْلُ واحداً وجمعاً لأنّه اسم جنس. ريحٌ طفْلٌ: لينة الهبوب. ويقال: (تطايرت أطفال النار) أي شررها، والطفالة والطفولية والطفولة: حالة الطُّفْلِ⁴.

كما ورد في المعجم الوسيط، فضلاً عما سبق: طَفَلَ النَّبَاتُ - طَفَلًا: أصابه التَّراب فأفسده ولم يطل. طُفْلٌ - طفولة، وطفالة: نَعْمُ ورقّ. المطفلُ: ذات الطُّفْلِ مِنَ الْإِنْسَانِ

¹ - الفيروز آبادي مجد الدين محمد: القاموس المحيط، ط8، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2005، ص: 1025.

² - الثعالبي أبو منصور بن إسماعيل: فقه اللغة، ط1، شركة الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، 1999، ص: 94-95.

³ - أحمد عمر مختار وآخرون: معجم العربية المعاصرة، مج1، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 2008، ص: 1405.

⁴ - معلوف لويس وآخرون: المنجد في اللغة والأعلام، ط42، دار المشرق، بيروت، 2008، ص: 467-468.

والحيوان. و ليلة مُطْفَلٍ: تقتل الأطفال من شدة بردها¹.

2.1 - الطّفَل في الاصطلاح:

يُطلق عادة اسم الطّفَل على المستوى العلمي الطّبّي، أو في العلوم الإنسانيّة على فترة حياة معينة من حياة الإنسان، وهي الفترة الممتدة منذ أوّل ولادته وخروجه من طور الجنين داخل رحم الأمّ حتّى بلوغ سنّ الثامنة عشر كما هو متعارف على تحديدها عالمياً، رغم أنّ البعض يعتبرون أنّ سنّ الطّفولة ينتهي حال وصول الشّخص أنثى أو ذكراً لطور البلوغ الجسدي بظهور العلامات الدّالة عليه، وقيل هو كلّ إنسان لا يزيد عمره على أربعة عشر عاماً وقد حدّدت الاتفاقيات الدوليّة حول حقوق الطّفَل، بأن هذه الاتفاقيّة تعني "بكلّ إنسان لم يتجاوز الثامنة عشر من عمره، باستثناء الشّخص الذي يبلغ الرّشد قبل هذا السنّ، بموجب القوانين النّافذة في كل بلد"² أي أنّ مرحلة الطّفولة تمتدّ حتّى سنّ الثامن عشر من عمر الإنسان، مقيدة في هذا الحصر بالنّضج البدني دون اعتبار للنّضج العقلي والنّفسي والوجداني.

ويرى آخرون أنّ الطّفولة، معنى جامع يضمّ الأعمار ما بين المرحلة الجنينية ومرحلة الاعتماد على النّفس، ويرون أنها تعبّر بالفرد من حال العجز والاعتماد على الآخرين عند الميلاد إلى المرحلة الفارقة التي يُتاح عندها قِسطٌ لاعتماد الفرد على نفسه واضطّلاعه بنشاط إنتاجي وإبتكاري فعّال لاستعداداته وقدراته الشّخصية، وممّا يتوافر له في مجتمعه، من متطلّبات التّطبيع الاجتماعي، والتّربية والرّعاية الصّحيّة وغيرها، وهذا يعني أنّ طول مرحلة الطّفولة يتفاوت من جيل إلى جيل، ومن ثقافة إلى أخرى، ومن مجتمع إلى آخر، طبقاً لمتطلّبات ونوعيّة الحياة، في بيئة الفرد وما يحيط به من ظروف خاصّة³ كالبيئة الرّيفيّة، والبيئة الحضريّة، والحياة البدائيّة، والحياة الصّناعيّة وغيرها.

¹ - مجمع اللغة العربيّة: المعجم الوسيط، ط4، مكتبة الشروق الدوليّة، مصر، 2004، ص:560.

² - عبد الرحمن عبد الوهاب: التشريعات الوطنيّة والدّوليّة وحقوق الطّفَل، مجلة الطّفولة والتّمتية، عدد2، مج1، المجلس العربي للطّفولة والتّمتية، مصر: 2001، ص:187.

³ - البكري طارق: مجلات الأطفال ودورها في بناء الشّخصية الإسلاميّة، 1999، ص:26.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

بيد أنّ بعض التربويين يرون أن الطفولة هي: "المرحلة التي تشمل أولئك الذين لم يتجاوزوا السادسة عشرة من أعمارهم، أو أنها المرحلة الممتدة من الولادة إلى ما قبل المراهقة"¹ كما تُعرّف الطفولة من وجهة نظر علماء الاجتماع، على أنها تلك الفترة من الحياة الإنسانية التي يعتمد فيها الفرد على والديه، اعتماداً كلياً فيما يحفظ حياته ففيها يتعلّم ويتمرّن للفترة التي تليها وهي ليست مهمة في حدّ ذاتها، بل هي قنطرة يعبر عليها الطّفل حتّى النّضج الفسيولوجي والعقلي والنّفسي والاجتماعي والخلقي والرّوحي والتي تتشكّل خلالها حياة الإنسان ككائن اجتماعي² باستطاعته التّكيف في مجتمعه.

وهناك من الباحثين من نظر إليها من زاوية البعد الجغرافي، وتأثير العوامل البيئية والمناخية، وانعكاساتها على البنية الجسدية، والتّمثّل السلوكي والتطوّر العقلي والنّفسي فتتسع مرحلة الطفولة وتمتدّ في بيئة، وتضيق وتقتصر في بيئة أخرى، على غرار بلدان شمال الكرة الأرضية وبخاصة الباردة منها أين تمتدّ الطفولة منذ الولادة وحتى سنّ السادسة عشر، على عكس بلدان جنوب الكرة الأرضية وبخاصة الدّول الحارّة، فإنّها لا تتجاوز سنّ العاشرة تقريبا وقد يتفاوت الأمر حتّى في البيئة الواحدة، وذلك نتيجة طبيعة المستويين الاقتصادي والاجتماعي للعائلة، ونوع العمل الذي يمارسه أفرادها إذ إنّ المفهوم العمري الذي تتأطرّ فيه الطفولة وسماتها في المجتمع الغنيّ غيره في المجتمع الفقير، وهو في البيئة الرّيفية غيره في المدينة، بل يخضع أيضا إلى ترتيب تسلسل الطّفل بين إخوته في الأسرة الواحدة...³. وهذه الفروق تأتي من طبيعة الإنسان نفسه ومدى استعداداته النّفسي؛ لأنّ "الأفراد يختلفون فيما بينهم من حيث تكوين كلّ منهم وأتّه لا يوجد أيّ فردين متشابهين تشابهاً تاماً على الإطلاق، بل لكلّ شخص طابعه الفريد الذي يميّزه عن غيره"⁴ مع الاعتبار أنّ المحيط تجاوز الوضع التّقليدي له والذي كان يتكوّن من البيت والأسرة، والمجتمع الضيق، إلى العالم كلّّه، على ضوء الثورة التّقنية

¹ - أنور عبد الحميد الموسى: أدب الأطفال... ((فن المستقبل)) ص: 108.

² - حسين عبد الحميد أحمد رشوان: الطّفل (دراسة في علم الاجتماع النفسي) ط1، المكتب الجامعي الحديث الاسكندرية، 1992، ص: 2.

³ - أنور عبد الحميد الموسى: أدب الأطفال... ((فن المستقبل)) ص: 109.

⁴ - محمد أبو العلا: علم النّفس (د، ط) مكتبة عين شمس، القاهرة، 1989، ص: 261.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

الكبيرة التي يعرفها هذا العصر، وما حوته من تدفق لا مثيل له من المعلومات، والاعتماد فيها على النفس بات ممكناً في قضاء الأمور من قبل الأطفال بمختلف مراحلهم وبخاصة المتأخرة منها، حيث أصبحت المسألة مرتبطة بالوعي الفكري، أكثر من الارتباط بالشكل العضوي.

ورغم ذلك يبقى الطّف عالماً من المجاهيل المعقّدة كعالم البحار الواسع الذي كلما خاضه الباحثون، كلما وجدوا فيه كنوزاً وحقائق علمية جديدة، كانت خفية عنهم، وذلك لضيق إدراكهم المحدود من جهة، واتّساع نطاق هذا العالم من جهة أخرى.

2- مراحل الطّفولة:

تعتبر الطّفولة الأكثر أهميّة في حياة الإنسان، إذ تمثّل نسبة لا بأس بها من عمر الكائن البشري؛ لذلك حظيت بمكانة مرموقة في الدّراسات الاجتماعية والبيئية، وباهتمام الأطباء وعلماء التّشريح، والتّربية وعلم النّفس حيث رأوا أنّ الطّفولة هي المرحلة التي تتشكّل فيها شخصيّة الإنسان بتكيّفه مع البيئة المحيطة به، الأمر الذي يترك أثراً فعّالاً في مقوّمات حياته عبر المراحل المتتالية، فعمدوا إلى تقسيمها بالتّوافق مع التّطور العمري تارة، والمعرفي تارة أخرى، وقدموا عدّة تقسيمات أخرى كان مردّ الاختلاف فيها إلى تحديد بداية كلّ مرحلة وانتهائها لتبدأ المرحلة التّالية، ثمّ تباين المعايير التي اعتمدت في هذه التّقسيمات؛ فمثلاً (جان بياجيه Jean Piaget 1896-1980م) قسّم الطّفولة بالاعتماد على معيار الذّكاء إلى أربعة مراحل هي:

- 1- مرحلة الطّفولة الأولى، ووسمها بمرحلة الذّكاء الحسيّ الحركي، وتبدأ انطلاقاً من الولادة وانتهاء ببلوغ الطّفّل العامين من العمر.
- 2- مرحلة الطّفولة الثّانية، وسمّاها مرحلة الذّكاء الحدسي، وتبدأ بانتهاء المرحلة الأولى أي من سنّ الثالثة إلى سنّ السّابعة من عمر الطّفّل.
- 3- مرحلة الطّفولة الثّالثة، وأطلق عليها مرحلة الذّكاء المحسوس، وتمتدّ من سنّ الثامنة حتى الثّانية عشرة.
- 4- مرحلة المراهقة، وسمّاها مرحلة الذّكاء المجرّد، وتبدأ بانتهاء المرحلة السّابقة أي من سنّ الثّالثة عشرة وحتىّ نهاية فترة المراهقة التي تنتهي عادة في سنّ الثّامنة عشرة.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

وهذه المراحل تتابع بضرورة ممارسة الذكاء عن طريق النشاط، ولكنها لا ترتبط بعمر مطلق معين، وذلك لأنّ تسريع واحدة وتأخير أخرى، إنّما تتمّ وفقاً للاختلافات البيئية ومستوى الخبرة المكتسبة.

ولفهم آلية هذا النمو يوضح (جان بياجيه Jean Piaget) فكرة تقسيمه بتمييزه بين أربعة مراحل رئيسية تطبع تكوين الذكاء الحركي - الحسي: فمنذ بروز الوظيفة الرمزية التي تجعل اكتساب اللغة ممكناً منذ سنّ الستّة أشهر حتّى بلوغ السنتين، تبدأ مرحلة تمتدّ حتّى الأربع سنوات وتشهد نموّ الفكر الرمزي وما قبل التصوري، أمّا في سنّ الأربعة حتّى السبع أو الثماني سنوات تقريباً فيُشكّل بانّصالٍ مع المرحلة الأولى، فكر حدسي يقود تمفصله التدريجي إلى بداية العمليات الفكرية، وبين السبع والثماني سنوات حتّى الحادية عشرة، أو الثانية عشرة تُنظّم العمليات الحسية، التي تستند إلى أهداف قابلة أن تكون حدسية وانطلاقاً من الحادية عشرة والثانية عشرة، وحتّى سنّ المراهقة، يتهيأ الفكر الشكلي، ويتكثّل الذكاء التأملي المكتمل¹؛ فيتحوّل عند المراهق إلى منهج تفكير جديد يصبح فيه قادراً على التحليل الاستقرائي والاستنباطي.

ومن علماء النفس من أقاموا تقسيمهم للطفولة على أساس النمو الجسمي للطفل وما يعترى الطفل فيه من تغييرات عقلية ونفسية ولغوية، فزادوا مرحلة خامسة على التقسيم السابق، وتفرّقوا مع (جان بياجيه Jean Piaget) في حدود المراحل كالاتي:

1- مرحلة الطفولة الأولى وتبدأ من لحظة الولادة وحتّى سنّ ثلاث سنوات، دون أن يلصقوا بها أيّ وصف.

2- مرحلة الطفولة المبكرة، أو مرحلة الطفولة الثانية، وتمتدّ من سنّ ثلاث سنوات وحتّى سنّ ستّ سنوات .

3- مرحلة الطفولة المتوسطة، أو مرحلة الطفولة الثالثة، والتي تتطوّر من سنّ ستّ سنوات وحتّى سنّ تسع سنوات.

4- مرحلة الطفولة المتأخرة، أو مرحلة الطفولة الرابعة، وتمتدّ من سنّ تسع سنوات وحتّى

¹ - جان بياجيه: سيكولوجيا الذكاء، ترجمة: yalande emanuelle، عويدات للنشر والطباعة، بيروت (د، ت) ص:125.

سن الثانية عشرة.

5- مرحلة المراهقة التي تبدأ بسن الثالثة عشرة.

نلاحظ في هذا التقسيم أنّ كلّ مرحلة تالية تنطلق من سنة انتهاء المرحلة السابقة في تسلسل ملمحي، بمعنى أنّ ملمح الخروج من مرحلة سابقة هو ملمح الدخول في مرحلة تالية، وهو الأقرب إلى نظريات التربية الحديثة القائلة بتداخل مراحل الطفولة عكس تقسيم (جون بياجيه Jean Piaget) الذي يضع حدوداً لكلّ مرحلة، ومردّد ذلك كما ذكرنا سابقاً إلى المقاييس المعتمدة في بناء كلّ تقسيم.

وهناك من قسّم مراحل الطفولة على أساس مراحل التربية، ونظر إليها من باب الأحكام المتعلقة بها، أي بنظرة دينية إلى مرحلتين اثنتين:

1- مرحلة الطفولة دون سنّ التمييز، وانطلقوا فيها من الولادة، حتّى السنة السابعة تقريباً ووصفوها بمرحلة ما قبل المدرسة.

2- مرحلة الطفولة في سنّ التمييز، وتمتدّ من السابعة إلى ما قبل سنّ البلوغ وهي المرحلة التي يكون فيها الطفل قد التحق بالمرحلة الابتدائية ثمّ المتوسطة¹.

واجتتاباً لجدلية هذا الاختلاف في التقسيم، سأعمد إلى التقسيم الثاني في هذه الدراسة، وهو التقسيم التربوي النفسي كما أشرت في موضع سابق، لأنّه الأصلح للتوأمة بينه والثقافة الطفلية. غير أنّي سأحجب المرحلة الأولى؛ لأنّها؛ لا تعينني في هذه الدراسة، كون المدونة محلّ الدراسة والتحليل لا تخاطب هذه المرحلة من جهة، وكون ما يناسب هذه المرحلة هو أدب الهدفة من جهة أخرى الذي سنعرض له في موضع آخر.

1.2 - مرحلة الواقعية والخيال المحدود:

ويسمّيها البعض مرحلة الإيهام الخيالي، وتمتدّ من سنّ الثالثة إلى سنّ السادسة تقريباً، وفيها يتباطأ النّمّو الجسمي بعض الشيء، بعد تميّزه بالسرعة في ما قبل هذه المرحلة، تاركاً المجال للنّمّو العقلي الذي يتسارع ويتزايد، وفيها يصبح الطفل قادراً

¹ - الشّريف محمد بن شاكر: نحو تربية إسلامية راشدة من الطفولة حتّى البلوغ، ط1، مكتبة الملك فهد الوطنية الرياض، 2006، ص: 20-21.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

على استخدام حواسه لمعرفة ما يحيط به في بيئته المحدودة في البيت والشارع، وما قد يراه فيها من حيوانات ونباتات "وعالم الطفل في هذه المرحلة، عالم ضيق؛ إنه الأم والأب والإخوة، وبعض معارفه من الجيران والأقارب، والباعة الذين يتجولون في محيطه، والدّمى التي يلعب بها، والملابس التي يرتديها، والطعام الذي يأكله، والبيت الذي يعيش فيه، والحيوانات الأليفة التي تحيا قريباً منه"¹ بالإضافة إلى ما يراه ويسمعه ويحسّ به من مؤثرات جوية وظواهر طبيعية مثل: البرد، الحرّ، المطر، الثلج، الشمس والظلام...

وفي هذه المرحلة يكون "خيال الطفل حاداً، وإن كان محدوداً بما في بيئته المحيطة به، وقوة الخيال هذه تجعله يتخيّل الكرسيّ قطاراً، والعصا حيواناً والوسادة كائناً حياً يتبادل معه الأحاديث..."² وخيال التوهّم هذا، هو الذي يجعل الطفل في مرحلة الواقعية يقبل بشغف على الأدب الذي تتكلم فيه الحيوانات والطيور، ويتكلم فيها الجماد.

كما تتميز هذه المرحلة بالذكاء الحدسي حسب (جون بياجيه Piaget Jean) وهو يعني لديه المعرفة المباشرة للشيء دون تدخل العقل أو المنطق أو البرهان، فالطفل رغم تطوره عن مرحلة الطفولة الأولى (مرحلة ما قبل القراءة) في جوانب عدّة حيث تتسع لغته شيئاً ما، ممّا يمكنه من الاتصال ببعض جوانب الحياة، باحتكاكه بالآخرين، الأمر الذي يجعله يحقق قدرًا لا بأس به من الاندماج الاجتماعي، لكنّه "يبقى عاجزاً عن تقديم البراهين والأدلة لإثبات رأي أو فكرة، أو لإقناع الآخر بما يقول أو يريد، وإن كان يحاول أن يؤكّد أحياناً ولكن دون إثبات أو تحليل منطقي، أو إدراك العلاقات المتبادلة أو العكسية التي تتضح في ترتيب الأشياء، أو إعادة ترتيبها"³.

ومن مزايا هذه المرحلة، وضوح التّصوّر الذهني لدى الطفل، حيث يصبح بمقدوره أن يفكّر، ويفهم بعض الرّموز والمعاني القائمة في اللّغة والكلام حتّى وإن كان (بياجيه

¹ - هادي نعمان الهيتي: أدب الأطفال (فلسفته، فنونه، وسائله) (د، ط) الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986 ص:19.

² - أحمد نجيب: أدب الأطفال علم وفن، ص:39.

³ - غسان يعقوب: تطور الطفل عند بياجيه (د، ط) دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982، ص:81.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

(Piaget) لم يقيد هذه الميزة بمستوى معين من التَّحَقُّق واكتفى بجعلها نتيجة للنمو الذهني التَّدرِجِي في مراحل معينة¹، وهنا لا بدّ من الحرص على استثمار هذا النمو في الاتِّصال المباشر بالقرآن الكريم والحديث النَّبوي الشَّريف والأدعية والأذكار والأناشيد.

وتوصّل (جون واطسون John b. Watson 1878-1958م) زعيم المدرسة السلوكية في علم النَّفس، بعد دراسة مئات عديدة من الأطفال إلى رأي يؤكّد فيه على أنّه بإمكاننا أن نقوِّي شخصية الطِّفل أو نحطِّمها قبل أن يتجاوز السنّة الخامسة من عمره² على اعتبار أنّ السنين الخمس الأولى من حياة الطِّفل هي فترة استقرار الأسس التَّربوية القاعدية، وما يُجنى بعد هذه الفترة هو ثمار لأزهار تفتّحت في الأصل خلال هذه السّنات.

ويمكن لفكرة عدم إدراك الطِّفل للعلاقات المتبادلة أو العكسية، أن تضيء طبيعة الفنون الأدبية التي تتناسب وأعمار الأطفال في هذه المرحلة فالقصيدة الشعرية أو الأنشودة مثلا التي تتلاءم مع التَّطور الذهني لهذه المرحلة تكون ذات فكرة واضحة بسيطة، بعيدة عن التَّركيب وتعقد العلاقات الفنيّة كما أنّ القصة التي تتكوّن من أكثر من علاقة، لا تتلاءم وهذه المرحلة، كون طفل هذه المرحلة لا يمكنه استيعاب أكثر من علاقة واحدة، إذ يسهل عليه تصوّر مواقفها، وفهم مغزاها .

وعلماء النَّفس والتَّربية في تتبّعهم لمراحل النمو في مختلف جوانبه، وقفوا على أنّ هناك بعض الخصائص النَّفسية التي لو أشبعها الأغنية الطِّفلية أو الأنشودة المدرسية وحتىّ القصة، لشدّت الطِّفل واجتذبتة إليها، ومن هذه الخصائص: "الاحساس بالافتقاد والاستعادة، فالطِّفل مرتبط بأمّه لقربها منه ويحزن لبعدها عنه، ويُسرّ إذا عادت إليه، فإذا ما قدّمت له القصة التي تتضمّن افتقاد شيء ثمّ استعادته، فإنّها سوف تُدخل البهجة على نفسه، وبالتالي يستوعب ما فيها من أهداف أخلاقية إسلامية يناسب مستواها هذا السنّ"³ فضلا على استمتاعه بما فيها من لمسات فنيّة جمالية تتّصل بتنامي

¹ - سهير أحمد محفوظ: كتب الأطفال في مصر، ط1، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2001، ص:17.

² - هادي نعمان الهيتي: أدب الأطفال (فلسفته، فنونه، وسائله) ص:20.

³ - سعد أبو الرضا: النص الأدبي للأطفال (أهدافه ومصادره وسماته) ط1، دار النشر، الأردن، 1993، ص:33.

الأحداث والتشويق وغيرهما.

وقد أكدت أبحاث (بياجيه Piaget) على تميّز أطفال هذه المرحلة بإحيائية المادة الجامدة "فالطفل في هذه السن لا يجد خطأ فاصلاً واضحاً بين ما هو جامد وما هو حي؛ وبما أنّه يبحث عن فهم العالم الغامض المحيط به يأمل أن يجد جواباً يتناسب مع قدرات فهمه، وإيقاظ تفكيره"¹. فالطفل في هذه المرحلة العمرية، وحسب تصوّره فهو يتجاوز الشّعور والتّفكير لدى الحيوانات إلى كونها تتكلّم، فهو كالشّاعر في انسجامه معها بخياله الإيهامي، حيث يجعل الطّبيعة ناطقة، ويستطيع الانسجام والتّوحد والحوار مع كل ما يحيط به ويسقط روحه مع كلّ ما له علاقة به، غير أنّه يتميّز بقصر مدّة الانتباه ممّا يوجب أن يكون الفنّ الأدبيّ الموجّه له قصيراً في حوادثه، وسريعاً في وقوعه وذا نهايات سعيدة ومفرحة وممتعة، لأنّه مازال غصّاً ويحتاج إلى لمحة التّفاؤل، والثّقة في المستقبل والطّمانينة للحياة التي لا يعلم غيبها، دون تخويفه من الغيب، كما يجب في اختيار أو كتابة الفنّ الأدبيّ الموجّه له مراعاة البيئة واختلافاتها وتجنّب كل ما هو مثير.

وبناء على ما سبق: يمكن أن نستشفّ الخصائص المميّزة لهذه المرحلة والتي يمكن على ضوئها تحديد المادّة الأدبية التي تتناسب الطّفل في هذه السن ومنها:

1- التّطوّر السّريع في اللّغة، والاهتمام بموسيقى الكلمات، والاستمتاع بالجمال المنغمومة والافتتان بالسّجع والوزن حتّى وإنّ كانا دون معنى، والشّوق إلى سماع التّكرار الموسيقي للجمال والكلمات المعادة. ومن ثمّ تستهويه الأغنيات والقصص الشّعريّة المسجوعة ذات الوزن الموسيقي الخفيف، لأنّ استمتاعه عادة ما يكون من أجل الأصوات والأنغام التي تحدثها الموسيقى دون الاهتمام بالمعاني التي مازال لا يدرك كنهها بعد، ومن أجل حبّه للتّكرار يتوق إلى سماع وترديد ما يفضّله من أشعار وقصص، عدة مرات، دون ملل أو كلل.

2- الشّعور باللذّة عند سماع جمال تشاركه في الأنشودة أو القصّة، باستعمال الأسماء المألوفة لديه، واستخدام اللمس والشّم وبقية الحواس، لأنّها توضح الصّورة في ذهنه.

¹ - هدى قناوي: الطّفل وأدب الأطفال (د، ط) مكتبة الأنجلو المصريّة، القاهرة، 2009، ص: 151.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

3- النشاط المتواصل دون إحساس بالتعب، وقصر مدة الانتباه، وعليه تكون المادة الأدبية في شتى أشكالها قصيرة تُحكى أو تُسمَع في جلسة واحدة.

4- الطفل في هذه المرحلة يتميز بخاصية حبّ النفس، ومن ثمّ يميل إلى المادة الأدبية التي تؤكد ذاته، ويستمتع بالحكاية أو القصة الشعرية التي يستبدل فيها اسمه الخاص باسم من أسماء الشخصيات سواء كانت حيّة أو جامدة .

5- في هذه المرحلة يبني الطفل مدركاته وتصوّراته، من خلال تجاربه الشخصية المتنوّعة وعلى ذلك تناسبه المؤلّفات التي تعينه على اكتشاف الأبعاد المختلفة والمنوّعة للتصوّر الواحد أو الفكرة المفردة¹.

6- الطفل في هذه المرحلة العمرية يتطلّع إلى معرفة العالم الذي يعيش فيه وإلى اختيار البيئة المحيطة به، وأجلّ ذلك فهو يحبّ الفنّ الأدبي الذي يدور حول الخبرات والتجارب اليومية، أو كلّ ما هو مألوف لديه من شخصيات بشرية، وحيوانات مفضّلة ولعب يلعب بها، أو ما يعيش معه في بيئته القريبة شرط أن يكون لهذه المألوفات صفات جسمية ولونية بسيطة في إدراكها والتّعرف عليها، وتكون ناطقة ذات أصوات وحركات. وإكساب هذه الشخصيات المتنوّعة صفات التكلّم، والحركة، والشكل واللّون فيه إشباع لرغبة الطفل في المعرفة وحبّ الاستطلاع.

7- الاعتقاد الوهمي، هو ما يميل إليه الطفل في هذه المرحلة، أين يأخذ خياله المحدود ببيئته في النّمو التدرّجي، فضلا عن استمتاعه بالألعاب التخيلية كأنّ يتوهّم عصا المكنسة حصانا يمتطيه، والدمية طفلا يحاوره ويخاصمه، وكلّ ما هو دائري مقود سيارة أو قطار يقوده، وهكذا... وهو بذلك يفتن بالمادّة الأدبية الخيالية ذات الشخصيات الناطقة، سواء كانت حيّة، أو جامدة شريطة أن يكون لها امتداد في بيئته المحدودة وترمز إلى أشياء حقيقية في حياته الواقعية.

8- الأمان والدّفء العاطفي هو مطلب طفل هذه المرحلة العمرية، وأجلّ ذلك فهو يودّ دائما أن يكون قريبا من الوالدين أو من المعلّمة أثناء تلقّيه الفنّ الأدبي المقدم له فالأغنية، أو المقطوعة الشعرية، أو القصة التي تُحكى له عند النّوم وهو قريب من الأمّ

¹ - محمد السيد حلاوة: الرعاية الثقافية وأدب الطفل، ص: 78.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) أنموذجا

تبدأ بها خبرة الطفل بالأدب في المنزل؛ ومن ثم لا بد أن يسودها العدل، وأن تكون نهايتها ممتعة وسعيدة¹.

9- قيل في هذه المرحلة أن الأطفال يفكرون بأيديهم وأرجلهم، أكثر مما يفكرون بعقولهم وأن حواسهم دائما بين أيديهم، نتيجة ميلهم إلى المحاكاة والتقليد والتّمثيل، فيمثل ما يسمع من قصص، ويتقمص شخصيات الناس الذين يستغرب أعمالهم وأشكالهم، وهذا يستدعي بالضرورة دفع الأطفال إلى التّمثيل والخطابة والرياضة واللّعب وتنمية الهوايات الحركية².

10- في وسط هذه المرحلة يبدأ الطفل في محاولة الاستقلال عن الكبار، ولذلك فهو في حاجة إلى أدب يساعده على أن يوائم نفسه مع الخبرات الجديدة والمخيفة أحيانا في الحياة البعيدة عن الأسرة، والأدب الطفلي بكلّ فنونه وإن كان مألّوفا يفسّر العناصر المحيرة له في محيطه الخاص. وطريقة تركيب هذه الفنون التي تفسّر خلفية الشعراء والكتّاب، غالبا ما تقدّم الإجابة عن الاستفسارات غير المنطوقة للعلاقات الغامضة التي يجدها الطفل بعيدا عن ديدنه الأسري.

11- وأكثر أهمية من ذلك كلّه، هو الرّاحة التي يقدّمها أدب الطفل المختار بحكمة لأطفال هذه المرحلة، ذلك؛ لأنّهم حين يقارنون أنفسهم بشخصيات يدركون أنّهم ليسوا وحدهم الذين يخافون أو يتألّمون، أو يصيبهم القلق والجزع³.

وحتى نقدّم لأطفال مرحلة الواقعية والخيال المحدود أدبا يساعدهم ويعينهم على التّعرف على البيئة التي يعيشون فيها، ويساعدهم في نموهم العقلي واللّغوي والعاطفي والاجتماعي، لا بدّ أن نكون وبكلّ أطيافنا على بيّنة من السمات الأساسية التي يميّزون بها وهم في هذه المرحلة من أطوار حياتهم، ومعرفة علاقتهم باللّغة، إذ هي علاقة إنتاجية استمرارية، ولها أكثر من مصدر، وهي واحدة من وحدات التّعبير التي يتعامل معها الطفل، فضلا عن أنّها بوتقة فيها تتصهر خبرات وتجارب الطفل، غير أنّه إذا صارت اللّغة فنا، وتعبيرا فنيا، فإنّها حينئذ يجب أن تتفق ومرحلة الطفل النفسية

¹ - محمد السيد حلاوة: الرعاية الثقافية وأدب الطفل، ص: 79.

² - هادي نعمان الهيتي: أدب الأطفال (فلسفته، فنونه، وسائله) ص: 23.

³ - علي الحديدي: في أدب الطفل، ط6، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 1991، ص: 116.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) أنموذجا

والاجتماعية، والعقلية، والوجدانية وسماع الخرافات، وقصص الحيوانات والطيور والرقص الجماعي، والموسيقى المصاحبة للرقص، والغناء، والأناشيد، وأن يكون الصوت هو الوسيلة، التي يقدم بها أدب الطفل لأبناء هذه المرحلة، ويمكن لبعض الوسائط أن تلعب دورا هاما في إحداث نوع تأثيري فتتحقق استجابة الطفل، ويتلقى هذا بوعي كامل وحس متفتح، وفي هذه المرحلة ينبغي الاهتمام بأدب الطفل؛ ليُقدّم في أطر مختلفة بحيث يمكن الجمع بين الصورة، والصوت، والرسم¹.

إنّ الطفل في هذه المرحلة "يصاغ عقليا، ووجدانيا، ونفسيا، بأثر من أدب الطفل الذي يحتلّ أهمية كبرى؛ لأنه بمثابة المؤثر الوحيد والوسيط الأكثر إيجابية، للربط بين الطفل والعالم المحيط"² أي أنّ الأديب الذي يكتب للطفل إذا كان على دراية بخصائص مرحلة الطفل النمائية، ومتفاعلا مع مطالبه النفسية، وملما بحاجات نموه المختلفة وصادقا كلّ الصّدق فيما يكتبه أو ينظمه للطفل، فإنّه سوف يساعده من خلال فنون أدبه على فهم كنه اللّغة والتمتع بها في شكلها، ومضمونها، وأساليبها، وتدوّقها، والنتيجة أنّ الطفل إذا ما فهم اللّغة وتدوّقها، فإنّه لا محالة سيميّز بين الغثّ والسّمين في الأدب الموجّه له، من نشيد، أو أغنية، أو قصة، وهو أسّى درجات النّمّو اللّغوي وبذلك يرهّف حسّه، وتنمو عنده الدّقة في الملاحظة والإدراك، والقدرة على الانتباه للأحداث، وعلاقتها ببعضها.

وفي آخر مرحلة الواقعية والخيال المحدود يجب العمل على تهيئة الطفل للمرحلة التّالية من مراحل حياته، بتوسيع خيالاته وبيئته، وإعداده نفسيا واجتماعيا لها، وتشجيع مختلف اتّجاهاته الاستقلالية، وإمداده بمختلف الخبرات وعموما فإنّ الإيقاع والحركة السريعة، واللّون، والصّوت أدوات تغني بشكل أو بآخر مضامين الأدب الموجّه للأطفال وتزيد من ولعهم به.

¹ - محمد السيد حلوة: الرعاية الثقافية وأدب الطفل، ص: 87.

² - عبد الرؤوف أبو السعد: الطفل وعالمه الأدبي، ط1، دار المعارف، القاهرة، 1994، ص: 42.

2.2- مرحلة الخيال المنطلق:

وتعرف بمرحلة الطّفولة المتوسّطة، أو الخيال الحر، وتمتدّ من سنّ السادسة إلى سنّ التاسعة تقريباً وتشغل هذه السّنّات مركزاً هاماً في عملية النّمو الإنساني وخطتها المرسومة بالفطرة، وهي سنوات استكمال واستتمام، ولا يمكن فهمها إلا بدلالة المرحلة السّابقة، التي تمدّ جذورها فيها صوب مستقبلها.

إنّ هذه المرحلة حسب رأي علماء النّفس تعوزها الحيوية الأخاذة التي تتميز بها المرحلة التي تسبقها من جهة، والمرحلة التي تليها من جهة أخرى "ومن ثمّ استخفّ العلماء بهذه الفترة فأعملوا فيها الحذف والاقتراب ويبدو في المؤلّفات الخاصة بها نزوح إلى التعميم عنها دون تمييز لما في ثناياها من فوارق عمرية"¹ فأخفوا هذه الفوارق في عمليات النّمو وتجاوزوا عنها، رغم أهميّة تغيّراتها الدّقيقة، وحجّتهم في ذلك أنّ النّمو فيها لا يسير على خطّ واضح.

وبداية هذه المرحلة هي سنّ سكون وقرار "فالطفّل يظلّ فترة قصيرة في حالة تواؤم متّزن مع كلّ من نفسه وبيئته حتّى لكانّ مشكلة نموه قد خلت ولكن دفعة النّمو وضغط المطالب الثقافيّة يخلقان توترات جديدة، وقد تكون هذه المطالب في بعض الأحيان مفرطة في الكثرة، وكانّ الثقافة مصرّة على وضع يدها على الطّفّل وامتلاكه، وكأنّما هو من ناحيته مصمّم على تمثّل تلك الثقافة..."² ومع ذلك تبقى الموازنة ليست سهلة بين نفس الطّفّل وبيئته؛ نظراً لتشعب هذه الأخيرة.

إنّ طفل السادسة من هذه المرحلة يكون في طور ذي قطبين، حيث يحاول اكتشاف نفسه وبيئته الجديدة في ذات الوقت، والتّوفيق بين القطبين يفضيان إلى أنواع من التوتّر والتردد، أمّا طفل السّابعة فهو أقلّ تقلّباً وأملك لنفسه، وأكثر مقدرة على استيعاب تجاربه الأدبية الجديدة، وهو أعظم قدرة على تنظيمها؛ وبمقدوره إنشاء

¹ - أرنولد جزل: الطّفّل من الخامسة إلى العاشرة، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد (د، ط) ج1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1995، ص:18.

² - المرجع نفسه، ص:20.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

علاقات متينة وثابتة وهو على أبواب التعليم الرسمي وبذلك يكون أدنى إلى وحدة القطب بنموه اليومي في كيانه العقلي أي أنه في طور استيعاب وتمثّل؛ أما طفل الثامنة تبدو في ميزانية الوارد والصادر عنده أنواع جديدة من التوازن، فهو قد شاد لنفسه بناءً من التجارب أشدّ رسوخاً وأصبح في مستطاعه أن يعطي مثلما يأخذ، وهو يبدي قدراً أكبر من التلقائية في انطلاقه لمواجهة مطالب البيئة المحيطة به.

إنّ الطّف الذي كان في المرحلة السّابقة يتخيّل عصا المكّسة حصاناً يمتطيه بمسكها ووضعها تحت ساقيه مشمراً على ساعديه وكأنّه الفارس الشّجاع، ويتخيّل كلّ ما هو دائري على غرار غطاء القدر مقوداً لسيارته أو قطاره، لاقاً به ذات اليمين وذات الشمال، والذي كان يتخيّل الدّمية والوسادة كائنين حيّين يحدثهما ويخاصمهما كصديقين انتقل إلى مرحلة جديدة، هي مرحلة الخيال الحرّ المنطلق. إنّّه في هذه المرحلة "يُظهر رغبة حقيقية في ركوب الحصان، وقيادة السيّارة، ومحادثة رفاق حقيقيين، أي أنّه يتحوّل من ذلك الخيال المحدود ببيئته، إلى الواقعية في خيالاته غير المحدودة، متجاوزاً اللّون الإيهامي، إلى اللّون الإبداعي، أو التركيبي الموجّه إلى غاية عملية"¹.

فالطّف بعد مروره بتجارب عديدة في بيئته المحدودة، وتخطّيه ذلك العالم الضيق إلى عوالم أخرى، فإنّه يرسم لها في ذهنه الكثير من الصّور؛ هذه العوالم تعيش فيها ما يسمّى بالجنيّات العجيبة والحوريات الجميلة، والملائكة، والعمالقة والأقزام في بلاد السّحر والأعاجيب "ومما يميّز هذه المرحلة، سرعة نموّ الطّف في خياله، وتطلّعه إلى دنيا أخرى غير دنياه، فيتبلور ولعه بالقصص الخيالية التي تخرج في مضامينها عن محيطه وعالمه، بل نجد الطّف ينجذب للإنصات إلى القصص الخرافية أيضاً بما في ذلك من قصص الجان والعمّاريت"² أي أنّ الطّف أصبح يتوق إلى ما وراء واقعه، وتخيّل ما وراء الظواهر الطّبيعية الواقعية التي خبرها بنفسه، فهو ينشد غير المألوف لديه في بيئة غير بيئته.

¹ - هادي نعمان الهيتي: أدب الأطفال (فلسفته، فنونه، وسائله) ص: 32.

² - مفتاح محمد دياب: مقدّمة في ثقافة وأدب الأطفال، ص: 65.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

وكما هو معروف، فإنّ طفل مرحلة الخيال المنطلق يكون في بداية هذه المرحلة قد التحق بالتّعليم الإلزامي، وأخذ اتّصاله بالمجتمع يزداد من خلال المدرسة، ولذلك نجد أنّ لدى هذا الطّفل "رغبة قويّة لمعرفة واستطلاع الحياة الحقيقية المحيطة به، وكذلك الرّغبة في معرفة النّظم والتّقاليد، والآداب، وأنماط السلوك المختلفة الموجودة في مجتمعه. وكلّ هذا يمكن تغذيته وتحقيقه من خلال القراءة من كتب تُعدّ خصيصاً لأطفال هذه المرحلة، بحيث تُقدّم لهم ما يتوقون إلى التّعرّف عليه في هذه المرحلة، وبذلك تشبع رغبتهم في الاستطلاع"¹.

ويزداد في هذه المرحلة فضول الطّفل اتّساعاً، فهو وإن كان لا يزال يعجب بقصص الحيوانات، نجده يتّجه إلى الابتعاد عن خيال التوهّم في تعامله مع الأحياء والجمادات حيث يكبر معه حبّه لاستطلاع عوالم أرحب من عوالم مرحلة الخيال المحدود، "فهو دائم التّساؤل في موضوعات مختلفة. إنّه كالتّائه الذي يريد أن يرشده الكبير باستمرار، ويجيبه عن أسئلته الحائرة بين خضمّ الحقائق العديدة التي يعرفها الكبار...وهنا يجدر أن يُجاب على أسئلة الطّفل إجابة واضحة وبسيطة، ودون حرج من الأسئلة المحرجة"² كتلك المتعلقة بعالم المجاهيل لأنّ الأجوبة عنها ولو بطريقة ميسّرة تمنحه الثّقة.

ومن الملاحظ أنّ جُلّ أسئلة الأطفال في هذه المرحلة سببها المباشر هو المخاوف من أشياء لم يكن لهم بها خبرة، كخوفهم من الحيوانات المفترسة ومن اللّصوص والمجرمين، والمشردّين، حتّى وإن لم يكن لهم اتّصال مباشر بهم، كما أنهم يرهبون من العوامل الخفية أو العوامل التي هي في منظورهم فوق طبيعتهم الواقعية كالموت والأشباح مثلاً؛ فالطّفل "يسأل عن أيّ شيء وفي أيّ وقت وبأيّ كيفية؟ ومنها: الأسئلة التي يريد منها المعرفة، كسؤاله: أين الله؟ ومنها: الأسئلة التي يريد منها إحراج الأبوين والمرّي كسؤاله: لماذا أنت سمين يا بابا؟ ومنها الأسئلة التي تدلّ على خوفه وقلقه فيقول: هل ستموت يا بابا؟ وغير ذلك من الأسئلة...ولكن قبل ذلك نحذّر من الكذب

¹ - مدحت كاظم وأحمد نجيب: التربية المكتبية، ط1، جمعية المكتبات المدرسية، القاهرة، 1974، ص:70.

² - هادي نعمان الهيتي: أدب الأطفال (فلسفته، فنونه، وسائطه) ص:33.

على الطّف ولا نجيب عن أسئلته بما لا يحتمله عقله"¹.

وفي هذه المرحلة يطول مدى الانتباه لدى الطّف، حيث يكتسب عدّة مهارات قرائية ويستطيع الاستغراق فيها، وبخاصّة في نهاية المرحلة، وقد تصبح القراءة هواية ممتعة له "بحيث تتنوّع هذه القراءات، وهنا يصبح القرآن الكريم خاصة قصار السور والآيات المتضمّنة بعض العناصر القصصية، خير زاد يقدّم للطّف كسورة (الفيل) و(المسد) وغيرهما بجانب نماذج الأدب الإسلامي كما يمكنه أن يتقن الكتابة، ويتميّز بحبّ الاستطلاع، وينمو خياله بحيث يصبح قادراً على التخيل"² هذا الأخير الذي يصير من بين وسائل الطّف في التّعرف على ما وراء الطّبيعة، والبيئة المحيطة به، ومن هنا يمكن أن يتقبّل ويستمتع إلى بعض القصص على غرار (كليلة ودمنة) ومختارات من قصص (ألف ليلة وليلة) وحتى بعض الأساطير المناسبة، ولكن يجب أن نخبره بأنّ هذه القصص لم تقع وإنما هي مجرد خيال، لاسيّما حين يدفعهم فضولهم إلى معرفة حقيقة ما يحكى لهم، أو ما يتمكّنون من قراءته. وهنا لابدّ من الحرص على أن تتوفر لفنون الأدب الطّفلي دوافع شريفة، وغايات فاضلة وأن تكون استفادة الطّف منها استفادة ذات انطباعات صحيّة وسليمة، تحيله على حبّ الحقّ وعمل الخير والمثل العليا الفاضلة، الأمر الذي يجعله ينفّر من أعمال التهور كاللّصوصية والاندفاع والعدوان وتجنّب حياة التشرّد، التي قد تحدث له جرّاء استماعه أو قراءته لمضمون فنّ أدبي سيّء، وبخاصّة ما يشاهده على قنوات التّفزيون.

طفل هذه المرحلة يلعب ويلهو بمفرده، وهو "لا يشارك زملاءه في اللّعب بسهولة لذا نجد الأطفال في هذه الفترة حتّى لو كانوا في جماعة فإنّ كلاً منهم يلعب وحده وبأدواته الخاصّة، وحين يلعبون في جماعات، فإنّها قليلة العدد...وعادة ما يلعب الأولاد والبنات معاً؛ وهذا يفرض أن يُعنى أدب الأطفال في هذه الفترة بتتمية السلوك الاجتماعي

¹ - محمّد سعيد مرسي: فنّ تربية الأولاد في الإسلام، ج1 (د، ط) دار الطباعة والنشر الإسلامية، القاهرة، 1998 ص:22.

² - سعد أبو الرضا: النصّ الأدبي للأطفال (أهدافه ومصادره وسماته) ص:36.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

لدى الأطفال ومساعدتهم على تنظيم التعاون والعمل المشترك"¹.

وتتشكّل لدى الأطفال، في هذه المرحلة العمرية كثير من القيم الأخلاقية والمبادئ الاجتماعية في التعامل مع الآخر، حيث تتّضح الصيغ الأدبية التي يتعامل بها الطفل مع غيره، والصيغ الأدبية التي يريد أن يتعامل بها غيره معه ومن خلال الأدب المناسب الناجح، يحسّ بمشاعر البهجة والانتعاش والتعجّب ويجرّب نشوة الانتصار والتفوّق أو يتمثّل مشاعر الألم والحزن، ويدرك قساوة القهر والظلم، والشكل الفنّي للأغنية أو النشيد أو القصّة بما فيه من ألفاظ مناسبة، وتراكيب بسيطة، وتكامل في الأداء الأسلوبي، وعناصر التشويق وال جذب. سواء أكان مقروءاً أو مسموعاً، كلّ أولئك يجعل الطفل يطرب لما في هذا الأدب الطّلي من نسق ووحدة وتوازن، ويستوعبها وجدانه كما يتلقّف عقله ما يستوعبه من ثقافته، ونتيجة لذلك تتبدّى ملامح تشكيله الوجداني فيما يقول من كلمات أو يسلك من سلوك، وفي استجابته للأحداث والمواقف ومختلف المؤثرات.

ويأخذ التفكير لدى طفل هذه المرحلة مساحته المؤثّرة؛ فينتقل في بعض جوانبه السلوكية وحتّى المعرفية من عالم المحسوسات إلى عالم المجرّدات أو المنطق الذّهني وتصبح الموجودات تتربّع على مساحة أكثر اتّساعاً في تعامله معها، فيتاح له بذلك تسمية الأشياء وتوصيفها، ووضعها في المجموعات المتشابهة، وهو أمر يمنح كاتب وشاعر ومرّي الأطفال فرصة لتقديم الكمّ المهمّ من الحقائق والمعلومات لطفل هذه المرحلة، وبخاصة ما كان متعلّقاً منه بالمفاهيم السلوكية، والقيم، كالخير والصدق والتعاون والاحترام "وإذ يتأثر الطفل بالمحيط الاجتماعي والثقافي من حوله، فإنّ نوعاً من الإدراك لعلاقته بذلك المحيط، يبدأ بالاتّضح عنده، حين يتأكّد له أنّه غير قادر على إشباع رغباته جميعاً، وأنّ الآخرين من خارج عائلته، لا يعاملونه كما يفعل أبوه وأمّه، ولذا تتّجه بعض أفكاره وتجاربه إلى عالم المكبوتات الذي تكوّن لديه ونشأ من بعض خبراته ومشاعره، ورغباته غير المسموح له بأن يعلن عنها كلّها لمن هم حوله

¹ - هادي نعمان الهيتي: أدب الأطفال (فلسفته، فنونه، وسائله) ص: 34.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

ما يجعله يدفعها إلى عقله الباطن¹. وعلى صعيد آخر يصبح الطفل مستعداً للاستماع إلى الأناشيد والترانيم بأكثر دقة، ويهتم أكثر بالصيغ الأساسية التي تتضمنها، وهي سمة يمكن الاتكاء عليها، لتقديم كثير من المعارف والقيم.

وتأسيساً على ما سبق يمكن أن نستشف أن أدب أطفال مرحلة الخيال المنطلق شبيه بأدب مرحلة الخيال المحدود في مضامينه، غير أنه يختلف عنه في عدة أمور حيث يتراجع الخيال الإيهامي وتحل محله الواقعية، وينمو العقل على حساب الجسم باشتغاله أكثر، والخيال يكون أكثر حرية، ممّا يجعله يحجم شيئاً فشيئاً عن التعامل مع الحيوان والجماد، إلا بما يجب التعامل فيه معهما ولكنه أصبح يميّزهما عن الإنسان كونهما كانا ناطقين في المرحلة السابقة، ولست أتبنّى بالضرورة إقلاع أطفال هذه المرحلة عن اللعب والتقليد والتّمثيل بل أردت الإشارة إلى أنهم أصبحوا أكثر صدقاً مع أنفسهم وأكثر أمانة في تعاملاتهم "لذا ينبغي إدخال بعض الصفات الخلقية النبيلة إلى النصوص الأدبية، وبعض المبادئ الاجتماعية المحمودة، كالتعاون والإخلاص والصدق وبذل الجهد، ولكن بنوع من اللين واللطف، حتّى لا يشعروا بثقل التوجيه والموعظة؛ لأنّ سلوكهم في هذه المرحلة يكون مدفوعاً بميولهم وغرائزهم لا بعقولهم المدركة الواعية، ومعلوم أنّ هذا الإدراك، وذاك الوعي هما من اختصاص الكبار؛ لذا على من يكتب لهذه الفئة أن يراعي هذه المعطيات"² ولكي يحصل التوافق والانسجام ينبغي مراعاة البساطة في اللغة، وعدم استخدام الخيال المجنّح الذي يتجاوز مدارك الأطفال.

كما يجب أن تكون كتب الأطفال المتضمنة فنون أدب الأطفال، المقدمة لهذه المرحلة "معتمدة على أسلوب شائق وغير مباشر في تقديم المعلومات والحقائق والآداب الاجتماعية، وغير ذلك ممّا نريد تقديمه للأطفال، بحيث يرد هذا خلال قصة أو مسرحية أو أغنية أو نشيد، بما يخلقه المؤلف أو الكاتب القدير من حوادث ومواقف مختلفة تبدو كأنّها مواقف وحوادث طبيعية لا تكلف فيها، حتّى يخرج الأطفال منها بانطباع سليم

¹ - حداد علي: اليد والبرعم، دراسات في أدب الطفل (د، ط) صنعاء، 2000، ص:26.

² - أنور عبد الحميد الموسى: أدب الأطفال... (فنّ المستقبل)) ص:134-135.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

عن الأنماط السلوكية الصحيحة في هذه الفترة من فترات نموهم، وتتبلور لديهم كثير من القيم الأخلاقية والإنسانية والمثل والمبادئ الفاضلة في تعاملهم مع غيرهم من الناس¹ كالمحبة والتعاون واحترام حقوق الغير، والمحافظة على النظام والقانون والملكية العامة.

3.2 - مرحلة الطفولة المتأخرة:

وتعرف بمرحلة البطولة والمغامرة، وتمتد من سن التاسعة إلى سن الثاني عشر وهو الدور الآخر الذي يلعبه الطفل، أين ينتقل من مرحلتين الواقعية بخيالها المحدود والطفولة المتوسطة بخيالها المنطلق، إلى مرحلة هي أقرب إلى الواقع، حيث يصير البنون والبنات على السواء في درجة مدهشة من الاستقلالية، ويرى علماء النفس أن أطفال مرحلة البطولة والمغامرة "يتزايد اعتمادهم على أنفسهم واكتسابهم في الوقت نفسه مشاعر جماعية قوية عميقة... واهتمام الطفل بجماعة الأصدقاء الصغار يساعد في عملية الانفصال عن جماعة العائلة المنزلية، وهذا جزء من طريقة النضج"² وعلى عكس (سيغموند فرويد Sigmund Freud 1856-1939م) الذي وصف هذه المرحلة بمرحلة الكمون التي تنشط فقط في اللاشعور، دون أية إضافات في تكوين الشخصية، يرى (بياجيه Piaget) أن الطفل في هذه المرحلة يبدأ "بتعلم المهارات الأساسية للثقافة التي يعيش فيها، سواء كانت هذه المهارات هي القراءة والكتابة والحساب أو الصيد، أو الزراعة، أو المهارات الصناعية الأولية ويصرف الطفل في تعلم هذه المهارات جزءا كبيرا من حياته اليومية. فكلما اكتسب قدرا أكبر من الكفاءة ومن القدرة على القيام بمهارات معينة، أصبحت صورته عن نفسه أكثر واقعية من حيث ما يمكن أن يقدمه للمجتمع الكبير..."³ وعلى هذا الأساس ظهرت قيمة هذه المرحلة، باعتبارها المرحلة التي يلتزم فيها الطفل بتقديم شيء نحو مجموعة اجتماعية خارج عالمه الأسري حيث ولأول مرة في حياته يتخذ موقفا جديا من العمل والإنجاز، وبذلك يكون أقرب إلى ما

¹ - مفتاح محمد دياب: مقدّمة في ثقافة وأدب الأطفال، ص: 67.

² - أرنولد جزل: الطفل من الخامسة إلى العاشرة، ص: 21.

³ - محمد عماد الدين إسماعيل: الطفل من الحمل إلى الرشد، ط1، ج2، دار القلم، الكويت، 1989، ص: 19.

بيديه الكبير من القدرات.

هذا ويصف علماء النفس خصائص التطور في هذه المرحلة بما يأتي:

- 1- تعلّم المهارات الجسمية الضرورية لممارسة الألعاب العادية.
- 2- تعلّم المهارات الرئيسية التي تساعد على القراءة والكتابة والعدّ والإجراءات والعمليات الرياضية.
- 3- تطوّر المفاهيم الرئيسية التي تساعد على ممارسة النشاطات الهادفة.
- 4- تطور المفاهيم عن الذات، بوصفها تنمو وتتطور.
- 5- النمو في الجانب الأخلاقي، ومعرفة الحكم على الأشياء والأفعال من حيث الصواب والخطأ، ومن جهة نظرة القيم والأخلاق السائدة.
- 6- تعلّم التوافق، وتقبّل الأقران.
- 7- وضوح الدور الأنثوي والذكوري وتأديته بطريقة واضحة.
- 8- التمكن من تحقيق الاستقلال الذاتي¹.

ويهتمّ الطّفّل في مرحلة البطولة والمغامرة بالحقائق "ويشتدّ ميله إلى المقاتلة والسيطرة والألعاب المختلفة وخاصة الألعاب التي تتطلب المهارة والمنافسة، ويسرّه التنقّل من مكان إلى مكان، وقد يترك المدرسة أو المنزل مغامراً مع بعض زملائه، في عمل من الأعمال التي تتطلب الشجاعة أو المخاطرة ولذلك نجده يعجب كلّ الإعجاب بالأبطال والمغامرين، يقرأ عنهم ويشاهد ما يصوّر بطولاتهم ومغامراتهم. ويحاول تقليدهم في بعض المغامرات التي يقوم بها، ويبلغ إعجابه بهم درجة التّقديس، مهما يكن موضوع البطولة أو المغامرة"² حتى يصل إلى ما يسمّى (عبادة البطولة) والتي تبلغ ذروتها في نهاية هذه المرحلة.

ويُخلّص الطّفّل إلى مبادئ جماعته مهما كان نشاط الجماعة التي ينتمي إليها حتى وإن تعارض هذا الإخلاص مع القيم المقدّمة له من قبل الأسرة أو المدرسة "وهذه الجماعات إن لم تجد التّوجيه السليم، فقد تندفع إلى المشاجرات، أو الخصومات

¹ - أنور عبد الحميد الموسى: أدب الأطفال... (فنّ المستقبل)) ص: 117-118.

² - هادي نهمان الهيتي: أدب الأطفال (فلسفته، فنونه، وسائله) ص: 39.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

أو الاعتداء على الآخرين، خاصة وأنّ غريزة المقاتلة تظهر بقوة ووضوح في هذه المرحلة، ويبدو على الطفل حبّ السيطرة والميل إلى الأعمال التي تظهر فيها المنافسة والشجاعة، وروح المغامرة، والقيام بالرحلات المختلفة¹. ومن الملاحظ أنّ الأطفال في هذه الجماعات يلتقون عند أفكار متشابهة، ونظرات متقاربة عن الحياة، لذا وجب الحذر والاحتياط حول المادّة الأدبية التي تقدّم في هذه الفترة للأطفال، من خلال وسائل الثقافة المتعدّدة، وبخاصّة تلك التي يشاهدها على شاشات التلفاز، والتي تدور أحداثها حول البطولات والمغامرات.

ومما يظهر بقوة في هذه المرحلة، هو تقبّل الأطفال آراء الآخرين الذين يعجبون بهم، وينفرون النّفرة الشديدة من آراء أولئك الذين لا يثقون بهم²، وهم يحبّون البروز ويتقمّصون شخصيات من يعجبون بهم في حركاتهم وكلامهم وتواجههم في جماعات يجعلهم يميلون إلى التّمثيل، وإلى الممارسات التي تحفظ لهم حقّ المشاركة مع الآخرين على الرّغم من أنّ الطفل مازال يحسّ بفرديته الذاتيّة وفردية أعضاء جماعته، وبإمكانهم تكوين نظرات عن القيمّ والمفاهيم واهتماما خاصّا بالموضوعات التاريخيّة، كونها تشبع رغبتهم البطوليّة. وتحقّق الامكانيات الثقافيّة معرفيّة كانت أم تعبيرية حضورها، وبخاصّة حين تخبر عن الفروقات الإدراكية والمهارات السلوكية وحتى اللّغوية في مستويات الأطفال "وتعمّق مساحة الخيال المتّسعة عند الطّفّل بروز قدرة الابتكار، والخصوصية في الهويات والميول... التي قد يصاحبها نزوع نحو تأكيد الشّخصية والرّغبة في التخلّص من وصّفه بالطفّل..."³.

وهذه المرحلة تشدّ انتباه الطّفّل إلى ما وراء الأشياء، وتغدو به إلى آفاق رحبة من الخيال، كما تعمّق له الظّاهر، وتدعوه إلى كشف كلّ ما هو باطن وخفي "كما يحاول الطّفّل التّركيب، والتّجميع وتفسير كل الظواهر، وعقله حينئذ أقرب إلى الخيال، واصطناع الحلول الخرافيّة للمشكلات، ودور الأديب يتمثّل في تقديم أدب يشبع خياله، ونهّم وجدانه نحو الرّؤى الحالمّة، مع أخذه بمنهج عقلاّني يمجّد الفعل الإنسانيّ بديلا لعنبيّة الحلّ

¹ - أحمد نجيب: أدب الأطفال علم وفن، ص: 42.

² - سهير أحمد محفوظ: كتب الأطفال في مصر، ص: 19.

³ - حدّاد علي: اليد والبرعم، دراسات في أدب الطفل، ص: 26.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

الخرافي، والاتجاه به عبر أدب قصصي، إبداعى، وغنائى للسّير في مسار الأدب الخيالي، تحقيقاً للمتعة وإثراء العواطف والأحاسيس، وتقوية الخيال، ووصولاً إلى معرفة عقلية، يكشف عنها هذا الأدب الخيالي، حتى يكون طريقاً إليها، وفي خدمتها...¹.

وتبلغ قدرة طفل هذه المرحلة على الحفظ والاستظهار مبلغاً كبيراً، فيستطيع حفظ مختلف الحوادث التاريخية، وبعض الحقائق العلمية، والأناشيد والأغاني وما يراه مناسباً من المقطوعات النثرية، وتزداد قدرته على إدراك العلاقات الزمانية والمكانية، الأمر الذي يدفعه إلى التفكير في الأمور المعنوية غير أنّ قدرته على التجريد والتعميم وتكوين المعاني الكلية تبقى محدودة.

إنّ قصص المغامرات والبطولات والاكتشافات، هي القصص المرغوبة لدى أطفال مرحلة البطولة والمغامرة، فمن المهمّ الحرص على توفير الدوافع الشريفة أجلّ غرس الانطباعات الفاضلة في نفوسهم، وتفسيرهم من الأعمال المتهوّرة والعدوانية، كما تمتاز هذه المرحلة بامتلاك الأطفال الامكانيات التي تؤهلهم للقراءة في مجالات متعدّدة، ويتطوّر حبّهم للقصص التي تُحكى على أسنة الحيوانات، إلى حبّ للكتب التي تتحدّث عن هذه الحيوانات، وتثري معلوماتهم عنها، كما تزداد رغبتهم في معرفة المزيد عن العالم والحياة والكون في شكل تساؤلات، كما يرغبون بمطالعة القصص التي تعتمد على التفكير والتوقّع وقصص الأسفار والرحلات، ويمكن استغلال هذه الرغبة الملحّة بتعريفهم بالبطولات التاريخية وكذا المعاصرة، والأمجاد والمعارك والفتوحات، فضلاً عن تقبلهم لفهم قيمّ الجمال والإيثار والأخلاق، والتفاعل مع المجتمع بشكل أكبر كما سبق الذّكر، ممّا يجعلهم عناصر مؤثّرين وفاعلين، تقوم أفكارهم على القيمّ السليمة البناءة، ومتباعدين بذلك عن القيمّ الهدّامة، والأوهام والانحرافات التي قد تسلك سبيلها إليهم بكلّ سهولة لسهولة التقبّل عندهم في هذه المرحلة، وهو الأمر الذي يشكّل عبئاً وتحدياً كبيراً للمربيين والمرشدين .

¹ - أنور عبد الحميد موسى: أدب الأطفال... (فَنّ المستقبل)) ص: 118.

وفي أواخر هذه المرحلة، وبالتقدم في السن، يبرز الاختلاف ويزداد وضوحاً بين الإناث والذكور في لون الأدب المتلقى، حيث تميل الإناث إلى قصص الجمال والعاطفة والموضوعات الأسرية والمنزلية، فيما يميل الذكور إلى المغامرات والبطولات، ولست أتبني الاطراد في ذلك، لأنه ليس هناك حدود فاصلة مانعة، كما نشير إلى أن وسائل الإعلام وبخاصة المرئية منها، لا بد أن تتعامل مع أطفال هذه المرحلة ببالغ الدقة لخطورتها وأهميتها.

4.2 - المرحلة المثالية (الرومانسية):

وتعرف بمرحلة اليقظة الجنسية، وتمتد ما بين سنّ الثاني عشر والثامن عشر، وهي المرحلة المصاحبة لفترة المراهقة، والتي تظهر مبكراً عند الإناث بما يقرب من السنة تقريباً؛ ففي بداية هذه المرحلة يأخذ الطفل بتجاوز حياة الطفولة إلى مرحلة هي أشد حساسية وخطورة، حيث تحصل فيها تغييرات جسمية واضحة، يصحبها ظهور القوى الجنسيّة، واشتداد الميل الاجتماعي، والنظريات الفلسفية عن الحياة، ووضوح التفكير الديني "وكثيراً ما يكون ظهور الغريزة الجنسية، أو الدافع الجنسي مصحوباً باضطرابات وانفعالات وأزمات نفسية تعترى المراهق، نظراً لأن الغريزة الجنسية لا تجد الاشباع المشروع عن طريق الزواج، لتأخر سنّ الاستقلال الاقتصادي عن سنّ النضوج الجنسي... بالإضافة إلى ما يحيط بالجنس منذ الصغر من الغموض والخوف والإشعار بالخطيئة والقذارة والجرم... أو ما يحيط به من الحُجُب التي تجعله بعيداً عن أي مناقشة"¹ بحيث نلاحظ أنّ الطفل يدخل فترة المراهقة وهو لا يملك معلومات كافية، وإن امتلكها تكون ناقصة أو خاطئة، فضلاً عن عمليات الكبت المشار إليها سابقاً.

إنّ هذه المرحلة تعتبر منعرج التحوّل من عالم البراءة إلى عالم الكبار حيث أنّها تتميز بحساسية شديدة لدى الجنسين، فهي مرحلة البحث عن إثبات الذات، إذ الطفل فيها يرى نفسه رجلاً والأمر سيان عند البنت، فتزداد الرغبة في الاستقلال، وحاجة الطفل إلى أن يكون شيئاً مذكوراً، ومن ثمّ فهو "يسعى إلى إعادة النظر في الروابط التي تربطه

¹ - أحمد نجيب: أدب الأطفال علم وفن، ص: 44.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

بأهله، ورفاق طفولته، لينبذ منها ما لم يعد مُتَقَفًا مع نظراته الجديدة، كما أنه يعمد إلى مراجعة الحقائق التي كان يتقبلها عن طيب خاطر، فينبذ ما لم ينسجم منها مع وضعه الجديد، وما يصدر إليه من أوامر والديه¹ ومن ثمّ نراه يتمرد على ما يجعله يُوصف بطفل صغير.

وفي مرحلة الرومانسية يبدأ المراهق في تعلّم الكثير من المَهَمَّات، وهنا لابدّ من توضيح الجانب العلمي لمرحلة المراهقة على أنها فترة رابطة بين الطفولة بمراحلها السابقة والرشد بشكل قاطع؛ وقد بيّن علماء النفس متطلبات المرحلة على النحو التالي:

1. قبول الحالة الجسمية للمراهق واكتساب دور الذكر أو الأنثى.
2. تحقيق الاستقلال العاطفي عن الوالدين وغيرهما من الراشدين.
3. الاستعداد للدخول في مهنة.
4. تكوين المهارات والمفاهيم المعرفية اللازمة للكفاية الاجتماعية.
5. فهم وأداء السلوك الاجتماعي المسؤول.
6. الاستعداد للزواج وتكوين أسرة².

فإذا ما تقررت هذه المطالب فإنّ طفل هذه المرحلة، سيرسم في الحياة دوره، ويحدّد فيها أهدافه ويوضّح مساره، وحينذاك سيكرّس لا محالة مفهوم الاعتماد على النفس ومواجهة الصّعاب، وليس بالضرورة إماتة العاطفة نحو الأسرة، لأنّه أمر غير معقول إنّ لم يكن هدّاماً، فضلاً على قدرته على فهم كنه المستقبل ووضع المعيشي والاقتصادي، بامتلاكه عقلية المقارنة بين المهن لاختيار ما يناسب ميوله ومكتسباته ومن تمّ يتكيّف مع العلاقات الاجتماعية وينسجم مع المجتمع، ليصل في الأخير إلى أن يكون رجلاً مسؤولاً عن أسرة ويمارس دور التربية كما مُرست أدوارها عليه.

مادام الأمر كذلك "كان لزاماً على الأديب الذي يكتب لفئة أطفال المرحلة المثالية أن يراعي جوانب عديدة في كتاباته؛ منها: الجنوح إلى العاطفة بنوع من الذكاء؛ لكي لا يكون هذا النوع من الأدب المشجّع على إطلاق العنان لسيل من العواطف المشحونة

¹ - هادي نعمان الهيتي: أدب الأطفال (فلسفته، فنونه، وسائطه) ص: 47.

² - عبد المجيد طعمة حليبي: التربية الإسلامية للأولاد، ط1، دار المعرفة، بيروت، 2001، ص: 302.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

التي تتحوّل معها الأمور إلى الدّخول في مغامرات جنسية غير محدودة العواقب...ولذا ينبغي على الأديب الذي يكتب لهذه الفئة أن يراعي عنصر الدّين والقيم...لأن ذلك سوف يخفّف من الحدة الغريزية ولو بشكل من الأشكال"¹.

ويميل الأطفال في هذه المرحلة إلى أدب تمتزج فيه المغامرات بالعاطفة وتبدأ الواقعية في التناقص، مقابل تزايد المثالية وهي سمة المرحلة الرئيسة "وأكثر المغامرات التي يتشوّق الأطفال إليها هي التي تقوم ببطولتها شخصيات تتّصف بالرومانتيكية وخاصة تلك التي تواجه الصّعاب الكبيرة، والعوائق المعقّدة من أجل الوصول إلى حقيقة من الحقائق، أو الدّفاع عن قضية عادلة ويتشوّقون أيضا إلى القصص البوليسية وقصص الجاسوسية"². كما أنّ طفل هذه المرحلة يتشوّق إلى الحكايات المثالية والمواقف المشرّفة، والقصص الجنسية، والموضوعات التي تعالج الخيال الممزوج بالواقع والقصص التي تستدعي أحلام اليقظة، هذه الأخيرة تجعلهم يخلتقون الأقايصيص بالالتجاء إلى عالم الخيال للتهرّب من الصّراعات الدّاخلية، وما يشعرون به من نقص.

وينبغي على كاتب الأطفال مهما كان توجّهه، ومهما كان لون الأدب الطّفلي الذي يكتبه أن لا يسفّه إحساساتهم، ولا ينال من أفكارهم على أنّها نزوات صبيانية، لأنّهم في هذه المرحلة يحتاجون إلى الخبرات التي تجعلهم يعبرون عن أختلتهم في تلقائية مبدعة، وهنا لا بدّ من استغلال هذه النزعة من خلال وسائط أدبهم لمناقشتهم، أجلّ كسب ثقتهم وتوجيههم دون أن نجعلهم يشعرون بالإذلال والإحباط.

وخلاصة القول أنّنا وبلا شكّ نتفق والرأي العلمي القائل بأنّ مرحلة الطفولة وامتداداتها، تعتبر من أهمّ مراحل عمر الإنسان، حيث إنّها تلعب دورا هامّا ورئيسا في بناء شخصيته مستقبلا، على أساس من مقوّمات السلوك الصحيح وإشباع الحاجات الأساسية المختلفة، من حبّ وحنان وعطف وشعور بالأمن والأمان، فضلا عن الحاجة إلى التقدير والانتماء والانتاج، واكتساب المهارات الأساسية لمتطلّبات الحياة، في مجتمع يسهم في تنميته، وتمثّل القيم الدّينية والأخلاقية التي تمكّنه من التوافق والتكيّف.

¹ - أنور عبد الحميد الموسى: أدب الأطفال... (فنّ المستقبل)) ص: 135-136.

² - هادي نعمان الهيتي: أدب الأطفال (فلسفته، فنونه، وسائطه) ص: 48.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

والكتابة للطفل، قبل أن تكون موهبة، هي محصلة دراسات متنوعة، وأديب الأطفال وشاعرهم لا بدّ أن يضع في اعتباره وهو يكتب أو ينظم، مختلف العوامل التربوية والفنية الموافقة لكل مرحلة عمرية؛ لأنه يتعامل "مع جمهور مختلف تماماً عن الكبار؛ نظراً إلى اختلاف المستوى العمري والإدراكي والشروط التربوية؛ ولذا ينبغي على الكاتب أن يعرف جمهوره الذي يتوجّه إليه ويقدم له أدباً يتوافق مع عمره وإدراكه وتفكيره... من حيث الأسلوب والمضمون واللغة"¹. كما يجب على كاتب أدب الأطفال أن يراعي بعض الاعتبارات في أثناء تقديمه أدباً للأطفال نذكر منها:

1. الاعتبارات التربوية والنفسية: إنّ الكتابة للأطفال في أصلها نوع من التربية وكاتب الأطفال مربّب أساساً، قبل أن يكون قاصّاً أو شاعراً، أو رجل مسرح؛ لأنّ من يملك المعرفة بالطفل، وقواعد التربية السليمة وأصول علم النفس بإمكانه تحقيق الحكمة القصصية، والدrama المثيرة، والحكاية المشوّقة، والخيال الشعري الذي يمثل قطب التّعويض في حياة الطفل.

2. الاعتبارات الأدبية والفنية: ونعني بها القواعد الأساسية في فنّ الكتابة بصفة عامّة في مختلف فنون الأدب الطفلي، وكاتب الأطفال لا تغنيه الموهبة عن الدراسة؛ فشاعر الأطفال مثلاً لا بدّ عليه أن يمتلك ناصية قواعد علم العروض، وأوزان الشعر وقوافيه وموسيقى الألفاظ، وأسرار الجمال الشعري ومواصفاته الفنية، وتكييفها مع مستوى الأطفال الذين يكتب لهم، ودرجة نموّهم الأدبي ومدى ما وصلوا إليه من النضج الأدبي؛ فضلاً عن رسم الشخصيات مع التشويق والحبكة والبناء السليم في القصص². وجلي أن هذه الاعتبارات تجعل أدب الطفل صعباً لحساسيته، ولهذا فليس بمقدور أيّ كاتب أن يكتب للأطفال، لأنه يجب عليه أن يتحلّى "برؤى وأفكار ومعارف وقدرات خاصّة حتى يصبح مبدعاً ومربيّاً، وعالم نفس واجتماع ولغة في الوقت نفسه..."³.

¹ - أنور عبد الحميد الموسى: أدب الأطفال... (فنّ المستقبل)) ص: 148.

² - نمر موسى عبد المعطي، والفيصل محمد عبد الرحيم: أدب الأطفال، ط1، دار الكندي، الأردن، 2000 ص: 73-74.

³ - أنور عبد الحميد الموسى: أدب الأطفال... (فنّ المستقبل)) ص: 150.

وتأسيساً على ما سبق يمكن رصد الشّروط التي يجب مراعاتها من قِبَل أديب الأطفال، وهو يكتب لهم على نحو يناسبهم، كمعرفة المستوى العمري والإدراكي والعقلي واللّغوي للأطفال، ونوع الأدب المقدم لهم حسب المراحل العمرية؛ والالمام بعلم النفس عامة وعلم نفس الطّفولة خاصة؛ فضلاً على أن يكون مرتبياً، وممارساً لمهنة التدريس بالإضافة إلى الدّراية بالخصائص الفنّية للأجناس الأدبية، والاستراتيجيات المختلفة لتوظيفها في إنتاج الأدب الطّفلي، والالمام بالمعجم اللّغوي للأطفال، لجعل الأدب ساحة للحوار مع الأطفال.

3- أهمية الطّفولة:

الطّفولة أرض خصبة للبناء والنّماء، وهي الثّروة الأساسيّة والحقيقيّة لكلّ أمّة ومن ثمّ كانت الحاجة ملحة إلى الاهتمام بها، إذ إنّ للطفّل أهميّة كبرى في حياة المجتمعات؛ التي كلّما تقدّمت في مضمار الحضارة كلّما زاد اهتمامها بأطفالها وزادت أوجه الرّعاية التي تقدّمها لهم "وكّلما تحسّنت معاملة المجتمع للإنسان بصفة عامّة والأطفال بصفة خاصّة، كان معدّل الوفيات لدى الأطفال مؤثّراً لتحضّر المجتمع من عدمه، فالاهتمام بالطفّل ضرب من ضروب التحضّر والرّقيّ، فضلاً عن كونه مطلباً إنسانياً محتوماً. ولا بدّ أن تهتمّ المجتمعات بأطفالها، وذلك؛ لأنّ طفل اليوم هو رجل الغد بل لأنّ أطفالنا هم فلذات أكبادنا، ونحن نشعر بالسّعادة عندما نراهم سعداء. فسعادة أطفالنا جزء لا يتجزأ من سعادتنا"¹ مصداقاً لقوله تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا^ط وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلاً²﴾ فإذا كانت سعادة الإنسان بصفة عامّة أمراً مهمّاً، فإنّ سعادة الطّفّل ذات أهميّة خاصّة وذلك؛ لأنّ ما يتلقاه الطّفّل من خبرات، قد تكون سارة وقد تكون قاسية لها عميق الأثر في حياة الطّفّل في مراحل حياته اللاحقة، ذلك؛ أنّ حياته سلسلة من اللّبنات التي ترتكز

¹ - عبد الرحمن العيسوي: مشكلات الطّفولة والمراهقة (أسسها الفسيولوجية والنفسية) ط1، دار العلوم العربيّة، بيروت 1993، ص:293.

² - سورة الكهف: الآية:46.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

فيها الواحدة على الأخرى، أي أنّ الحاضر يتأثر بالسابق والحاضر بدوره يؤثر في المستقبل، فهذه الخبرات تنعكس سلباً، أو إيجاباً على شخصية الطفل في شتى مراحل حياته، وتتطبع على شخصيّة الفرد طوال حياته، فإذا كانت الطفولة سعيدة فذلك سيقودنا لا محالة إلى مراهقة سعيدة، وإذا سعد الإنسان في مراهقته فستكون حياته الباقية سعيدة.

ولما كانت الطفولة واحدة من الحلقات المتسلسلة في حياة الإنسان، فإنها تأخذ الأهمية الزمانية حاضراً ومستقبلاً، وقد لفت الرسول ﷺ إلى ذلك في قوله: "مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بِهَيْمَةِ جَمْعَاءَ، هَلْ نُحْسِنُ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءُ"¹ أي كلّ مولود يولد على الدين الحق، فإذا لزم غيره فذلك لأصل ما يعرض له بعد الولادة من التغيرات من جهة أبويه أو سائر من يربيّه، وليس بعد هذا البيان إفصاح لأنّه يعبر بوضوح عن الفطرة، والفطرة هي الخلق الثابتة التي وضعها الله في الإنسان منذ ولادته، تتميز بجذورها الباطنية الغريزية، والتي لا تتحقق دون تعليم، ومن الأمور المسلمّ بها لدى علماء التربية والأخلاق أنّ الطفل حين يولد، يولد على فطرة التوحيد وعقيدة الإيمان بالله، وعلى أصالة الطهر والبراء فإذا تهيأت له التربية المنزلية الواعية، والخلطة الاجتماعية الصالحة، نشأ الولد على الأخلاق الفاضلة والتربية الصالحة، وهذه الحقيقة من الفطرة الإيمانية قد قدرها القرآن الكريم وأكّدها في قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾²

"وبهذا يربط بين فطرة النفس البشرية وطبيعة هذا الدين؛ وكلاهما من صنع الله؛ وكلاهما موافق لناموس الوجود وكلاهما متناسق مع الآخر في طبيعته واتجاهه. والله الذي خلق القلب البشري هو الذي أنزل إليه هذا الدين ليحكمه ويصرفه ويطبّب له من المرض ويقومه من الانحراف. وهو أعلم بمن خلق وهو اللطيف الخبير. والفطرة ثابتة والدين ثابت

﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ فإذا انحرفت النفوس عن الفطرة لم يردّها إليها إلا هذا الدين

¹ - البخاري محمد بن إسماعيل: الجامع الصحيح، ط1، مج1، دار ابن الجوزي، القاهرة، 2011، ص:269.

² - سورة الروم: الآية:30.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

المتناسق مع الفطرة، فطرة البشر وفطرة الوجود"¹ حيث تأتي الأهمية الزمانية في أول الطريق، وهو الأمر الذي يبدأ ببزوغ حياة الطفل ورؤيته لأول نور في الحياة، ولا نجانب الحقيقة إن قلنا، بل قبل ذلك برسم صورة إنسان جديد سيكون له دوره في هذه الحياة حيث يتفتح على الدنيا بصفحة بيضاء، في فضاء رحب طاهر، خالٍ من أي نقش.

وقد كان إلى حين قريب أول ما يسترعي انتباه المرّي في الطفل "قدرته العجيبة من حيث هو كائن مستقبل، ونعني بكلمة مستقبل أنه يتقبل في سنواته الأولى شتى أنواع المعلومات، ويخترنها في ذاكرته، وتتطبّع فيه العادات صالحة كانت أم طالحة من غير عناء، وتنبّت هذه العادات وتلك المعلومات في نفسه فلا يسهل محوها...ولذا كانت الصورة التي يتخيّلها المرّيون للطفل من عهد قديم، هي صورة يُمثّل فيها عقل الطفل بلوح من الشمع تنطبّع عليه الآثار الحسية ونتائج التعليم انطباعاً لا يمحي، أو هي صورة قطعة من الصلصال في يد الخزّاف يشكّلها كيف يشاء"² وهذا طبعا لا يعني أنّ الطفل مادة عديمة وإثما هي مجرد تشبيهات لعقل الطفل في قدرته على التقبّل.

ولما كان ذهن الطفل له هذه القدرة العجيبة على التقبّل فعلياً أن ننتهز الفرصة لملئه بشتى المعارف والحقائق ونبادر إلى تشكيل خلقه وصبه في قالب ثابت جميل في هذه الفترة التي يكون للمؤثرات الخارجية فيها ذلك الأثر البالغ، أي أنه يصادف من يعلمه ويربّيه، ويتلقّى من المحيطين به ثمار الحياة، فتزرع في نفسه النوازع المختلفة بشرّها وخيرها فإمّا أن تصفو تعاليمه فيهدى أو تتعكّر فيحيد؛ لأنه يتقبّل بتلقائية ما يزرع فيه دون تمحيص "فالطفل حين يولد يشبه من وجد نفسه في قاعة مظلمة جدّاً، وفيها الكثير من الأشياء التي ليس لديه أية فكرة عنها، ثمّ يجيء من يحاول مساعدته على تحسّسها وتكوين صورة ومفاهيم عنها، وهكذا هو شأن الطفل تجاه فهمه لنفسه وقدراته وإمكاناته وعيوبه"³ فيسقى بالقيم والمبادئ فينمو، وفي ذلك يقول المعري:

وينشأ ناشئ الفتيان منّا
على ما كان عوده أبوه

¹ - سيد قطب: في ظلال القرآن، ط2، 32، مج5، دار الشروق، القاهرة، 2003، ص:2767.

² - المصري محمد أمين: لمحات في وسائل التربية الإسلامية وغاياتها، ط4، دار الفكر، القاهرة، 1978، ص:02.

³ - بكار عبد الكريم: مشكلات الأطفال، ط2، دار وجوه، السعودية، الرياض، 2011، ص:47.

وما دام الفتى بحجى ولكن يعوده التدين أقربوه¹

إنّ الطّفْل كائن حيّ يستقي أنوار الحياة من مربّيه الذي يوليه عنايته بإشباعه بحاجاته التي تؤهّله لتلبية دواعي البيئة، إذ الحياة تتطوي على التّليّة أو ردّ الفعل أي على النّشاط والفاعلية "ويخطئ من يظنّ أنّ الطّفْل في حاجة إلى الإشباع المادّي لحاجاته الجسمية وحسب، كالمأكل والمشرب والملبس والمأوى، وإنّما الحقيقة أنّ الطّفْل في حاجة أيضاً إلى إشباع حاجاته النّفسيّة والاجتماعية والروحية والخُلقيّة، ولا يجدي أن تشبع هذه الحاجات بصورة آليّة ميكانيكيّة، بل لابدّ من اقترانها بالعطف والحنان والاهتمام بالطفل"² ومعنى ذلك أنّ يكون الطّفْل مقبولاً من الأسرة والجماعة التي ينتمي إليها، وبذلك يأمن على حاضره ومستقبله، وتكون بيئته خالية من كلّ ما يهدّد أمنه واستقراره ومن هنا يحدث التطوّر والتقدّم "وينمو الطّفْل ويتفتح بشكل كامل متّزن في جوانب شخصيّته المختلفة، الجسمية والنّفسيّة والاجتماعية والعقلية والروحية"³ ولذا نرى المجتمعات بكلّ مؤسساتها ومنظّماتها الرّسمية وحتى غير الرّسمية عبر أنحاء العالم تجتهد في إيلاء الطّفولة بالغ الرعاية والحماية.

وهذه الأهميّة تتفق مع ما أجمعت عليه البحوث العلميّة حول الأهميّة البالغة لمرحلة الطّفولة في تشكيل الشّخصية الإنسانيّة وفي ضوء ذلك يمكن القول: "أنّه بقدر ما يعطي المجتمع أطفاله من رعاية صحيّة وتعليمية وثقافية بقدر ما يتحقّق من تطوّر حضاري وزيادة في فاعلية القوّة البشريّة القادرة على تحقيق مطالب التّنمية المستدامة... وتعدّ التّربية الوجدانية للطفّل مطلباً أساسياً؛ لأنّ ما يكتسبه الطّفْل في سنوات عمره الأولى من معالم ومعلومات واتجاهات وقيم تؤثّر في تكوين شخصيّته"⁴. ولذا تقع

¹ - أبو العلاء المعرّي أحمد بن عبد الله: ديوان لزوم ما يلزم، ط1، مج2، حرّره وشرحه تعابيره وأغراضه: كمال الأزجي دار الجيل، بيروت، 1992، ص:496.

² - عبد الرحمن العيسوي: مشكلات الطّفولة والمراهقة (أسسها الفسيولوجية والنفسية) ص:294.

³ - محمّد سعيد مرسي: فنّ تربية الأولاد في الإسلام، ط1، ج1، دار الطباعة والنشر الإسلاميّة، القاهرة، 1998 ص:22.

⁴ - علي عبد الرحمن يوسف: التربية الوجدانية للطفل، كلية رياض الأطفال، جامعة القاهرة، المؤتمر السنوي من 8 إلى 9 أبريل 2006، مركز الدراسات المعرفية، القاهرة، ص:06.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

على مؤسسات المجتمع المختلفة انطلاقاً من الأسرة، ودور الحضانة والرّوضة، والمدرسة بمختلف أطوارها، فضلاً عن المؤسسات الثقافية كسينما ومسرح ومكتبة الطّفل، أدواراً جسيمة تلزمها باتّباع أساليب، وبناء مناهج تربوية سليمة متطورة تتناسب وعالم الطّفل المتغيّر.

وتبقى الطّفولة عند كلّ الشعوب الوجه المشعّ للحياة، والمرحلة المشرقة بالأمل والقلب النابض بالحياة، فالطّفولة هي الرّوح الشّفاقة اليقظة التي تملأ أرجاء الكون بالحركة والحيوية والنشاط، لهذا كلّهُ "نرى أنّ كلّ شعوب الأرض بشتّى ثقافتها ومعتقداتها وسياساتها، على اختلاف حضاراتها، قد اهتمّت بالأطفال، وأولتهم رعاية خاصّة، وتأتي درجة هذا الاهتمام والرّعاية، حسب درجة وعي هذا الشعب ومستوى رقيّه وتقدّمه، وتتبع أهميّة هذه المرحلة، من أنّ الفرد فيها يكون قابلاً للتأثر والتّوجيه والتّشكيل واكتساب خصائص المواطنة الصّالحة التي تجعل منه عضواً نافعا في المجتمع، فثروة المجتمع الحقيقية تكمن في أبنائه، وأطفاله هم أغنى ما عنده، فهم رجال المستقبل وقادة الأُمَّة"¹ وأجلّ ذلك سنّت الدساتير، ووُضعت القوانين التي تحفظ للطّفل حقوقه الصّحية والنفسية والتّربوية؛ لأنّ الطّفولة هي نقطة الانطلاق نحو الحياة.

وقد عبّر الشّاعر العربي حطّان بن المعلّى عن أهميّة الطّفولة وحسن رعايتها بقوله:

من شامخ عال إلى خفض	أنزلي الدّهر على حكمه
فليس لي مال سوى عرضي	وخالني الدّهر بوفر الغنى
أضحكني الدّهر بما يرضي	أبكاني الدّهر ويا ربما
رددن من بعض إلى بعض	لولا بنيات كزغب القطا
في الأرض ذات الطّول والعرض	لكان لي مضطرب واسع
أكبادنا تمشي على الأرض	وإنّما أولادنا بيننا

¹ - سمير عبد الوهاب: التربية الوجدانية للأطفال تساؤلات ومنطلقات، كلية رياض الأطفال، جامعة القاهرة، المؤتمر السنوي من 8 إلى 9 أفريل 2006، مركز الدراسات المعرفية، القاهرة، ص:36.

لو هبت الريح على بعضهم لامتنعت عيني عن الغمض¹

4- الطفولة في الإسلام:

بزغ نور الإسلام يحمل بين راحتيه أنوار السعادة للإنسانية جمعاء، فكان أتباعه ممن وصفهم المولى عز وجل في قوله: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ² مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ³﴾ وقد كانت هذه الخيرية محور كل شيء في هذه الأمة التي شاع نورها في كل أرجاء العالم، وبعد أن شهد الورى بعمق الخيرية في هذه الأمة التي بنت أمجادها على الأخلاق الحميدة دخلوا في الإسلام على اختلاف ألسنتهم وجغرافياتهم.

لقد جاء الإسلام وفي يده مشعل وهاج، لم ير له الناس مثيلاً، أتى على قوم لم يرعوا للإنسانية حقها، فقهروا الرجال والنساء على حدّ سواء، وليس الحال ببعيد عن مخلوق لا يملك من حطام دنياهم سوى البكاء، لا حول ولا قوة له، فعاش الطفل حيراناً محروماً من أدنى حقوقه، مسلوباً، ذليلاً، فكانت طفولته قهراً "مهملة محرومة من حقها في الرعاية والعناية، فقد كان الأب يضيق بأبنائه، ويرى فيهم عبئاً ثقيلاً حتى بلغ من قسوة القلوب وهوان الطفولة إن من العرب في الجاهلية من كان يقتل أولاده سفهاً من غير ذنب"³ يقول الله تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ⁴﴾ وقد جاء في تفسير هذه الآية: يقول الله تعالى خسر الذين فعلوا هذه الأفاعيل في الدنيا

¹ - الخطيب التبريزي يحيى بن علي الشيباني: شرح ديوان الحماسة، ط1، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000 ص: 211-212-213.

² - سورة آل عمران: الآية: 110.

³ - البكري طارق: مجلات الأطفال ودورها في بناء الشخصية الإسلامية، ص: 35.

⁴ - سورة الأنعام: الآية: 140.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

والآخرة، أمّا في الدنيا فقد خسروا أولادهم بقتلهم، وضيقوا عليهم في أموالهم، فحرّموا أشياء ابتدعوها من تلقاء أنفسهم، وأمّا في الآخرة فيصيرون إلى أسوأ المنازل بكذبهم على الله وافترائهم¹.

ولم يكن غريباً على أمة تدين بالأوثان أن تقتل أولادها، فضلاً عن كونها محاطة بأمر لها في هذا الشأن باع كبير، فمن نجا من القتل كان عرضة للإهانة وعدم المساواة وقد فضّلت العرب البنين عن البنات، وقد دعتهم إلى ذلك عوامل عديدة، منها أنّ البنين هم عدّة الحروب، وعليهم تعتمد القبيلة، فشاخ عندهم وأد البنات، واعتبروا الأنثى وصمة عار لا بدّ من إزالتها، وقد صوّر القرآن الكريم هذا المشهد في قوله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ² وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ . وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ . يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ³ أَيَسْكُرُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ⁴ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ⁵﴾ وفي قوله عزّ من قائل: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ . بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ⁶﴾³ وكانت مذاهب العرب مختلفة في الواد وقتل الأولاد، "فمنهم من كان يئد البنات لمزيد الغيرة ومخافة لحوق العار بهم...ومنهم من كان يئد البنات من كانت زرقاء أو شيماء أو برشاء أو كسحاء⁴ تشاؤماً منهم بهذه الصفات...ومنهم من كان يقتل أولاده خشية الإنفاق وخوف الفقر، وهم الفقراء من بعض قبائل العرب...ومنهم من كان يقول: الملائكة بنات الله، سبحانه عما يقولون فألحقوا البنات به تعالى، فهو أعزّ وأجلّ أحقّ بهنّ"⁵ وقد أبطل القرآن الكريم هذه المذاهب الفاسدة والاعتقادات الكاسدة، فقد كان الواحد منهم إذا بُشِّرَ بذكّر ابتهج، وإذا بُشِّرَ بأنثى

¹ - ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر: تفسير القرآن العظيم، ج2، ص:765.

² - سورة النحل: الآيات:57-58-59.

³ - سورة التكويد: الآيتان:8-9.

⁴ - شيماء= سوداء، برشاء= أي بها بياض يظهر على الجسد مثل البرص، الكسحاء= العرجاء.

⁵ - الألويسي محمود شكري: بلوغ الأدب في معرفة أحوال العرب، ط2، ج3، شرح وضبط وتصحيح: محمد بهجة الأثري، دار الكتاب العلمية، بيروت (د، ت) ص:42 وما بعدها.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

حزن، وبقي متوارياً أياماً يدبّر فيها ما قد يصنع إما أن يترك المولودة ويربيها على ذلّ أو يئدها ويدفنها حتى الموت، بنزعها من حضن أمّها، بلا شفقة أو رحمة وجرمها أنّها كانت بنتاً، والبنت لا تستحقّ الحياة، وقد تساءل الله سبحانه وتعالى في استنكار لهذه العادة الباطلة، والجريمة الكبرى في حقّ الطفولة البريئة: ﴿بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ والسؤال وجّه إليها لإظهار كمال الغيظ على قاتلها حتى لكأنّه لا يستحقّ أن يخاطب ويسأل عن ذلك، وهذه الطّريقة أفضح في ظهور جنائية القاتل والزام الحجّة عليه، فإنّه إذا قيل للموؤودة: إنّ القتل لا يجوز إلاّ لذنوب عظيم فما ذنبك وبأيّ ذنب قتلت؟ كان جوابها إنّي قتلت بغير ذنب فيفتضح القاتل ويصير مبهوراً¹.

وعلى الرّغم من ذلك فإنّ فضيلة الأدب لم تكسد، ونعمة النّبيل لم تخسف ومهما يكن من أمر البيئة العربية في الجاهلية وما اعتورها من عادات سيئة وشوّهها ببعض المعتقدات الباطلة "فإنّها كانت تزخر في الوقت نفسه بالعديد ممّا يمكن أن يفخر به العرب من صفات من شأنها تحقيق غايات اجتماعية معيّنة، وما تُوليه الأسرة العربيّة أبنائها من فائق الرّعاية ذات الأوجه المتنوعة فلقد تضافرت جهود الأسرة والجماعة - إذ ذاك - على إعداد النّاشئ العربي إعداداً قوياً من شأنه تمكينه من تحمّل مسؤوليات الحياة القاسية، بكلّ ما يتطلّب ذلك من مقومات جسمية، وخلقية، ولغوية، وإمام بظروف الحياة العامّة ومتطلّباتها ولقد كان العرب يحرصون على تنمية الخصال الحميدة في النّاشئ كالشّجاعة والشّهامة والكرم والنّخوة والعفة، وحفظ حقّ الجار، والعطف على المحتاج"² وذلك من خلال توجيههم المباشر، وأحاديثهم، وحكمهم وأشعارهم وممارساتهم اليوميّة، ممّا حفلت به كتب أيام العرب، وقصص الجاهلية قبل الإسلام وهذا التّوجيه الفعّال من قبل العرب في الجاهلية، كان له جميل الأثر على الأبناء وبخاصّة في الشّؤون التي تتعلّق بطبيعة وظروف العصر التي تحتمّ قوّة الانتماء للأسرة ثمّ للقبيلة؛ على الرّغم من محدودية الوسائل التي لم تتجاوز في أحسن أحوالها تقليد الآباء

¹ - الجمل سليمان: الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية، ط1، ج4، المطبعة العامرة الشرفية مصر، 1303هـ، ص:515.

² - البرجس عارف مفضي: التوجيه الإسلامي للنشء في فلسفة الغزالي، ط2، دار الأندلس، بيروت، 1983، ص:57.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

رجال العشيرة، ثم المواعظ والإرشادات والحكم من الآباء والأمهات.

مما سبق نلاحظ تناقضا بين ما دأبت عليه العادات الجاهلية الفاسدة بواد البنات وعدم العدل بين الأنثى والذكر، وبين الأغراض التربوية التي ركزت على المفاهيم السابقة التي ارتبطت بالبيئة الصحراوية، ومجتمع القبيلة بعلاقاته ونظمه وعاداته وأعرافه إذ لم تتعدّ حدود النفعية، على حساب حق الأجيال في المستقبل. وهو اختلاف يمكن أن نلتمس له تفسيراً حسب رأي الباحثين في بلاد العرب قبل الإسلام، فالقبيلة هي المجتمع الذي يولد فيه العربي، ثم ينشأ متشرباً بنظمه وعاداته وأعرافه التي تُبنى على دعامة أساسية هي النسب، وحينما يفتح الفرد عينيه على ما حوله يجد أن كل امرئ في قبيلته يتغنّى بانتمائه ويعتدّ بأرومته، بدءاً من والده وإخوته، وانتهاءً إلى رهطه وعشيرته، فجنسيته جنسية القبيلة المنحدر منها، والهوية التي يحملها دائماً، في حله وترحاله، اسم قبيلته ذلك الاسم الذي يميّزه بين أفراد القبائل الأخرى، والذي يعصمه أن يتيه بينهم.

ولما جاء الإسلام "أصبح من الطبيعي استمرار حبل التراث العربي إذ لم يحارب الإسلام كل ما كان في الجاهلية، بل استحسن ما لدى العرب من الخصال الحسنة وشجعها، ونماها، حتى توارثتها الأجيال العربية"¹ وبين كيف أنّ العناية الإلهية قد رعت الطفل حتى في مراحل تكوينه وخلق، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿تَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلَقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۗ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾² وبين لنا كيف صورّه الله وفق مشيئته في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ۗ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾³ وكيف تعهدت القدرة الإلهية مراحل تطوره في بطن أمه في قول المولى

¹ - البرجس عارف ماضي: التوجيه الإسلامي للنشء في فلسفة الغزالي، ص: 57.

² - سورة الزمر: الآية: 06.

³ - سورة آل عمران: الآية: 06.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ . ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ . ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أُنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾¹

وكيف تابعت يد الرعاية الإسلامية الطفل بعد الولادة "فمنحته مدة كافية للرضاعة يتغذى من لبن الأم ويكتسب من حنانها وحبها، فينشأ طفلاً سليماً موفوراً بالصحة الجسمية والنفسية"² فيشب ويكبر لتعاد فيه دورة الحياة في مثل قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمَلُهُ ۖ وَفِصَالُهُ ۖ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ ۖ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۖ قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ۗ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾³.

فبعد هذه العناية أوصانا بالأبناء خيراً في مواضع كثيرة من القرآن الكريم فهذا زكريا -عليه السلام- يدعو ربه بقوله: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ۗ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۗ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾⁴ وهو دعاء وطلب لصالح الذرية حتى قبل ولادتها، وفي همسة قرآنية، نستمع إلى مناجاة نبي الله إبراهيم -عليه السلام-: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ . فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾⁵ فقد طال الأمد بإبراهيم - عليه السلام - ولما يُرزق ولداً يملأ عليه دنيا البهجة والزينة، إذ البنون من زينة الحياة

¹ - سورة المؤمنون: الآيات: 12-13-14.

² - الأسعد عمر: أدب الأطفال (د، ط) ص: 09.

³ - سورة الأحقاف: الآية: 15.

⁴ - سورة آل عمران: الآية: 38.

⁵ - سورة الصافات: الآيتان: 100-101.

الدنيا، ومن نعم الله تعالى على عباده.

كما نجد في كتاب الله ما يدل على الاهتمام بالطفل، من ذلك قوله تعالى حكاية عن يحيى-عليه السلام-: ﴿يَيِّحِي خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾¹ ويقول عن السيدة مريم -عليها السلام-: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَمْرِؤُا أَنَّىٰ لَكَ هَذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾² ويقول عن سيدنا موسى -عليه السلام-: ﴿أَنْ أَقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَآقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ ۗ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾³ ويقول عن سيدنا محمد ﷺ: ﴿أَلَمْ تَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ . وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ . وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ﴾⁴.

وفي القرآن أيضاً ما يدل على اهتمام الأنبياء بأبنائهم ومحاولة تربيتهم على طاعة الله، من ذلك قول إبراهيم-عليه السلام-: ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۗ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ . وَمَنْ يَرْغَبُ عَنِ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ ۗ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾⁵ ويقول عن لقمان الحكيم في وصيته لابنه: ﴿وَإِذْ قَالَ

¹ - سورة مريم: الآية:12.

² -سورة آل عمران: الآية:37.

³ - سورة طه: الآية:39.

⁴ - سورة الضحى: الآيات:06-07-08.

⁵ - سورة البقرة: الآيات:128-129.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

لُقْمَنُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ رَبِّي لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ¹ وعن يعقوب- عليه السلام-: ﴿أُمَّ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ ءَابَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهِهَا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ².

ومن رعاية القرآن الكريم بالطفل رعاية حقّه في النسب، حتى لا يضيع ويُصبح هملاً لا قيمة له في المجتمع، وحتى لا يذهب حقّه من الإرث، فقد أمر بالمحافظة على نسبه، فقال تعالى: ﴿ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا ءَابَاءَهُمْ فَاخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ³ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ⁴ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا⁵.

وفي السنّة النبوية الشريفة روى الطبراني وابن النجار عن علي-كرم الله وجهه- أنّ النبي ﷺ قال: "أَدَّبُوا أَوْلَادَكُمْ عَلَى ثَلَاثَةِ خِصَالٍ: حُبُّ نُبِيِّكُمْ وَحُبُّ آلِ بَيْتِهِ، وَتِلَاوَةُ الْقُرْآنِ، فَإِنَّ حَمَلَةَ الْقُرْآنِ فِي ظِلِّ عَرْشِ اللَّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ مَعَ أَنْبِيَائِهِ وَأَصْفِيَائِهِ"⁶. وقال ﷺ: "رِيحَانَةُ أَشْمُهُا وَرِزْقُهَا عَلَى اللَّهِ"⁷ وقال ﷺ: "مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ وَاصْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ"⁸.

¹ - سورة لقمان: الآية:13.

² - سورة البقرة: الآية:133.

³ - سورة الأحزاب: الآية:05.

⁴ - محمد سعيد مرسي: فنّ تربية الأولاد في الإسلام، ص:399.

⁵ - ابن عبد ربه أحمد بن محمد: تأديب الناشئين بأدب الدنيا والدين (الياقوتة) (د، ط) تحقيق: محمد إبراهيم سليم مكتبة القرآن، القاهرة، (د، ت) ص:114.

⁶ - أبو داود سليمان بن الأشعث: كتاب السنن، ط1، ج1، تحقيق: محمد عوامة، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1998، ص:375.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

وقد سأل معاوية الأحنف بن قيس: "يا أبا بحر، ما تقول في الولد؟ فقال: ثمار قلوبنا، وعماد ظهورنا، ونحن لهم أرض ذليلة، وسماء ظليلة فإن طلبوا فأعطهم وإن غضبوا فأرضهم، يمنحوك ودهم، ويحبوك جهدهم، ولا تكن عليهم ثقيلاً فيملوا حياتك ويحبوا وفاتك"¹.

وقد شغلت الطفولة في حدائق نفحاتها مساحة واسعة من اهتمام علماء الأمة في مختلف العصور الإسلامية، وعلى اختلاف مشاربهم من فقهاء وأطباء ومؤرخين ومربين، فقد تناولوا بالبحث والتنقيب والجرأة قضايا مجتمعاتهم الأخلاقية والطبية والاجتماعية المتعلقة بالطفولة وخصائصها، وتوصلوا بإسهاماتهم الفاعلة إلى تطوير النظم التربوية ولا تقل نظرياتهم بحال من الأحوال عن نظريات فلاسفة ومفكري الحضارة الغربية إن لم يكونوا متفوقين عليهم في بعض جوانبها، حيث جاءت كتابات عدد كبير من فلاسفة المسلمين بآراء مبتكرة، ومذاهب تربوية كاملة مستمدة مما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

فهذا حجة الإسلام، أبو حامد الغزالي (450-505هـ) -رحمه الله- الذي يرى فيه بعض الباحثين أنه طغى على المفكرين الذين أتوا بعده في مضمار التأديب والتعليم والتربويات، وأن الذين كتبوا في (رياضة الصبيان) بعده، قد تغدوا من مائدته ووسعوا ما قاله، بإدخال تطويرات طفيفة، نجحت بفعل بعض الوسائل والأدوات في التعليم² يخصص رسالة كاملة للطفل والطفولة وفنون تعليمه وتأديبه سماها (أيها الولد) وهي زاخرة بآراء هامة، وطرق نفسية في التربية والتربية والتعلم وفي (إحياء علوم الدين) وجه مفاهيم تربوية بنائية للمربين وتطلع من خلال أفكاره إلى بناء الطفل المسلم حيث يقول: "اعلم أن الطريق في رياضة الصبيان من أهم الأمور وأكدها، والصبي أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهر نفيسة ساذجة، خالية من كل نقش وصورة، وهو قابل لكل ما نقش، ومائل إلى كل ما يمال إليه، فإن عود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة، وشاركه في ثوابه أبواه، وكل معلم له ومؤدب. وإن عود الشر وأهم إهمال

¹ - ابن عبد ربه أحمد بن محمد: تأديب الناشئين بأدب الدنيا والدين (الياقوتة) ص: 122.

² - شمس الدين عبد الأمير: الفكر التربوي عند ابن جماعة، ط1، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، 1990، ص: 11.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

البهائم شقى وهلك، وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالي له"¹ فهذه توجيهات تغوص في النفس البشرية لفهمها، واستنباط مبكر للمنهج التربوي الصحيح، فهو يتطّلع إلى إعداد الطفل من خلال أفكاره التربوية إلى أن "يكون جندياً في الحياة إذ يحرم عليه كل مظاهر اللين. وإن كان لم يغفل عن غايته الأخلاقية حين أوصى بأن العاقل من تزود من دنياه لأخراه..."² غير أن الغزالي أهمل تربية البنات ولم يتكلم عنهنّ ونعوز ذلك إلى كونه تأثر بعصره وقومه، فقد كانت تربية البنات ممّا لا يهتمّ به الأولون .

وهذا الشيخ الرئيس بن سينا (370-427هـ) يضع منهجاً تربوياً شاملاً في تربية الطفل والاهتمام به منذ ولادته حتّى زواجه وانخراطه في الحياة الاجتماعية، واهتمّ من خلال آرائه المتناثرة في مؤلفاته المختلفة وبخاصة (القانون) و(السياسة) بوحدة الشخصية الإنسانية، وتكاملها العقلي والجسدي والانفعالي متأثراً في ذلك بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، فضلاً عن الفلسفات المختلفة، مدعماً كل رأي بمبررات نفسية فيقول:

"إذا فطم الصبي عن الرضاع بُدئ بتأديبه ورياضة أخلاقه، قبل أن تهجم عليه الأخلاق اللئيمة وتفاجئه الشيم الذميمة، فإنّ الصبي تتبادر إليه مساوئ الأخلاق وتنتال عليه الضرائب الخبيثة فما تمكّن منه ذلك غلب عليه، فلم يستطع له مفارقة ولا عنه نزوعاً... فإذا اشتدت مفاصل الصبي واستوى لسانه وتهيأ للتلقين ووعى سمعه أخذ في تعلّم القرآن، وصور له مخارج الحروف ولقّن معالم الدين... ويبدأ من الشعر بما قيل في فضل الأدب ومدح العلم وذمّ الجهل وعيب السخف وما حثّ على برّ الوالدين واصطناع المعروف وقرى الضيف، وغير ذلك من مكارم الأخلاق"³.

وهي ذاتها التوجيهات التي حثّ عليها الباحثون في مجال أدب الطفل وأكّدوا عليها لتزكية نفس الطفل والسّمو بأخلاقه، وكأنّ الرّجل يعيش عصرنا بتعاليمه القيّمة.

¹ - أبو حامد الغزالي محمد بن محمد: إحياء علوم الدين (د، ط) ج3، مكتبة ومطبعة كرياضة فوترا سماراغ، إندونيسيا (د، ت) ص: 69-70.

² - زكي مبارك: الأخلاق عند الغزالي (د، ط) مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012، ص: 250.

³ - ابن سينا أبو علي الحسين بن عبد الله: كتاب السياسة، ط1، تقديم وضبط وتعليق: علي محمد إسبر بدايات للطباعة والنشر، سوريا، 2007، ص: 84، 83.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

أمّا الإمام والفقير بن قيم الجوزية (691-751هـ) فقد خصّ الطّفّل والطّفولة بكتاب قيّم سماه (تحفة المودود بأحكام المولود) وعاتنى فيه بتربيّة الأطفال اعتناءً خاصاً حيث حوى كثيراً من اللّمحات التّربوية التي تتّسق في مضمونها مع مسار التّربية البنائية في الإسلام؛ ولتوضيح آرائه التّربوية عقد في كتابه أبواباً وفصولاً عديدة تتناول مختلف جوانب حياة الطّفّل، ومما جاء فيها:

"ومما يحتاج إليه الطّفّل غاية الاحتياج: الاعتناء بأمر خُلُقِه، فإنّه ينشأ على ما عوّده المرّي في صغره من حرّديّ وغضب ولجاج وعجلة، وخفّة مع هواه، وطيش وحدّة وجشع فيصعب عليه في كبره تلافي ذلك وتصير هذه الأخلاق صفاتٍ وهيئاتٍ راسخةً له فلو تحرّز منها غاية التحرّز فضحته -ولا بدّ- يوماً ما. ولهذا تجد أكثر النّاس منحرفة أخلاقهم وذلك من قبل التّربية التي نشأ عليها، ولذا يجب أن يجنّب الصّبي إذا عقل: مجالس اللّهو والباطل، والغناء، وسماع الفحش، والبدع ومنطق السّوء، فإنّه إذا علق بسمعه، عسر عليه مفارقتها في الكبر وعزّ وليّه استنقاذه منه، فتغيير العوائد من أصعب الأمور، يحتاج صاحبه إلى استجداد طبيعة ثانية والخروج عن حكم الطّبيعة عسرٌ جدّاً" ¹.

فهذا النّص يعالج مسائل مهمة مستمدّة من تعاليم الإسلام السّامية، حيث شدّد على العناية بخُلُق الطّفّل، منبّهاً إلى خطورة ما ينشأ مع الطّفّل من أخلاق سيّئة، إذا ما أُسيئت تربيته في الصّغر، فمن شبّ على شيء شاب عليه، وبالتالي يصبح من المستحيل معالجته في الكبر، وهو تماماً ما تحدّثت عنه التّربية الحديثة، وكأنّها تعرّف من مورد هذا العلامة الفقيه، فضلاً عن تحذيره من الأفعال المشينة، وتبيان الضّرر منها وسوء العاقبة، ومطالبة القائمين على الأطفال تجنيبهم مجالس اللّهو، والابتعاد بهم عن البدع وكلام السّوء ومن ثمّ النّصح بارتياح مجالس العلم والمعرفة، وفي ذلك بناء لشخصية الطّفّل الفرد، وبناء للأمة، وبذلك يتحقّق المطلوب حاضراً ومستقبلاً.

إذا كان هذا من شأن علماء الأمة في المشرق الإسلامي، ففي المغرب العربي أشرقت شمس العلامة الفدّ بن خلدون (1332-1406م) الذي اهتمّ بالطّفّل المسلم، وأبدى آراء تربوية حفلت بها (مقدّمته) وبها كوّن منهجاً في علم النّفس التّربوي والتّعليمي، وقدّم

¹ - ابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر: تحفة المودود بأحكام المولود (د، ط) تحقيق: عثمان بن جمعة ضميرية، دار عالم الفوائد، جدّة (د، ت) ص: 349-350.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

بحوثاً قيّمة أصيلة، وضعت في مصاف أئمة الأمة الإسلامية المجددين حيث وضّح "ما ينبغي أن تسير عليه التربية ويسير عليه التعليم في مختلف مراحل الطفولة والشباب حتى يحقق أغراضها الفردية والاجتماعية من أيسر طريق وأقصره، وحتى تجيء أساليبيها متّفقة مع طبائع المتعلّمين ومسايرة لتطوّره ونموّه من الناحيتين الجسمية والعقلية"¹ حيث يؤكّد منطلقاً من تعاليم الدّين الإسلامي أنّ تعليم القرآن الكريم للأطفال الذين عبّر عنهم بالصّبيان شعار إسلامي، واعتبره أصل التّعليم الذي يبني عليه ما يحصل بعده من تعليم، وأن جميع الأقطار الإسلامية أخذت بذلك، فيقول: "اعلم أنّ تعليم الولدان القرآن شعار من شعار الدّين، أخذ به أهل الملة ودرجوا عليه في جميع أمصارهم لما يسبق فيه إلى القلوب من رسوخ الإيمان، وعقائد من آيات القرآن وبعض متون الأحاديث، وصار القرآن أصل التّعليم الذي يبني عليه ما يحصل بعد من الملكات وسبب ذلك أنّ التّعليم في الصّغر أشدّ رسوخاً وهو أصل لما بعده لأنّ السّابق الأوّل للقلوب كالأساس للملكات. وعلى حسب الأساس وأساليبه يكون حال من يبني عليه"². فهو يضع منهاجاً لتربيّة الإنسان المسلم منذ طفولته حتّى رشده، ويستلهم قيمه ومبادئه من القرآن الكريم "ويجعل منها أساساً لبناء كيان الطّفل عقلياً ونفسياً ووجدانياً وسلوكياً وبدنياً، ويساهم في تنمية مداركه، وإطلاق مواهبه الفطرية، وقدراته المختلفة، وفق الأصول التّربوية الإسلامية"³ وهو بذلك يفتد المزاعم القائلة بأنّ الطّفل في حداثة سنّه لا يتقبّل ما يُقدّم له حول العقيدة كون مضامينها معنويات، بتأكيده على أنّ العقيدة هي الأساس في البناء الرّوحي ولو على سبيل التّلقين؛ وهو الأمر الذي يميل إليه الباحثون في أدب الطّفل الإسلامي في العصر الحديث؛ إذ لا غرابة أن ينشأ الطّفل وهو يستظهر بعض القرآن الكريم، وبعض الأدعية والمأثورات، والأناشيد الدّينية في سنّ مبكرة، تطبيقاً لقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ

¹ - علي عبد الواحد وافي: عبد الرحمن بن خلدون (حياته وآثاره ومظاهر عبقريته) (د، ط) مكتبة مصر، مصر (د، ت) ص: 252.

² - ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد: مقدّمة ابن خلدون، ط1، دار ابن الهيثم، القاهرة، مصر، 2005 ص: 475-476.

³ - أحمد نجيب: أدب الأطفال في ضوء الإسلام، ط2، مؤسسة الإسراء، قسنطينة، 1991، ص: 14.

السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْعِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ¹

أما أبو الحسن القاسبي (324-403هـ) فقد ألف رسالة كاملة وسَمَّها بـ: (الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين) وفيها أولى عناية للعامل الديني في تعليم الأطفال، ذاكراً ما يصلح أن يُعلّم للصبيان مع القرآن، وما على المعلم أن يعلمهم إياه من سائر مصالحهم، عادلاً بينهم مرفقاً بهم، وقد وضّح أنّ القرآن يقوم على الحفظ على ظهر قلب، أما باقي العلوم من حساب وشعر ورسائل وأيام العرب ونحو وعلم اللّغة فإنّها تقوم على الفهم لا الحفظ، ومما جاء في رسالته: "...كذا ينبغي لمعلم الأطفال أن يُراعي منهم حتى يُخلص أدبهم وليس لمعلمهم في ذلك شفاء من غضبه ولا شيء يريح قلبه من غيظه فإنّ ذلك إن أصابه فإنّما ضرب أولاد المسلمين لراحة نفسه"² وهو بالضبط ما قالت به النظرية الحديثة لعلماء النفس في تفسير دوافع العقاب إذ الرّأي عندهم أنّ بعض المعلمين يعاقبون تنفيساً لعقدة التسلّط التي تكوّنت عندهم في الصّغر عندما كانوا مثل متعلميهم هدفاً للقسوة من جانب أوليائهم ومربيهم.

إنّ ما عرضناه ما هو إلاّ شذرات بسيطة حول عالم الطّفولة وأهمّيتها في الإسلام وعند بعض علمائه الأوائل، وهو كاف لفهمنا الصّحيح للنفس البشرية في مختلف مراحل أعمارها الرّمنية والعقلية والاجتماعية، وفي "مختلف أبعادها التكوينية، من انفعال وإدراك وروح، كلّ ذلك الفهم، يعتبر الأساس الأوّل لنجاح عملية التّنشئة الخلقية والروحية والإنسانية للأطفال النّاشئين الذين هم أمانة في أعناقنا نحن الرّاشدين، وحيث إنّ التّربية واجبة، فأسباب نجاحها المشروعة واجبة أيضاً، إذ إنّ الأمر بشيء أمرٌ بأسبابه"³.

وما جنوحي عن الطّفولة في العصر الحديث إلاّ لأنني أميل إلى الرّأي القائل بأنّ آراء علماء المسلمين القدامى لا تختلف عن نظريات التّربية الحديثة إذا لم تغرف من بحرهما، فقد أغرق هؤلاء في العناية بالطفّل في قضايا كثيرة ثابتة في آثارهم مؤكّدين

¹ - سورة النحل: الآية: 78.

² - القاسبي أبو الحسن علي بن محمد: الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين ط1، دراسة وتحقيق: أحمد خالد، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1986، ص: 33.

³ - سعيد إسماعيل علي: اتجاهات الفكر التربوي الإسلامي (د، ط) دار الفكر العربي، 1991، ص: 37.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

أنّ الإسلام اهتمّ بالطفّل، وأرسى دعائم بنائه بناءً سليماً محكماً، وما تشابك خيوط أبحاثهم إلّا دليل على أنّهم ينهلون من منبع واحد وهو تعاليم الدين الإسلامي، فهم يتفقون على أنّ مرحلة الطفولة قابلة للتشكيل والبناء أو الهدم والإفساد، وسعوا جميعهم في ظلّ التوجيه القرآني إلى إيجاد الأساليب المثلى لرعاية الطفّل، وقد ساعدتهم في ذلك كونهم اشتغلوا بالتعليم، الأمر الذي مكّنهم من سبر أغوار عالم الطفولة والغوص في بحار أسراره.

خلاصة:

إنّ الطفّل منذ بدء تكوينه، يكون صفحة بيضاء خالية من المعرفة السابقة إلا أنّ فيه استعدادات لاكتساب المعارف، حيث تبدأ فيه واردات هذه الأخيرة تتجمّع منذ اللحظة الأولى التي يرى فيها نور الحياة على البسيطة، ماراً بمراحل متتالية، هذه الأخيرة تتطوّر مع مرور الطفّل بتجارب كثيرة تلامس أدوات المعرفة المنبئة في جسده، والتي تسمح للعقل بأن يسبح في عالم التأمّلات، بعد نضج التجارب. كما تكفّلت التربية الإسلامية بالتعليم المستمر وبالمتابعة المتواصلة والمرافقة طيلة مراحل النّمو من أجل صقل هذه الحواس لتحقيق الذات الإنسانية، في إطار الاشتراطات المعروفة، والإلمام بنفسيات الأطفال وتطوّراتهم، واحتياجاتهم وتقديم الجرعات الأدبية التي تتماشى والنّمو العقلي واللّغوي في مختلف مراحل الطفولة.

الفصل الثاني :

نشأة شعر الأطفال ونظوره في الأدب العربي

تمهيد

- 1- شعر الأطفال في التراث العربي القديم
- 2- شعر الأطفال في الأدب العربي الحديث
- 3- شعر الأطفال في الأدب الجزائري الحديث

خلاصة

تمهيد:

إذا كان الاستثمار في الطفولة ورعايتها جديداً، فإنّ أدبها استناداً لهذا الاعتبار جديد أيضاً، من حيث عمقه الفكري، وبعده النفسي، إذ لم تهتمّ معظم الحضارات والأمم القديمة بتدوين حياة الطفولة عندها، والأدب الموجّه لأطفالها "فشكّلت الثقافة الشفوية بما تحويه من خرافات وأساطير منطلقاً أدبياً لظهور أدب الطفل، كما كانت رصيذاً معنوياً هائلاً لتأسيس النمط الدلالي الجامع بين الصعوبة والسهولة من حيث التناول الخاص لهذه المعارف من جهة، والتناول العام لها من جهة أخرى"¹. وثبت ذلك أنّ الكبار والصغار على حدّ سواء كانوا يستمعون إلى الخرافات والأساطير الشعبية في ليالي السمر، وفي الأسواق وفي مختلف التجمّعات، على الرّغم من فارقة التلقّي والفهم إلّا أنّ الأطفال كانوا يجدون فيها متعة، إلى جانب الكبار الذين يستلهمون منها العبر والمعاني.

وقد أجمع معظم المؤرّخين على أنّ "المجتمعات الإنسانية القديمة لم تكن تهتمّ بالطفل إلّا بالقدر الذي يؤهّله كي يكون قادراً على تحمّل مسؤولياته تجاه المجتمع الذي يعيش فيه، ولم تكن مرحلة الطفولة عندهم مرحلة مهمّة في ذاتها أو مستقلّة بمفردها...ومن ثمّ لم تكن هذه المجتمعات القديمة تعامل الطفل إلّا على أنّه راشد صغير وكانت تتصوّر أنّ ما ينطبق على الراشد ينطبق على الطفل سواء بسواء"². ومن هذه النظرة لم تفرد هذه المجتمعات أدباً خاصّاً بأطفالها؛ وإنّما بسّطت لهم في أحسن الأحوال حكايات الكبار، وأساطيرهم الخرافية، التي ابتكرها الكبار عبر المسيرة التاريخية.

ومع ذلك "تبقى الخرافات نوعاً مرتبطاً بأدب الأطفال، وتعود سردياتها المرّة تلو المرّة، إلى القصص المحورية في حياة الطفولة...ومهما كان الغرض الذي وضعه الكبار فهي تبقى محور قراءة الأطفال. وإضافة إلى أخلاقها المحليّة، ونصائحها الخاصة، فإنّ الخرافات تعلّم أفكاراً عن التّأليف، ومبادئ حول جمهور مستمع، وأمثلة من حسن

¹ - عميش عبد القادر: قصّة الطفل في الجزائر، ط2، دار الأمل، تيزي وزو، 2012، ص:17.

² - سمير عبدالوهاب أحمد: أدب الأطفال (قراءات نظرية ونماذج تطبيقية) ص:72.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

التصريف الكلامي... وباختصار تعلم الأدب نفسه¹ لأنها كانت في معظم مضامينها تناصر الطفولة، وتتمركز حول التربية ومقتضياتها، غير أنها لم تحظ بالتدوين والاهتمام حظو أدب الكبار، حيث أسقط الكثير منها من سجل التراث الفني والأدبي، وبذلك أسقط أدب الطفل عند كثير من الشعوب في الحضارات القديمة.

وإذا كان هذا من شأن أدب الأطفال عامة؛ فإنّ شعر الأطفال عند الأمم القديمة كان عبارة عن ترديد ألفاظ موزونة، أجل مداعبة الطفل وترقيصه وقد توارثته الأمم جيلاً بعد جيل، حتى لم يكن بالمستطاع تحديد إرهاباته الأولى "فقد لوحظت ألفاظه عند معظم الشعوب، متشابهة في بعض الأنغام والمعاني وإن اختلفت في بعض التسميات"² ولا سيما وأنها تعبّر عن ثقافة المجتمع الذي نشأت فيه وتعتمد في مشافهتها على اللغة الأم التي تحمل خصائص ثقافة المجتمع وهويته الذي تنتمي إليه.

وما تطوّره إلا تماشياً مع التغيرات التي تطرأ على المجتمعات التي تؤدي إلى تغيير اهتمامات الأطفال فيها، وترقيص الأطفال بالألفاظ الموزونة من طبائع الإنسان في كلّ مصر وعصر؛ بل إنّ ذلك موجود حتى عند الحيوان، وهو يداعب صغيره ويحنو عليه في صوت لين "والترقيص للإنسان من أقوم الوسائل لتربية الطفل وتنشئته، وغرس جميل الخصال وحميد الفعال في ذهنه قبل أن يشتد؛ حتى تتمكن من أخلاقه وتنقش في مخيلته نقش القلم في الحجر، فيشبّ الطفل وقد انطبعت في جسده وامترجت بلحمه ودمه فلا يمكن بعد ذلك محوها من ذهنه"³ غير أنّ شعر الترقيص هذا لم يكتب من أجل أن ينشده ويحفظه الصغار؛ وإنما هو شعر إيقاعي يؤثر في الطفل بالصوت والحركة.

ومع حلول العصر الحديث حدث تحوّل كبير في أدب الأطفال بكافة وسائله المقروءة والمرئية والمسموعة فمنذ عصر النهضة حدثت انطلاقة في الشعر المخصّص

¹ - سيث ليرر Seth Lerer: أدب الأطفال من إيسوب إلى هاري بوتر، (د، ط) ترجمة: ملكة أبيض منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2010، ص: 43-44.

² - عبد الفتاح أبو معال: أدب الأطفال وأساليب تربيتهم وتعليمهم وتنقيفهم، ط1، دار الشروق، عمّان، 2005 ص: 237.

³ - أحمد عيسى: الغناء للأطفال عند العرب (د، ط) المطبعة الأميرية، القاهرة، 1936، ص: هـ.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

للأطفال، وكان من بين تحولاته الجديدة الالتفات إلى الأطفال والكتابة فيما يتصل بتثقيفهم وتثقيفهم؛ فتوالى الانتاج للأطفال بكل أشكاله منذ ذلك الحين، فبعد النصوص التعليمية والإرشادية والمواعظ التي كانت مرتبطة بالحركات الإصلاحية طيلة النصف الأول من القرن العشرين، بدأ الكتاب والشعراء يراعون في انتاجهم الشعري للأطفال مستوياتهم العقلية والإدراكية وحصيلة لغتهم، فأثمرت جهودهم عن دواوين كثيرة، ومجلات ودوريات متخصصة في أدب الأطفال بعامّة، وكان من أسباب نهضة هذا الفن انتشار المدارس العربية بعد التخلّص من الاستعمار، ونشوء الصحافة، والمطابع والترجمة والنقل ثمّ التأليف الحقيقي في النصف الثاني من القرن العشرين حتى بداية الألفية الثالثة، فكانت الريادة في ذلك لمصر، وسوريا، والعراق، ولبنان، ثمّ بلدان المغرب العربي، وذلك ما سأحاول معالجته في هذا الفصل.

1- شعر الأطفال في التراث العربي القديم:

يكاد يجمع الباحثون على أنه لا وجود لشعر مكتوب للأطفال في تراثنا العربي فليس فيه "ما يمكن أن نسمّيه: أدب أطفال. ويبدو أنّ الصغار كانوا يتداولون القصص والحكايات الشعبية التي يتناقلها الكبار، وما (ألف ليلة وليلة وكليلة ودمنة) إلاّ حكايات وضعتها مخيلة القصاصين لأبناء الشعب في عهود كان فيها الشعب قليل المعرفة، يؤمن بوجود الجنّ والعفاريت ويجد متعة في أخبار الكنوز المطمورة والقصور المسحورة، التي تنقله إلى عالم خيالي رحيب ينسيه مرارة الواقع ومتاعب العيش"¹ غير أنّ هذا التراث يحتوي على ما سمّي "بشعر ترقيص الأطفال، وهو ليس مكتوباً من أجل أن ينشده أو يحفظه الأطفال بل هو شعر مكتوب بإيقاع راقص، يناسب من يرقص الطفل، فيعبّر عن عاطفته من ناحية، ويؤثّر في الطفل بالصوت والحركة المرافقة للغناء"² حيث صُبّ هذا النوع الشعري في قالب الرجز، وتشكّلت نواته شفويًا على ألسنة الجدّات والأمّهات في الأدب الشعبي، فكان له "دوره الحيوي في تكوين الشعور الوجداني للطفل. إذ إنّ تأصيل العلاقة المميزة بين الأدب والطفل تقوم على مدى قدرة الفنون الأدبية

¹ - هادي نعمان الهيتي: أدب الأطفال (فلسفته-فنونه-وسائطه) ص:103.

² - بيان الصّدي: شعر الأطفال في الوطن العربي (دراسة تاريخية نقدية) وزارة الثقافة، دمشق، 2008، ص:03.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

في التأثير على الطّفولة كوسيلة وغاية¹ لذلك جاءت أدبيات الطّفّل المتناثرة في كتب التّراث العربي أجل تحقيق الوظائف التربوية والجمالية واللّغوية لهذا اللون الشّعري. وقد تفضّل القدامى إلى أنّ الطّفّل يجد راحته مع الأناشيد والأغاني الخفيفة، فيطرب ويهتزّ مع وقع صوت الجدّة أو الأم وهي تلقي تلك المقطوعات الخفيفة.

وعلى الرّغم من أنّ كثيراً من الدّارسين ورغم إقرارهم بوجود أغاني المهد وأشعار ترقيص الأطفال عند العرب، لا يقرّون بوجود شعر للطّفّل، وحبّتهم في ذلك أنّ مثل هذه الأشعار موجودة في كلّ الآداب العالمية، ولم تُقلّ من قبل شعراء معروفين؛ لأنّها في عمومها من مرتجلات النّاس تعبيراً عن عواطف وحاجات للتّسلية أو المتعة، ولا تمثّل أدب الأطفال بمفهومه الحديث "ولا يمكنها أن تشكّل حتّى اتّجاهاً صغيراً داخل هذا الأدب، لأنّها لا تخاطب الطّفّل مباشرة ولا تسير أغواره، ولا تتطلق من اهتماماته، بقدر ما كانت نصوصاً تكشف عطف الآباء على أبنائهم، واهتمامهم برعايتهم، وتربيتهم، والعناية بهم من نواحي متعدّدة"² وعلى ذلك يكاد يكون الأدب العربي حسب رأي هؤلاء الباحثين فارغاً من أدب الطّفولة، وبخاصة شعر الأطفال، فالطّفّل شغل مكانة هامّة على خارطة التّراث الأدبي العربي بشكل صورة أو موضوع، وليس طرفاً متلقٍ للأدب، ولذا يرى الدّارسون أنّ أدبنا العربي خال من أدب الطّفولة إذا ما استثنينا أشعار الترقيص وأغاني المهد التي تدور في معظمها حول: رثاء الأطفال، وهددهتهم وترقيصهم، وبعض الحكايات القصيرة الشّعرية على أسنة الحيوانات.

والحقّ أنّه لا يمكن تتبّع كلّ الموضوعات التي عالجها شعر الهددة والترقيص لأنّه لم ينل عناية الرّواة والمؤلّفين مثل ما ناله الشّعْر عامّة على درب مسيرة العصور الأدبية الطويلة؛ وذلك للعوامل الآتية:

- أنّ الأدب العربي في بدايته نشأ شفويّاً، ويعتمد في طبيعته تلقّيه سماعياً، وذلك يفرض إدراكاً معيّناً، ومستوى من الثّقافة، قد لا تتوافر في أطفال العرب عبر تلك العصور.
- أنّ الذين دوّنوا التّراث العربي مع نهاية عصر الدّولة الأموية، وطوال عصر الدّولة

¹ - أحمد زلط: أدب الأطفال (أصوله-مفاهيمه-رواده) ط2، الشركة العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، 1994، ص:45.

² - العيد جلولي: النصّ الشّعري الموجه للأطفال في الجزائر، ص:18-19.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

العباسية، لم يهتموا بتدوين أدب الأطفال ووجهوا كلّ جهودهم إلى أدب الكبار الذي حظي -ولا يزال- بجهود علماء التدوين واللغة والنقد والبلاغة.

- أنّ الأدب عند انتقاله من المشافهة إلى الكتابة، كانت القراءة محدودة الانتشار، ومتاحة أكثر للكبار دون الصغار إلا المحظوظين¹.

ومع ذلك، هناك كثير من الباحثين أشاروا إلى وجود جذور، لهذا الأدب في تراث الأدب العربي بشقيه المنظوم والمنثور، إلا أنّ "علماء العربية القدامى لم يذكروا صراحة في مؤلفاتهم اللغوية والأدبية أو العامّة ما يشير إلى تعريف محدّد أو مفهوم ما لأدب الطفل شعره أو نثره، على الرّغم من وجود النتاج الأدبي الذي يخاطب عقل الطفل ووجدانه في بطون كتب اللغة والأدب، ولم يضع هؤلاء العلماء من النّقاد أيّة مفاهيم أو تعريفات اصطلاحية لأدب الطفل في إطار شروحهم وتعليقاتهم، وذكرهم للأراء والأحكام البلاغية والنقدية عبر تاريخ الأدب العربي"² وفضلا عن العوامل السابقة فإنّ مردّ ذلك يعود إلى أسباب اجتماعية تمثّلت في تلك الرّواسب التي بقيت من النظرة الجاهلية تجاه الطفل والتي فصلتُ فيها في الفصل الأول من هذا الباب، بالإضافة إلى شيوع ما يسمّى بالمربيّيات في فترة الطفولة المبكّرة "وما صاحب ذلك من قيامهنّ بالدور التّربوي فضلا عن تسليّة الطفل بالغناء له وترقيصه على إيقاع المنظومات الخفيفة أو المآثورات الشعبيّة، وبالتالي عزف الشعراء والنّقاد على الإبداع للطفل بنوع خاص في الأدب الرّسمي، بدرجة ملحوظة أو لأغراض مقصودة؛ لذلك لم تتشكّل لنا المواضعة المصطلحية لديوان الأطفال"³. كما نرى أن المعجم اللّغوي الذي كان يستعمله الشّاعر العربي القديم فوق مستوى الأطفال الإدراكي واللّغوي؛ لأنّه يتميّز بالصّعوبة وفيه الكثير من الألفاظ الوحشية والغريبة، بالإضافة إلى الأغراض الشعريّة التي تناولها الشّاعر القديم والتي في حدود معرفتنا لها تناولت موضوعات المدح والهجاء والغزل والوصف والفخر وغيرها، دون أن تتضمّن الأبعاد التّعليمية والتّربوية والتّهديبية الموجهة مباشرة لوجدان

¹- أنور عبد الحميد موسى: أدب الأطفال... (فنّ المستقبل) ص: 50.

²- أحمد زلط: أدب الأطفال (أصوله-مفاهيمه-رواده) ص: 83.

³- المرجع نفسه، ص: 84.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

الطفل أما تلك المراثي - وإن كانت منظومات شعرية - فهي إبداع عن الطفل وليست إبداعاً للطفل والتي سأنأى عن التمثيل لها في هذا الحيز.

وعلى الرغم من تعدد الآراء في معالجة هذا الموضوع، وفي ضوء ما تقدم سنقف عند جذور ونصوص فنية شعرية، لها في كل حال علاقة بالطفل في تراثنا الأدبي العربي، من مثل الأمهودات، وأغاني الترقيص، والمنظومات القصيرة والأراجيز وبعض المقطعات الشعرية القصيرة، باعتبار شروط أدب الطفل هي من الأنواع التي تدخل دائرة شعر الأطفال.

لقد وصلنا عن العرب في الجاهلية والإسلام عدّة مقطوعات شعرية كانوا يغنون أولادهم بها "وتكشف هذه المقطوعات الفضائل التي كان العربي يحب أن يتحلّى بها والمفاخر التي كان يرنو إلى أن يقوم بها هو وأبناؤه؛ ولذلك نعدّها من الوثائق الهامة التي تمثل آمال المجتمع العربي في عصوره المختلفة"¹ فقد كان من عادة قبائل العرب أنه إذا ولد فيها مولود ذكر "أنت القبائل فهنأت بذلك وصنعت الأطعمة، واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر، كما يصنعن في الأعراس وتتباشر الرجال والولدان؛ لآته حماية لأعراضهم وذبح عن أحسابهم، وتخليد لمآثرهم، وإشادة لذكورهم، وكانوا لا يهنؤون إلاً بغلام يولد أو شاعر ينبع فيهم أو فرس تنتج"² وبلغ بهم الأمر أن ترقص الأم صغيرها الذكر حتى ولو كانت معروفة بإنتاج الحمقى، وما يهّمها سوى أن تنظر إلى عورته لترى علامة ذكورته ولا تبالى إن كان أحمقا، فترقصه بقولها:

ولا أبالي أن أكون مُحَمِّقَة

إذا رأيت خصية معلقَة³

ومما يروى في هذا الموضوع أنّ قابلة البادية قالت لجارية تسمى (سحابة) وقد ضربها المخاض وهي تُطَلِّقُ على يدها وتطلب منها أن تجيء بولد لا ببنت وهو دليل

¹ - حسين نصار: الشعر الشعبي العربي، ط2، منشورات اقرأ، بيروت، 1980، ص: 55.

² - السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر: المزهّر في علوم اللغة وأنواعها (د، ط) ج2، شرحه وضبطه وصحّحه: محمد أحمد جاد المولى، وآخران، المكتبة العصرية، بيروت، 1986، ص: 473.

³ - أحمد عيسى: الغناء للأطفال عند العرب، ص: 54.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

على تفضيل الذكر دون الأنثى:

أَيَا سَحَابٍ طَرَّقِي بِخَيْرٍ وَطَرَّقِي بِخُصِيَّةٍ وَأَيْرِ

وَلَا تُرِينَا طَرَفَ الْبُطَيْرِ¹

1.1- في مدح الأولاد:

وخير فاتحة لذلك ما كانت حليلة السعدية ترقص به رسول الله ﷺ :

يَا رَبِّ إِذَا أُعْطِيَتْهُ فَأَبْقِهِ وَأَعْلِهِ إِلَى الْعَلَا وَأَرْقِهِ

وَأُدْحِضْ أَبَاطِيلَ الْعَدَا بِحَقِّهِ²

وعن حليلة أنها خرجت يوماً في الظهيرة تطلب النبي ﷺ فوجدته مع أخته

من الرضاعة وهي الشيماء وكانت تحضنه، وترقصه بقولها:

هَذَا أَخٌ لِي لَمْ تَلِدْهُ أُمِّي وَلَيْسَ مِنْ نَسْلِ أَبِي وَعَمِّي

فَأَنْمِهِ اللَّهُمَّ فِيمَا تُنْمِي³

ودخل النبي ﷺ على عمه الزبير بن عبد المطلب، وهو صبي فأقعدته في حجره

وقال يرقصه:

مَحَمَّدَ بْنَ عَبْدَمَ عَشْتَ بَعِيثٍ أَنْعَمَ وَدَوْلَةَ وَمَغْنَمَ

فِي فِرْعَ عَزَّ أَسْنَمَ مَكْرَمَ مَعْظَمَ دَاسَ سَجِيْسَ الْأَزْلَمَ⁴

وتتجلى صفة الكرم والعفة، والسعي وراء المجد والوفاء بالوعد في ترقيص الزبير بن

عبد المطلب لأخيه العباس وهو يصفه بقوله:

إِنَّ أَخِي عَبَّاسُ عَفٌّ ذُو كَرَمٍ فِيهِ عَنِ الْعَوْرَاءِ إِنْ قِيلَتْ صَمَمٌ

يَرْتَاخُ لِلْمَجْدِ وَيُوفِي بِالذَّمَمِ وَيَنْحُرُ الْكُومَاءَ فِي الْيَوْمِ الشَّيْمِ⁵

¹ - الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر: الحيوان، ط1، ج5، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر 1943، ص:581.

² - القسطلاني أحمد بن محمد: المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، ط2، تحقيق: صالح أحمد الشامي المكتب الإسلامي بيروت، 2004 ص:153.

³ - أحمد عيسى: الغناء للأطفال عند العرب، ص:01.

⁴ - القالي أبو علي إسماعيل بن القاسم: الأمالي (د، ط) ج2، دار الكتب العلمية، بيروت (د، ت) ص:115.

⁵ - محمد بن حبيب البغدادي: المنمق في أخبار قريش، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1995، ص:350.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

وهذا عنتر بن شدّاد، يخصّ نفسه بالشجاعة والفروسية منذ كان في المهد صبياً يقارع السيوف والرّماح، فمنذ ولادته والسيّف والرمح يؤنسان حياته، حتّى غدا طفلاً ميزته الشجاعة والقوّة، وذلك من أسمى ما كان العربي يسعى أن يربّي عليه ولده، حيث يقول عن صباه:

إِنِّي لَيْتٌ عَبُوسٌ ليس لي في الخلقِ ثاني
خُلِقَ الرُّمْحُ لِكَفِّي والحسامُ الهُنْدُواني
ومعي في المهدِ كَانَا فوقَ صَدْرِي يُؤنِسَانِي¹

ويرسم الزبير بن عبد المطلب صورة لمستقبل أخيه ضرار الذي يصغر العباس وهو لا يزال غصناً صغيراً:

ظَنِّي بِمِيَّاسِ ضَرَارٍ خَيْرُ ظَنُّ أَنْ يَشْتَرِيَ الحَمْدَ وَيُعْلي بِالثَّمَنِ
يَنْحُرُ لِلأَضْيَافِ رِيَّاتُ السَّمَنِ ويضربُ الكَبْشَ إِذَا البَاسَ ارْجَحَنُ²

وعندما دخلت عليه ابنته أم الحكم وهي صغيرة قال فيها:

يا حَبْذا أُمَّ الحِكمِ كَأَنتِها رِيْمٌ أَحْمُ
يا بَعْلُها ما ذا يَشْمُ ساھَمَ فيها فِسمُ³

وفي ذات المقام دخلت الجارية أم مغيث على الزبير وخاطبته: مدحت ولدك وبنيتك، ولم تمدح ابني مغيثاً، فقال عليّ به عجّليه، فجاءت به فقال فيه:

وَإِنْ ظَنِّي بِمَغِيثٍ إِنْ كَبِرَ أَنْ يَسْرِقَ الحَجَّ إِذَا الحَجُّ كَثُرَ
وَيُوقِرَ الأَعْيَارَ مِنْ قَرَفِ الشَّجَرِ وَيَأْمُرُ العَبْدَ بِلَيْلٍ يَعْتَذِرُ

ميراث شيخ عاش دهرًا غيرَ حُرٍ⁴

¹ - الخطيب التبريزي يحيى بن علي الشيباني: شرح ديوان عنتر، ط1، قدّم له ووضع هوامشه وفهارسه: مجيد طراد دار الكتاب العربي، بيروت، 1992، ص: 199.

² - القالي أبو علي إسماعيل بن القاسم: الأمالي، ص: 115.

³ - المرجع نفسه، ص: 116.

⁴ - أحمد عيسى: الغناء للأطفال عند العرب، ص: 26.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

وهذه هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان، تصف ابنها معاوية حين ترقيصها إياه، بأنه طفل كريم ومحبوب في أهله ينأى عن الفواحش واللؤم، وهو الصبور في الشدائد ولا يخيب ظن أهله فيه، فنقول:

إِنَّ بُنْيَ مَعْرُقٍ كَرِيمٍ مُحَبَّبٌ فِي أَهْلِهِ حَلِيمٌ
لَيْسَ بِفَحَّاشٍ وَلَا لئِيمٍ وَلَا بِطُخْرُورٍ وَلَا سَوْؤَمٍ
صَخْرُ بَنِي فَهْرٍ بِهِ زَعِيمٌ لَا يَخْلِفُ الظَّنَّ وَلَا يَخِيمُ¹

وفي عاطفة رقيقة ومشاعر نبيلة تغني امرأة أعرابية ابنها وهي ترقصه، حيث تأخذه إلى صدرها، وتشمه فتجد ريحه كريح الخزامى، وتستعذب العيش به وكأنها الوحيدة التي أنجبت ولدا في بلدها، وتلكم هي غريزة الأمومة:

يَا حَبْدًا رِيحَ الْوَلَدِ رِيحَ الْخَزَامَى فِي الْبَلَدِ
أَهْكَذَا كُلُّ وُلْدٍ أُمٌّ لَمْ يَلِدْ قَبْلِي أَحَدٌ²

ثم إن ضباعة بنت عامر قالت وهي ترقص ابنها المغيرة بن سلمة بن هشام بن المغيرة:

نَمَى بِهِ إِلَى الذَّرَا هِشَامٌ قَرَمٌ وَأَبَاءٌ لَهُ كَرَامٌ
جَحَاجِحٌ خَضَارٌ عِظَامٌ مِنْ آلٍ مَخْرُومٍ هُمْ الْأَعْلَامُ
الْهَامَةُ الْعِلْيَاءُ وَالسَّنَامُ³

ويروى أن أسماء بنت أبي بكر الصديق-رضي الله عنه- وهي ترقص ابنها عبد الله بن الزبير، كانت تقول:

أَبِيضٌ كَالسَّيْفِ الْحَسَامِ الْإِبْرِيْقِ بَيْنَ الْحَوَارِيِّ وَبَيْنَ الصَّدِّيقِ
ظَنِّي بِهِ وَرَبِّ ظَنِّ تَحْفِيْقِ وَاللَّهِ أَهْلُ الْفَضْلِ أَهْلُ التَّدْفِيْقِ
أَنْ يُحْكِمَ الْخُطْبَةَ يُعْيِي الْمَسْلِيْقِ وَيَفْرَجُ الْكُرْبَةَ فِي سَاعِ الضِّيْقِ

¹ - بشير يموت: شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، ط1، المطبعة الأهلية، بيروت، 1934، ص:128.

² - ابن العديم الحلبي كمال الدين عمر بن أحمد: الدراري في ذكر الدراري، ط1، تحقيق: علاء عبد الوهاب محمد، دار الهداية (د، ب) 1994، ص:23.

³ - القالي أبو علي إسماعيل بن القاسم: الأمالي، ص:117.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) أنموذجا

إذا نبتت بالمقلِّ الحماليقِ والخيلُ تعدُّو زِيما بَرازيق¹

وكان رجل من طيِّ يقطع الطَّرِيقَ، فمات وترك طفلا رضيعا عند زوجته فجعلت
ترقِّصه وتقول:

يا ليتَه قد قطع الطَّرِيقَا ولم يردْ في أمره رَفِيقَا
وقد أَخَاف الفجَّ والمضيقَا فقلَّ أن كان به شَفِيقَا²

وهذه أمُّ الفرزدق حين بَشَّرت بأنها ستلد داهية من دواهي العرب، راحت ترقِّصه بعد مولده، وتحكي فتقول:

قَصَصْتُ رُؤْيَايَ على ذاك الرَّجُلِ فقالَ لي قولًا وليتَ لم يقلْ
لَتَلِدَنَّ عَضْلَةً من العَضْلِ ذا منطقٍ جَزَلٍ إذا قالَ فصلْ
مثلَ الحسامِ العَضْبِ ما مسَّ قِصْلُ يعدلُ ذا الميلِ ولَمَّا يعتدلْ
ينهلُ سُمًّا من يعادي ويعلُّ³

وقيل لرجل صف ابنك. فقال: ولدَ النَّاسَ أبناءَ، وولدتَه أبا، يحسن ما أحسن
ولا أحسن ما يحسن، وراح يمدحه ويرقِّصه، ويبثَّ حبَّه إياه في صورة مدحه له، ويدعو
الله أن يحفظه وبحرسه:

يا حبِّذا روحُه وملمسُه أملحُ شيءٍ ظلًّا وأكيسُه
الله يرعاه لي وبحرسُه⁴

وفي ذات الموضوع يقول الحسن البصري الإمام المشهور وهو يرقِّص ابنه:

يا حبِّذا أرواحه ونفسه
وحبِّذا نسمة وملمسه

¹ - ابن ظفر الصَّقلي محمد بن عبد الله: أنباء نجباء الأبناء، ط1، مطبعة التَّقَدِّم، دمشق (د، ت) ص: 85.

² - ابن عبد ربِّه أحمد بن محمد: العقد الفريد (د، ط) ج2، تحقيق مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت (د، ت) ص: 275.

³ - أحمد عيسى: الغناء للأطفال عند العرب، ص: 69.

⁴ - الزَّاعِب الأصبهاني حسين بن محمد: محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، ط1، ج1، دار مكتبة الحياة بيروت (د، ت)، ص: 323.

والله يبقيه لنا ويحرسه

حتى يجرّ ثوبه ويلبسه¹

وفي مضارعة أخرى لأبي حرزة جرير أبيات قالها في ابنه بلالاً وهو يداعبه
وبناغيه، تعدّ نموذجاً في مدح الأبناء، وصدق الأبوة:

لَمْ يَتَنَاسَبْ خَالُهُ وَعَمُّهُ	إِنَّ بِلَالًا لَمْ تَشِينُهُ أُمَّهُ
وَيُذْهِبُ الِهْمُومَ عَنِّي ضَمُّهُ	يَشْفِي الصُّدَاعَ رِيحُهُ وَشَمُّهُ
مَا يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِينَ ذَمُّهُ	يَنْقِي رِيحَ الْمَسْكَ مَسْتَحْمُهُ
بَحْرٌ بِحُورٍ وَاسِعٌ مَجْمُهُ	يُمِضِي الْأُمُورَ وَهُوَ سَامِ هَمُّهُ
فَنَفْسُهُ نَفْسِي وَسَمِّي سَمَّهُ ²	يَفْرَجُ الْأَمْرَ، وَلَا يَغْمُّهُ

2.1- في الدعاء للأولاد:

من الصّعب جدّاً أن تُحصي أغنيات التّرقّيص التي اشتملت على معنى الدّعاء
للأبناء؛ لتناثرها في بطون أمّهات التّراث العربي، ورغم ذلك سنقف على منتخبات منها
ذات علاقة بالطفّل في فترة مهده؛ لتنهينه وتطريبه وتهذيبه واستثارة وجدانه بالصّوت
الحسن الذي يجري في جسمه مجرى الدّم في العروق.

وخير فاتحة لذلك ما روي عن عبد المطّلب من أنّه أخذ رسول الله ﷺ بعد ولادته
إلى الكعبة، فطاف به أسبوعاً، ثمّ قام عند الملتزم وجعل يدعو ويقول:

يا ربّ كلّ طائف وهاجد	وربّ كلّ غائب وشاهد
أدعوك بالليل الطّفوح الرّاكد	لاهمّ فاصرف عنه كيد الكائد
واحطم به كلّ عنود ضاهد	وانشئه يا مخلّد الأوابد

في سوّدد راس وجدّ صاعد³

¹ - نجلاء محمد علي أحمد: أغاني وأناشيد الأطفال، ط1، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2011، ص: 77.

² - جرير بن عطية الخطفي: الديوان (د، ط) دار صادر، بيروت (د، ت) ص: 437.

³ - ابن ظفر الصّقلي محمد بن عبد الله: أنباء نجباء الأبناء، ص: 09.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

وفي رواية أخرى أنّ آمنة لما وضعت رسول الله ﷺ أرسلت إلى عبد المطلّب تخبره أنّه ولد له غلام. فنهض مسروراً، ومعه بنوه حتّى أتاه، فنظر إليه. وبعد سماع كلّ خبره من آمنة؛ أخذها في خرقة، فأدخله الكعبة وقال:

الحمد لله الذي أعطاني هذا الغلام الطيّب الأردان
أعيذه بالبيت ذي الأركان من كلّ ذي بغي وذي شأن
وحاسد مضطرب العنان¹

ومن قبيل دعاء الأم لوليدها قول أم حبيب وهي ترقّص جبيرا بن مطعم وتطلب من ربّها أن يحفظه، ويبارك فيه، ويحميه من السيوف الحاقدة، والوساوس العارضة ومن الأمراض المختلفة، متمنية أن تنزّين به المجالس:

احفظ جبيرا ربّ في السريّة
لا تقعدني مقعدا شقيّة
وباركنْ يا ربّ بنيّة
احفظ جبيرا من سيوف فارس
وجنبنّه عارض الوساوس
واحفظه من كلّ زحير حادس
وزيّننْ ربّ به المجالس²

وفي ذات القبيل ما روي عن صفية بنت عبد المطلّب حين قالت في ترقيصها لعبدالله بن لزيير:

إنّ ابني الأصغر حبّ حنكَلْ
أخافُ أن يعصيني ويبخل
يا ربّ أمتعني ببكري الأوّل
الماجدُ الفيّاضُ والمؤمّل³

¹ - البلاذري أحمد بن يحيى: أنساب الأشراف، ط1، ج1، دار الفكر، بيروت، 1996، ص:89.

² - أحمد أبو السعد: أغاني ترقيص الأطفال عند العرب، ط2، دار العلم للملايين، لبنان، 1982، ص:64-65.

³ - المرجع نفسه، ص:64.

3.1- في المشبه من الأولاد:

كان من سعادة العربي أن يشبه ولده به، أو يشبهه بأحد ذوي المكانة المرموقة حتى قيل: فلان ينظر عن عين أبيه، ويبطش بيديه، فهذا سعيد بن صمصمة حين رزق ولدا سمّاه ميموناً، وكان شديد الشبه به في خلقه فكان يرقصه، وبنوه بقوة هذا الشبه قائلاً:
أحبّ ميمون أشدّ حبّ
أعرف منه شبهي ولبي
ولبه أعرف منه ربي¹

وقد رووا عن أم أبي بكر سلمى بنت صخر حين أرادت فطام ابنها الصديق جعلها الصبر على ثديها، وفطن هو إلى ذلك، وطلب منها غسله، قيل أنّها ضمته إلى صدرها، وقبّلته ورشفتة، وجعلت ترقصه وتقول:
يا ربّ عبد الكعبة
أمتع به يا ربّ
فهو بصخر أشبه²

كما يروى عن جرير أنّه حين كان يرقص ابنه حزره، كان يخاطبه بقوله:
يا حزرَ أشبه منطقي وأجلاد
وكرّاني الأمر بعد الإيراد
وعدوتي في أول الجمع العاد
وحبّي الضيف إلى جنب الزاد³

ومن الأغنيات الحسان في مشابهة الولد لأحد ذوي المكانة المرموقة في الأهل أغنية العباس في ترقيصه ولده فم؛ الذي كان كثير المشابهة برسول الله ﷺ حيث كان يقول:

أيا بني يا فم أيا شبيه ذي الكرم⁴

¹ - الراغب الأصبهاني حسين بن محمد: محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، ص: 324.

² - ابن ظفر الصقلي محمد بن عبد الله: أنباء نجباء الأبناء، ص: 44.

³ - جرير بن عطية الخطفي: الديوان، ص: 110. وينظر: محاسن الأراجيز، ص: 171-172.

⁴ - محمد بن حبيب البغدادي: المحبر، ط1، دار الآفاق الجديدة، بيروت (د، ت) ص: 46.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

وكانت فاطمة بنت رسول الله ﷺ ترقص ولدها الحسن بن علي - رضي عنهما -
وتشبهه بأبيها حين تقول:

وَأَبِي شَبَّهَ النَّبِيَّ لَيْسَ شَبِيهًا بَعْلِي ¹

وفي غير المشبه بأبيه، قال رجل يرقص ولده:
وَاللَّهِ مَا أَشْبَهْتَنِي عَصَامُ لَا خُلُقَ مِنْهُ وَلَا قَوَامُ ²

4.1 - في ترقيص البنات:

لقد شاع عند العرب كرههم للبنات، والأدلة على ذلك واضحة في القرآن الكريم
وأسباب ذلك كثيرة، ومما لم أذكره في ذلك كون عرب الجاهلية كانوا ينظرون إلى البنت
على أنها عالة، وعبء ثقيل؛ لأنها لا تستطيع إعالة نفسها وهي عرضة للسبي، وحتى
زواجها لا فائدة منه؛ لأن إنتاجها من الأولاد هو لغيرهم، حتى وصل بأحدهم حدّ قوله:
بُنُونًا بَنُو أَبْنَائِنَا، وَبِنَاتِنَا بِنُوهُنَّ أَبْنَاءَ الرِّجَالِ الْأَبَاعِدِ

غير أنه لا يخفى علينا أنّ من رجال العرب وبخاصة في الجاهلية من كان يكتفى
باسم بنته والأمثلة في ذلك كثيرة: أبو ليلي المهلهل، أبو أمامة النابغة الذبياني، أبو
الخنساء قيس بن مسعود الشيباني، بل ولعل أشهر ملوكهم كان يسمّى عمرو ابن هند.
وفي بطون أمهات الكتب العربية التراثية كمّ موفور عن بعض الأوضاع الكريمة للبنات
العربيات اللواتي كنّ موضع اعتزاز وفخر وحنان، فقد روي عن معن بن أوس أنّه كان له
ثمانى بنات قال فيهنّ:

رَأَيْتُ رِجَالًا يَكْرَهُونَ بِنَاتِهِمْ وَفِيهِنَّ لَا تَكْذِبُ نِسَاءَ صَوَالِحِ
وَفِيهِنَّ وَالْأَيَّامُ يَعْتَرْنَ بِالْفَتَى عَوَائِدُ لَا يَمْلَنُهُ نَوَائِحُ ³

وفي محبتّهنّ وتفضيلهنّ، اعتبروا البنات حسنات، والبنون نعم، فالحسنات يثاب
عليها والتعم مسؤول عنها، بل إنّه من يمن المرأة أن تلد الأنثى قبل الذكر؛ لأنّ الله

¹ - ابن عبد ربّه أحمد بن محمد: العقد الفريد، ص: 274.

² - أحمد عيسى: الغناء للأطفال عند العرب، ص: 67.

³ - أحمد أبو السعد: أغاني ترقيص الأطفال عند العرب، ص: 95.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

سبحانه وتعالى بدأ في كتابه العزيز بالأنثى قبل الذكر: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
تَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنِشَاءً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ¹ وَمِمَّا يَرُوى فِي ذَلِكَ
أن عمرو بن العاص دخل على معاوية وعنده بنية يلعبها فقال له: انبذها عنك يا أمير
المؤمنين، فوالله إنهن يلدن العداء، ويقرّين البعداء، ويؤدّين الضغائن فقال معاوية: لا
تقل، فما ندب الموتى، ولا تفقد المرضى، ولا أعان على الحزن مثلهنّ، ولدت لأعرابية
بنية فرقصتها بقولها:

وما عليّ أن تكون الجارية	تكنس بيتي وتردّ العاربه؟
تمشط رأسي وتكون الفاليه	وترفع السقط من خماريه
حتى إذا ما بلغت ثمانيه	رديتها ببردة يمانيه
زوّجتها مروان أو معاويه	أصهار صدق للمهور غاليه ²

وما أبداع ما قاله روبة بن العجاج وهو يغني لبنت تدعى ليلي في مجال التّعجب
والاستطابة، متمنياً أن تكون له ولو بشرائها من أبيها:

أيّ قُلُوصٍ رَاكِبٍ تَرَاهَا	سَأَلُوا عَلَيْهِنَّ فَشَلُّ عُلَاهَا
وَأَشَدُّ بَمَثْنَى حَقَبٍ حَقْوَاهَا	نَاجِيَةً وَنَاجِيًا أَبَاهَا
وَاهٍ لِلْيَلَى ثَمَّ وَاهَا وَاهَا	هِيَ الْمُنَى لَوْ أَنَّنَا نَلْنَاهَا
يَا لَيْتَ عَيْنَاهَا لَنَا وَقَاهَا	بِثَمَنِ نُرْضِي بِهِ أَبَاهَا
إِنَّ أَبَاهَا وَأَبَا أَبَاهَا	قَدْ بَلَّغَا فِي الْمَجْدِ غَايَتَاهَا ³

وأنشد أعرابي يزفّن بنته، ويتمنى أن تصبح شابة تدني برقعها إلى عينيها وتتنف
شعر حاجبيها، ويأتيها الخطبة يطلبون الزواج منها، فيراوغهم في هذا المقام ويرفع
من قيمة مهرها:

يَا لَيْتَهَا قَدْ لَبِسَتْ وَصُوصَا	وَعَلَّقَتْ حَاجِبَهَا تَتَمَاصَا
حَتَّى يَجِيئُوا عُصَبًا حِرَاصَا	وَيُرْقِصُوا مِنْ حَوْلِنَا إِرْقَاصَا

¹ - سورة الشورى: الآية:49.

² - الزاغب الأصبهاني حسين بن محمد: محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، ص:325.

³ - روبة بن العجاج: الديوان (د، ط) تصدير: وليم بن الورد البرونسي، دار بن قتيبة، الكويت (د، ت) ص:198.

فيجدوني عكراً حياصاً¹

ويوجد من العرب من يفضل البنت على الولد، فقد رويت حكاية عن أبي نخيلة الشاعر مضمونها أنه تزوج من قريبة له، فولدت له بنتاً، فغمه ذلك، فعمد إلى تطبيقها فعاتبه قومه على فعله، فندم وراجعها، وذات يوم وهو في بيته سمع زوجته ترقص هذه البنت وتلاعبها، فرق قلبه لذلك، فقام إليها وأخذها، وراح ينزّيها بترقيصة كلّها ألم وحرقة:

يا بنت من لم يكن يهوى بنتا
ما كنت إلا خمسة أو ستا
حتّى حلت في الحشى وحتّى
فتتّ قلبي من جوى فانفتتاً
لأنت خير من غلام أنتا
يصبح مخمورا ويمسي سبتاً²

4.1- في الألغاز الشعرية:

اللّغز شكل أدبي شعبي قديم قدم الأسطورة، متجدّد في كل الثقافات المعروفة تنوّعت سياقاته ومستوياته، وتعدّدت ألوان صياغته، في علاقة وثيقة بين الفكرة والأسلوب فهو ليس مجرد أحجية تطرح للتسلية والمتعة، وإنما يحمل اللّغز "الوظيفة الأخلاقية التعليمية شأنه شأن الحكاية القصصية بأنواعها والأساطير والأمثال والوصايا والحكم فاللّغز يمكن أن يحلّ مشكلة، أو ينمي معلومة أو معلومات، ويؤكد على القيم الاجتماعية والأخلاقية في المجتمع"³ فضلا عن ذلك يقوم اللّغز بعصف أذهان الأطفال، وتنمية خيالهم، بأسلوب لغوي بسيط، أثناء فك الرّموز والحلّ، ممّا يحقّق مكاسب النّمو اللغوي والمعرفي عندهم حيث يرتبط في صناعته وحلّه بعدد من الاختصاصات المتقاطعة "ودراسته لا تقف عند المعالجة البلاغية المدرسية، كما أريد لها بمباحثها في التّورية والكناية والاستخدام والتّعريض والجناس وغيرها من الفنون، وإنّما يتجاوز ذلك إلى اللّسانيات ومباحثها في الصّرف والنحو والمعجم والدلالة، ثمّ إلى علم النّفس المعرفي بمباحثه في استقبال المعلومات وترميزها وتخزينها والرّبط بينها واسترجاعها، وبتجارب

¹ - الضبّي المفضّل بن سلمة: الفاخر في الأمثال، ط1، تحقيق: محمد عثمان، دار الكتب العلمية، بيروت، 2011 ص:77.

² - أحمد أبو السعد: أغاني ترقيص الأطفال، ص:52.

³ - أحمد زلط: أدب الطّفولة (أصوله ومفاهيمه) ط4، الشركة العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، 1997، ص:60.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

العلماء مع بنية الذاكرة، وظاهرة النسيان والعمليات المصاحبة لحل المشكلات¹ وكل أولئك يستثيره ويستدعيه فنّ اللّغز، وهي غاية معرفية حرص عليها أدب الطّفّل.

وقد حفل تراثنا العربي بآلاف الألغاز المختلفة، التي عكست في مجملها أنماطاً مختلفة من التّفكير في سبيل الوصول إلى المعرفة، وملء أوقات الفراغ بما هو مفيد إلا أنّ أكثرها لم يدوّن، وما حظي منها بالتّدوين اتّسم باللّغة التعبيرية والتصويرية، وقوّة القدرة التخيلية، والأفكار العميقة؛ ممّا يحقّق الإحساس بجمال اللّغة، والذي نقتطف منه ما يناسب مراحل الطّفولة المختلفة ضمن أقوالهم:

- في قوس قزح:

ماذا ترى يا بن الكرامة في قوس بلا سهم ولا وتر
تلقاه في بعض النّار ولا يبقى له في اللّيل من أثر²

- في الموز:

ما اسم شيء حسن شكله تلقاه عند النّاس موزونا
تراه معدوداً فإن زدته واواً ونوناً صار موزونا³

- في الضرس:

وصاحب لا أمل الدهر صُحبتُهُ يشقى لنفعي ويسعى سعياً مجتهد
لم ألقه مذ تصاحبنا، فمذ وقعت عيني عليه افترقنا فرقة الأبد⁴

- في البيضة:

ومولودة لا روح فيها وإنّها لتقبل نفخ الرّوح بعد ولادتها
إذا جمعت فالنقص يعرف حروفها ولكنّها تزداد عند انفرادها⁵

¹ - إلهام عبد الوهاب المفتي: صناعة اللغز المنظوم في الأدب العربي، مجلّة جامعة أم القرى لعلوم اللّغة وآدابها العدد: 11، نوفمبر 2013، ص: 120.

² - عبد الحي كمال: الأحاجي والألغاز الأدبية، ط2، نادي الطائف الأدبي السّعودية، 1401هـ، ص: 229.

³ - أحمد زلط: أدب الطّفولة (أصوله ومفاهيمه) ص: 61.

⁴ - يحي بن حمزة العلوي اليميني: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، مراجعة: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995، ص: 430.

⁵ - عبد الحي كمال: الأحاجي والألغاز الأدبية، ص: 138.

- في اللّغز وحلّه:

لي حبيب لا أسميه
له من نرجس حرف
ومن نفاح ثالثه
فهذا اسم من أهوى
ظريف في معانيه
ومن نعناع ثانيه
ومن ريحان باقيه
فهل فيكم من يسميه
فكان الجواب:

له من نرجس جيم
وفا نفاح ثالثه
فهذا جعفر فادعوا
ومن نعناع ثانيه
ورا ريحان باقيه
لناظمه وناشيه¹

فهذه صورة تراثية قصيرة جداً لشعر الأطفال في تراثنا العربي، في شكل شواهد شعرية متنوعة تنبئ عن جذور أدبيات شعر الأطفال في أغراض مختلفة ومنظومات قصيرة حرص فيها قائلوها على الانسجام والإيقاع لأهميتهما في تطريب الطّف وهددته وترقيصه، وترفينه، وتدليله.

2- شعر الأطفال في الأدب العربي الحديث:

استناداً لما سبق من هذا الفصل يمكن القول إنّ أدب الأطفال عامة، وشعر الأطفال خاصة عرف طريقه إلى الأدب العربي منذ عصر الجاهلية لوجود الإرهاصات المذكورة وإن كان لا يمثل تياراً واضحاً أو ظاهرة فنيّة، حيث كانت الحكايات الشعبية تروى في الخيام العربية للصغار والكبار على حدّ سواء؛ وكانت مضامينها حول الشّجاعة والفروسية، وحروب السّنوات الطّوال؛ وهي في عمومها تهدف إلى تعزيز السلوك القبلي والتّعصّب للقبيلة، وبظهور الإسلام "ظهرت القصّة الدينية، وكانت أخبار النّبي ﷺ وأعماله، وأخبار أصحابه مادة خصبة تستمدّ منها الأمّهات الحكايات لأطفالهنّ، ثمّ كانت الفتوحات الإسلامية عاملاً في ظهور عدد من القصّاصين أمثال (تميم الدّاري) وفي العصر الأموي استخدم القصص كوسيلة لنشر الدّعوة السياسيّة في المساجد وغيرها

¹ - عبد الحي كمال: الأحاجي والألغاز الأدبية، ص: 257-258.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

وكانت أغراضها دينية وتاريخية وسياسية¹ وباختلاط العرب المسلمين بالأعاجم على عهد العصر العباسي، امتزجت الثقافة الإسلامية بالثقافات المجاورة والوافدة، كالثقافة الفارسية واليونانية، ودخلت الجوّاري إلى القصور والبيوت العربية، وامتحن التّربية للأطفال، فكّن يحكين القصص للأطفال، ممّا أدّى إلى إدخال الكثير من قصص الشّعوب إلى الثقافة العربية عن طريق التّرجمة على غرار (كلية ودمنة) وكتاب (ألف ليلة ويلة) وبزوغ نوع من الخيال العربي؛ الذي أدّى إلى ظهور قصص مشابهة لتلك المترجمة كقصّة (سيف بن ذي يزن) وقصّة (عنتر بن شدّاد)² التي لا تزال تحكى أطوارها إلى حد اليوم، وإن كانت هذه القصص لم توضع في أصلها للأطفال، فقد أصبحت على أيّامنا من أغنى المصادر في أدب الأطفال، وبخاصة الشّعور.

وبحلول العصر الحديث على إثر ظهور أدب الأطفال في أوروبا، وفرنسا بشكل خاص "أخذ أدب الأطفال في البلاد العربية في الظهور، وكان في بدايته صورة مقتبسة أو معدّلة عمّا عرف في أوروبا، وكان لترجمة بعض القصص والحكايات على يد رفاة الطّهطاوي أثر كبير في ازدهار أدب الأطفال في العالم العربي بعامّة، ومصر بخاصة"³ ممّا أدّى إلى نشر ثقافة الأطفال، وتدرّيس أدبهم في المؤسسات التّعليمية بمختلف أطوارها، لذلك يعدّ الدّارسون انتشار التّعليم من أبرز العوامل في نشوء أدب الأطفال في الأدب العربي الحديث "فقد ظهر الطّفّل من خلال التّعليم، وكانت الحاجات المدرسية أكثر إلحاحاً من أن تنتظر تطوّر أدب الأطفال؛ لهذا السّبب بدأ المربّون يسدّون الثّغرة في الكتابة للأطفال وقد كانت لهم محاولاتهم الجادّة لتلبية حاجات الطّفّل فيما يعتقدونه صواباً في حقلي الشّعور والنثر"⁴ فضلاً عن عقد النّدوات والمؤتمرات حول أدب الطّفّل بمختلف فنونه، وظهور الوسائط المتخصّصة الموجهة للأطفال كالكتب والمجلات ووسائل الاتّصال الحديثة.

¹ - ربحي مصطفى عليان: أدب الأطفال، ط1، دار صفاء، الأردن، 2014، ص:310.

² - أحمد عبده عوض: أدب الأطفال العربي، ط1، الشامي للنشر، مصر، 2000، ص:33.

³ - سمير عبد الوهاب أحمد: أدب الأطفال (قراءات نظرية ونماذج تطبيقية) ص:77.

⁴ - أحمد مبارك سالم: أدب الطّفّل المسلم (خصوصية التخطيط والابداع) سلسلة روافد، الإصدار:76، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، 2014، ص:62.

1.2 - في مصر:

مع انبعاث النهضة المصرية، على يد محمد علي باشا (1769-1848م) مؤسس مصر الحديثة، ومحقق وحدتها الكيانية، كان للأدب نصيب من الازدهار والتطور، حيث بدأ أدب الأطفال يأخذ طريقه إلى التوسع والانتشار، بعد عودة البعثات العلمية التي أرسلها هذا الرجل إلى أوربًا وبخاصة فرنسا، أين استفاد من خبراتهم وما اطلعوا عليه من مصادر الأدب الأوروبي، فيأتي رفاة الطهطاوي (1801-1873م) "كأول من اهتم بأدب الأطفال خاصة في أهميته التعليمية حيث كان مسؤولاً عن التعليم في مصر بعد عودته من فرنسا، فأمر بترجمة كتب الأطفال الأجنبية؛ ليقرأها الأطفال المصريون وأدخل قصصاً مثل: (عقلة الصباغ) و(حكايات الأطفال) إلى مناهج التعليم في المدرسة الابتدائية"¹ ولمجلة (روضة المدارس المصرية) التي صدر العدد الأول منها في 16 صفحة بتاريخ 17 أبريل سنة 1870، والتي ترأس تحريرها بنفسه فضل في إثارة الاهتمام بأدب الأطفال، حيث كانت توزع بالمجان على تلاميذ المدارس لقراءتها والاطلاع على محتوياتها، من قصة وشعر ومسرحية.

لقد كانت المجلة معرضاً لأقلام كبار الكتاب من أمثال: رفاة الطهطاوي رئيس تحريرها، علي رفاة الطهطاوي، علي مبارك، صالح مجدي، عبدالله فكري، حسين المرصفي، محمد عثمان جلال، وغيرهم كثير، "فكانت مجلة (روضة المدارس المصرية) أول رافد ثقافي غذى مسار أدب الأطفال في إطار انبثاقه الأولي في مصر... بما نشرته لتلاميذ المدارس مع أساتذتهم وكوكبة الأدباء فوق صفحات تلك المجلة الرائدة من كتابات تربوية، ونصوص أدبية للناشئين"² وعلى ذلك ذهب البعض إلى اعتبار تاريخ صدور هذه المجلة بداية التاريخ لميلاد أدب الطفولة في مصر، بينما رجح البعض الآخر سنة 1875 كبداية لنشأة أدب الطفل في الأدب العربي الحديث، وهو تاريخ إصدار رفاة الطهطاوي لكتابه (المرشد الأمين في تربية البنات والبنين) الذي نشره فصولاً على صفحات المجلة السابقة، وبما أن السبق للنشر هو المجلة، فإنها تعتبر أول شمعة

¹ - نجلاء محمد علي أحمد: أدب الأطفال، ص: 22-23.

² - أحمد زلط: أدب الطفولة بين كامل كيلاني و محمد الهراوي (د، ط) دار المعارف، القاهرة، 1994، ص: 14.

في وسائط أدب الأطفال.

لقد نسبت الريادة الحقيقية لأدب الأطفال في مصر لمحمد عثمان جلال (1828-1898م) من خلال كتابه الموسوم بـ: (العيون اليواقظ في الأمثال والمواعظ) الذي يعدّ "أول محاولة عربية تعبد الطّريق أمام الكتاب لإرساء دعائم أدب الطّفولة، وهي محاولة تسبق محاولة أحمد شوقي بسنوات طويلة ولقد ارتكزت الريادة الزّمنية لمحمد عثمان جلال في التّوقّر على الترجمة والاقتباس من اللّغة الفرنسية بإعادة نقل حكايات الشاعر الفرنسي لافونتين (Lafontaine 1621-1695م) الخرافية إلى اللغة العربية"¹ في مائتي حكاية على لسان الحيوان والطّير، تنتهي كل واحدة منها بعظة، أو حكمة أو مثل وفي بضع منها على لسان البشر، مبنية على أساس فني يتلاءم في معظمه مع خصائص شعر الطّفولة، وقد كان لهذا الكتاب "تأثير كبير لأدب الطّفّل في عصرنا الحاضر، ولا يكاد يخلو كتاب من كتب الأطفال من قصّة مأخوذة منه بنصّها، أو محرّفة بعض التّحريف أو منثورة... وعلى منواله نسج شوقي كثيراً من القصص الرّمزية، أو قصص الحيوان"².

نقتطف من هذا الكتاب الحكاية السّادسة عشرة، وهي حكاية شعرية قصيرة من الأدب الوعظي التّهذيبي والتّعليمي المفيد للأطفال، حيث صاغها الشّاعر على شكل نصيحة في قالب قصصي، وختمها بحكمة استرّفدها من التّراث الشّعري العربي، وسمّاها (في الغلام والثعبان والتلج) تتلاءم هذه الحكاية مع مرحلة الطّفولة الثّانية، باستنارة خيالهم:

حكوا أنّ ثعبانا تتلج في الشّتا	فمرّ غلام واستعدّ لنقله
وجاء به يسعى إلى الدّار طائشا	فأدفاه فانظر لقلّة عقله
فلما أحسّ الوحش بالنّار والدّفا	وساحت سموم الموت في الجسم كلّه
وفتح عينيه وحرك رأسه	وعلى الولد المسكين يبغي لقتله
أتاه أبوه عاجلا قط رأسه	وداس عليه في الحضير بنعله

¹ - أحمد زلط: أدب الأطفال بين أحمد شوقي وعثمان جلال، ط1، دار النّشر للجامعات المصريّة، مصر، 1994 ص:19-20.

² - عمر الدسوقي: في الأدب الحديث، ط1، دار الفكر العربي، مصر، 2000، ص:105.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

وقال: بني احذر غيباً لقبته ولا تصنع المعروف في غير أهله¹

ثم يأتي من بعده الشاعر عبد الله فريج (... - 1905م) وهو شاعر مجهول الولادة وصعب البحث عن أخباره، وما يهمننا من أمره ديوانه الموسوم بـ: (نظم الجمان في أمثال لقمان) والذي يعدّ شعراً رمزياً يقدم قصصاً على أسنة الحيوان، وتكمن أهميته " في أنه خطوة مكتملة لديوان (العيون اليواقظ في المثل والمواعظ) لمحمد عثمان جلال. كما أنه من جهة أخرى خطوة ممهّدة لشعر أحمد شوقي في الحيوان، بيد أنّ عبد الله فريج يختلف عن سابقه ولاحقه؛ لأنه لم يترجم عن شعراء فرنسيين أمثال لافونتين أو لامارتين، وإنما نقل قصصه عن أصول عربية، سواء كانت كليلة ودمنة، أو غيرها من كتب الحيوان للدميري أو غيره...² ويقع كتاب (نظم الجمان في أمثال لقمان) الذي صدر سنة 1893 في تسع وأربعين حكاية في موضوعات شتى، تكمن قيمتها الفنية في كون المؤلف كان حريصاً على أن يناسب النصّ الشعري القصصي من ألف له، وهم تلاميذ المدارس الابتدائية، نقتطف منه على سبيل المثال المقطع الأول من قصيدة (غزال وصياد):

عطش الغزال في الصّحاري	إذ لم يكن هناك ماء جاري
فيممّ الأرياف في ذي الغابه	ثمّ اهتدى إلى الماء بعنايه
ورام يشفي غلّة الظماء	وقد رأى خياله في الماء
فسرّ غيا قلبُ ذا المفتون	مبتهاجا بعظم القرون
وساءه رؤيته القوائماً	دقيقة فظلّ يبكي هائماً
وإذا بصياد عليه أقبلا	ففرّ منه هاربا مستعجلا
وقد نجا منه على الحقيقه	بسرعة القوائم الدقيقه
ثمّ ترنّم بما قال المثل	لربّما صحّت الأجسام بالعلل ³

ثمّ جاء الشاعر إبراهيم العرب (...-1927م) ليصدر سنة 1911 كتابه (آداب العرب) وهو عبارة عن منظومات شعرية متنوّعة للأطفال، يبلغ عددها مائة منظومة

¹ - محمد عثمان جلال: العيون اليواقظ في الأمثال والمواعظ، ط1، مطبعة النيل، مصر، 1906، ص: 18-19.

² - طه وادي: الشعر والشعراء المجهولون في القرن التاسع عشر، ط1، دار نوبار للطباعة، القاهرة، 2002، ص: 84.

³ - المرجع نفسه، ص: 76-77.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

على أسنة الحيوان والطير، والنبات، في أسلوب شعري قصصي نقتطف منه العظة الحادية عشرة، (الحَمَلُ والذَّئْبُ والليث):

حَمَلٌ أَبْصَرَ ذَنْبًا فِي الْفِلا	ورأى الشَّرَّ بَدَا مِنْ مُقْلِهِ
فَاعْتَرَتْهُ رَجْفَةٌ مِنْ خَوْفِهِ	وَتَمَشَّى حَائِرًا فِي خَبْلِهِ
فَاحْتَمَى بِاللَّيْثِ كِي يَحْفَظَهُ	ورأى فِي اللَّيْثِ أَقْصَى أَمْلِهِ
فَأَتَاهُ الْحَتْفُ مِنْ مَأْمَلِهِ	وَانْقَضَى مَا يِرْتَجِي مِنْ أَجْلِهِ
رُبَّ مَنْ تَرَجُّو بِهِ دَفْعَ الْأَذَى	عَنْكَ يَا تَيْكَ الْأَذَى مِنْ قِبَلِهِ ¹

ومع بدايات القرن العشرين يدخل أدب الطفل في مصر مرحلة التأسيس وهي مرحلة جديدة قادها أمير الشعراء أحمد شوقي (1870 - 1932م) بعد عودته من فرنسا حيث دعا إلى إرساء قواعد أدب الطفولة، "ولم تقف دعوة أحمد شوقي لإنشاء أدب الطفولة عند حدود المبادرة لإرساء دعائم أدب للطفل العربي يماثل أدب الطفل الغربي بل أودع الجزء الرابع من ديوانه (الشوقيات) القديمة، العديد من المنظومات الشعرية التي قصد بها الطفل عنه أو له..."² حيث كان يأمل في سبيل ذلك إلى تحقيق الغايات الأخلاقية، والتعليمية والتربوية، والجمالية من خلال ما قدّم من ألوان شعرية حيث يقول: ".. أتمنى لو وقّني الله لأجعل للأطفال المصريين - مثلما فعل الشعراء للأطفال في البلاد المتمدّنة - منظومات قريبة المتناول، يأخذون الحكمة والأدب من خلالها على قدر عقولهم"³ غير أنّ حكايات شوقي على أسنة الحيوان، وأناشيده للأطفال لم تتجاوز في مجملها سنتين منظومة شعرية بما فيها ما كتبه عن الطفل، نقتطف منه مقطعا من قصيدة (المدرسة) :

أنا المدرسة اجعلني	كأَمْ، لا تملُ عَنِّي
ولا تفرغ كماخوذ	من البيت إلى السّجن
كأنّي وجه صياد	وأنت الطير في الغصن
ولابدّ لك اليوم	والّا - فغدا - منّي

¹ - إبراهيم العرب: آداب العرب، ط2، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1913، المقدمة، ص:15.

² - أحمد زلط: أدب الأطفال بين أحمد شوقي وعثمان جلال، ص:102.

³ - المرجع نفسه، ص:08.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

أو استغن عن العقل
أنا المصباح للفكر
أنا الباب إلى المجد
غدا ترتع في حوشي
وألقاك بإخوان
تأديهم بيًا فكري
وآباء أحبوك
إذن عني تستغني
أنا المصباح للذهن
تعال ادخل على اليمن
ولا تشبع من صحتي
يدانوك في السنّ
ويا شوقي، ويا حسني
وما أنت لهم بابن¹

ثمّ يأتي محمد الهراوي (1885-1939م) في بداية العقد الثالث من القرن الماضي، ليقود مرحلة جديدة؛ هي مرحلة التأليف المستقل، والتنوّع الفنّي في شعر الأطفال، حيث أخذ نفسه في جدّ وإخلاص بمعاناة الكتابة لناشئة الجيل، ونابئة المستقبل حيث يعدّ ديوانه (سمير الأطفال) الذي صدر جزؤه الأول سنة 1922 "أقدم نتاج شعري للطفولة في العصر الحديث في مصر من حيث التخصّص الفنّي؛ ونعني به التوجه المباشر بمادّته ومضمونه في ديوان مستقل للطفل العربي، وهي المحاولة الرائدة الأولى في الأدب العربي الحديث؛ للكتابة الشعرية لجمهورية الطفولة، وهي محاولة قامت على الابتكار لسدّ حاجات الطفولة اللغوية، والوجدانية بمراحلها العمرية المختلفة، ولم تقم في أساسها على الترجمة الأجنبية"² وله عدد كبير من المطبوعات الشعرية الموجهة للأطفال تتنوع بين الأغاني والأناشيد والشعر التعليمي والتمثيلات نذكر منها: (سمير الأطفال للبنين) ثلاثة أجزاء (سمير الأطفال للبنات) ثلاثة أجزاء (سمير الأطفال) وكلّها صدرت سنة 1922، وعدد من التمثيلات الشعرية صدرت سنة 1926 وكتاب (السمير الصّغير) الذي خصّصه لأطفال الرّوضة، وديوان (ألف باء) الذي طبع في أخريات حياته سنة 1937 وغير هذه المؤلفات التي تركها مخطوطة بعد وفاته. ونقتطف من السّمير الصّغير أغنية (الكتاب) ذات الهدف التّعليمي، والتي توائم في نظمها ولغتها مرحلة الطفولة الأولى بخيالها المحدود:

أنا فتى ذو أدب
أقرأ خير الكتب

¹ - أحمد شوقي: الشّوقيات، ط1، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012، ص:908.

² - أحمد زلط: أدب الطفولة بين كامل كيلاني ومحمد الهراوي، ص:46.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

إن غابت الأصحاب	فصاحبي الكتاب
فيه حديث السمر	مزينا بالصور
أسأله يجيبني	عن كل ما يريني
يلو به البيان	وماله لسان
كم قص لي حكاية	لطيفة للغاية
يروى لي الأشعارا	والأدب المختارا
فالعلم في السطور	يسري إلى الصدور ¹

وإذا كان محمد الهراوي هو رائد شعر الطفولة في القرن العشرين فإنّ كامل الكيلاني (1898-1959م) يوصف بالأب الشرعي لأدب الطفولة عامة، وزعيم الكاتبين للناشئة في البلاد العربية كلها،² حيث اعتمد في ذلك منهجاً متميزاً وأسلوباً عبقرياً في كتابته لأدب الأطفال، مستعملاً اللغة الفصحى لربط الحاضر بالذات العربية التاريخية، ومزج بين الأساس التربوي التعليمي، والأساس المعرفي، إذ كانت أعماله للأطفال فسيفساء أشرك فيها ثقافات عديدة، وسلك فيها مسلك الرحالة "إذ اعتبر العالم الأسطوري مورداً عذبا لاجتذاب عقلية النشء الغضة، وإمدادها بما يملأها أنسا وانشراحا وجديده أنه لم يقتصر على الأساطير الغربية في اللغات القديمة أو الحديثة... بل إنّه شقّ أفقا جديدا، ليصيب مراما بعيدا، إذ توغّل في إفريقية كما يتوغّل الرحالة، لیتصيد الأفكار والصّور؛ التي تحفل بها الأساطير الإفريقية، وصنّيعه هذا يعتبر مسلکا جديدا، لم يسبقه إليه سابق في اللغة العربية لعالم الأطفال"³ أراد من خلالها تنمية التذوق الفني، والإلمام المعرفي عند الأطفال، وتوجيههم إلى الصفات النبيلة، والخصال الحميدة، والسلوك الحسن بطريقة ضمنية؛ حتى يبتعد بهم عن مظاهر الوعظ.

لم يترك كامل الكيلاني ديوانا شعريا كبيرا خاصا بالأطفال يشتمل على أشعاره وإنّما أثبت شعره قصدا داخل السياق القصصي، أو داخل الإنتاج ضمن ما سمّاه (محفوظات)

¹ - أحمد زلط: أدب الطفولة بين كامل كيلاني ومحمد الهراوي، ص: 51-52.

² - أحمد عبده عوض: أدب الأطفال العربي، ص: 51.

³ - كامل الكيلاني: أساطير إفريقية، ط1، دار مكتبة الأطفال، القاهرة، 2002، ص: المقدّمة لـ (محمد شوقي أمين).

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

"فهو لم يكتب مقطوعاته الشعرية للأطفال ليستعرض قدرته في النظم، أو ليؤكد بها شاعريته؛ وإنما وظف مقطوعاته ليسد حاجة الطفل العربي ويحببه في لغته، ويتدرج به تبعاً لعمره. يغذي ميوله وطموحه، وينمي قدراته وملكاتة، مثلما سار مع الطفل في فنّ الحكايات القصصية"¹ وقد تمّ جمع تلك المحفوظات وضُمّت إلى بعضها في ديوان خاص باسمه سُمّي (ديوان كامل الكيلاني للأطفال) يقع في خمس وأربعين مقطوعة أكثرها على لسان الحيوان نفتطف هذه المقطوعة كأنموذج من شعره للأطفال (تعاون الحيوان):

سُعدوا، وطاب لهم مقام	جمع من الحيوان قد
ل، وأتقنوا طبخ الطّعام	قد رتّبوا البيت الجميد
ة، بكلّ جدّ واهتمام	متعاونين على الحيا
ب، وأدركوا أقصى المرام	قد ذلّلوا كلّ الصّعاب
دّ، وابتساماً بابتسام	وتبادلوا وُدّاً بـو
هم، احتراماً باحترام	وتبادلوا من فرط حبّ
بهم، فعاشوا في وئام	قد أخلصوا وصفتّ قُلُو
نسان، إلّا في الكلام ²	في كلّ شيء قلّدوا الإ

ثمّ تواصل الاهتمام بأدب الطّفل بين رجال التربية الحديثة في مصر انطلاقاً من العقد الرّابع من القرن الماضي، بعد أن مهّد له كوكبة الشعراء والأدباء السّابق ذكرهم فكتب علي فكري (1879-1953م) عدداً من الكتب التي ضمّت نماذج شعرية مبكرة في مصنفات عدّة منها: (السّمير المهذب) في أربعة أجزاء، (النّصح المبين في محفوظات البنين) و(النّصح المبين في تربية البنين) و(مسامرات البنات) التي ساهمت في إثراء ميدان أدب الطفل الحديث. وكان لمجلة أبولو دور كبير في نشر تجارب كثيرة في شعر الأطفال، لمجموعة من الكتاب نذكر منهم: علي عبد الحفيظ وقصيدته (الطائر) الصّاوي محمد شعلان وقصيدته (بين شاعر وطائر) وأحمد زكي أبو شادي ونموذج (العصفور) عبد العزيز عتيق وقصيدته (العيد) ومحمد أبو الوفاء وحكايته الشعرية (ريش الطاووس)

¹ - أحمد زلط: أدب الطّفولة بين كامل كيلاني ومحمد الهراوي، ص: 51-52.

² - كامل كيلاني: ديوان الأطفال (د، ط) موقع صفحات، القاهرة، 2011، ص: 43.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

إبراهيم ناجي ونشيدته (نشيد الطالبة) أحمد رامي وقصائده الغنائية (أمي، حفيدتي، الطالب) وهي محاولات لم تتخذ شكلها الدائم، دون أن ننسى الكاتب والمفكر والنقاد التحديثي سيد قطب فله شعر ضمن اهتمامات شعر الأطفال نقتطف منه مقطعا من رائعته الإنشادية (الوادي المقدس):

على ضفاف الخلود	وفي شعاب الزمن
والدّهر يحبو وليد	قد كان هذا الوطن
يا فجر من ذا رآك	تجول تلك السّماء
وليس حيّ سواك	تهدي إليه الضّياء
رأتك تلك الضّفاف	رأتك تلك البُرور
رأتك قبل المطاف	وأنت طفل غرير
وشبت والدّهر شاب	وحنّك الحياه
والنّيل بادي الشّباب	والزّهر يقفو خطاه ¹

كما ظهر للمرأة المصرية أثر في ذلك فكتبت جليلة رضا مجموعة قصصية مترجمة عن الفرنسية شعرا منها: (أغنية إلى طائر) و (الزهرة والفراشة) وروحية القليني في قصيدتها (إلى ولدي) ثم توالى الإنتاج الأدبي للأطفال في سبعينيات القرن الماضي بشكل متواصل لا يمكن التوسع فيه في هذه المساحة إلا من قبيل الحصر: أحمد الحوتي أحمد سويلم، محمد الشافعي، أحمد زرزور، أنس داود في المسرح الشعري، عبد التّواب يوسف، وسمير عبد الباقي في مسرحياته الشعريّة المسرحية التي مزج فيها النثر بالشعر دون أن ننسى الكثير ممّن اشتغلوا بأدب الطّفل تنظيرا، ونقدا، بتقديمهم دراسات نظرية وتطبيقية حول شعر الأطفال في مصر والعالم العربي من أمثال: أحمد زلط، أحمد نجيب فوزي عيسى، إسماعيل عبد الفتّاح، هدى قناوي، سمير عبدالوهاب وأسماء أخرى كثيرة لا يتسع المجال لذكرها.

¹ - سيد قطب: الدّيون، ط1، جمعه: عبد الباقي محمد حسين، دار الوفاء، مصر، 1989، ص:247.

2.2- في سوريا:

لقد تعرّضت التجربة السورية في شعر الطفولة لبعض التّجاهل محلياً وعربياً على الرّغم من كثرة النتاج في هذا المجال، والانفتاح المبكّر لهذا البلد النّامي على العالم بصورة مبكّرة؛ مما فتح الباب على انتشار التّعليم ونشاط حركة التّرجمة والتأليف. حيث اهتمّ عدد كبير من الكتّاب والشّعراء في سوريا بكتابة أدب الطّفل، وقد نسبت الرّيادة في ذلك للشاعر رزق الله حسون (1825-1880م) صديق الأمير عبد القادر الجزائري عبر كتابه الرّائد والفريد (النّفثات) الذي صدر في لندن سنة 1867، ويقع النّفثات في واحد وثلاثين مقطوعة بين الشّعْر والنثر أكثرها على لسان الحيوان، ومعظمها من النظم الطّويل، نقتطف منها مقطعا من قصيدة (صيد الأسد) التي يقول فيها:

ليث وذئب وثعلب	وكلبٌ صيد مجرّب
تشاركوا باتّفاق	في الصّيد من كلّ ما دبّ
وأن يكونوا جميعا	والكلّ يسعى ويتعب
تشاركوا بالتساوي	قسماً بعقد مرثب
فراح أول يوم	تُعالة اصطاد أرنب
دعا الرّفاق إليه	وبالشّرط تدرب
ليقسموه رباعاً	بينهم سدّ مسغب ¹

وبمجيئ جرجس شلحت (1856-1938م) تقدّمت التجربة الشعرية للأطفال في سوريا عبر كتابه (النّخبة من أمثال فنلون) وهو ترجمة شعرية لحكايات الشاعر الفرنسي (فنلون) التي نُقلت شعراً ونثراً في خمس حكايات نثرية، وسبع مقطوعات شعرية ومن أجواء ذلك الكتاب هذه الابيات من حكاية (ثعلبان) وفيه قدرة بارزة على القص والحوار والتشويق:

اثنان من ثعالب البيداء	تصاحباً للصيد في الصحراء
فواحد كان كبير السن	وقد غدا أديمه كالشّن
وهو شديد البخل لكن يدعي	مع ذاك حكمة الحريص الالمعي

¹ - رزق الله حسون: النّفثات، ط1، دار طباعة استفان أوستن، لندن، 1867، ص:55.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

تسللا إلى بيوت القرية فحنقا بعض الدجاج خفيه
وبعد ذلك انتشب اللجاج بينهما واحتدم الحجاج¹

ثم يأتي جميل سلطان (1909-1980م) ليضع اللبنات الأولى لشعر الأطفال الحقيقي في سوريا من خلال الأفكار الطفولية، والنصوص السهلة المشبعة بالقيم الإيجابية، غير أن رحلة البحث في شعره للأطفال صعبة جداً لتناثر نتاجه بين دفات الكتب المدرسية دون وجود ديوان جامع لها. ونقتطف من إنتاجه الغزير قصيدة لافتة للنظر اعتمد فيها البساطة في فكرتها، وشكلها ولغتها يتكلم فيها عن أحب ما في الوجود إلى الطفل وهي (الأم) حيث يقول:

حنت عليّ بمهدي وقد رعنتي صغيرا
وحملت في سبيلي من العذاب مريرا
وغاية القلب منها بأن أرى مسرورا
فلست أنكر شيئا منها ولست كفورا
ولن ترى في صفاتي مشاكسا أو عسيرا
وسوف أبغي رضاها طفلا وشيخا كبيرا
وليس تسمع إلا حمدا لها وشكورا²

أما الشاعر المسرحي والقصصي عبدالكريم الحيدري (1910-1986م) فقد نشر كتابه (حديقة الأشعار المدرسية)³ سنة 1937، فجاءت أناشيد هذا الكتاب موزعة بين موضوعات تصوّر عالم الأطفال والناشئة، وتنتهج نهج الكتابة للطفل لذلك عدّ الرائد الحقيقي لشعر الأطفال في سوريا حسب رأي بعض الباحثين.

وتبرز أديبة سورية شبه مجهولة أصدرت أول ديوان شعر للأطفال سنة 1932 وهي جسماني شقرا (....-1948) يحمل عنوان (روضة الأطفال) ويقع في أربعين صفحة، مطبوع في لبنان، وهذا الكتاب أشبه ما يكون بالمجموعات الشعرية المكتوبة

¹ - بيان الصّدي: شعر الأطفال في الوطن العربي (دراسة تاريخية نقدية) وزارة الثقافة، دمشق، 2008، ص:143.

² - المرجع نفسه، ص:151-152.

³ - محمود حسن إسماعيل: المرجع في أدب الطفل، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، 2004، ص:44.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) أنموذجا

للطفل الآن من ناحية الموضوعات كالحديث عن الكتاب أو المدرسة أو الأسرة، وخاضعا للشروط الشكلية التي تتعلق باللّغة والوزن.

ثمّ أصدر كلّ من جميل سلطان الأنف الذكر، وأخيه أنور سلطان وعبد الرحمن السفرجلاني سنة 1937، عملا مشتركا أسموه (الاستظهار المصور في أدب البنين والبنات). وضمّ عددا من القصائد تحت عنوان: القلم والأرنب، النحل، العمّال الصّغار، والهزّة النّظيفة وغيرها "وقد سلكوا فيه منهج الشاعر المصري محمد الهراوي وجاء الكتاب في حلقتين لا يزيد عدد صفحات كلّ حلقة عن ثلاثين صفحة، وقد طغى على موضوعاتها الطّابع الوعظي التّعليمي"¹.

ثمّ أصدر المرّي نصرّة سعيد، مجموعة مسرحيات شعرية مدرسية، وديوان (شموع الكهف) وديوان (أغاني الطّفولة) سنة 1945، وقد توفّر في هذا الأخير خصائص فنيّة في شعر الأطفال وكثير من الغايات التّرفيهيّة، والأهداف التّربويّة والتّهديبيّة² جعلته من رواد المؤلّفين في مجال شعر الأطفال، وهو القائل في وصف الجمل للأطفال بطريقة مدهشة:

من حمل

واحتمل

في العمل كالجمل؟

ما أنفعك!

ما أرفعك!

هوبّ هوبّ هوبّ يا جمل³

وبطلّ علينا أبو سلمى عبدالكريم الكرمي (1909-1980م) وهو شاعر فلسطيني المولد، عاش في سوريا؛ بمجموعته التي أصدرها عام 1964 بعنوان (أغاني الأطفال)

¹ - العيد جلولي: النصّ الشعري الموجّه للأطفال في الجزائر، ص: 18-19.

² - عيسى فتوح: أدب الأطفال في سوريا (نشأته، وتطوره) مجلة الموقف الأدبي، العدد: 95، اتحاد الكتاب العرب سوريا، 1979، ص: 44.

³ - بيان الصّدي: شعر الأطفال في الوطن العربي (دراسة تاريخية نقدية) ص: 193.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) أنموذجا

وهي كما يدلّ عنوانها أناشيد وأهازيج، ونصوص شعرية مكتوبة للأطفال، وضمّ الديوان سبع عشرة قصيدة تتوّعت مضامينها بين الطّبيعة والتأمّل، وربط علاقات بين الأطفال والطّيور والحيوانات، وبعض القضايا الاجتماعية والإنسانية، والوطنية.

كما ظهر في فترة الخمسينات والسّتينات أسماء أخرى لامعة في شعر الأطفال في القطر السّوري من مثل: الفنّان فخري البارودي ونشيد الخالد (بلاد العرب أوطاني) وأديب النّقي، ومخائيل الله ويردي وديوانه (زهر الرّبي) شفيق جبيري، عبدالله المبارك تيسير ظبيان، إدوارد مرقص، أنور العطار، زكريات البيات وكتابه (نخبة الأغاريد) أمجد الطّرابلسي، فخري أبو السّعود، بدوي الجبل وغيرهم كثير؛ حيث كان لكلّ هؤلاء محاولات تتعدّى القصيدة في مجال شعر الأطفال، وأكثرهم انطلق من المدارس وكان سعيهم في ذلك ترسيخ القيم التّربوية والروحية، وإن غلب عليها طابع الوعظ والإرشاد والنّصح.

وظلّ شعر الأطفال في سوريا "يتقدّم خطوة ويتأخّر أخرى، إلى أن جاءت هزيمة 1967، ومنذ ذلك الحين شهد الانطلاقة الحقيقية، فكانت الهزيمة مؤشراً مهماً على تحولات الكتابة بصورة عامة، وأدب الأطفال بصورة خاصة، فظهر زكرياء تامر وأبو منصور، ودلال حاتم، وإسكندر لوقا، وليلى سالم...¹ كما ظهر في نفس الفترة أي في سبعينات وثمانينات القرن الماضي كلّ من: بيان الصّفي الذي سأقدّمه لاحقاً وممدوح السّكاف وديوانه (شواطئ بلادي) سنة 1983، وديوانه (أناشيد للصّغار) سنة 1984، ووفيق خنسة وديوانه (أغاني الطّفولة) سنة 1986، وصالح هواري وديوانه (هنادي تغني) سنة 1987² ثمّ تتابع الإنتاج في مجال شعر الأطفال، وأخذ طريقه إلى النّشر في الصّحافة اليومية والدوريات الثقافية بعامّة، والدوريات الخاصّة بالأطفال بخاصّة ففي سنة 1969 صدرت مجلّة (أسامة) والتي لا تزال تصدر إلى اليوم وهي متخصصة بكل ما يتعلق بالطفّل وتنمية ثقافته، من أشهر من أقام على رئاسة تحريرها: دلال حاتم بيان الصّفي، وقاصّة الأطفال رباب هلال التي لا تزال على رأس إدارتها. وفي سنة 1970 صدرت مجلّة (رافع) وفي سنة 1984 صدرت مجلّة (الطليعي) والتي لا تزال

¹ - أنور عبد الحميد الموسى: أدب الأطفال... (علم وفن)) ص: 75.

² - العيد جلولي: النصّ الشعري الموجه للأطفال في الجزائر، ص: 30.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

تصدر حتى الآن على شكل الكتروني على الشبكة العنكبوتية، بغلافها الورقي، والقائمة لاتزال طويلة ولا تتسع المساحة لذكرها جميعاً.

وطبعاً لا ننسى وتر عصره الشاعر الكبير سليمان العيسى (1921-2013م) الذي لم يحتفل شاعر عربي منذ غياب شوقي، والهرابي، وكيلاي مثلاً احتفل به هذا الرجل الذي أدرك كيف يصل إلى قلب الطفل وعقله، بأرقّ الكلمات وأسهل التعبيرات؛ ليضع "زهوره، ووروده، وفراشاته، وعصافيره، واختياراته وملاحظاته، في قالب شعري رقيق وعميق، سهل الفهم، حلو الإيقاع؛ حتى يبسرّ على الطفل فهمه واستيعابه، والنمّتع به الأمر الذي يجعل الطفل العربي يحتفظ بهذه الأناشيد في أكرم ركن في قلبه" ¹ وكلّ أولئك أجل أن يحبّ الأطفال وطنهم ولغتهم، والنّاس، فكانت دعوته صريحة لكتابة الشعر الجميل، والحقيقي للأطفال فقدّم للأطفال مجموعة من الهدايا في شكل دواوين شعرية وغنائية نذكر منها: (ديوان الأطفال) الصادر سنة 1999، (أغاني الحكايات) (الديوان الضاحك) و(أراجيح تغني للأطفال) (غنّوا يا أطفال) في عشرة أجزاء، و(شعراؤنا يقدمون أنفسهم للأطفال) في عشرة أجزاء، وغيرها، على الرّغم من أنّه عالج فيها قضايا كبرى وأحياناً بلغة الكبار، وخير ما نختم به الحديث عن هذا الفدّ، نشيد (فلسطين داري) الذي يحفظه معظم أطفال العرب:

فلسطين داري	ودرب انتصاري
تظّلّ بلادي	هوّى في فؤادي
ولحنًا أبيًا	على شفتيّا
وجوه غريبه	بأرضي السّليبة
تبيع ثماري	وتحتلّ داري
وأعرف دربي	ويرجع شعبي
إلى بيت جدّي	إلى دفء مهدي
فلسطين داري	ودرب انتصاري ²

¹ - سليمان العيسى: أراجيح تغني للأطفال، كتاب دار دبي الثقافية، الإصدار: 26، 2009، ص: المقدّمة (ناصر عراق: أناشيد بطعم البراءة).

² - سليمان العيسى: ديوان الأطفال، ط1، دار الفكر، دمشق، 1999، ص: 48.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

وكما أشرت سابقاً نجد شاعراً آخر لا يقل شأناً عن سليمان العيسى وهو بيان الصفدي (1956-....م) الذي عمل محرراً ثقافياً في دار ثقافة الأطفال ببغداد بين 1977 و1982، وأحد المساهمين في كلمات أغاني المسلسل الشهير (افتح يا سمسم) وكفينا عن التعريف به أكثر إسهاماته المتميزة في ثقافة الأطفال والتي نذكر منها: حكايات جميلة في 10 أجزاء سنة 1978، الأغاني 1982، التفكير بالمقلوب 1984، تحيا الشجرة 1987، من أغاني دارين بالاشتراك مع القامة سليمان العيسى 1989، مغامرات مرجان ومرجانة 2003 مختارات تراثية 2006، ذات نهار 2009¹، دون أن أنسى رائعته النقدية والتاريخية شعر الأطفال في الوطن العربي 2008. وبين يدي ديوان (تحيا الشجرة) نقطف منه هذا المقطع من رائعته (أسئلة):

* هل تبكي النسمة؟

- تبكي عند النافذة المكسورة.

* هل يبكي العصفور؟

- يبكي في الأرض المهجورة.

* هل تبكي السمكة؟

- تبكي إن جفّ النهر.

* هل يبكي المركب؟

- يبكي إن هاج البحر.²

3.2- في لبنان:

يبدو أنّ البحث في أدب الأطفال في لبنان، وبخاصة في الشعر من أصعب الأمور؛ لغياب البحث المتخصّص، أو ندرة وجوده، أو لتشتت الشعراء في أنحاء العالم كما يبدو أنّ شعر الأطفال في لبنان كان "شأناً فردياً متفرّقا أقرب إلى الهواية منه إلى عمل محترف، ولعلّ ما ساعد على تكريس هذا الواقع؛ إمام اللبنانيين باللغات

¹ - مجلّة الحياة للأطفال: قصائد عربية، مأخوذة من الموقع: <http://www.alhayatilalfal.net> ، تاريخ الرفع: 2016-02-23.

² - بيان الصّدي: تحيا الشجرة شعر للأطفال (د، ط) منشورات اتحاد الكتاب العرب، سوريا، 1998، ص: 47.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

الأجنبية¹ مما شجّع على ترجمة كثير من القصص الطفلية من اللغات الأجنبية إلى العربية في أواخر القرن التاسع عشر.

وإذا كان مطران خليل (1872-1949م) قد شكّل محطة مهمة في الشعر الكلاسيكي، فقد كانت له حماسة تجديدية من خلال دعوته إلى الكتابة للأطفال والإسهام في هذا اللون من الشعر، وتشجيع الشعراء الذين عاصروه وبخاصة أحمد شوقي على الكتابة الشعرية للأطفال، ننتخب من شعره للأطفال الأبيات التالية من قصيدة (تلاميذ المدرسة):

يا بني العلم والفضيلة جدّوا
كلّ كدّ فيه فلاح فكّدوا
إنّ الفوز للمجدّين وعدّ
اطلبوا العلم لا تملّوا طُلابا
أيّ ذلّ لمُقيمٍ يرتدّ
لا تكلّوا إذا لقيتم صِعباً
إنّما العلم والفضيلة نورٌ
ورجاءٌ ورحمةٌ وسرورٌ
وحياةٌ فوق الحياة ومجدٌ²

وفي ذات الفترة ظهر الشاعر حليم دموس (1888-1957م) بإسهاماته الناجحة في شعر الأطفال، وقدرته على كتابة الأناشيد المتميّزة، بلغة سهلة حيث أدرجت له كثير منها في المناهج المدرسية، وحتىّ الجزائرية منها في فترة ما بعد الاستقلال إلى اليوم، له (ديوان حليم) الصادر سنة 1919، وأعيد طبعه سنة 1921 وديوان (المثالث والمثاني) الذي صدر الجزء الأول منه سنة 1926 والجزء الثاني سنة 1930، وديوان (يقظة الرّوح) ولعلّنا نتذكّر خالده (أرض أجدادي) التي يظنّ الكثير أنّها أنشودة جزائرية لما فيها من نفحة الشعر الحقيقية التي تهبّ على الأرواح، والتي نقطف منها المقطع الأول :

عليك منّي السّلام
يا أرض أجدادي
ففيك طاب المقام
وطاب إنشادي
أحببتُ فيك السّهر
وبهجة النّادي

¹ - أنور عبد الحميد الموسى: أدب الأطفال... (علم وفن)) ص: 80.

² - خليل مطران: الديوان، ط1، ج3، دار الهلال، مصر، 1949، ص: 102.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

أحبت ضوء القمر والكوكب الهادي
والليل لما اعتكر والنهر والوادي
والفجر لما انتشر في أرض أجدادي¹

وإذا كان مصطفى الغلاييني (1885-1944م) يعرف بأنه لغوي كبير من خلال كتابه المشهور (جامع الدروس العربية) فإنه أيضاً شاعر موهوب، وله باع في شعر الأطفال من خلال ديوانه الشعري الذي ضمّنه عدّة ترانيم للأطفال.

ثم نجد جرجس همّام (1856-1921م) من خلال كتابه المدرسي (مدارج القراءة) بأجزائه الستّة، ضمّنه نصوصاً نظرية، وأخرى شعرية متنوّعة، منها مسرحيته الشعرية (الأمّ وابنها الذي كذب) نقتطف منه المقطع القصير:

أسفي قد ضاع في ابني تعبي ودهاني منه شرّ الكرب
دور:

ضاق صدر الأمّ والحزن التهبّ في حشاها ماحيا أثر الطرب
جلست تبكي ابنها من في الأدب ضلّ إذ فاه بقول الكذب
دور:

قلبه بالهمّ والغمّ اضطرّم وعلاه الخزي واشتدّ الألم
وابتدا يبكي بحزن وندم إذ أتى عمدا كلام الكذب²

وبليه جبران النحاس (1882-1954م) في حكاياته الشعرية على لسان الحيوان ثمّ خليل بيدس (1874-1949م) وهو مدرس ظهر في شعر الأطفال من خلال كتابه التعليمي (العقد الثمين في تربية البنين) والمربي الكبير يوسف صفير وكتابه (ترقي الصغار) وناصر اليازجي من خلال منظومته التعليمية (مجمع البحرين)³ وغيرها كثير

¹ - شريفة عطّاس، وآخرون: كتابي في اللّغة العربية، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، الجزائر، 2000 ص:61.

² - جرجس همّام: مدارج القراءة، ط13، ج2، المطبعة الأمريكية، بيروت، 1914، ص:50-51.

³ - بيان الصّدي: شعر الأطفال في الوطن العربي (دراسة تاريخية نقدية) ص:220-221-222-223.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

وهي في واقعها كتب تعليمية، مثلت صورة من صور تقديم الأشعار لتلاميذ المدارس.

كما شاعت في الكتب المدرسية قصائد شعرية جميلة لكبار الشعراء والكتاب اللبنانيين، نزعماً أنها موجّهة للأطفال من مثل قصيدة (طفولة) و(التينة الحمقاء) لإيليا أبي ماضي، و(نشيد الشجرة) لشبلي ملاط و(الطمأنينة) والرائعة (ترنيمه الرياح) لمخائيل نعيمة بالإضافة إلى الشاعرة روز الغريب التي تعدّ الرائدة في نقل شعر الأطفال في لبنان إلى الكتابة النوعية بشروط أدب الأطفال الفنيّة والتربوية.

وفي السبعينيات من القرن الماضي دخل الساحة الشعريّة للأطفال أسماء جديدة موهوبة نذكر منهم: حسن عبدالله، جودت فخر الدين، ومحمد علي شمس الدين وفي الثمانيات أثرت الحرب الأهلية سلماً في تطوّر شعر الأطفال وطباعة كتبه التي كانت "على ورق من نوعية جيّدة، مع غلافات كرتونية، ورسوم ملوّنة باهضة التكاليف، إنّها كتب باهضة الثمن، وتستهدف الزبائن الميسورين"¹ وشهدت التسعينات طفرة في الإنتاج الأدبي للأطفال بعامة حيث بلغ سنة 1990 وحدها إنتاج 594 عنواناً الذي يجعل لبنان في المرتبة الثانية بعد مصر التي أنتجت في ذات السنة 730 عنواناً في أدب الطفل "وهكذا يلاحظ أنّ أدب الأطفال في لبنان، ونتيجة لكثرة دور النشر فيه، شهد انطلاقة قوية من حيث العدد والشكل، على الرغم من مجيئ هذه الانطلاقة متأخرة... وأقبلت دور النشر على ترجمة الكتب الأجنبية، وأنتجت دور المطبوعات كثيراً من المجالات؛ مثل: (سوبرمان) و(الوطواط) و(طرزان)... فضلاً عن مؤتمرات، وندوات تشهدها العاصمة بيروت حول أدب الطفل"².

¹ - مود أسطفان هاشم: تجارة الحرف المطبوع، ط1، ترجمة: خليل أحمد خليل، دار السّاقى، بيروت، 1993 ص:128.

² - أنور عبد الحميد الموسى: أدب الأطفال... ((علم وفن)) ص:83-84.

4.2- في العراق:

لقد تأخر العراق مقارنة بمصر وسوريا كثيراً عن ركب التحديث في الأدب بعامة لما أصابه من جمود وتعصب، مما جعل بعض الرواد التتويرين يقدمون دعوات إلى النهوض، ونسجّل في هذا المضمّار دعوة الشاعر علي الشّريقي (1890-1964م) إلى العلم باعتباره طريقاً للتّقدّم، حيث ضمّن ديوانه مجموعة من القصائد وجهّها لطلاب العلم، بالإضافة إلى جميل صدقي الزّهاوي (1863-1936م) الذي يوصف بـ: معرّي العصر، خلّف ديواناً شعرياً ضخماً حافظاً بكلّ موضوعات الشّعر، ساهم فيه في وضع بعض الأناشيد التي شكّلت زادا لتلاميذ المدارس، نقتطف منه مقطعا من قصيدة (الربيع والطّيور):

إنّ سجع الحمام في الأسحار وهبوب النّسيم بعد القطار
وبريق النّدى على الأزهار وخيرير الماء الزلال الجاري
موحيات إليّ بالأشعار¹

كما ظهرت أسماء كثيرة مهّدت لشعر الأطفال في العراق أوائل القرن العشرين نذكر منهم: عبدالرحمن البناء (1882-1955م) جميل الخطيب مصطفى جواد (1904-1969م) أحمد حقّي الحلي (1914-1996م) من خلال ديوانه (المحفوظات الطّفلية) في جزأين الصّادر سنة 1954، عبد المحسن الكاظمي (1871-1935م) إسماعيل فرج الموصلي (1892-1948م) له كتاب (الأناشيد الموصلية للمدارس العربية) ومحمد رضا الشّبيبي (1889-1965م) وأحمد صافي النّجفي (1897-1977م) له سبعة عشر ديواناً من الشّعر وفيها كثير من القصائد الطّفلية، أكرم فاضل (1918-1987م) من خلال كتابه المترجم (الآباء والبنون) والقائمة طويلة؛ غير أن التّفرد في شعر الطّفولة في العراق ارتبط بالشّاعر الكبير معروف الرّصافي (1875-1945م) الذي كتب (الأناشيد المدرسية) سنة 1923، والكلّ يعلم مدى انتشار قصائده الطّفلية في المناهج التربوية العربية على مدى النّصف الثاني من القرن العشرين لما فيها من قيم جمالية أثرت

¹ - جميل صدقي الزّهاوي: الديوان، ط1، المطبعة العربية، مصر، 1924، ص:123.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

في وجدانيات الأجيال النَّاشئة، ومن منّا لم يتأثر وجدانه برأئعته (الأمّ المرضعة) التي ننتخب منها هذا المقطع:

لقيتها ليتني ما كنت ألقاها	تمشي وقد أثقل الإملاق ممشاها
أثوابها رثة والرّجل حافية	والدمع تذرّفه في الخدّ عيناها
بكت من الفقر فاحمّرت مدامعها	واصفرّ كالورس من جوعٍ مُحياها
مات الذي كان يحميها ويسعدّها	فالدّهْر من بعده أشقاها
الموت أفجعها والفقر أوجعها	والهمّ أنحلّها والغمُّ أضناها ¹

وكان لظهور الصّحافة الطّفلية في العراق دور كبير في نشر شعر الأطفال وأدبهم بعامّة، ومن أهمّ المجالات التي ساهمت في ذلك نذكر: جريدة (التلميذ العراقي) التي ظهرت في سنة 1923م، وبذلك تكون أول صحيفة في العراق تتخصّص في أدب الأطفال، وجريدة (الكشاف العراقي) التي ظهرت سنة 1924م²، ومجلة (المدرسة) التي صدرت عام 1926م، وجريدة (التلميذ) التي صدرت سنة 1929م. ومجلة (الطالب) سنة 1932م، ومجلة (الفتوة) سنة 1934م ومجلة (دنيا الأطفال) سنة 1945م، ومجلة (جنة الأطفال) سنة 1960م، ومجلة (سند وهند) عام 1958م، ومجلة (صندوق الدنيا) سنة 1959م، ومجلة (الجيل الجديد) سنة 1968م، ومجلة (روضة الأطفال) التي صدرت في شكل أعداد متفرقة ما بين سنوات الأربعين والخمسين من القرن العشرين³.

وبعد ذلك، ظهرت مجلة (مجلتي) الصادرة عن وزارة الإعلام العراقية منذ عام 1969م، والتي كانت تخصّص صفحة كاملة ودائمة لشعر الأطفال ممّا جعله ينطلق في تجارب جديدة، ومتعدّدة، ثمّ تلتها سنة 1970 مجلة (المزمار) التي تخصّصت في نشر المجموعات الشعريّة الطّفلية.

¹ - معروف الرّصافي: الديوان (د، ط) مراجعة: مصطفى الغلاييني، مؤسسة هنداوي للتعليم والثّقافة، مصر، 2012 ص:303.

² - محمود حسن إسماعيل: المرجع في أدب الطفل، ص:44.

³ - جميل حمداوي: أدب الأطفال في العراق، جريدة البيّنة، مأخوذ من الموقع: <http://www.al-bayyna.com> تاريخ الرفع: 2015/08/07.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

كما كان للمسرح الغنائي التعليمي في النصف الثاني من القرن العشرين دوراً مهماً في الامتاع والتعليم معاً، والتي كانت تعتمد على التاريخ العربي والقصص الشعبي ونذكر من ذلك المسرحيات الشعرية: مسرحية (استقلال الجزائر) لعبد اللطيف الدليشي سنة 1959، ومسرحية (صبي من الجزائر) لأحمد حمودي السامرائي سنة 1960 ومسرحية (نداء الفجر الأبيض) لعبد الباقي السعدي سنة 1962، ومسرحية (لتحيا الجزائر) لمحمد ناصر الساعاتي سنة 1962¹.

ولا تزال كوكبة من شعراء العراق منذ السبعينات إلى اليوم تعمل على ازدهار شعر الأطفال، وأثروا ولا يزالون الساحة الأدبية العراقية من أمثال: عبدالرزاق جبار، عطية الزبيعي (1961-م...) وجيل خزل (1960-م...) وعبد الجبار العاشور (1927-م...) وديوانه (أفراح الطفولة) الصادر سنة 1998، ونيل ياسين (1950-م...) ومجموعته الطفلية (سرّ الأبواب السبعة) الصادرة في السنوات الأخيرة، كما نذكر حسن دكسن من خلال ديوانه (أغاني سندباد) الصادر سنة 1985، خالد يوسف ومجموعته الشعرية (تك تك تاك)، سالم العراقي، فاضل عباس الكعبي... وغيرهم.

5.2 - في تونس:

لقد عاشت تونس نفس الظروف السياسية والتاريخية التي عاشتها الجزائر تحت وطأة الاستعمار الفرنسي، في عزلة مضروية بين الجناح الشرقي والجناح الغربي من البلاد العربية، فقد كان "الاستعمار - ولا يزال - يبارك هذه العزلة لأنه لا يستطيع أن يحتوي هذه الأقطار في مناطق نفوذه إلا فرادى منعزلة متفرقة الهواء"² غير أن الأدب التونسي عرف ازدهاراً تمتد جذوره إلى أواخر القرن التاسع عشر، وأوائل القرن العشرين "التي شهدت ظهور الجمعيات العلمية والنوادي الثقافية (الجمعية الخلدونية تأسست سنة 1896، ونادي قداماء الصادقية سنة 1905) ونشأة الصحافة الأدبية رغم ما عرفته هذه النشأة من تعثر في عهدها الأول، فقد كان هاجس الإصلاح وراء كل الأعمال الثقافية

¹ - عمر محمد طالب: المسرحية التعليمية في العراق، مجلة آداب المستنصرية، العدد 13، كلية الآداب بالجامعة المستنصرية، العراق، 1986، ص: 117-118.

² - رضوان إبراهيم: التعريف بالأدب التونسي، ط1، الدار العربية للكتاب، ليبيا- تونس، 1977، ص: 13.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) أنموذجا

والفكرية"¹ فكان صوت صالح السّويسي القيرواني (1878-1941م) صدّاحا في استنهاض الهمم، ومحمد الشّاذلي خزندار (1841-1954م) أميرا للشّعر التونسي ثمّ الطّاهر حدّاد (1889-1935م) بمضامينه الإصلاحية في شعره الوطني. كما نذكر من أهم شعراء الأطفال بتونس في تلك الفترة: حسن بن شعبان الذي بدأ نشر شعر الأطفال منذ سنة 1914م حتى لقب في تونس بأبي شعر الأطفال ومحمد مياشو أحد شيوخ جامع الزيتونة المتوفى سنة 1934م² ومصطفى خريف.

وبلغ الشّعر ذروته مع الشّاعر الشّابّ أبي القاسم الشّابي (1909-1934م) من خلال ديوانه (أغاني الحياة) الذي جمعه بنفسه في أخريات حياته وفيه كثير من القصائد الرّقيقة عن الطّفولة وللطفولة، ولعلّ أشهرها نشيد (إرادة الحياة) الذي يحفظه العرب شيبا وشبابا، ونقتطف من قصائده الطّافية هذه الأبيات من قصيدة (مناجاة عصفور)

يا أيّها الشّادي المغرّد ها هنا ثمّلاً بغبطة قلبه المسرور
متنقّلاً بين الخمائل تالياً وحي الرّبيع السّاحر المسحور
غرّد، ففي تلك السّهول زنابق ترنو إليك بناظر منظور³

وبناء على ما سبق نستنتج أنّ الانطلاقة في شعر الأطفال في تونس كانت مرتبطة بالحركة الإصلاحية، ويبدو أنّها كانت على يد المعلّمين في المدارس وبموت الشّابي خفت الحركة الشعرية الطّافية خفوتا ملحوظا طيلة عقدين، ولم تكن تلك جناية الشّابي بل كانت جناية التّخلف والاستعمار، فظلم الأدب بعامة وانكمش الأدباء والشّعراء، حتّى نهاية الأربعينات أين ألّف مصطفى خريف (1909-1967م) مجموعته الشعرية (الشّعاع) سنة 1949، وإن كانت موجّهة للكبار ففيها ما يصلح للصّغار في مراحلهم المتأخّرة ثمّ كتابه (المحفوظات والأناشيد المدرسية) سنة 1954. وقد كان لمجلة (الندوة) التي صدرت سنة 1953، إسهاما فعّالا في دعم الشّعر الوطني على السّاحة الثقافيّة

¹ - مجموعة من الباحثين: تاريخ الأدب التّونسي الحديث والمعاصر، ط1، المجمع التّونسي للعلوم والآداب والفنون تونس، 1993، ص:40.

² - فاضل الكعبي: كيف نقرأ أدب الأطفال، ص:165.

³ - أبو القاسم الشّابي: أغاني الحياة (د، ط) الدار التّونسية للنشر، تونس، 1970، ص:108.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

ومن أشهر الشعراء الذين كتبوا فيها أحمد اللّغمانى (1923-2015م) وهو معلّم في المدارس الابتدائية حيث ألف في هذه الفترة ديوانين للأطفال، يقول في مقطع قصير من قصيدة (الطفّل):

مُدّوا لشُرِّدِكُم يا قوم راحتكم
وعلّموا الطّفّل ما يجدي وينفعه
وكفّفوا دمعته يهدأ تروّعه
وضمّدوا جرحه يذهب توجّعته
ربّوه للوطن المحبوب يحرسه
فالدّوح تحميه في الإعصار أفرعه¹

ومهما يكن من أمر؛ فإنّ شعر الأطفال بتونس ازدهر ازدهارا كبيرا وانتعاشا ملحوظا بعد الاستقلال، إذ بلغت عدد المجموعات الشعرية أكثر من 50 مجموعة شعرية طفلية. ويلاحظ أنّ عدد الشعراء الذين يكتبون للأطفال قليلون بالمقارنة مع كتاب القصة الطفلية. ومن الملاحظ أنّ سبعينات القرن الماضي "تعتبر البداية الفعلية لأدب الأطفال ففي هذه الفترة ظهرت عدّة مجموعات شعرية مكتوبة خصيصا للأطفال، ويأتي أحمد المختار الوزير في طليعة المهتمّين بهذا الأدب حيث بدأ الكتابة للكبار ثمّ اتّجه إلى الأطفال فظهرت له عدّة مجموعات شعرية منها: (أناشيد الأطفال) سنة 1971 و(ابتهالات) سنة 1973، و(ديوان الأطفال) سنة 1975، و (الأهازيج) سنة 1975"² وفي هذا الجوّ الجديد الذي تسوده رغبة قوية في بناء أدب راق للأطفال يطلّ محي الدين خريف (1932-2011م) الذي بدأ كتابة الشعر للأطفال منذ سنة 1949، واستمرّ على ذلك حتى وفاته وقدم للقارئ العربي تسع عشرة مجموعة شعرية³ منها في أدب الأطفال: (كلمات للغرباء) سنة 1969، و(حامل المصابيح) سنة 1970، و(محفوظات للأطفال) سنة 1973، و(العصفور الأبيض) سنة 1973، و (أغاني الطّفولة) سنة 1975، و(أناشيد وأغاني ومحاورات للأطفال) سنة 1976، و(الطفّل والفراشة الذهبية) سنة 1976 و(محاورات للأطفال) سنة 1978، و(الفصول) سنة 1980، و(طلع النّخيل) سنة 1987، وغيرها.

¹ - مجموعة من الباحثين: تاريخ الأدب التّونسي الحديث والمعاصر، ص: 94.

² - محمد الصّالح الجابري: ديوان الشعر التّونسي (د، ط) الشّركة التّونسية للتوزيع، تونس، 1976، ص: 107.

³ - محي الدين خريف: ديوان نبع العطاش، ط خاصة، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري الكويت، 2012، ص: 03.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

ومن الشعراء التونسيين الذين كرسوا شعرهم للأطفال نذكر: مصطفى عزوز في ديوانه (العصافير) سنة 1977، ونورالدين صمود في ديوانه (طيور وزهور) سنة 1979 وعلي بن هادية ومجموعته (أناشيد الأطفال) ونافلة ذهب في ديوانها (أحلامنا) سنة 1979 وبهيجة قعلول في ديوانها (أنغام الطفولة) سنة 1980، وعلي النيفر وديوانه (أناشيد الأطفال) سنة 1983¹. كما نذكر من المعاصرين في شعر الأطفال في تونس محمد علي الهاني في ديوانه (أنشودة الطفل) سنة 1994، وديوان (أناشيد الوطن) سنة 2008 ومحمد فاضل سليمان في ديوانه (أناشيد الأطفال)².

6.2 - في المغرب:

أما في المغرب إذا ذكر أدب الأطفال فحتما سيُذكر علال الفاسي (1910-1974م) الذي يملك رؤية متحضرة ومستتيرة، جعلته يهتم بالطفل وأدبه، فألّف للأطفال دواوينه: (أساطير مغربية ومُعَرَّبَة) سنة 1939 و(أناشيد وطنية) و(رياض الأطفال) سنة 1982 وفي ديوانه الكبير الذي طبع سنة 1976 عن مطبعة الرسالة بالرباط في أربعة أجزاء محاور تصبّ كلها في بحر قيم الإصلاح والتربية والتّهديب³، نقتطف من ديوانه (رياض الأطفال) هذا المقطع من قصيدة (الله جلّ جلاله):

الله جلّ جلاله	ربّ العباد المفرد
آثاره لوجوده	في كلّ شيء تشهد
عالي الصفات فماله	فيها شبيهه يوجد
الأوحد الباقي	فما يفنى ولا يتعدّد ⁴

كما نجد الشاعر محمد علي الزياوي (1949 -...م) في ديوانه (عصافير الصباح) سنة 1987، ومحمد إبراهيم بوعلو (1936-...م) في إنتاجه المسرحي والقصصي

¹ - العيد جلولي: النص الشعري الموجه للأطفال في الجزائر، ص: 34.

² - فاضل الكعبي: كيف نقرأ أدب الأطفال، ص: 165.

³ - محمد قاسمي: بيبليوغرافيا الشعر العربي الحديث والمعاصر بالمغرب، ط1، منشورات المكتب المركزي لاتحاد كتاب المغرب، المغرب، 2000، ص: 44.

⁴ - علال الفاسي: رياض الأطفال (د، ط) مطبعة الرسالة، الرباط، 1982، ص: 08-09.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

للأطفال المنشور على الصحافة المغربية، وعبد الفتاح الأزرق في عشر مؤلفات طفلية ضمن سلسلة المسرح المدرسي، وأحمد عبد السلام البقالي (1930-2010م) الذي ألف أكثر من عشرين عنواناً للأطفال، منها: ديوان (أناشيد وأغاريد) وديوان (نار المخيم) وديوان (لن تقف المسيرة) وديوان (رسائل الحب) ومسرحية شعرية بعنوان (مصرع الخخالي) وعبدالله كنون وديوانه (شعر الأطفال) سنة 1981، والأستاذ علي الصقلي في دواوينه (ألف...باء) و(أنغام طائفة) و(من أغاني البراعم) و(مسامير ومزامير) سنة 1982 والمبدع العربي بن جلون ودواوينه (أنغام الطفولة) سنة 1987 و(أقرأ وألّون) و(حتى الشعر يغني) سنة 1988، وجميل حمداوي صاحب ديوان (ليحيا السلام) سنة 2005¹. والقائمة لا تزال طويلة لا يتسع الحيز لذكرها جميعاً.

3- شعر الأطفال في الأدب الجزائري الحديث:

إنّ وصف الحياة الأدبية في الجزائر يتطلب دراسات مستفيضة، وبخاصة من يحاول معالجة تطوّر الشعر وتأصيله؛ لأنّ الأحداث التاريخية والسياسية التي مرّت بها الجزائر لها تأثيرات واضحة على الشعراء، فتاريخ الجزائر الحديث هو في الواقع تاريخ كفاح، وإخفاقات، ومساعٍ، وإعادة كفاح فتورة عارمة، أفضت إلى اتصالات ثقافية مستمرة وكلّ أولئك أسباب "خلقت النموذج الأعلى للشاعر العربي الحديث الأكثر تطوّراً شاعر موزّع النفس، عميق الجرح، تحكّمه نزعات شتّى، من الغضب، والرّفص والرّعب..."² فضلاً عن الثقافة الخاصة لهؤلاء الشعراء كنوع المدارس التي درسوا فيها والمناهل التي تشبّعوا منها، ودورة رحلاتهم وأسفارهم، التي تتبثق عنها علاقاتهم الثقافية ومثلهم العليا.

ويمكن القول على اختلاف النظرات إنّ الأدب الجزائري الحديث هو وليد العشرينيات من القرن العشرين "ونظراً لقلّة التمرّدات والطّفرات في أدبنا، ونظراً لأنّ الأديب الجزائري يبدو تقليدياً بطبعه، فإنّ المدارس والتّيّارات، وتنوّع الموضوعات قليلة

¹ - جميل حمداوي: أدب الأطفال بالمغرب، مجلة طنجة الأدبية، مأخوذ من الموقع: <http://www.aladabia.net> تاريخ الرفع: 25-02-2016.

² - سلمى الخضراء الجيوسي: الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث، ط1، ترجمة: عبدالواحد لؤلؤة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2011، ص: 16.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

في الأدب الجزائري، ولعلّه في الإمكان حصر المدارس في ثلاث: مدرسة الشّهاب مدرسة البصائر، ومدرسة ما بعد الاستقلال... كذلك يمكن حصر التّيارات في اثنين: التّيار التقليدي، والتّيار المتطور، أمّا موضوعات الأدب في الجزائر فهي في الغالب سياسية اجتماعية مرتبطة بالتّطوّر البنائي للبلاد¹.

1.3 - فترة ما قبل الاستقلال:

نشير في هذا المقام إلى أنّ الشعر الجزائري بخاصة قد مرّت عليه فترات يائسة حذاها بعض الأمل في التّطوّر، لما أصابه من انقطاع بعض حلقات حياته منذ الغزو الفرنسي المقيت؛ وحتّى بدايات القرن العشرين؛ حيث "حيل بين الشعب الجزائري وبين الثقافة العربية، إذ حاول الاستعمار الفرنسي، بكلّ ما يملك من قوّة وسيطرة، وإغراء أن يضرب حجاباً صفيقاً بين الجزائر والعربية والعروبة بغرض أن يمحو الجزائر من سجل التّاريخ العربي مهما كان الثّمّن... فكان من نتيجة كلّ هذا: خمود في القريحة وركود في الفكر، وهمود في الأرواح"² ولم تكن الجزائر شيئاً مذكوراً في الناحية الأدبية حتّى ظهور حركة الإصلاح والتي انبثق على إثرها تأسيس جمعية العلماء المسلمين سنة 1931، على يد الشّيخ عبد الحميد بن باديس؛ التي كانت تحمل شعارات (الإخاء، العدالة المساواة، الحرية) فارتبط الشعر الجزائري بها³، ينظر إلى معظم القضايا الوطنية من زاوية الإصلاح الثقافي والاجتماعي، وكانت أهدافه وعظية إصلاحية في أثواب دينية وكانت وسيلة وصوله إلى الشعب "الصّحافة ذات اللّسان العربي التي أنشأتها حركة الإصلاح وغيرها مثل (الأقدام) و(المنتقد) و(الشهاب) ومن تلك الوسائل أيضاً الاجتماعات العامة التي تحمل طابع المناسبة من مثل: تدشين المدارس الحرّة، وإحياء المواسم الوطنية والدينية، والحفلات الخيرية والمدرسية"⁴ ومما لا شكّ فيه "أنّ للتربية شأناً عظيماً في تغذية النّهضات القومية، ومن بينها الجزائر التي لعبت فيها المدرسة العربية

¹ - أبو القاسم سعدالله: تجارب في الأدب والرّحلة، ط1، مؤسسة الكتاب الوطني، الجزائر، 1983، ص: 32.

² - عبدالله الركيبي: دراسات في الشعر العربي الجزائري الحديث (د، ط) الدار القومية للطباعة والنّشر مصر (د، ت) ص: 11-12.

³ - العيد جلولي: قصص الأطفال بالجزائر (د، ط) دار الإرشاد، الجزائر، 2013، ص: 76.

⁴ - أبو القاسم سعدالله: دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ط5، دار الرّائد للكتاب، الجزائر، 2007، ص: 37.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

الحرّة في أيام الاحتلال الفرنسي للجزائر (1830-1962م) دورا بالغ الأهمية¹ في المحافظة على المجتمع، والسّعي لجعل الجيل الناشئ عاملا لتكوين المجتمع الرّاقى فكانت المدرسة وسيلة لنقل الشّعر إلى الجمهور. وكان المعلم واسطة ذلك؛ لأنّه "يرتاح إلى التّماذج الكلاسيكية؛ لأنّها أسهل مطلبا في التّفسير، وأكثر خضوعا للإلقاء، فإذا لم تصبح مادة الشعر الحديث جزءا من الثّقافة المدرسية، فإنّه من الصّعب أن يجد الناشئة في هذا الشّعر تعبيراً عن وجودهم"²

وشعر الأطفال باعتباره فناً أدبيا له رقعته الخاصّة ضمن الحياة الأدبية في الجزائر يهيء مجالاً للبحث غاية في أهمّيته، بسبب خصوصية ظروف نشأته وتطوّره؛ فهو قصّة انبعاث مستمر، وانتشاء شامل، وإقامة علاقات متواصلة الحلقات نحو الحداثة والمعاصرة ورغم قصر عمرها الزّمني الذي حدثت فيه؛ فإنّ شعر الأطفال في الجزائر حقل شديد الخصوبة لدراسة مؤثراته الخارجية؛ التي تؤثّر فيه كفنّ له شروطه وخصائصه، وكظاهرة تخضع للتطوّر الداخلي، وكيف نما من نقطة ضعف إلى نقطة قوّة. لكن من الصّعب أن نعرض له خارج دائرة الأدب الجزائري عموماً، لأنّ حقوله ذات روافد عدّة ساهمت في إغناء نهر الشعر الجزائري الحديث المتعرّج من حقل أدبي إلى حقل أدبي آخر ومن فترة زمنية إلى أخرى، كما أنّه لا يزال شتاتاً في ثنايا الصّحف والمجلّات والجرائد القديمة؛ التي يعتبر البحث عنها، ثمّ البحث فيها من أضنى البحوث، وبالكاد يمكن الحصول عليها؛ لتلفها من جهة، ولحجزها، أو مصادرتها أو إفلاسها من جهة أخرى.

وعطفاً على كلّ ما سبق يمكن القول إنّ أكثر شعراء فترة الإصلاح كانوا معلّمين لهم اتّصال مباشر بتلاميذهم، وكثيراً ما نظم هؤلاء الشّعراء قصائد خاصّة لهذا الغرض من هؤلاء: عاشور الخنقي (1848-1929م) وعبد الرّحمن الدّيسي (1854-1921م) وأبو اليقظان (1888-1973م) والطّيب العقبي (1889-1960م) والشّيخ اللّقاني (1886-1970م) والسّعيد الزّاهري (1899-1956م) محمّد الهادي السنوسي (1902-

¹ - تركي رايح: أصول التّربية والتّعليم، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1990، ص: 47.

² - إحسان عباس: اتّجاهات الشعر العربي المعاصر (د، ط) الإصدار: 2، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1978 ص: 22.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

1947م¹ وغيرهم، فكان طابع شعرهم إصلاحياً؛ وكان أكثرهم قد تخرّج في جامع الزيتونة، وكانت لهم إسهامات في عالم الفكر والأدب والصحافة وبخاصة في القطر التونسي، وفي ظلّ هذه البيئة الإصلاحية وفي المدارس والمعاهد التي تحت إدارتها بدأت تتشكل ملامح شعر الأطفال في الجزائر، غير أنّه من الصّعب بمكان تحديد تاريخ معيّن لبداية هذا اللون من الكتابة في الأدب الجزائري الحديث.

فإذا كان الشعر الجزائري الحديث هو وليد العشرينيات من القرن الماضي فإنّ بذور شعر الأطفال انطلقت مع الحركة الإصلاحية مع نهاية العقد الثالث وبداية العقد الرابع من ذات القرن، وتشير الآراء إلى قيادة محمد العيد آل خليفة (1904-1979م) في ذلك "فقد رافق شعره النهضة الجزائرية في جميع مراحلها وله في كلّ ناحية من نواحيها وفي كلّ طور من أطوارها، وفي كلّ أثر من آثارها القصائد الغرّ، والمقاطع الخالدة فشعره - لو جمع - سجلّ صادق لهذه النهضة وعرض رائع لأطوارها"² فبين دفتي ديوانه عدّة أناشودات موجّهة إلى تلاميذ المدارس، نظمها في عدّة مناسبات، ونشر معظمها في جريدة الشّهاب بداية من سنة 1936 وحتى سنة 1962، ننتخب منها مقطعا من قصيدة (نشيد الإخوان) التي نشرت سنة 1939 بالمجلة المذكورة:

نحن الإخوان	أهل الجنة
أهل القرآن	أهل السنّة
نحن الرّواد	لأرواح
ندعو الأشهاد	للإصلاح
باسم الإسعاد	والإنجاح
نتلو الإنشاد	حلو الغنة ³

كما عرف بمسرحيته الشعريّة الطّفلية (بلال بن رباح) التي صدرت سنة 1939. كما لاح نجم رئيس جمعية العلماء المسلمين الشيخ عبد الحميد بن باديس (1889-

¹ - أبو القاسم سعدالله: دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ص: 37.

² - محمد العيد آل خليفة: الديوان (د، ط) دار الهدى، عين مليلة، 2010، ص: 07 (تقديم محمد البشير الإبراهيمي عن مقالة نشرت في مجلة (الشهاب) 1939).

³ - محمد العيد آل خليفة: الديوان، ص: 519.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

1940م) في مجال تعليم وتربية الصغار، وتوجيه الكبار، وهو شاعر وإن كان مقلداً فشعره من النوع السلس العذب؛ الذي وجهه لتلاميذه أثناء نهوضه بنشر التعليم الحر فشعره يحمل رسالة تربوية إصلاحية وطنية، تتمثل له مقطعاً يحفظه كل الجزائريين من قصيدة (تحية المولد الكريم):

شعب الجزائر مسلم	وإلى العروبة ينتسب
من قال حاد عن أصل	ه أو قال مات فقد كذب
أو رام إدماجا له	رام المحال من الطلب
يا نشء أنت رجأؤنا	وبك الصباح قد اقترب
خذ للحياة سلاحها	وخض الخطوب ولا تهب ¹

وفي نفس الفترة تقريبا كان الشاعر والمرّي محد الطاهر التليي (1910-2003م) قد نظم ديوانه الشعري الذي وسمه بـ: (الدموع السوداء) ومنظومته التعليمية (منظومات في مسائل قرآنية) وضمن ما نظم "مجموعة من القصائد موجّهة إلى تلاميذ المدارس خصوصا تلك المدارس التي عمل بها في المدن الجزائرية كمدينة بجاية وعنابة والعاصمة وتقرت والوادي وقمار، وقد جمعت هذه القصائد وطبعت في قمار في ديوان مستقل يحمل عنوان (منظومات تربوية للمدارس الابتدائية)"² وهي جزء من ديوانه السابق.

كما ظهر أيضا المعلم والمرّي الجيلالي محمد بن العابد (1890-1967م) كشاعر للأطفال لهذه الفترة الذي لا تزال جلّ أعماله وبخاصة القصصية منها متناثرة في الصحف والمجالات، ما عدا (تقويم الأخلاق) الذي طبع بالجزائر سنة 1927 و(الأناشيد المدرسية لأبناء وبنات المدارس الجزائرية) الذي صدر سنة 1939 بتونس³، والذي تتمثل منه أبياتا من قصيدة (نشيد الفتاة):

أعلمتم أنني الفتاة
يا قوم مبعث للحياة

¹ - عبد الحميد بن باديس: آثار بن باديس، ط3، مج3، تصدير: عمار طالبي، الشركة الجزائرية، الجزائر، 1997 ص:571.

² - العيد جلولي: النص الشعري الموجه للأطفال في الجزائر، ص:47.

³ - محمد الأخضر عبد القادر السائحي: روعي لكم (تراجم ومختارات من الشعر الجزائري الحديث) (د، ط) المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص:10-11.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) أنموذجا

ضمّوا بنتقفي الشتات
إذا رمت كشف الظلم
أنا زهرة الرّوض الأثم
أنا طلعة الفجر الأعم
أنا معقل الطّفل الأهم
وهو المرجى لما ألم¹

وكتب الشّيخ محمّد الصّالح رمضان (1916-2008م) الأديب الملتزم والعالم المحقّق، مسرحية (النّاشئة المهاجرة) التي صدرت سنة 1949 بتلمسان ومسرحية (المولد النّبوي الشّريف) ونظم مجموعته الشّعريّة (ألحان الفتوة) التي صدرت سنة 1953 بتلمسان، وأعيد طبعها سنة 1964 بمصر، والتي وجّه أناشيدها للكشّافة لما تحويه من طابع تربوي ووطني².

كما نظم الشّيخ أحمد سحنون (1907-2003م) ديوانا شعريا نشر كثيرا من قصائده في جرائد جمعية العلماء المسلمين على غرار: النّجاح، الشّهاب، والبصائر التي كان عضوا في لجنّتها في الفترة ما بين 1947 و 1948، وطبع سنة 1977³ وأعيد طبعه سنة 2007 في جزّين نقتطف منه هذا المقطع من قصيدة (متى يبدأ الرّبيع) كأنموذج من شعره للأطفال:

عصافيري هذي الرّياض اصدحي
وغنّي نشيد المنى وافرحي
وعبّي رحيق الهوى وامرحي

فإنّك في مهرجان الرّبيع

ففي مهرجان الرّبيع الجديد
يطيب الغناء ويحلو النّشيد
فغنّي بكلّ نشيد بديع

¹ - الرّبعي بن سلامة، وآخرون: موسوعة الشّعر الجزائري (د، ط) مج1، دار الهدى، عين مليلة، 2009 ص: 395-396.

² - محمد بن سميّة: محمد الصّالح رمضان وجهوده في خدمة الدين والوطن والعلم، جريدة البصائر بتاريخ: 30-09-1429هـ مأخوذ من الموقع: <http://www1.albassair.org>، تاريخ الرفع: 03-03-2016.

³ - محمد الأخضر عبد القادر السّائحي: روعي لكم (تراجم ومختارات من الشعر الجزائري الحديث) ص: 81.

فإنك في مهرجان الربيع¹

وإثر فاجعة أحداث 08 ماي 1945؛ التي وإن خلفت جراحاً دامية، فإنها جعلت الشعب الجزائري يكتشف نفسه "بفضل تلك المأساة ظهرت في أفق الجزائر ألحان الحرية والضحايا، والاستقلال والعلم الرفراف... ومن ظهور تلك الرموز ظهر عدد آخر من الشعراء كان في طليعتهم الربيع بوشامة، وعبد الكريم العقون، وأحمد الغوالي وموسى الأحمدى، وحسن حموتن، والأخضر السائي..."² وغيرهم كثير، تغنوا للطفولة وحافظوا على نهجهم التعليمي الإصلاحي، غير أن شعرهم كان عبارة عن بواصر "ولم يتبلور كأدب قائم بذاته له خصوصياته الفنية والتربوية والنفسية، وإنما كانت هذه القصائد والمنظومات تدور في فلك المدرسة؛ لتحقيق غايات تربوية ودينية وتأتي في ثنايا دواوينهم الشعرية"³ فضلاً عن كون طفل هذه المرحلة من تاريخ الجزائر هو طفل مسلوب الحقوق، يعاني الضنى والإملاق، ولا يمكنه تلقي الشعر الموجّه له في ظلّ جوع البطن ممّا جعل الشعراء يتجهون إلى شعر الكبار دون شعر الصغار إلا ما ذكرنا سابقاً، ولعلّ طبيعة المرحلة هي التي فرضت عليهم ذلك.

2.3- فترة ما بعد الاستقلال:

ثم يأتي الاستقلال في 05 جويلية 1962؛ ليصنع مرحلة جديدة، ويزرع شحنة النصر في أبناء الجزائر، ويفتح تحدياً آخر، ومرحلة أخرى معبأة بتركة ثقيلة جداً ورثتها الجزائر عن المستعمر البغيض؛ فكان لابدّ من إعادة بناء الثقافة الجزائرية، بإعادة الكرامة للغة العربية التي حاول -كما أشرت سابقاً- المستعمر تحطيمها، وإعادة بناء التراث الوطني، وتدعيم البحث والنهوض به، فظهرت ملامح نهضة جديدة، غير أنّ السنوات الأولى من الاستقلال أصابها ركود ثقافي؛ لعدم توقّر الكتاب العربي، وضعف دور النشر، وقلة الصحافة الوطنية؛ ولكن سرعان ما انتعشت البلاد ودخلت مرحلة الانفتاح

¹ - أحمد سحنون: الديوان، ط2، ج1، منشورات الحبر، الجزائر، 2007، ص:51.

² - أبو القاسم سعدالله: دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ص:43.

³ - العيد جلولي: النص الشعري الموجه للأطفال في الجزائر، ص:49.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

فانتشرت المدارس الابتدائية، وبدأت حركة ثقافية في الظهور، فانتعش معها أدب الكبار غير أن شعر الأطفال لم يكن حدثاً يذكر؛ لأنّ معالمه لم تتّضح بعد بصورة واضحة في بلادنا، إلّا من خلال المناشط المدرسية ضمن الكتب المقرّرة؛ والتي كان أكثرها من لبنان الشّقيق، وكانت معظم المقطوعات المقرّرة من إنتاج شعراء عرب من مثل: سعيد جودة السّحار، سليمان العيسى، حافظ إبراهيم، إبراهيم طوقان وغيرهم، وبذلك تكون الجزائر قد اعتمدت في تدعيم الثقافة الطّفلية على الانتاج العربي الوافد من مصر وسوريا ولبنان، وبعض الانتاج الفرنسي وظلّ الحال كذلك حتى بداية السبعينيات من القرن الماضي، وبالضّبط سنة 1972 أين قامت المؤسسة الوطنية للنشر والتّوزيع والتي اصطلح على تسميتها فيما بعد بالمؤسسة الوطنية للكتاب بترجمة السلسلة الحيوانية الشّهيرة (الأب كاستور) لصاحبها الأصلي (بول فوشيه)¹.

كما شرعت مجلّة (همزة وصل) الشّهيرة في الوسط التّربوي الجزائري وبخاصة في التّعليم الابتدائي، والتي كانت تصدرها وزارة التّعليم الابتدائي والثّانوي بداية من الموسم الدراسي 1973-1974 في نشر مجموعة من القصائد الموجّهة للأطفال من قبل أسماء عربية لامعة في هذا المجال وأخرى جزائرية على ركن خاص بأدب الأطفال، نذكر منهم من الجزائر: عبد القادر بن محمد، سعدي الطّاهر حرّاث، موسى نويوات الأحمدى. ثمّ كان "مؤتمر الأدباء العاشر ومهرجان الشّعر الثّاني العشر، الذي نظّمته وزارة الإعلام والثقافة من 25 أفريل إلى 03 ماي 1975، وما أثاره المؤتمر من قضايا أدب الأطفال في الوطن العربي كان مجرد سحابة عابرة على ثقافة الأطفال لأنّ المبادرات المحتشمة من الكتاب الجزائريين تعدّ على الأصابع"² وفي سنة 1976 أصدرت المؤسسة الوطنية للنشر والتّوزيع، سلسلة قصصية خيالية (سالم وسليم) لموسى نويوات الأحمدى.

وبقي الحال يدور في حلقة هي أشبه إلى المبادرات الأولى في أدب الأطفال وما فعله كلّ من كتب للأطفال لم يتعدّ المنهج الإصلاحي الذي حافظ عليه من بقي على قيد الحياة حتّى هذه الفترة، أو تبسيط تجاربهم وانشغالاتهم للوصول إلى قلوب

¹ - العيد جلولي: قصص الأطفال بالجزائر، ص: 76.

² - زهراء خواني: أدب الأطفال في الجزائر - دراسة لأشكاله وأنماطه - (أطروحة دكتوراه مخطوطة) جامعة تلمسان، 2008، ص: 37.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

الأطفال، بعيداً عن المعيارية الفنية والإبداعية؛ التي ظلت "رهينة الاجتهاد الذاتي المنقطع عن سواه من التجريب الأدبي وهم كتاب الكبار إذ خاضوا هذا المسلك إنما اجتهدوا في تكييف أدوات كتاباتهم الأولى بالنحت والتصغير، والتبسيط؛ لكي يصلوا بها إلى سذاجة الأطفال"¹ وبقي الأمر كذلك حتى حلول سنة 1980، التي تعدّ تاريخاً لانطلاق التأليف الحقيقي في أدب الأطفال في الجزائر، حيث "بدأ الشعراء يقفون عند المشاعر والأحاسيس الداخلية للطفل، ويتقنّون شخصه ويتحدّثون بلسانه، ويحلّقون بأجنحته ويعالجون موضوعات مستمدّة من بيئته وداخله في نطاق تجربته، معتمدين في ذلك على علوم إنسانية عديدة كعلم النفس وعلم التربية، وعلوم اللسان باعتبارها روافد تساعد المبدع في فهم هذا المتلقّي الخاص"² وهو أمر نشط حركة دور النشر، وبعض المؤسسات المحسوبة على الحركة الثقافية، بتوجّدها المباشر للاهتمام بأدب الطفل بعامةً ومن ذلك إصدارها للعديد من الدواوين الشعرية الموجهة للطفل. ومن مظاهر ذلك أيضاً تفرّد المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع بإنشاء فرع إداري مستقل مشتقّ عنها وأسمته: قسم منشورات الأطفال، ثمّ دار الهدى للنشر والتوزيع عبر موسوعاتها الدينية والتعليمية، وعالم الحيوان، وكذا دار الشهاب التي راعت في مطبوعاتها للأطفال العديد من الخصوصيات والشروط التي تتلاءم مع مراحل الطفولة.

وتدعمت دور النشر السابقة بدور خاصّة، احتضنت أعمال الشعراء المبدعين بنشر دواوينهم ومجموعاتهم الشعرية الموجهة للأطفال، فلمعت نجوم شعراء كثر نذكر منهم: محمد الأخضر السّائحي وديوان (ديوان الأطفال) سنة 1983، وديوان (أناشيد النّصر) سنة 1983 الذي يحوي 18 نشيداً. مصطفى محمّد الغماري وديوان (الفرحة الخضراء) سنة 1983، ويحوي 18 نشيداً. محمد ناصر في (البراعم النّدية) سنة 1984 والذي يحوي 08 أناشيد. سليمان جوادي وديوان (ويأتي الربيع) سنة 1984، ويتألّف من 17 نشيداً. السنوسي الشّافعي عبر ديوانه (أناشيد الأشبال) سنة 1985 ويضم 15 نشيداً³.

¹ - عميش عبد القادر: قصّة الطفل في الجزائر، ص: 33.

² - العيد جلولي: النصّ الشعري الموجه للأطفال في الجزائر، ص: 88.

³ - محمد الصالح خرفي: أدب الأطفال في الجزائر، ط1، دار ميم للنشر، الجزائر، 2014، ص: 41.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) أنموذجا

ومع نهاية الثمانيات وطوال سنوات التسعينات ظهرت كوكبة أخرى مختصة في الكتابة الشعرية للأطفال نذكر منهم: بوزيد حرز الله الذي نظم ديوان (حديث الفصول) سنة 1986. يحي مسعودي وديوانه (نسمات) سنة 1986. محمد لخصر عبد القادر السائحي في ديوان (نحن الأطفال) سنة 1989. بوزيد حرز الله وقصته الشعرية (عدنان والغزلان) سنة 1989. محمد علي الزياوي و(عصافير الصباح) سنة 1989. صلاح يوسف عبد القادر (أغاريد الجثة) سنة 1989. خضر بدور وديوانه (أنغام الطفولة) في جزأين سنة 1992 ويحوي 18 نشيدا. الربيع بوشامة و(ديوان الشهيد) سنة 1994. صادي إدريس في ديوان (روضة البراعم). محمد الشبوكي (الديوان) سنة 1995. أمسقم يحي في ديوانه (الينابيع) سنة 1998، وجمال الطاهري الذي يعدّ من أكثر المهتمين بشعر الأطفال في الجزائر في مرحلة ما بعد الاستقلال، "ويعتبر من الأسماء الشعرية الجديدة في نهاية الستينات وأوائل السبعينات التي تمارس الكتابة الشعرية على النسق العمودي والحر"¹ حيث نجح في إثراء القصيدة الطفلية، ونوع في الموضوعات وشعره محل دراستي هذه كأنموذج لشعر الأطفال في الجزائر.

كما نشط بعض الشعراء مع بداية الألفية الثالثة في نشر دواوين للأطفال نذكر منهم على سبيل المثال: حسن داوس وديوانه (أهازيج الفرح) سنة 2000. محمد كاديك في (ورد وسكر) سنة 2001. عمار خلوف نورة (أناشيد الأطفال) سنة 2002.² وجموعي أنيف في دوانه (براعم جزائرية) سنة 2013. والقائمة لا تزال مفتوحة فثمّ شعراء آخرون نشطوا في الكتابة للأطفال منذ بداية الألفية الثالثة إلى اليوم.

أمّا على مستوى صحافة الأطفال فقد ارتبط شعر الأطفال في فترة ما قبل الاستقلال بالصحافة المدرسية؛ التي كانت تصدر عن مجموعة من المدارس عبر مختلف ولايات الوطن والتي لا تتسع المساحة لحصرها، أين لعبت دورا مهماً في نشر هذا الفنّ الشعري. وبعد خمس سنوات من الاستقلال أي سنة 1967، ظهرت مجلة (مقيدش) كأول

¹ - الربيعي بن سلامة، وآخرون: موسوعة الشعر الجزائري (د، ط) مج2، دار الهدى، عين مليلة، 2009 ص:210.

² - العيد جلولي: النص الشعري الموجه للأطفال في الجزائر، ص:475.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

مجلة تصدر للأطفال باللغتين العربية والفرنسية في الجزائر عن الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، وقد تميّزت بجودة الطباعة¹ التي استمرت حتى سنة 1983. وفي سنة 1972 أصدر الاتحاد الوطني للشبيبة الجزائرية مجلة (قنفيذ) التي صدر منها عدد واحد وفي سنة 1977 صدرت مجلة (ابتسم) عن وزارة الرّي، غير أنّها توقفت بعد ثلاثة أعداد وفي سنة 1977 صدرت مجلة (طارق) عن المتحف الوطني للمجاهد وتوقّفت بعد ثلاثة أعداد أيضاً². فضلا عن مجلة (رياض) التي صدرت سنة 1986 والتي عمّرت مدّة عشر سنوات أين توقّفت عن الصدور سنة 1995، وفي سنة 1990 ظهرت مجلة (سندباد) عن جمعية التّسليّة للطفولة والشبيبة وفي سنة 1992 كانت مجلة (نونو) ومجلة (الهدهد) عن الجمعية الجزائرية لأدب الطّفل، وفي سنة 1996 ظهرت مجلّتا (الشاطر) و(سمسم) بالإضافة إلى بعض الأركان الخاصة بأدب الأطفال على صفحات الجرائد الوطنية، لكنّها في عمومها لم تخدم القصيدة الشعريّة للأطفال. دون أن ننسى التّجربة الرائدة (الأحرار الصّغار) التي صدرت سنة 1988 كملحق لجريدة (الأحرار) والذي يعتبر مشروع متكامل يجمع جميع فنون أدب الطّفل والوحيد الذي يؤسس فعلا لصحافة أدبية طفلية في الجزائر.

خلاصة:

ونخلص في الأخير إلى أن شعر الأطفال في الأدب الجزائري الحديث قد أخذ اتّجاها مدرسيا تقليديا حينما تشكّلت نواته الأولى تحت مظلة البيئة الإصلاحية، وكان البطل في ذلك هو المعلّم؛ لأنّه فضلا على أنّ معظم من أنتجوا شعرا للأطفال في النّصف الأول من القرن العشرين كانوا معلّمين، لم تكن لهم الدّافعية للكتابة الطفّلية في ظلّ الحصار الاستعماري الثّقافي، فجاء شعرهم مشحونا بنغمة الكبار، ولا يستند إلى شروط أدب الأطفال بمفهومه المعاصر ذلك أنّهم لم ينهلوا من روافد علمية أخرى تشاركهم بالضرورة وهم يكتبون للأطفال كعلوم التربية وعلم النّفس، وظهر شعرهم من خلال المدارس الحرّة، والصحافة المدرسية والحركات الكشفية أو ما اصطلح عليه بالكشافة الإسلامية الجزائرية. لذا كانت أغلب قصائدهم تربية تعليمية، تدعم المناهج

¹ - ربحي مصطفى عليان: أدب الأطفال، ص: 419.

² - محمد الصالح خرفي: أدب الأطفال في الجزائر، ص: 71.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

المدرسية، وتشجع على الأخلاق والعلم، والأهداف العامة للتعليم التي كانت تسود في النصف الأول من القرن الماضي.

إن عدم إتقان الشعراء الرواد فن الكتابة للأطفال، وطبيعة الموضوعات التي كانوا يتناولونها، جعلت شعر تلك المرحلة يتسم ببعض الصعوبة، قياساً لمتطلبات شعر الأطفال ومواءمته لمختلف المراحل العمرية. ورغم التقليدية المحافظة فقد كان شعر هؤلاء من العوامل المؤثرة في وضع البذرات الأولى لشعر الأطفال في الجزائر.

وبعد عشرية من الاستقلال، ومع بداية الثمانينات من القرن الماضي اتخذ شعر الأطفال طابعاً جديداً، وبدأت تظهر ملامحه وخصائصه، وبخاصة على صعيد الألفاظ والتراكيب اللغوية باستخدام الألفاظ والتراكيب السهلة، وتجنب الغريبة غير المألوفة منها والإقلال من المفردات والتراكيب؛ جعل الأبيات والأسطر قصيرة، وغير ذلك من شروط أدب الأطفال.

ولهذا التحوّل أسبابه كاحتكاك شعراء الطفولة في الجزائر بنظرائهم في المشرق العربي وانعقاد بعض المؤتمرات حول أدب الطفل، واعتماد السنة الدولية للأطفال سنة 1979 من قبل الأمم المتحدة. وظهرت المؤسسات الوطنية والمطبوعات الخاصة التي ساهمت في نشر شعر الأطفال بخاصة، وأدب الأطفال بعامة. فتفاوتت تجارب أسماء كثيرة من حيث القدرة، وتكامل الأدوات التي يتطلبها دخول الشاعر إلى هذا الميدان وكذلك الرغبة الصادقة والتواصل الجاد مع أدب الطفل، ومعرفة أسراره الخفية وعوالمه ووظائفه الحقيقية. ولكنها على العموم استطاعت أن تشكل القواسم المشتركة لقصيدة الطفل في الجزائر التي تحررت من سلطة الخطاب التربوي، وأجواء (المحفوظات المدرسية) وصار بالإمكان أن نتحدث عن شعر للأطفال في الجزائر من خلال خصوصية المفردة وطبيعة الأوزان، وطبيعة الموضوعات المتناولة.

أمّا أنماطه فقد تنوّعت بين الأنشودة الجماعية، ذات المعاني والتراكيب البسيطة المتعدّدة الأوزان والقوافي، والقصيدة الفردية ذات المعاني العميقة والتراكيب القوية، التي تعتمد في غالبيتها على وزن وقافية واحدة، فضلاً عن الأغنيات الشعبية الجزائرية؛ التي

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) أنموذجا

ترتبط بالمهد والترقيص، والمناسبات المختلفة واللعب، بالإضافة إلى الشعر التعليمي والألغاز الشعرية التي حفلت بها دواوين شعراء الطفولة في الجزائر، والقصص والمسرحيات الشعرية. وكل أولئك سنتعرف على مضامينه من خلال المدونة الأنموذج في الباب التالي.

الباب الثاني :

الموضوعات في شعر الأطفال

عند جمال الطاهري

* الفصل الأول: موضوعات شعر الطبيعة والوطن
والقومية

* الفصل الثاني: موضوعات الشعر الديني والاجتماعي
والتعليمي

الفصل الأول :

موضوعات شعر الطبيعة والوطن والقومية

تمهيد

1- موضوعات شعر الطبيعة

2- موضوعات الشعر الوطني والقومي

خلاصة

تمهيد:

إنّ أدب الأطفال بما يقدّمه من خبرات لغوية، ودعائم فكرية وأخرى نفسية يعتبر وسيطاً فاعلاً لنشر ثقافة الطّفّل باستقاء المعرفة والقيم، إذا ما أحسن استغلاله، بالتركيز على مواعته لمختلف مراحل الطّفولة بالتّخطيط الجيّد باستغلال كافة الوسائط، والوسائل التي تفضي إلى أحسن النّتائج المرجوة لرسم ملامح المستقبل.

والشّعر باعتباره أحد الفنون التّعبيرية ضمن أشكال أدب الأطفال يؤدّي وظيفة تفوق ما سواها من الفنون الأخرى على غرار القصة، والمسرحية تحديداً فيمتاح الشّعر من مناهل الحياة على تنوّعها، والحافلة بشتّى الموضوعات التي تتضمّن المعارف والمعلومات والأحاسيس التي تُقدّم في قوالب فنيّة تلائم قدرات الطّفّل. فشاعر الأطفال كغيره من الشّعراء يكون قلقاً مهموماً بما يختار لمتلقّيه من تلك المناهل الحياتية؛ ليسدّ رمق الطّفولة الباحثة عن إجابات لأسئلتها الحائرة، متحرّياً في تصوير تجاربه عوالم الأطفال الشّخصية، وعوالم لعبهم وطبيعتهم، ومدارسهم، وإنسانيّتهم كقيمة أساسية في حياة البشر، في إطارٍ مقنعٍ من خلال التجارب الطّويلة، بوضع بسمة الملائكة على شفاه الأطفال. وأن يكون إنتاجه الشّعري للأطفال يتناسب وكلّ القدرات الطّفلية، ويتواءم مع مختلف المراحل العمرية .

لقد أصبح موضوع الطّفّل والطّفولة في العصر الحديث يحظى بمكانة عظيمة في الدراسات التربوية، والنفسية، والاجتماعية، والأدبية، وبلغ مبلغاً عظيماً، حتى أضحيّ التّعامل مع هذا الموضوع فناً مستقلاً تأصيلاً وتقعيداً. ودراسته في ظلّ عالم يتماوج بما يحيط بالأطفال من رقمنة ومعطيات حضارية تقنية وتكنولوجية، وهي سمات العصر الذي نعيش فيه؛ تطلّب أن يكون الخطاب الموجّه لهم يتماشى في موضوعاته مع هذا التّطور التكنولوجي والفضاءات المفتوحة، وقد عمد كثير من الأدباء والشّعراء المهتمّين بشأن الطّفولة إلى التّنوع في موضوعات إنتاجاتهم الأدبية الموجّهة للأطفال، فتناول الشّعر شأنه شأن القصة والمسرح، موضوعات متنوّعة من مثل موضوعات الطّبيعة والوطن والقومية التي سنعالج مضامينها في هذا الفصل.

1- موضوعات شعر الطبيعة:

لقد ارتبط الإنسان بالطبيعة منذ الأزل، في علاقة تجاذب بين الانسجام والصراع من جهة، وبين الاستغلال والسيطرة من جهة أخرى؛ فهي الفضاء الذي ساهم في بقاء الإنسان والحفاظ على نوعه، شأنه في ذلك شأن باقي الكائنات، وهي مجال الراحة والاستمتاع بمشاهدها ومناظرها الخلابة المختلفة التي تثير الرهبة والاندهاش.

إنّ الطبيعة هي ذلك النموذج المثالي "الذي يتحنّم على فنون البشر أن تحاكيه محاكاة صادقة. فهي كلّ شيء أصيل يتمتّع بوجود حقيقي متميّز عن كلّ ما يبتدعه الإنسان أو يعدّل فيه"¹ وعلى ذلك فالطبيعة هي كل ما تمظهر في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾² فهي ذلك الكلّ من حياة وأحياء وسكون وحركة وتوازن وتناسق وجمال، وما يعترّيه من تغير وتبدّل، وانبعاث وفناء؛ إنّها الكلّ بمعانيه وأسراره.

والطبيعة في الأدب "موضوع أثير، ومتجدّد مع الأزمنة، رائج في المذاهب النثرية والشعرية، كما هو شائع في الرّسم، تناوله الأدب واستفاض فيه، وعبر عنه تعبيراً صناعياً بارداً، أو استغرق فيه، وحوّله إلى كائن حيّ يتفاعل مع صاحب الأثر، ويندمج في مشاعره"³ وصاحب الأثر هو ذلك الإنسان المتمرّد على العادة والمألوف بإحساسه المرهف، وشعوره الرقيق، وذوقه السليم ممّا أهّله أن يحسّ بهذا الكلّ بمظاهره، ليدرك ما يخفيه من أسرار، ويترجم هذه التجربة الشعورية في أعمال فنيّة تتضمّن الأحاسيس

¹ - مجدي وهبة، وكامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ط2، مكتبة لبنان، بيروت، 1984 ص:235.

² - سورة البقرة: الآية:164.

³ - جبور عبد النور: المعجم الأدبي، ط2، دار العلم للملايين، بيروت، 1964، ص:163-164.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

والأفكار، والرؤى، والنظرات فتحوّل الطّبيعة إلى مصدر إلهامه ونبوغه الفكري التأملي في علاقة حميمية أجلّ الاستمتاع بجمالها.

إنّ الناظر في الشعر عموماً، وشعر الأطفال خصوصاً، تتجلى له حقيقة تأثير الطّبيعة على الشعراء وشخصياتهم حدّ الافتتان بها، فقلّما نجد عملاً شعرياً يخلو من عناصرها، حتّى غدت ملهمتهم وموسيقى إنشادهم، ومنبع أحاسيسهم ورؤاهم.

والشاعر جمال الطاهري جلس على محور الأشياء، وتأمّل في سرّ الطّبيعة، وغدّى عواطفه من مآثرها "يتقلّب مع الفصول الأربعة، وينظر إلى ملايين الأشياء، يفكر في تعقيد هذا الكون، فيحزن لتساقط الأوراق في الخريف المفعم عنفواناً، وتملؤه غبطة أكمام الزّهر النّاعمة في الرّبيع العطر. ويعاني البرودة وقلبه حافل بالرّهبة. فإذا اطمأنت روحه حول نظراته إلى الغيوم...أخذ يتغنّى بالعبير النّقي"¹ ويتجوّل في غابة شعره متغنّياً بالطّبيعة في لوحات شعرية غاية في الرّوعة، وجّهها إلى أطفال الجزائر خاصّة وأطفال العرب عامّة، واقتبس من الطّبيعة الزّهور ونفح الياسمين لوسم ديوانيه.

وبعيداً عن جدلية التّقسيمات المختلفة للطّبيعة، فقد عالج جمال الطاهري في شعر الطّبيعة للأطفال موضوعات عناصر الطّبيعة السّاكنة سماوية كانت أم أرضية والظواهر المرتبطة بها، وموضوعات عناصر الطّبيعة المتحرّكة بحيواناتها وطيورها في تنوع كبير تناول مضامين عدّة، يمكن حصرها وفق الجدول الآتي:

عنوان القصيدة	مصدرها (الديوان)	الصفحة
عرس الطبيعة	الزّهور ج 1	15
يا شمس	الزّهور ج 2	18
أنشودة الشمس	الزّهور ج 2	19
في الصباح	نفح الياسمين	1
البدر	الزّهور ج 4	12

¹ - أرشييالد مكليش: الشعر والتّجربة (د، ط) ترجمة: سلمى الخضراء الجويني، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر بيروت، 1963، ص:13.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

20	نفح الياسمين	يا نجمة في الأفق
16	الزهور ج 5	ليلنا الأسمر
17	الزهور ج 5	هيا نسمر
10	الزهور ج 3	مرحبا بالربيع
16	الزهور ج 2	سيأتي الربيع
17	الزهور ج 2	حفل ربيعي
7	الزهور ج 1	درس الروضة
22	نفح الياسمين	هيا لغرس الشجرة
6	الزهور ج 5	ازرعوا النوار
9	نفح الياسمين	الشتاء
10	نفح الياسمين	حكاية الشتاء
27	نفح الياسمين	أنشودة المطر
17	نفح الياسمين	أبشروا جاء المطر
11	الزهور ج 4	تحت وابل من المطر
29	نفح الياسمين	نقط نقط يا مطر
18	الزهور ج 1	انثري
28	نفح الياسمين	يا غيمة المطر
10	الزهور ج 1	التلج
10	الزهور ج 2	زوبعة مفاجئة
4	نفح الياسمين	مناجاة غيمة
15	الزهور ج 5	صوت الريح
14	الزهور ج 3	البلبل السجين
14	الزهور ج 5	الطير غنى
4	الزهور ج 1	ماذا تقول الطيور
16	نفح الياسمين	الفراشة 1

18	نفع الياسمين	الفراشة 2
9	الزهور ج4	الديك كوكو
5	الزهور ج4	صياح الديك
21	الزهور ج5	الهرة

جدول (01) يتضمن 35 قصيدة تعالج موضوعات شعر الطبيعة.

1.1 - مضموننا الشمس والصباح:

فاتحة الموضوعات الطبيعية الساكنة (عرس الطبيعة) التي يتغنى فيها الشاعر بجمال الجزائر التي ضحكت لها الأيام بعد الملامة، وتبسمت في ثغرها الأحزان، فكانت أرض الجدود الوطن الذي من جماله تغار القلوب:

أخي أي فصلٍ يُمجدُّ باهرٌ
وأي احتفالٍ وذا اليوم ماطرٌ
يهبُّ يطهرُّ أرضَ الجدودِ
وينثرُ فوقَ نراها جواهرُ
وما هو إلا صباحٌ أهلَّ
فبرعمَ مقدمه ألفَ شاعرِ
نراناً مجيدٌ قلو مدَّ آهاً
لفارت قلوبٌ وذابت محاجر¹

والجزائر مسرح أنس الشاعر، ومربع صباه، من أنزه البلدان، صحيحة الهواء، قليلة الأدواء، خضلة العشب، زاهية الأزاهير، تحيط بها الجبال في كل رُبع كما الأساور بالمعاصم، وصحراؤها الشاسعة مطمع الأعين والأنفس، ذات سهول ممتدة وشواطئ ساحرة، وجداول متراقصة، يتهادى الشاعر في وصفها للأطفال:

سُطوري نشازٌ دَع الطيرَ يحكي
فمن صاعٍ مثلَ مَواويلِ طائرِ
دَع النَّسَمَةَ البِكرَ تحكي فصولاً
من الشوقِ تحلمُ في عينِ ساهرِ
وهذي الجدولُ تزقُصُ نشوى
لأجلِ عريسِ خبولٍ و حائرِ
وهذي الحشائشُ في كلِّ مرجِ
تعدُّ بساطاً جميلاً وناضرِ
نقّهةً فيه عيونُ الأزاهيرِ
ر سكرى بفضلِ الجمالِ المُفاخرِ²

¹ - جمال الطاهري : الزهور، ط1، ج1، دار الحضارة، المدية، 1991، ص:15.

² - المصدر نفسه، ص:15.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

وإذا كانت طبيعة الجزائر بهذا الجمال، فإنّ الأجل في كلّ ذلك الشّمس فهي في صيفها جمال القوّة والقهر، نارها تحرق، وفي حرقتها العظمة والحبّ قاسية وفي قسوتها الخير، وهي في شتائها الأمّ الحانية، رمز الرّحمة والدّفء تلاعبنا بظهورها واختفائها، وتصبغنا بألوانها المتبدّلة المتدرّجة، حتى عشقتها الفراشة، وغرد في سماها الطّير، ونمت في ثراها الزّهور، يصوّر جمال الطّاهري جمال الشّمس ويناديها كطفل لعوب (يا شمس):

يا شمسُ يا حَبِيبَةَ الفِراشِ والطّيورِ والصّخورِ
يا باقَةَ منظُومَةٍ من ألفِ ألفِ نورِ
يا لوحَةَ بديعةٍ في كُونِنَا المسحورِ
فُومي بُكوراً أشرفي على هذه الدّيّازِ
ولتَنزعي من جُونَا قَتامةَ الأستَازِ
ودَغدي في سَهْلِنَا الأعشابِ والنّوازِ

يا شمسُ

يا شمسُ

أُموذجِ الجَمالِ

حَبِيبَةَ الأَطفالِ

وَشَي سَواقِينَا

حُلِّي بوادِينَا

كُونِي مُعَنِّيْنَا

وارعي مَواشِينَا

حُلِّي بكلِّ نَفْسِ

عَنِّي مع الأَطفالِ

تَهَوِي ضِياءَ الشَّمسِ¹

تَهَفُو إلى الجَمالِ

ومشهد الشّمس علق بذاكرة الشّاعر، وانطبعت في مخيلته صوراً أشتاتاً فافتتن بها لجمال طلعتها، وهي تروي الأفق بنورها، فصورها بمشاهد الطّبيعة في (أنشودة للشّمس) وكأنّه يتغزل بها في انسياب جميل على لسان الأطفال:

صُبِّي سَنّا الأَنوازِ

يا مصدرَ الأشعارِ

بِحُسنِهِ البَدِيعِ

كي يَشْرِقَ الرِّبيعِ

رِيانَةَ الإيهابِ

وينشُرُ الأعشابِ

¹ - جمال الطّاهري: الزّهور، ج2، ص:18.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

والوَرْدَ وَالنَّوَّازَ تَحْسَبُهُ أَقْمَارَ
يا طَلْعَةَ بَهِيَّةَ تَخْتَالُ عَسْجَدِيَّةَ
تَطْفُو عَلَى الْأَفُقِ كَيْ يُزْهِرَ الْأَلْقُ¹

ويتحسّس جمال الطاهري جمال الصّباح وهدهوه وروعته، وقد صدع الظلام بنوره بوجه وضيء، يطرد السكون والأقنعة، في تصوير حركي، معلنا دبيب الحياة والانطلاق والحرية، ويربط كلّ ذلك بنور الشّمس، تلك العروس التي تحيي ببسمتها الوجود، وتجزّ رداء الليل، معلنة عن يوم جديد (في الصّباح) مخاطبا الطّفولة في كلّ مراحلها:

ويطردُ الكونُ السُّكُونُ فَتَفْتَحُ الشَّمْسُ الْجُفُونُ
فيملاً الثُّورَ العِيُونَ فِي الصَّبَاحِ
وتنشرُ الشَّمْسُ الشُّعَاعَ نُضِيءُ مَجْموعَ الرِّبَاعِ
فَتَنْتَشِي مِنْهَا البِقَاعُ فِي الصَّبَاحِ
ويَطْرُدُ الثُّورُ الظُّلَامَ ويملاً الدُّنْيَا ابْتِسَامَ
ويوقظُ الفجرُ الأَنَامَ فِي الصَّبَاحِ²

2.1- مضامين القمر والنجوم والليل:

وقد اغترف الطاهري من القمر سمير العشاق وأنيس الارتحال، في مرحلة البدر ما لّد له من الصّفات لإرضاء فضول الأطفال، ولخلق صورة رائعة تليق بمرمز السيادة والقيادة، الذي يقود جيش النجوم، فيحتجب نهاراً، ويسير ليلاً، حيث وقف أمامه يتأمله ويستقرئه، ويملاً عينيه من حسنه وجماله، وهو بعد ذلك مطيب الأحوال، وطارد الهموم وموأل المنشدين، وجامع الكلّ للسمر في ضيائه الذي استعاره من الشّمس ليعاكسها صعوداً ونزولاً، ويحييها وهو (البدر) في هذه الرّائعة المتماوجة على لسان طفل شاعر وهو يحتضن نور البدر من على شرفة منزله:

مَا أَحَلَى البدرَ وَقَدْ كَمَلَا وضياءَ الشَّمْسِ لَهُ أَقْلَا
والفَرْقُدُ مِنْهُ بَدَا حَجَلَا وجمالُ الكونِ قَدْ اكْتَمَلَا

¹ - جمال الطاهري: الزهور، ج2، ص:19.

² - جمال الطاهري: نفع الياسمين، ص:01.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

أفديك أيا بدري الغالي
قد طاب السامر والسمر
من كل الهَم أنا سال
والوحش تنجى والبشر
وحديت يعقبه أثر¹

وبعيدا عن علم النجوم والتنجيم تناول جمال الطاهري مضمون النجوم بدافع الحب لكثرة سهره، وتأملاته في الليل والنجوم، ولعل ذلك من باب التفكير في خلق الله بأمر من الله سبحانه وتعالى وهو القائل في محكم تنزيله: ﴿قُلِ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ² وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾² فقد وصف النجمة لذاتها، ودخل معها في تخاطب إنساني، وهو ما يحبّه الأطفال في مرحلة الخيال المحدود، وإن كان المغزى يحوي أسراراً ومعانٍ فوق مستوى هذه المرحلة، فتصور النجمة جمرة، وسواد الليل همماً، وحرزاً، ثم رماداً، ونأى عن ذكر أسماء النجوم، ونادى واحدة (يا نجمة الأفق) في صورة الكل، وهي العقود المتألثة على نحور الزنجيات ولعلّه يخاطب نجمة الثريا، وكأنّي بالرجل يسهر حتى يصبح؛ لأنّ هذه النجمة تتألق أكثر عند المغيب في آخر الليل، يقول :

تألقي بين السواد
وأوقفي هذا الحداد
تألقي بين الغيوم
كما حمامة تحوم
ولتبعتني فينا هنا
وابقي دواماً معنا
كجمرة بين الرماد
فمنك فيض الأمل
وبعثري هذا الوجوم
فمنك فيض الأمل
وردي ألقى المنى
فمنك فيض الأمل³

ولم يغفل الطاهري عن ظاهرة الليل بما فيه من ظلمة ونجوم، غير أنّه لم يتناوله كظاهرة كونية تستدعي التأمل والتفكير، لأنّه لو تناوله من هذا الجانب فإنّ المعجم الذي سيستدعيه للتوظيف سيكون لا محالة بهالة من المعاني تفوق المستويات اللغوية

¹ - جمال الطاهري: الزهور، ط1، ج4، دار الحضارة، المدينة، 1992، ص:12.

² - سورة يونس: الآية:101.

³ - جمال الطاهري: نفع الياسمين، ص:01.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

والإدراكية للأطفال، فتناوله من مضمونه الجمالي، فبالرغم من أنّ الليل إذا أناخ بكلّ كلكه وغزى الكون بظلمته الدامسة، سيحوّل الحياة إلى رهبة وسكون بطوله الذي يرهق النفوس، ويتعب الأجساد، فقد تعامل معه الشاعر كمقياس لسعادة الأحياء وحتى الجمادات، وملتقى السّهر في البوادي ويصفه بـ (ليلنا الأسمر) حين تتعانق نجومه وتتجلّى على استحياء أمام القمر فعُمره هاهنا قصير جداً، وسريعاً ما ينبلج صُبْحُه فالإنسان لا يحسّ بالزّمن مع لحظات السّعادة؛ يصرّو الشاعر ليل وصله وسمره على السنة الأطفال :

بدرُ الدُّجَى أزهَرُ	في ليلنا الأسمرُ
أحلامَ واديِنَا	لنجومِهِ يذكُرُ
فرحانَ قد رددُ	للنَّجمِ للفرقَدُ
بُشرى بواديِنَا	للكلِّ قد أكَّدُ
هيا بنا نسهرُ	في ليلنا الأسمرُ
دنياً أمانينا ¹	في دفتهِ نذكُرُ

ويضيف في توضيح الصّورة، وإجلاء المشهدية، في حركة موسيقية غاية في الرّوعة، تتناسق وعفوية الصّغار، وعلى ألسنتهم حين ينشدون (هيا نسمر):

ليلي مُقْمِرُ	هيا نسهرُ
هيا نسمرُ	حلوُ ذا اللّيلُ
ضمّ الأخبابُ	خيرُ الأصحابُ
لمّ الأطيابُ	حلوُ ذا اللّيل ²

3.1 - مضامين فصل الرّبيع وما يتصل به:

وتناول الشاعر جمال الطاهري فصل الرّبيع من باب الأحلام، وكأنّ مجيئه آتٍ من زمن بعيد، فأغرق في اختراع المعاني بكثير من الحذقة الواعية على غير التّهج الوصفي، في ارتباط نفسي وثيق بحبه للرّبيع، وإحساسه بأنّه الملجأ الذي يلوذ به

¹ - جمال الطاهري: الزّهور، ط1، ج5، مؤسسة أشغال الطّباعة، المدينة، 1993، ص:16.

² - المصدر نفسه، ص:17.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

من صقيع الشتاء، فسور الربيع وكأته عالمه المثالي الذي يتمناه لابنه أن يعيش فيه في هدهدة جميلة، يخاطب فيها مرحلة الطفولة المثالية ويمنيها بأنه (سيأتي الربيع) :

سيأتي الربيع بُنيّ الحبيب سيأتي الربيع
سيأتي ويزهرُ بين الورودِ بوجهٍ بديعٍ
فلا تحشْ هممَةً في الرياحِ، ولا تبتئسْ بجمودِ الصقيعِ
وعانقْ برمشكِ طيفَ التمنيّ، وطوّقْ بجفنيكِ حلماً وديعٍ
سيأتي الربيعُ بُنيّ الحبيبِ بطيفِ الأملِ
سيأتيك بالبرّ، بالبساتِ، بأشهى القبلِ
ويُهديكِ أحلى وأجملَ ما حاكه من حللِ
قفّف بانتظاره حتّى يجيء، وقبل يديّه إذا ما مثل¹

ويرحب الطاهري بالربيع ومجيئه، ويتغنى بجماله، بما فيه من زهور وعطور وطيور، وغدير، وخرير، ويرضي "حاسته البصرية المفتونة باستجلاء الألوان، التهمة إلى النور، كما يرضي أذنه التي تطربها أصوات الطبيعة، أكثر مما يطربها العود... وكما يرضي أنفه الذي يمتلئ بأريج الربيع فلا يجد معنى للمسك من بعده ولا للكافور، وكما يرضي بعد ذلك كلّ نفسه فتطمئن إليه"² لإدراك الجمال، فالزهر منتثر بعطوره، والطيور تنشد طرباً على رنات خرير المياه، وكلّ أولئك يتغنى بموسيقى الربيع في قصيدة (مرحباً بالربيع) على لسان الطفل :

يا مرحباً أتى الربيع	جاء الربيع مرحباً
من وجهه الطلق البديع	حسناً الدنى تتوباً
فأحّت بآيات العطور	يا مرحباً هذي الزهور
حييت يا فصل الربيع	وأشدت كل الطيور
يشدو بالأحان الخريز	يا مرحباً هذا الغدير

¹ - جمال الطاهري : الزهور، ج2، ص:16.

² - سيد نوفل: شعر الطبيعة في الأدب العربي (د، ط) مطبعة مصر، القاهرة، 1945، ص:203.

رَقْرَاقُ، سَلْسَالٌ، نَمِيرٌ غَنَّى بِمُوسِيقَى الرَّيْبِغِ¹

ولقد تبنى الشاعر مبدأ التكرار كمطلب أساس في أدب الأطفال بامتياز وتجاوز تكرار الألفاظ والمقاطع إلى قصائد بعينها، وإن تفرقت في شكلها فيجمع الصور السابقة وغيرها، وبشكلها منمنمات في قصيدة (حفل ربيعي) نقتطف منها:

مَا أَعَذَبَ حُضْرَةَ أَعْشَابٍ أَحْلَى مِنْ أُرُوعِ أَثْوَابِ
قَدْ حَفَّتْ حَفَّ الْأَهْدَابِ بِسَوَاقِي الرُّوضَةِ وَالْغَابِ
مَا أَعَذَبَ تَعْرِيدَ الْأَطْيَازِ فِي الْبُكْرَةِ أَوْ وَقْتِ الْأَسْحَارِ
تَشْدُو فَتَمِيمِيسُ الْأَشْجَازِ وَتَفِيقُ بَوَاكِيْرِ النَّوَازِ
مَا أَعَذَبَ مِنْ لَوْنِ الْوَرْدِ أَحْمَرَ كَمَا لَوْنِ الْخَدِّ
بَرَحِيْقٍ أَشْهَى مِنْ شَهْدِ وَعَيْبِرٍ فِي الدُّنْيَا يُهْدِي²

ويبدو أن الطبيعة صارت جزءاً من كيان جمال الطاهري، وقطعاً من نفسه يصورها ويسقط عليها نفسه، كما يفعل الطفل تماماً مع ألعابه، في تلقائية واضحة، ممزوجة بأحاسيسه، ورؤاه، وتصويراته، ويتجلى ذلك أكثر في روضته فهي وقد تفتت أوراق أغصانها، وتفتحت كمام ورودها، وارتدت حلة سندسية جعلته يفتن بها، ويكشف عن بهائها، ويصور جمالها في حركة يقبل عليها الأطفال لإمتاع وموانسة أنظارهم بمحاسنها، في قصيدة (درس الروضة) حيث يقول:

هَيَّا هَيَّا، هَيَّا هَيَّا نَزْرَعُ الرُّوضَةَ جَرِيًّا
أَنْظُرُوا هَذَا الرَّيْبِغِ جَاءَ بِسَامًا بَدِيْعِ
أَلْبَسَ الْأَرْضَ النَّظِيْفَةَ سُنْدُسًا ثُمَّ قَطِيْفَهُ
وَأَنْظُرُوا الْعُصْنَ تَفْتَقُ وَرُقَّهُ رَاحَتِ تَصْفَقُ
وَأَنْشِفُوا عِطَرَ الْوُرُودِ عَبَّقَتْ كُلَّ الْوُجُودِ
هَيَّا هَيَّا، هَيَّا هَيَّا نَجْتِي الْأَزْهَارَ جَنِيًّا
مَا أَحْيَى ذِي الْفَرَّاشَةِ تَتَلَوَّى فِي أَنْدِهَاشِهِ

¹ - جمال الطاهري: الزهور، ط1، ج3، دار الحضارة، المدينة، 1991، ص:10.

² - جمال الطاهري: الزهور، ج2، ص:17.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

وَأَسْمَعُوا تِلْكَ الطُّيُورَ
أَبَدَعَتْ مِ الْقَشِّ عَشًّا
رَاقِبُوا النَّحْلَةَ تَسْعَى
لَهَا دَوْرٌ هِيَ تَرَعَى
دَوْرَهَا لِأَبَدٍ يُوعَى
تَتَنَاجَى فِي حُبُورٍ
ضَمِنَتْ دِفْنًا وَعَيْشًا
تَجْتَنِي حُلُوَ الْعَسَلِ
عُمْرَهَا الْكُلُّ عَمَلٌ
فَخُذُوا مِنْهَا الْمَثَلُ¹

فهذا النص الشعري يشعر فيه الأطفال مع شاعرهم بالفرحة التي تملأ جنبات الروضة إثر قدوم الربيع، ويحسون فيه بحركة عناصرها، من خلال الطيور، والفرش والنحل، فتفتتح قلوبهم للحياة، ويستسلمون لمنظر الروضة الرائع، وذلك انعكاس لجوانح الشاعر الذي يرى الربيع روحاً للحياة، ومصدر اليقظة في الطبيعة؛ وقد رسخ الشاعر قيمة العمل والإنتاج كسمة سلوكية غير مباشرة من خلال عمل النحلة.

وحتى يكتمل جمال الروضة يدعو الشاعر الأطفال لزرع الأزهار والورود والأشجار وتشكيلها على نحو بديع لمحاربة منظر البور رمز الخراب وتحويله إلى مشهد رائع تستمتع به حواسهم، وما أجمل ذلك للأطفال، فلهم صلة وثيقة مع الطبيعة، وتعمق أكثر حين يمارسون ثقافتهم البيئية فيها، في قصيدة (ازرعوا النوار) :

قَوْمُوا ازرعوا النّوّارَ
البورُ ذَا مُحْتَازَ
قَوْمُوا ازرعوا ذَا الفلّ
رندُ الورى مَا انشَلْ
قَوْمُوا ازرعوا السّوسنَ
نشّاقُ فنّ الفنّ
ولتعرسوا الأشجارَ
والطيّرُ مَا غرّدْ
خَيْرًا يُفيدُ الكلّ
والخَيْرُ لَمْ ينفدْ
لُونًا سيئسي لُونُ
فألحقلُ مَا ورّدْ²

وللشجرة حكاية أخرى مع الطبيعة، فقد ذكرها الله سبحانه وتعالى عدّة مرات في القرآن الكريم، وبها ضرب الأمثال في طبيعتها وخبثها، قال الله تعالى في شأنها:

¹ - جمال الطاهري: الزهور، ج1، ص:07.

² - جمال الطاهري: الزهور، ج5، ص:06.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ. تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا¹ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ. وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ¹﴾ فقد شبه الله عمل المؤمن وهو يُرفع آناء الليل وأطراف النهار بالشجرة الطيبة

التي لا يزال يوجد منها ثمر في كل وقت من صيف أو شتاء أو ليل أو نهار كما شبه الكافر الذي لا أصل له ولا ثبات بشجرة الحنظل أو الشريان التي لا أصل لها ولا فرع² وقد حمت السنة النبوية في أكثر من حديث حقوق الأشجار من غرس وعناية فما أجدنا برعاية الأشجار والدعوة إلى زراعتها وذلك ما تبناه جمال الطاهري في شعره (هيا لغرس الشجرة) فهي عنده جسد الجمال في الطبيعة، والشرطي الذي يطارد الانجراف والتصحّر، والقانون الذي يحمي التربة، والمتصوّف الروحي في طلب الأمطار ونفط المدافئ في الشتاء، وهي أم الثمرة، وبيت العصفور، ومصدر الظلّ والنور، وغير هذه الوظائف يخاطب الشاعر مرحلة البطولة والمغامرة (المرحلة الثالثة) في تربية هادفة في عيد الشجرة المناسبة التي يتهافت الأطفال للمشاركة فيها نقطف منها:

هَيَّا ، هَيَّا ، جَمِيعًا نَحْوَ الشَّجَرَةِ
هَيَّا ، هَيَّا ، هُبُّوا لِعَرْسِ الشَّجَرَةِ
السَّيْلُ يَسْرِقُ التُّرَابَ
هَيَّا لِنُوقِ السُّيُولِ
مُدُّوا السُّدُودَ بِالأَشْجَارِ
جُدُّورْهَا تَحْمِي السُّهُولِ
لَكِي يَدُومَ الاخْضِرَارِ
هَيَّا لِعَرْسِ الشَّجَرَةِ
هُبُّوا لِنَدْعُوا السُّحُبَ

¹ - سورة إبراهيم: الآيات: 24-25-26.

² - ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر: تفسير القرآن العظيم، ج2، ص: 1101-1102.

حَنَّ الثَّرَى لِمُنْمَطِرِهِ
تَحَوَّلَ الزَّرْعَ دَهَبٌ
وَالجِدْعُ يُعْطِينَا الخَشَبَ¹

4.1- مضامين فصل الشتاء وما يتصل به:

وتطرق الشاعر في حديثه عن الفصول إلى ذكر الشتاء، ولم يطنب في وصفه كثيراً، فقد تحدّث عن حزن السماء، وهجرة الطيور، وسفور الأشجار، ووحشة الصباح عكس ما كان في الربيع، بفعل الرياح، وتساقط الثلوج، ومرور الأيام آخذة بأعناق الليالي، بمعانٍ جميلة، في مقطوعة (الشتاء) التي تناسب مرحلة الخيال المنطلق (المرحلة الثانية) وعلى ألسنتهم وهم يحاولون اكتشاف أنفسهم وبيئاتهم معا:

حِينَ السَّمَاءُ اعْوَلَتْ طُيُورُنَا عَنَّا مَضَتْ
وَالوُزْقُ أَضَحَّتْ تُفْرَشُ
بِنْتُ العُصُونِ أُسْقِطَتْ وَفِي التُّرَابِ عَفَّرَتْ
وَالصَّبْحُ طَيْفٌ مُوحِشٌ
وَالرِّيحُ حَوْفًا وَلَوْلَتْ لَمَّا التُّلُوجُ أَقْبَلَتْ
فَالْبُرْدُ قَاسٍ يُنْعِشُ
فَالْأَفْقُ خَدٌّ شَاحِبٌ وَالطَّيْرُ بَوْمٌ نَاعِبٌ
وَالصَّيْفُ وَهْمٌ يُنْعِشُ²

كما تحدّث الشاعر عن الشتاء في قالب حكائي قد يكون الراوي فيه الجدة بصفتها مصدر حكايات الأطفال، في قصيدة (حكاية عن الشتاء) فبدأ مشهده الأول بتصوير حالة السماء في الشتاء واستعار ظاهرة الاكتئاب واسقطها على الوجه الشاحب:

عَمَّتْ سَمَاءَنَا العُيُومُ فَوَجَّهَهَا بَادِي الوُجُومِ
لَا شَيْءَ فِي الدُّنْيَا يَدُومُ كَدًّا الفُصُولُ العَابِرَةَ
عَمَّتْ سَمَاءَنَا السُّحُبُ فَوَجَّهَهَا قَدِ اكْتَابُ

¹ - جمال الطاهري: نفع الياسمين، ص: 21.

² - المصدر نفسه، ص: 09.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

كَمِثْلٍ خَذَّ قَدْ شَحِبَ فَرَّتْ دِمَاهُ الْفَائِرَةَ¹

ثم يتحوّل في المشهد الثاني إلى تصوير الرياح التي كانت تحمل عبق الرياض والزهور في الربيع، وتنتثر الأوراق في الخريف؛ لتكفّن بها الأزهار لوعة على وداعها للصيف، فهي في الشتاء تتأوّه وتندب عناصر الطبيعة من الجو الغضوب الذي هجر الطيور :

وَأَرْعَشَ الْقَرُّ الرِّيحَ فَأَرْسَلَتْ أَعْلَى نُوَاخِ
تَبْكِي عَلَى الْأَمْسِ الْمُتَاخِ عَلَى زَمَانِ الْهَاجِرَةَ
لَمَّا عَنِ الْأَيْكِ الطُّيُورِ تَتَابَعَتْ مُهَاجِرَةَ
أُورَاقُهُ بَاتَتْ تَمُورُ كِي تَعْتَدِي مُسَافِرَةَ²

ومع إطلالة الصّباح يبدأ مشهد جديد عن حكاية الرّيح والأوراق، حيث يلهو بها تارة، ويعود ليجمعها تارة أخرى، على شاكلة ألعاب الأطفال في التّفريق والتّجميع وكأنّها في حفيفها زفرات الطّبيعة، فبعد أن كانت الأوراق قطيفة تكسو الأشجار، صارت مهشّمة ومحطّمة تلهو بها الرّيح حتى جعلتها مداسا لكل العابرين على أجسادها:

وَحِينَمَا جَاءَ الصَّبَاحُ قَالَتْ لَهَا بُسْطُ الرِّيحِ
مَنْ شَاءَ يَرْكَبُ الْجَنَاحُ إِيَّيَ بِهٍ لَطَائِرَةَ
فَأَعْمَضَتْ هَذِي الْعُيُونُ وَخَلَقَتْ أَحْلَى الْعُصُونِ
ثُمَّ إِمْتَطَتْ رِيحًا خَوْوُنَ بِهَا تَوَلَّتْ ثَائِرَةَ
عَلَتْ بِهَا نَحْوَ السَّحَابِ كَمَا سَمَا طَيْرُ الْعُقَابِ
ثُمَّ رَمَتْهَا لِلتُّرَابِ لِكُلِّ رِجْلٍ عَابِرَةَ
رَمَتْ بِهَا مُهَشَّمَهُ مُصَفَّرَةً مُحَطَّمَهُ
لِحَنُفِهَا مُسَلَّمَهُ وَلِلظُّرُوفِ الْقَاهِرَةَ³

¹ - جمال الطاهري: نوح الياسمين، ص: 10.

² - المصدر نفسه، ص: ن.

³ - نفسه، ص: ن.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

والمطر هو أساس الحياة، والخير، والرحمة للعباد، وقد ورد ذكره في القرآن الكريم في غير موضع بلفظه ولفظ الماء والغيث، في مثل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ¹ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾¹ فيبتهج الناس لهطوله، ويطربون، وتجدد قريحة الشعراء في وصفه وذكر منافعه.

والشاعر جمال الطاهري تأمل السماء فشاهد الغيوم ترسل المطر كحبات اللجين على البسيطة فتروبيها، وتمشط أهداب أعشابها، وتدغدغ أزهارها وتبعث فيها الحياة، فرسم لأطفال المرحلة الأولى والثانية بانطلاقها، وواقعيتها، لوحة جميلة صبغها بمشاعره فكانت (أنشودة المطر) وكانت الروعة نسيجا أخضرا وكانت الكلمات القليلة، في المعاني الكثيرة:

أنشودة المطر	أحبُّها لأنَّها
تحلُّ بالخيرات	تُمشطُ الأعشاب
وتبعثُ الحياة	في قلب كلِّ غاب
أنشودة المطر	أحبُّها لأنَّها
تحلُّ بالزروع	تُدغدغُ الزهر
وتورقُ الزروع	وتضحكُ الثمر
أنشودة المطر	أحبُّها لأنَّها
تحنو على الفلاح	تدعوهُ للعمل
تمنحه النجاج	تزرعه أمل ²

ويكرّر ذات المعاني بأسلوب مغاير له مغزاه ومضمونه، لإكساب الأطفال جديد اللغة دون وسيط شارح، وربط المطر بالظواهر الكونية المصاحبة لها وهي البرق ثم الرعد، فالبرق تدركه حاسة البصر، والرعد تدركه حاسة السمع، وهما متلازمان ويسبقان نزول المطر، وللبرق تأثير جمالي على الأنفس، أمّا الرعد فيحيل على الرعب

¹ - سورة الشورى: الآية: 28.

² - جمال الطاهري: نفع الياسمين، ص: 27.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) أنموذجا

ففي بروزهما بشرى لنزول المطر، وبخاصة حين تصاحبهما الرياح التي يقول فيها الله سبحانه وتعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقِنَهُ لِبَلَدٍ لَّيْلِدٍ مِّمَّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۗ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾¹ وذلك ما استلهمه الشاعر وصوره ليعرف الأطفال أن سقوط الأمطار يحيي الأرض ويجعلها خضراء جميلة، وهو طبعا انعكاس نفسي راسخ في وعي الشاعر بأهمية وفضل المطر في مطولة (أبشروا جاء المطر) نقتطف منها:

اسْمَعُوا الرَّعْدَ	تَهْدِرُ فِي السَّمَاءِ
وَانظُرُوا الْبُرُوقَ	نَمُوجَ الضِّيَاءِ
وَأفْهَمُوا الرِّيحَ	تَقُولُ فِي الْغِنَاءِ
يَا مَعْشَرَ الْأَنْامِ	قَدْ أَقْبَلَ الشِّتَاءُ
إفْرَحُوا جَاءَ الْمَطْرَ	أَبْشُرُوا جَاءَ الْمَطْرَ
اسْمَعُوا الْأَرْضَا	تَشْفَقَتْ شِفَاهُ
وَفَرَعَهَا الْغَضَا	وَلْتَفْهَمُوا دُعَاهُ ²

ودائما جمال الطاهري لا يترك الظواهر دون تفسير، فهو يحمل شعره بنفائس العقيدة، ويفسر للأطفال أن كل ما يرونه ويسمعونه في هذا الكون إلا ويسير بأمر من الله ليسبح بحمده :

اسْمَعُوا الرَّعْدَ	تَوَحَّدُ الْإِلَهَ
وَانظُرُوا الْبُرُوقَ	بِسَامَةِ الشِّفَاهِ
واسْمَعُوا الرِّيحَ	تَقُولُ مِنْ هُدَاهِ
يَا واهِبَ الْحَيَاةِ	لِلزَّرْعِ فِي نَرَاهِ

¹ - سورة الأعراف: الآية: 57.

² - جمال الطاهري: نفع الياسمين، ص: 27.

فأفرحوا جاء المطرُ أبشروا جاء المطرُ¹

وتجلّت الصورة السمعية من خلال صوت قطرات المطر في تساقطها على الأرض واستعار لها صورة التقطير التي سماها التّقطيط لتقريبها إلى أذهان أطفال المرحلة المتوسطة من خلال قرع الأقلام في المناشط الدراسية، وأبرز حاجة الطبيعة بحيّتها وجامدها بما فيها الإنسان إلى المطر في تضمين قرآني لطيف: ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِرَتْ﴾² وأنّ السنين العجاف ستحوّل عناصر الطبيعة إلى يابسات، وذلك في قصيدة

(نقط، نقط يا مطر):

نَقَطُ، نَقَطُ يَا مَطْرُ
وَالسَّهْلُ يَفُورُ هُنَا عَطْشًا
نَقَطُ، نَقَطُ يَا مَطْرُ
أرسل أمواهك للوادي
سكان القرية قد هلّعوا
أضناه هم وأنت هنا
فالأرض أمامك تستعز
والسائم يهلك والبشر..
فالقحط القاسي قد بدرا
وأعدّها الخضرّة والزّهرا
والزّارع يحيا سهرانا
تزدادُ بَعَادًا، هِجْرَانًا³

واللعب في الطبيعة الخضراء ممّا يألفه الأطفال، وحين تتحوّل إلى يباب بفعل الجفاف، يناون عنها ويصيبهم الكدر، والهلع النفسي، يعكس الشاعر ذلك في أسلوب تقريرى يتوجّه به إلى كلّ الأطفال على السواء، لأنّ صورة الجمال تتعكس على الكلّ والعكس أيضا:

حَتَّى الْأَطْفَالُ لَفَدَّ هَلَّعُوا
فَالأَوْجُهُ كَالِحَةٌ حَيْرَى
يَا سُحْبَ الخَيْرِ أَلَا هُبِّي
مَا أَصْبَحَ يُغْرِبُهُمْ لَعِبُ
قَدْ عَفَّرَ صَفْحَتَهَا التُّرْبُ
صُبِّي بِالخَيْرِ، أَلَا صُبِّي⁴

¹ - جمال الطاهري: نفع الياسمين، ص: 27.

² - سورة التكوير: الآية: 12.

³ - جمال الطاهري: نفع الياسمين، ص: 29.

⁴ - المصدر نفسه، ص: ن.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

ثم يؤنس الطاهري الغيمة في خيال إيهامي لأطفال المرحلة الأولى في رائعة غنائية وسمها بـ (انثري) بدافع ما يشعر به نحو الغيمة من حبّ ونشوة وغبطة، ورغبة في خطاب لذيذ سلس، يطلب فيه منها أن تنثر قطراتها على الحقول والمرج حتى يمتلئ الكون بأريج العطور، وتشدو الطيور في حبور وسرور:

أُنْثَرِي فِي الْأَرْضِ قَطْرَهُ بَعْدَ قَطْرَهُ
أُنْثَرِي فِي الْحَقْلِ بَذْرَهُ بَعْدَ بَذْرَهُ
دَعْدِغِي فِي الْمَرْجِ زَهْرَهُ بَعْدَ زَهْرَهُ
وَأَسْمَعِي الْعَالَمَ طُرَهُ صَاغَ شُكْرَهُ

أُنْثَرِي فِي الْأَرْضِ حَبًّا وَزُهُورَ
إِمْلِي الْكَوْنَ بِأَهَاتِ الْعُطُورِ
وَابْعَثِي الطَّيْرَ تُعْنِي فِي سُرُورِ
فَهُوَ يَشْدُو لَكَ مُمْتَنًّا شُكُورًا¹

ويتناول نفس المعجم، وبنفس الأسلوب الخطابي، مع فارقة بسيطة في النظم، يشرح الشعر بالشعر، متناولاً نفس المعاني في (يا غيمة المطر) والتي ذكر في آخر مقطع منها بعض الفواكه التي يفضلها الأطفال وأنواعاً من الأزهار ذات الرائحة القواحة يقول:

أَمْطِرِي عَلَى الْأَشْجَارِ بِالخُوخِ وَالرُّمَّانِ
وَأُنْثَرِي عَلَى الْأَزْهَارِ الْفُلِّ وَالرَّيْحَانَ
أَمْطِرِي، أَمْطِرِي صُبِّي عِبْرَ الْمَكَانِ
وَأُنْثَرِي، أُنْثَرِي مَبْعُوثَةَ الرَّحْمَنِ²

والطاهري لم ينس وقع المطر من نفسه على لسان الطفل، فيكشف عن خلجات قلبه، بإحساس مرهف، وشعور مفعم بالتأمل، حيث يعرض مكونات حالمة تستدعيها خواطره، في تأمل فلسفي، وهو (تحت وابل من المطر) الذي سمى به قصيدته، فلم يفوت الموقف وقال:

¹ - جمال الطاهري: الزهور، ج1، ص:18.

² - جمال الطاهري: نفع الياسمين، ص:29.

وكلّما تساقط المطرُ
شَعَرْتُ بانْتِشَاءِ كَمِثْلِ رَعِشَةِ الْوَتْرِ
رَقِصْتُ حَتَّى خِلْتَنِي مِنْ رَاقِصِي الْعَجَزِ
وكلّما تساقط المطرُ...،
تَنَهَّدْتُ جَوَانِحِي، تَحَسُّبُهَا أَضْمُومَةَ
الرَّهْرِ
زَالَتْ بِهَا مَخَاوِفِي مَخَاوِفُ السُّهَادِ
وَالسَّهْرِ
وأصبحتُ حديقتي مأوى للشمس والقمر¹

ثمّ يمنح روحاً للريح التي تسوق المطر، وشبّتها بالسّفيرة، في تركيب شائك
قد لا يتسلّل إلى مخيلة الأطفال، إلّا في المرحلة المتأخّرة، ولكنّه يبقى صورة شاعرية
وهبتها ربّة الشعر للطاهري فيضيف مخاطباً للريح على لسان الطفل:

فَلتُعُولِي سَفِيرَةَ الرِّيحِ
وَلتَسْتَسِيغِي قِصَّةَ الدُّمُوعِ وَالْعَذَابِ
وَالجِرَاحِ
وَلتَنْتَثِرِي شِبَاكَ الْقَرْسِ وَالصَّقِيعِ
أَمَامَنَا... أَمَامَنَا إِطْلَالَهُ الرِّبِيعِ
لَا شَيْءَ يُوقِفُ الْمَطْرَ
فَانْتَجِرِي سُوبِعَةَ الضَّجَرِ
لَا شَيْءَ يُجْهَضُ الرِّبِيعَ...،
يُوقِفُ النُّمُوَّ عَنِ بَرَاعِ الرَّهْرِ²

ثمّ يعود في صوت خفيض، هو أقرب ما يكون إلى عالم الطفولة وفي طلاقة مفعمة
بالبشر والسّماحة؛ ليخاطب مرحلة الطفولة الأولى في صورة ابنه في تصوير بارع

¹ - جمال الطاهري: الرّهور، ج4، ص:11.

² - المصدر نفسه، ص:ن.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

عن (صوت الريح) حيث يُترجم صفيّره إلى تسبيح وسعادة للفلاح بما يحمل من بشريّ الخير، حيث يقول:

إِسْمَعْ يَا بَنِي	صَوْتِ الرِّيحِ
أَحْلَى فَنِّ	فِي النَّسْبِيحِ
صَوْتٌ يُسْعِدُ	قَلْبَ الفَّلَاحِ
نَعْمٌ يَنْشِدُ	لَحْنَ الإِصْلَاحِ
صَوْتٌ يَحْمِلُ	بُشْرَى الخَيْرِ
يَسْعَى يُكْمِلُ	لَفْظَ البِشْرِ
صَوْتُ النَّسْمَةِ	قَالَ: العَيْمَةِ
هَطَلَتْ ثَمَّةٌ	تَحْمِلُ نِعْمَةً ¹

ويواصل الطاهري مخاطبة ذات المرحلة، وعلى لسان ابنه الذي لم يستيقظ من عالم أحلامه بعد، فيوقظه لأن منظر (التلج) قد انبسط في الأرض كالديباج الذي تستحي النعال أن تمشي عليه، فاحتضن الطبيعة، واستحلى في تقبيلها، هذا المنظر دغدغ قريحة الشاعر، فقال إلهاماً، وأيقظ في ابنه حاسة البصر:

قُمْ يَا بُنَيَّ أَنْظُرْ	مَا أَجْمَلَ المُنْظَرَ
حَدِّقْ بِهِ أَبْصِرْ	هَذَا هُوَ التَّلْجُ ²

ثم يواصل واصفاً طلعة الثلج، وحلاوته التي تمتع المقل، مستعيراً الصورة تلو الأخرى، لتقريب بياضه ونقاوته إلى أذهان الناشئة:

القطنُ مَا أَلْطَفُ	فِي أَرْضِنَا يَنْدُفُ
كَالطَّيْرِ قَدْ رَفَرَفَ	هَذَا هُوَ التَّلْجُ
قُطْنٌ هَمَّا لُطْفًا	حُلُوٌّ بِنَا حَفًّا
كَالطَّيْرِ قَدْ لَفَّا	هَذَا هُوَ التَّلْجُ
أَنْظُرْ لِذِي الأَفْوَافِ	قَدْ حَوَمَتِ الأَطَافِ

¹ - جمال الطاهري: الزهور، ج5، ص:15.

² - جمال الطاهري: الزهور، ج1، ص:10.

قَدْ كَوَّنَتْ أَحْلَافٌ يَرْبِطُهَا التَّلْجُ¹

وفي اتصال ما بين الأرض والسماء، حيث لا برّ يُنظر، ولا أفق يُبصر ولا يُسمع إلا الأصوات المدممة، تتحد عناصر الطبيعة لتشكل (زوبعة مفاجئة) فينظم فيها جمال الطاهري شعراً سهل التناول مضموناً ولغة، في نغم موسيقي وصور مألوفة لدى الأطفال يقول في بعض أبياتها:

وَهَبَّتِ الرِّيحُ	خَفِيفَةَ الْجَنَاحِ
مَضَتْ عَلَى الْأوراقِ	فَعَمَّهَا اصْطِفاقُ
هَا شَعَّتِ البُرُوقُ	أرْسَلَتِ الوَمِيطُ
أَجَّبتِ الشُّرُوقُ	في لَيْلِنَا العَرِيطُ
والرَّعدُ قَدْ هَدَرَ	بِصَوْتِهِ المُخِيفُ
قَدْ أرْعَشَ الحَجَرُ	فَأَنْتابَهُ الوَجِيفُ
هَا سَحَّتِ الأمْطارُ	تَحْسَبُهَا الأَنْهَارُ
آهٍ مِنَ السَّمَاءِ	يَخْنُقُهَا البُكَاءُ ²

5.1- مضامين الحيوان:

لقد ذكر الله سبحانه وتعالى كثيراً من الحيوانات والطيور والحشرات في القرآن الكريم، وشرف كثيراً منها بأن يكون لها دور في تاريخ الإنسان على المعمورة؛ والأمثلة في ذلك متنوعة، ومن أشهرها غراب قابيل الذي خصه الله تعالى في قوله: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ

غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوْءَةَ أَخِيهِ^ج قَالَ يَوَيْلَ لِيَ أُعْجِزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُورِي سَوْءَةَ أَخِي^ط فَأَصْبَحَ مِنَ النَّدَمِينَ³﴾ والمنتهم البريء ذنب يوسف في قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ

¹ - جمال الطاهري: الزهور، ج1، ص:10.

² - جمال الطاهري: الزهور، ج2، ص:10.

³ - سورة المائدة: الآية:31.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

يَأْكُلُهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غٰفِلُونَ¹ وطيور سليمان وهُدُودُه الَّذِي أَطْلَعَهُ عَلَى نَبَأِ
بَلْقِيسِ فِي قَوْلِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَأَ أَرَى الْهَدَّهْدَ أَمْ
كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ² وغيرها كثير نذكر منها: كلب أهل الكهف، نملة سليمان
فيل أبرهة، ناقة صالح، حمار العزير، دابة عصا سليمان، حوت يونس، ثعبان موسى...
وخصَّ بعضها بأن سمى بها بعض سور القرآن الكريم: البقرة، النحل، النمل، العنكبوت
العاديات، والفيل فضلا عن ورود الحيوان في السنّة النبوية في عدّة أحاديث لا يتسع
المقام لذكرها، وجاء ذكر الحيوان بهذا الشكل للعتة، وضرب المثل، بهذه الأمة التي
تمثل الإنسان في نظام حياتها مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا
طَيْرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ³ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ³ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ
مُحْشَرُونَ³.

ولما كان الحيوان بهذه الأهمية فقد التفت إليه الأدب العربي بشكل لا يمكن حصره
وذلك لأنّ الإنسان العربي تعايش معه في صحرائه وبواديه، أليفه ووحشيه، وكان جزءا
من بيئته، فتمثّل الناقة، والخيول، والبقرة الوحشي والذئب، والنعام، وكثيرا من الضوّاري
في صور متعدّدة، وأشكال مختلفة، مبرزاً صفاته، ومنافعه.

وألفت في الحيوان كتب تخصّه على غرار (الحيوان) للجاحظ، وكُتبت قصص
على لسانه مثل: (كليلة ودمنة) لابن المقفع، ورويت عنه الحكايات ك بعضها
في (ألف ليلة وليلة) وضرب به المثل في قصص الأمثال وما أكثرها في الأدب العربي.

وحين يُنظم الشّعْر على ألسنة الحيوان، فإنّه يتحول إلى زوابع تثير في الطّفْل
خياله، وتجذب انتباهه، وتأسر حواسّه؛ لأنّ الكلمة مع الوزن أحبّ شيء لنفس الطّفْل

¹ - سورة يوسف: الآية:13.

² - سورة النمل: الآية:20.

³ - سورة الأنعام: الآية:38.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

حتى وإن لم يفهم كُنْه الشعر ومراميه، فإذا ما تمازج بيان الشعر مع حكايات الحيوان نتجت الأعاجيب التي تطبع أقوى وقع على وجدانيات الأطفال.

وقد تناول شعراء الطّفولة في الجزائر عالم الحيوان بشكل مكثّف، ومزجوه بعالم الطّفولة، فأجروا الحديث على لسانه، وشرحوه ورمزوا إليه، في أشكاله الشعبيّة والمدريسيّة وأكثر أهدافه كانت تربيويّة.

وجمال الطاهري طرق موضوع الحيوان في شعره للأطفال ولم يكثر فيه واكتفى بما هو قريب جدّاً من نازعة الأطفال الجماليّة، فعالج في مضمون الحيوانات البريّة عالم الطّيور وما يتّصل به من فراشات فقط، فأظهر الطّير بشكله، واكتفى بوصف وظيفته في الطّبيعة وهي الغناء والشّدو والعزف والتّغريد وربط ذلك بمزاج الطير في فصل الرّبيع لأنّه في غير هذا الفصل لا يُسمع له صوت، يقول في أنشودة (الطّير غنّى) التي تتناسب مرحلة الطّفولة الثالثة في شكلها ولغتها:

الطّيرُ قَدْ غَنَى	حُلُو المُنَى مَنَى
هَنَا الوَرَى هَنَا	فَالكُونُ صَارَ ربيعُ
الطّيرُ إِذْ يَشْدُو	مُدُّ رَاحَ أَوْ يَغْدُو
سَعْدًا لَنَا يَبْدُو	فَالكُونُ صَارَ ربيعُ
طُوبَى لِعِرْفِ كَنَارُ	قَدْ أَلَفَ الأشْعَارُ
وَالصُّبْحُ ضَمَّ نَهَارُ	فَالكُونُ أَلَفَ ربيعُ
ذِي فَرَحَتِي عَمَّتْ	أُغْرُودَتِي حَلَّتْ
وَطُيُورُهَا حَفَّتْ	أَهْدَتْ مَجِيئَ الرّبيعِ ¹

ويضفي الشّاعر جمال الطاهري الحياة الإنسانيّة على الطّيور، ويهبها الشّخصيّة الرّئيسيّة، ويُمَلِّكُهَا التّعبير، ليبيّث عبرها عواطفه وأفكاره، فيجمع وداعة الطّيور برونق الرّبيع في امتزاج مثقل بالإحساس عمد فيه إلى تكديس الصّور الخارجيّة للرّبيع، فكون لوحة تضمّ كثيرا من الجزئيات، فبعد أن تساءل عن مقولة الطّيور في غنائها، كان الجواب على لسانها، بأنّه موسم البهاء، وسيّد الضّياء والحسن والشمول، وسيّد الفصول

¹ - جمال الطاهري: الزهور، ج5، ص:14.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

وغيرها من الصفات، وكأنه أراد أن يوجه الأطفال إلى حق الطيور عليهم في الاستماع لها وتدبر ما تقول، وكان ذلك في محفوظة (ماذا تقول الطيور؟) التي توائم مرحلة الطفولة الثانية، يقول فيها:

مَآذَا تَقُولُ الطُّيُورُ	وَقَدِ غَنَّتْ فِي حُبُورِ
تَقُولُ : يَا رَيْيَعُ	يَا مَوْسِمَ الْبَهَاءِ
بِفَصْلِكَ الْبَدِيعُ	يَنْتَشِرُ الضِّيَاءُ
يُحِبُّكَ الْجَمِيعُ	يَا سَيِّدَ الصَّفَاءِ
فَأَنْتَ يَا رَيْيَعُ	الْحُسْنَ وَالضِّيَاءُ
مَآذَا تَقُولُ الطُّيُورُ	وَقَدِ غَنَّتْ فِي حُبُورِ
تَقُولُ يَا رَيْيَعُ	يَا سَيِّدَ الْفُصُولِ
بِفَصْلِكَ الْبَدِيعُ	تَخْضُوضِرُ الْحُقُولُ
يُحِبُّكَ الْجَمِيعُ	لِحُسْنِكَ الْمَكْمُولِ
مَآذَا تَقُولُ الطُّيُورُ	وَقَدِ غَنَّتْ فِي حُبُورِ
فَأَنْتَ يَا رَيْيَعُ	وُصِفْتَ بِالشُّمُولِ ¹

ومن رعدة جوانح النفس، ومن صعدة الأسي، ومن مراقد الطفولة رجيعة الطرب وفي طهرٍ ونقاءٍ، وأفكار راقية يعبرُ جمال الطاهري بصورة أصيلة وألفاظ موحية وموسيقى طربية تحترم عقليات الصغار، عن حالة (البلبل السجين) وهو عنوان رائعته التي أبرز فيها جوانب عاطفية، ووضّح فيها موقفه الإنساني من سجن البلبل، ذلك الخافق الصّدّاح، الذي ينهل قطر الطيبات ويسكبها أغاني في أذن الكون؛ حيث بدأ بوصف حالته قبل أن يكون نزيل القفص؛ فقد كان يمرح في الجوّ، ولا يكدر عيشه سجن ولا قيد، ووقف طويلاً عند صفاته، وكان كالطفل في براءته، لا يصدر عنه إلا طيب الكلام بنسج عذب، يقول في المقطع الأول:

هكذا شئنا تَعَدَّبْ	صَعَّدِ الْآهَ لِنَطِرَبْ
كنت صدّاح الأغانى	فوجدنا النّوحَ أَعَدَّبْ

¹ - جمال الطاهري: الزهور، ج1، ص:04.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

أَمْسٍ كُنْتَ طَلِيْقًا حَيْثَمَا أَحْبَبْتَ تَذْهَبُ
تَرْكَبُ الرِّيحَ بِسَاطًا وَ لَكَ الْآفَاقُ مَلْعَبُ
وَلَكَ الْأَثْمَارُ قُوتٌ وَلَكَ الْغُدْرَانُ مَشْرَبُ
وَلَكَ الْأَشْجَارُ مَأْوَى وَلَكَ الْأَعْشَاشُ مَرْكَبُ
كُلُّ مَا تَرْجُوهُ دَانَ كُلُّ نَاءٍ مِنْكَ أَقْرَبُ¹

وفي صرخة مأسورة بالزفرات، وفي ضجيج روحي مأسور، وفي أسمى حالات الوجد، وحركة كوامن النفس، يتأوه الشاعر في كينونة لغوية، وفي لحظة تركيز شعوري يحثه على التعبير عن إحساسه، يواصل واصفًا البلبل في سجنه في صورة حيوية معبرة ناقلة للمشاعر الصادقة نقلاً مثيراً؛ وقائمة على ثنائية البناء والهدم، والإحياء والطمس إذ تطلع الشمس وتغرب، ويبقى البلبل يعاني الشقاء واليأس، وسيان عنده تعاقب الفصول يقول في المقطع الثاني:

إِيهِ يَا بَلْبُلُ أَضَحْتُ جَنَّةُ الْأَحْلَامِ سَبَسَبُ
وَإِذَا بِالسَّعْدِ يَبْدُو وَجْهَهُ الْفَنَّانُ أَجْرَبُ
أَصْبَحَ الْعَيْشُ عَذَابًا مِنْهُ بَطْنُ الْأَرْضِ أَنْسَبُ
صِرْتَ ذَا الْيَوْمِ حَبِيسًا لَا تَرَى ثَمَّةَ مَهْرَبُ
بَيْنَ فُضْبَانٍ حَدِيدِ لَوْنُهَا أَسْوَدُ مُرْعَبُ
مِثْلُ زَنْزَانَةٍ سَجِنِ بَلْ أَرَى وَضْعَكَ أَزْهَبُ
لَا تَرَى الشَّمْسَ إِذَا مَا أَشْرَقَتْ أَوْ حَلَّ مَغْرِبُ
قُوْتُكَ النَّزْرُ رَدِيءٌ بَعْدَ مَا كَانَ أَرْحَبُ
وَكَذَا الْمَاءُ أَجَاجٌ كَيْفَ مِنْهُ الْخَلْقُ تَشْرَبُ
حَالِكٌ لَيْلُكَ دَوْمًا مَا أَضَاعَتْ فِيهِ أَشْهُبُ²

وقد عبّر شاعرنا على أعماق تجربته الإنسانية التي عاشها، وعلى الكبت والقهر النفسي والفكري والاجتماعي الذي كان يعانيه وكأنه يخفي ثورة عارمة داخله، فأتقل

¹ - جمال الطاهري: الزهور، ج3، ص:14.

² - المصدر نفسه، ص:ن.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

المقطع الثالث بالهمّ والسوداوية، وأسقط صورة البلبل حبيس القفص الذي اصطفاه دون غيره من الطيور لما له من دلالات عميقة في مضمون المعنى الذي أراد أن يقدمه لنا وللصغار، على صورته الذاتية المشحونة بالبكاء والنشيج، والغربة، والبؤس، في مقام رثائي، لا يخلو من اللمحة الجذابة الصادرة من أعماق نفسه المكلومة بواقع بيئته الثقافية التي ترفض الشعراء، حين قال في آخر مقطع من هذه المطولة:

نحنُ يَا بُلْبُلُ سِيًّا	نِ وَفِي الهمَّ سَوَاء
شَاعِرٌ يَهْفُو لِيَرْقَى	فَوْقَ هَامَاتِ السَّمَاءِ
يَمْلَأُ الدُّنْيَا حُبُورًا	وَأَنْبِعَاتًا وَرَجَاء
وَطَلِيقٌ إِنْ تَعْنَى	رَدَدَ الكَوْنُ العِنَاء
إِنَّمَا قَدْ خَابَ ظَنُّ	فَإِذَا الشَّدُو بُكَاء
وَالعِنَا صَارَ نَشِيجًا	وَإِذَا المَدْحُ زَنَاء
وَإِذَا كُلُّ غَرِيبٍ	فِي بِلَادِ الغُرِيَاءِ
إِذْ هُنَا نَحْيَا بِأَرْضِ	لَا تُطِيقُ الشَّعْرَاءِ ¹

وتظهر الفراشة عند شاعرنا جمال الطاهري بشكلها الحقيقي، إذ تعتبر واحدة من أجمل الحشرات في عالم الطبيعة بتتميقها الزاهي؛ فحين رآها تختال كالأميرة في ألوانها البديعة على تخوم الحدائق، استحوذت على مخيلته، وراح يرحب بها كضيف كريم، على لسان طفل المرحلة الأولى؛ لأنه الأكثر ولعا بها فيقول في مطلع أغنية (الفراشة 1):

فراشةٌ مُرَوِّقَةٌ	جميلةٌ مُنَمَّقَةٌ
رَأَيْتُهَا مُصَفَّقَةٌ	تَجُولُ فِي التُّخُومِ
أَهْلًا بِكَ، أَهْلًا بِكَ	رُبُوعَنَا زَهَتْ بِكَ
تَزَوَّقَتْ بِنُوبِكَ	رُبَانَةُ العُيُومِ ²

¹ - جمال الطاهري: الزهور، ج3، ص:15.

² - جمال الطاهري: نفع الياسمين، ص:18.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

والطفل يعرف جيداً الفراشة من خلال مطارذته لها في الغابات، والحقول والحدائق والجبال، وحتى في الصحراء، فهو يجيد وصف ألوانها المنسقة كألوان قوس قزح، كما يستهويه منظرها وهي ترسل الوميض منتقلة بين النباتات المختلفة، يواصل الشاعر وصف الفراشة على لسان الطفل كثير التجوال في الحدائق والمنتزهات:

فراشةٌ مُلَوْنَةٌ في عرسها مُزَيَّنَةٌ
أصبأغها مُقَدَّنَةٌ تحفلُ بالرُّسُومِ
هُنَاكَ في الحديقة الخِصْبَةِ الِوَرِيْقَةِ
رأيتُهَا طليقَةً سعيدةً تحومُ¹

والفراشة دائمة الحركة والنشاط، فحتى في سكون جسمها يتحرك جناحها فهي في لعب دائم، وهي صفة تشترك فيها والطفل، يواصل الشاعر:

رأيتُهَا مُحَلَّقَةً عاليةً و مُطْرِقَةً
بِهَا الرِّيَاضُ مُشْرِقَةً لَا تَعْرِفُ الوُجُومِ
بين الزُّرُوعِ تَلْعَبُ إِذَا نَأَتْ سَنَقْرُبُ
أَوْ سَكَنْتْ تَضْطَرِبُ تَعْلُو فَوْق النُّجُومِ²

ثم يعود بنا الشاعر إلى رحاب التوحيد وتسييح المولى عز وجل، فيبين للأطفال نظام خلق الفراشة، وميزانها، ونقوشها، وزينتها، وبنظرة دقيقة إلى أجنحة الفراشة نرى أمامنا أجنحة متناظرة الشكل تماماً، إذ لا تمتزج ألوانها الموجودة والتي تتكون من دوائر صغيرة جداً مرتبة واحدة بجانب الأخرى، وبملاستها تتلاشى غباراً. وكل ذلك من تصوير من قال عن ذاته: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِيُّ الْمَصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾³ يقول في أنشودة (الفراشة 2) التي تلائم في شكلها ومضمونها مرحلة الطفولة الثالثة؛ لما فيها من تصريحات تكسبهم

¹ - جمال الطاهري: نفع الياسمين، ص: 18.

² - المصدر نفسه، ص: ن.

³ - سورة الحشر: الآية: 24.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

تذوق اللغة الفصيحة وتوظيفها أجل تكوين عادات فكرية تنشط وجدانهم:

مخلوقٌ يَحْفُوقُ مِنْ لَهَبٍ
يَخْتَالُ عَلَى هَامِ السُّحْبِ
بِجَنَاحِ زُرْكَشٍ بِالذَّهَبِ
لِيَقُولَ الْمُؤْمِنُ فِي عَجَبِ

سُبْحَانَكَ يَا رَبِّي الْقَادِرُ

مخلوقٌ يَزْهُو فِي دَابٍ
يَأْتِي لِلزَّهْرِ، فَيَلْتُمُهُ
مخلوقٌ أَبَدَعَهُ رَبِّي
مخلوقٌ عَلَّمَنَا الْحَدَبَا
فَانظُرْهُ يُدَاعِبُ أَزْهَارًا
بِكِسَاءٍ وَشِيٍّ مِنْ قَصَبِ
فَيَمِيسُ الزَّهْرُ مِنَ الطَّرَبِ
مَنْ ظُرْفِ حُلُوٍ مِنْ عَجَبِ
وَالْقَلْبَ فَأَثَرَعَهُ طَرَبَا
حَدَبًا، مَنْ عَلَّمَهُ الْأَدَبَا¹

ثم يأتي الدور على الحيوانات الأليفة التي كان حضورها في شعر جمال الطاهري للأطفال محدوداً جداً، فقد استدعى الديك من خلال صياحه لإبراز موقف تربوي اجتماعي ديني، وتسريب بعض القيم الإيجابية لعقول الأطفال ووجداناتهم من مثل الاستيقاظ من غفلة النوم لذكر الله، وأداء صلاة الفجر والجد والاجتهاد في وقت صفاء العقل والسعي لكسب الرزق، من خلال التوجيه على لسان الديك الذي فوضه الشاعر ليخاطب الأطفال على لسانه بأدب عفٍّ في مقطع من أنشودة (صياح الديك):

الديكُ صَاحَ...الديكُ صَاحَ
فُومُوا، كَفَاكُم مِ الْكَرَى
قَوْمُوا لَجْدٌ وَاجْتِهَهَا
كِي تَكْسِبُوا أَرْزَاكُم
اسْتَيْقِظُوا جَاءَ الصَّبَاخُ
فَالثُّورُ سَرَبَلَ ذِي الْبِطَاخُ
د، وَاكْتَسَاب، وَكَفَاخُ
هَبُّوا لِتَدْبِيرِ النَّجَاخِ²

وفي الشعر القصصي للأطفال نظم جمال الطاهري رائعة حماسية غنائية (الديك كوكو) حيث استقى اسم الديك (كوكو) من أفواه الأطفال؛ فهم عادة ما يسمون حيواناتهم الأليفة التي يلعبون معها بأسماء مميزة وجذابة تعتمد على تكرار حرف أو اثنين للخفة وسهولة النطق، ووهب هذا الديك صفة الإنسان البطل وملكه الحديث عن نفسه

¹ - جمال الطاهري: نفع الياسمين، ص:16.

² - جمال الطاهري: الزهور، ج4، ص:05.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

في وصف فخري مشبع بالصفات الإنسانية التي يتراقص لها وجدان الطفل لتحقيق العزة والكرامة؛ وهو شعار يطمح شاعرنا لغرسه في نفوس الناشئة، فما هو (كوكو) يقدم نفسه مفتخراً بشهرته في قصره الخم وهوايته صنع المفخرة، والدود عن الحمى كفارس هصور وحارس أمين دائم اليقظة، حيث دفعته شجاعته أن يتحدى كل خصم يقترب من حدود مملكته، وأنه سيلحق به عار الهزيمة من أجل الدفاع عن الأرض والعرض، وكل ذلك في طابع فكاهي:

شَهْرَتِي فِي الْخَمِّ كُوكُو	تَرْتَجِي قَدْرِي الْمُلُوكُ
وهوايتي صنْعُ المفاخر	وعلى الحمى يقظان ساهر
من تحداني يُحاذِر	فهو في الميدان حاسر
فأنا للخصم حاضِر	فليجرب أي شاطر
فلكم مرغت كاسِر	قرأى عين المخطِر ¹

ويواصل الديك التّعني بصفاته المَلَكِيّة؛ ليبين مدى اهتمامه بالرّعية، وعمق إحساسه بالمسؤولية، فهو كالأب الحاني الشفيق على الصّيصان، والرّفيق بها يزود عن مراتع هلكتها، ويحميها عن الأعداء، ويكنّها عن الحرّ والقرّ، ويسهر بسهرها ولا يسكن بسكونها فاليقظة من أسمى ما يتّصف به، حيث لا يهدأ له بال حتى يرى الخائن يعود القهقري مهزوما:

فأنا للخصم حاضِر	فليجرب أي شاطر
دوماً أنا يقظان	عيني على الصّيصان
فإن رأيت قطاً	لا أستريح قسطاً
أرئو إليه شزراً	وأستحيل جمراً
حتى أرى الخوان	ينأى عن الميدان ²

¹ - جمال الطاهري: الزهور، ج4، ص:09.

² - المصدر نفسه، ص:ن.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

وإذا كان واجب الديك (كوكو) في صورة الحاكم العادل الوصاية على الصغار وحمائتهم، ورعاية حقوقهم؛ فإنّ واجبه تجاه الكبار أن يشرّع لهم قوانين تحكم نظام عيشهم، وكلّ خارج عن حدود هذا النظام لابدّ أن يؤدّب ويتجلّى ذلك في صورة الدّجاجة التي قد تخترق حدود المملكة، وما إن يراها حتى يعيدها ويشبعا نقرا، وهي صفة إنسانية أراد الشّاعر أن يرسخها في الأطفال الذين قد يتوقّق أحدهم في أن يكون حاكماً للأمة وكأنّه يستدعي صورة النبي سليمان -عليه السّلام- وهو يتفقّد الرعية التي سخرها الله له حين قال في القرآن الكريم: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَأَ أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ . لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْنَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِي بِسُلْطَنٍ مُّبِينٍ﴾¹

وكذلك فعل الديك ببناءه ورجولة وحرص شديد على إعادة الدّجاجة إلى عقر الدّار:

وإن رأيتُ (جاجة) تبغي قضاء حاجه
وأسرفت في البعد أدبثها بجد
أشبعثها بالنقر حتى تعود تجري²

وحين يلمّ الخطر بالمملكة والرعية، وهو لا يقدر على رده، فلا بدّ للأمر من حيلة فقد لا تنفع القوّة إذا كان المهاجم أقوى كالتسر الذي لا صمود أمام قسوته فيتجلّى دور الأمر في الرعية، ودور الرعية في الطاعة، وهي قيم رفيعة حتّ عليها ديننا الحنيف، وأراد الشّاعر أن يوصلها للأطفال بتأكيد السلوكات التي يقوم بها الحاكم العادل بغيّة الحفاظ على أفراد رعيته حين تتفارق موازين القوّة، ورغم ذلك لا تنطفئ ثورة الديك (كوكو) فيعلو صوته على الجميع: أن ارجعوا إلى مخابئكم حتى تهدأ العاصفة:

وإن رأيتُ نسرًا يسعى، يلصّ قسرا
أعلمتُ كلّ الخمّ عن خطرٍ ملّم
يعلو هدير صوتي يهزّ أهل بيّتي
فيخفّي الجميع لا فردّ قد يضيع
حتى يفوت الهول ويطمئنّ الكلّ

¹ - سورة التّمل: الآية: 20-21.

² - جمال الطاهري: الزهور، ج4، ص: 09.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

بِذَا أَصُونُ أَهْلِي وَصَبِيَّتِي وَأَصْلِي¹

وللقطة مكانة بارزة في الأسرة، بل هي بمنزلة الولد، فهي المحبوبة النظيفة الخفيفة التي لا يكاد بيت يخلو من موائها؛ لأنها ببساطة صديقة الأطفال لوداعتها ولطافتها، فكم لاعبوها ولاعبتهم في تطاول وتكاسل، تظهر مرة وتختفي أخرى، في تقلب فجائي، تثير العراك بحنان، لذلك لم يهملها شاعرنا جمال الطاهري، وخصّها بأنشودة جميلة خفيفة سماها (الهزة) لصغرها، وتقمّص شخصية صديقها طفل المرحلة الأولى المولع باللعب معها واصفا كل حركاتها:

هَآ قَدْ هَفَّتْ	ثَمَّ اخْتَفَّتْ
أَوْ قَدْ بَدَّتْ	و تَبَدَّدَتْ
و تَطَاوَلَتْ	و تَكَاسَلَتْ
و تَشَقَّلَبَتْ	ثَمَّ اخْتَبَّتْ
كَمْ تَخْمِشُ	وَ تُخْرِبِشُ
تَجْرِي وَرَاكَ	تَبْغِي الْعِرَاكَ
إِنْ أَبْصَرْتَ	طَيْفًا جَرْتَ
ظَنَّنْهُ فَازَ	نَطَّتْ لِنَازَ
وَتَصِيحُ مَاؤُ	مَنْ بَعْدِ نَاؤُ
هِيَ هِرَّتِي	وَ مَسْرَّتِي ²

وكل ما سبق كان امتزاجاً مع الحياة ببساطة وعفوية، ظهر فيه جمال الطاهري وكأنه طفل صغير في مشاعره الرقيقة، الصادقة النقية، وغرف من أدب الطبيعة ما يوائم مراحل الطفولة المختلفة، واستغرق في جمالها وفتنتها في شتى مظاهرها؛ ليصل إلى الغايات التالية:

- التّفكّر والتّدبر في خلق الله وملكوته.

- بناء النفس، وتعهّد الفطرة البريئة على أسس إسلامية صحيحة.

¹ - جمال الطاهري: الزهور، ج4، ص:09.

² - جمال الطاهري: الزهور، ج5، ص:20.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

- التّعرف على مظاهر الطبيعة في الجزائر .
- معرفة الثقافة الفلكية .
- اكتشاف الطّف للبيئة التي يعيش فيها .
- التّربية البيئية الشّاملة .
- الرّفق بالحيوان .
- تنمية الخيال وتربية الذّوق الجمالي النّفسي .

و أمّا أهمّ المآخذ على موضوعات الطّبيعة فنوجزها في الآتي :

- حبه لكثير من النباتات والأشجار التي تعنى بها غيره من شعراء الطّفولة في الجزائر على غرار النّخلة عمّة الإنسان؛ ومن خلالها الطّبيعة الصّحراوية بواحاتها، ورمالها ونوقها، وغروبها الأجل في العالم .
- غياب فصل الصّيف الذي له علاقة خاصة بالأطفال؛ إذ يرتبط بذكرى الاستقلال وموسم الحصاد والبيادر، والعطل التي يتحوّل فيها النّاس إلى شواطئ البحار، هذه الأخيرة التي لم يخصّها ولو بتلميح، وبخاصّة وهو يقطن منطقة قريبة من هذه البيئة (ولاية المدية) ولا يخفى على سائح في الجزائر جمال السّواحل الجزائرية. فضلا عن غياب مظاهر فصل الخريف وما يتّصل به من عودة إلى المدرسة، والبذر والحريث وجني الرّيتون .
- اهماله بعض الحيوانات المحبّبة للأطفال، من مثل : التّحلة صديقة الأزهار التي أشار إليها في مضمون قصير، وارتباطها بإنتاج العسل الذي يفضّله الأطفال، والعصافير وأعشاشها، والخروف، والثّعلب الماكر، والكلب الوفي الأمين، والقرد اللّعب... وغيرها .

2 - موضوعات الشعر الوطني والقومي :

إنّ حبّ الوطن غريزة جُبل عليها الإنسان، وليس ذلك بحسبه، بل يشاركه فيه حتّى الحيوان، ولا غرابة في ذلك؛ وقد نشأ الإنسان على ثرى أرضه، فيشبّ ويشيب على جنباتها، ويشعر بحريق الحنين إليها حين هجرانها؛ فنّم رابط متين بينه وبينها ولا أقرب لهذه الصورة الصّادقة من رسول الله ﷺ وهو يخاطب مكة المكرّمة بمنحها صفة الإنسان؛ حين قال لها يوم فارقتها مهاجرا: "مَا أَطْيَبَكَ مِنْ بَلَدٍ وَأَحَبَّكَ إِلَيَّ وَلَوْلَا أَنَّ قَوْمِي

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) أنموذجا

أَخْرَجُونِي مِنْكَ مَا سَكَنْتُ غَيْرِكَ"¹ ويدعو الله سبحانه وتعالى أن يحبب إلى قلبه وطنه الجديد المدينة المنورة: "اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ وَصَحَّحْهَا وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا وَفِي مُدُنَّا..."². إنها - والله - كلمات تستحق أن تكتب بماء الذهب، وتعلق على مدخل كل وطن تعبيرا عن مدى ارتباط كل إنسان بأرضه التي نشأ واشتدَّ عوده بها.

كما شغل الوطن بال المفكرين والمصلحين والأدباء والشعراء وغيرهم ممن لهم صولة في دائرة الفن على مختلف مشاربهم، ولعلَّ أرفههم حسًا الشعراء الذين تغنوا بالوطن عبر عصورهم المختلفة، في تغذية راجعة لماضيهم، واستثمار لحاضرهم، والتفتوا صوبه يُجلون خلجات أحاسيسهم المغترية، ويصورون فطرة انتمائهم له، وبخاصة حين وطأه المستعمر فراحوا يشرحون آماله، ويبكون آلامه، ويتغنون بأمجاده وحاضرهم، بصدق انتماء، وحرارة عاطفة، حتى صار عندهم العشق والمعاناة والتضحية.

وشعراء الطفولة كغيرهم من الشعراء، استحوذ على مخيلاتهم حبّ الوطن فحاولوا تعميق فكرة الانتماء إليه عند الأطفال، وغرس حبّه في نفوسهم، والدفاع عنه والعمل على ازدهاره.

وجمال الطاهري في موضوعات الشعر الوطني والقومي للأطفال، نوع في المضامين بين ذاتيته وتجربته الخاصة، وبين رومانسيته الحالمة، وبين وطنيته وحكايات الشهيد والثورة المضطّرة، فكان الهمّ الوطني هاجسه الأول الذي تعلق بشغاف قلبه، ولعلَّ ظروف الجزائر في النصف الأول من القرن الماضي والتوجّه السياسي في النصف الثاني من ذات القرن، هي التي أثّرت في إنتاج هذا اللون الشعري للأطفال مرورًا بالقضايا القومية؛ التي تتصدّرها قضية فلسطين الثائرة، ويمكن حصر كل أولئك في الجدول الآتي:

¹ - الترمذي محمد بن عيسى: الجامع الكبير (سنن الترمذي) ج5 (د، ط) تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت (د، ت) ص: 723.

² - البخاري محمد بن إسماعيل: الجامع الصحيح، ط1، مج1، دار بن الجوزي، القاهرة، 2011، ص: 66.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

الصفحة	مصدرها (الديوان)	عنوان القصيدة
07	الزهور ج 5	بلدي
08	الزهور ج 5	حييت يا وطني
16	الزهور ج 1	موطني
05	الزهور ج 3	عاشق الوطن
03	الزهور ج 2	بني وطني
08	الزهور ج 3	وتبقى الرمز يا وطني
11	الزهور ج 1	أغنية تائر
06	الزهور ج 3	تحية نوفمبر
17	الزهور ج 1	نشيد الجهاد
05	نفح الياسمين	إننا جيل نوفمبر
07	نفح الياسمين	هللوا الله أكبر
19	الزهور ج 3	الجزائرية
18	الزهور ج 5	شهيد الوطن
19	الزهور ج 5	يا ربُّ رحماك بالشَّهيد
18	الزهور ج 3	وصية شهيد
12	الزهور ج 2	حارس الوطن
25	نفح الياسمين	بني العرب
15	الزهور ج 2	إفريقية
16	الزهور ج 3	نشيد أطفال الحجارة
17	الزهور ج 3	نشيد الطّفّل الفلسطيني
18	الزهور ج 4	موال فلسطين
12	الزهور ج 3	إلى أمّ لاجئة

جدول (02) يتضمّن 22 قصيدة تعالج موضوعات الشعر الوطني والقومي.

1.2 - مضامين الوطن:

في واحدة من روائع جمال الطاهري التي اختارها بحكمة لطفل مرحلة الواقعية والخيال المحدود، وعلى لسانه يتغنى فيها ببلده الجزائر، يوضح فيها عشقه للأرض وتمسّكه بترابها، بحس عميق وانتماء واعٍ، فهي أمسه وغده وفخره أرض الثوار، وبلد الحرية والأحرار، يقول في أنشودة (بلدي) التي تمتاز بالزّقة والطلاوة:

بلدي بلدي	مهدي سندي
أمسي وغدي	ومدى الأمد
فخري وطني	طول الزمن
وحمى سكني	عقلي بدني
بلدي الفاخر	يُدعى الجزائر
فيه أفخر	وطني الأكبر
وبه يُزهَر	عملي أكثر ¹

ومادام الوطن كذلك؛ فحبّه أغلى من حبّ النفس، فهو الطاهر طهارة الطفل الذي يدعو ربّه أن يحفظ له وطنه، يضيف الشّاعر في آخر هذه الأنشودة:

احفظ ربّي	وطني الطاهر
فله حُبّي	دوماً حاضر ²

وفي رائعة أخرى يعالج الشّاعر تحية الوطن بحداقة فريدة، حيث ربط تحيته بكلّ صوت جميل في الطبيعة، بروح شعرية زاهية الصّور، فبدأ بالإنسان في صورة الشّاعر ثمّ تغريد الطيور، وعاود الكرة للإنسان في صورة الطفل ثم عالم النباتات في صورة الزّهرة وترديد وتغريد ونشيد كلّ أولئك هو وتر لتحية الوطن الذي يتساوون في حبّه، على لسان طفل ذات المرحلة السّابقة؛ لأنّ الصّوت هو الوسيلة الأقرب، التي يقدّم بها أدب الطفل لأبناء هذه المرحلة يقول في أنشودة (حييت يا وطني):

قد ردّد الشّاعر	إنشاده الباهر
-----------------	---------------

¹ - جمال الطاهري: الزهور، ج5، ص:07.

² - المصدر نفسه، ص:ن.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

وَشَدَا هَنَا الطَّائِرُ حَيَّيتَ يَا وَطَنِي
قَدْ غَرَّدَ الحَادِي اللِّحْنُ فِي النَّادِي
وَسُرُورُهُ بَادٍ حَيَّيتَ يَا وَطَنِي
قَدْ غَرَّدَ العَصْفُورُ فِي غِبْطَةٍ وَحُبُورُ
وَفُؤَادِهِ مَسْرُورُ حَيَّيتَ يَا وَطَنِي
أَنْشُدُ أَيَا طِفْلُ قَدْ ضَوَّعَ الفُلُّ
وَحَلَا بِكَ الحِفْلُ حَيَّيتَ يَا وَطَنِي
قَدْ أَنْشَدَ الشَّجَرُ وَتَفَتَّقَ الزَّهْرُ
كُلُّ لَهُ وَتَرُ حَيَّيتَ يَا وَطَنِي¹

وفي الرَّائِعَةِ الثَّلَاثَةِ يُونِسُ الشَّاعِرَ الوَطَنَ وَيَمْلِكُهُ كَفَّيْنِ وَعَيْنَيْنِ وَزَنْدَيْنِ وَيَطْرَزُ لَهُ كَلِمَاتِ الحُبِّ وَالمَدْحِ، وَيَهْبِهِ صِفَةَ المَكَانِ الأَكْبَرِ، الَّذِي تَعَلَّمَ مِنْهُ الحُبَّ الطَّاهِرَ؛ حَتَّى تَأَصَّلَ فِي نَفْسِهِ، فَكَانَ حُبَّهُ مِنْ حُبِّ نَفْسِهِ، لِأَنَّ فِيهِ طَعَامَهُ وَشْرَابَهُ وَمَسْعَاهُ وَمَنَامَهُ، وَفِيهِ شَبَّ شَهْمَا يَغْرِفُ العِلْمَ مِنْ مَعِينِ عِلْمَائِهِ وَمُرَبِّيهِ وَمِنْهُ اسْتَقَى عَنَوَانَ هَوِيَّتِهِ، يَقُولُ الطَّاهِرِيُّ فِي مَقْتَطَفٍ مِنْ قَصِيدَةٍ (مُوطِنِي) عَلَى لِسَانِ طِفْلٍ مَرِحَلَةَ الخِيَالِ الحُرِّ لِاحْتَوَائِهَا عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الصُّورِ الَّتِي يَسْتَطِيعُ طِفْلٌ هَذِهِ المَرِحَلَةَ الاسْتِغْرَاقَ فِيهَا وَاسْتِيعَابَهَا وَجَدَانِيَا:

عَلَّمْتَنِي الحَبَّ يَا مُوطِنِي الأَكْبَرَ
أَجَبْتَ لِي القَلْبَا مِنْ حُبِّكَ الأَطْهَرَ
الزَّادُ مِنْ كَفِّكَ وَالمَاءُ مِنْ عَيْنَيْكَ
وَالدَّفءُ مِنْ زَنْدَيْكَ أَعْطَيْتَنِي أَكْثَرَ
يَا مُوطِنِي الأَسْمَى يَا حُبِّي الأَكْبَرَ
أَعْطَيْتَنِي الإِسْمَا عَلَّمْتَنِي العِلْمَا
أَوْجَدْتَنِي شَهْمَا فِي حَضْنِكَ الأَعْظَرَ²

¹ - جمال الطاهري: الزهور، ج5، ص:08.

² - جمال الطاهري: الزهور، ج1، ص:16.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

وقد كانت البيئة ذات تأثير عميق في ذوق الشاعر جمال الطاهري وفي شعوره وخياله، فاجتمعت بعض عناصرها متمثلة في الطبيعة، والحالة الاجتماعية وثقافته على اختلاف مصادرها؛ لتصنع فيه ذوقاً أرقّ من الأذواق جمّع فيه الأفكار الشاردة وربط بينها برباط المعرفة الجامعة، حتى شكّل لوحة سريالية فلسفية سما فيها عن البساطة والسذاجة الطفولية، ولم يشبه الأطفال فيها إلا في مرحلة المغامرة التي تشدّ انتباه الطفل إلى ما وراء الأشياء، وتغدو به إلى آفاق رحبة من الخيال؛ لاكتشاف الباطن الخفي ولم يتقمّص شخصية الطفل، وإنما انطلق من ذاتيته الشاعرة المتفلسفة، يقول في المقطعة الثانية من قصيدة (عاشق الوطن):

لا تلمني إن عشقتُ وطنًا خصّه الله بآياتِ الجمالِ
مدّه الله بما قد فتّنا وبه أبدعَ ما فاقَ الخيالِ
أنا صبّ بالذي أنشأني شاعرًا يعبدُ من شادَ الكمالِ
وخليقٌ أن أحبّ الوطنًا ما سمّا الشّعُرُ على الدنيا وطال¹

وفي النشيد الغنائي (بني وطني) يناشد الشاعر أبناء الوطن على اختلاف أطيافهم أن يهبوا سراعاً للجهاد، وينشدوا لدى الموت حقّ الحياة؛ لردّ الأعداء وفرض السلام يقول في المقطع الأول، على لسان الطفل:

بني وطني هبوا جميعاً
مدى الزمن قوموا سريعاً
شدوا الأيادي بني بلادي
وبالجهاد ردوا العادي²

ويعوّل الشاعر على عزّة الانتساب للوطن الحبيب، وعلى الطموح في رؤيته حرّاً شامخاً، لا يدنوه أحدٌ من الطامعين، ولا يفكّر مجرد التفكير على اختراق حدوده، وتدني ثراه، فيوجّه دعوة عامّة للجميع، وكلّ بحسب مجال عمله، فقد يتساوى القلم والسيف

¹ - جمال الطاهري: الزهور، ج3، ص: 05

² - جمال الطاهري: الزهور، ج2، ص: 03.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

فينطلقان من فوهة واحدة، أجل الدفاع عن الوطن، في تضمين إشاري لحديث الرسول ﷺ
" ... فَإِذَا لَقِينَهُمْ فَاصْبِرُوا وَاغْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السِّيَوفِ"¹ يواصل الشاعر:

قوموا جميعاً	نحو الحدود
واحموا الزبوعاً	مثل الأسود
شدوا الأكفأ	وكونوا صفأ
خلوا المغيراً	يرتد خوفاً
خوضوا ميدان	الحرب المخوف
إن الجنان	تحت السيوف ²

ويواصل الشاعر النظم للجيش الوطني الشعبي في صورة الجندي، فكتب قصيدته (حارس الوطن) التي يسعى فيها إلى تحقيق الهدف التربوي للأطفال وتأكيد البعد الوطني والاجتماعي للجندي الجزائري بعد الاستقلال، الذي قام بتنفيذ عدة برامج لصالح الشعب والوطن كمحاربة الجهل والأمية، والحد من انتشار البؤس والأمراض، وبناء القرى الفلاحية في إطار مخطط الثورة الزراعية، ولعل أهم مشروع اهتم به جنود الجيش الوطني الشعبي بعد صد الهجمات الطامعة على الحدود الغربية، مشروع السد الأخضر، فيقول الشاعر في هذا المقطع:

يسعى إلى الأمام	كي يقهر الظلام
يقضي على الجهالة	والفقر والضلالة
والجوع والمرض	والبؤس إن عرض
ها شيّد السدود	فالجوع لن يعود
واهتم بالتشجير	والعلم والتعمير
يعلم الشباب	تحمل الصعاب
جندينا يا حارس الوطن	يا نخره في سائر الزمن ³

¹ - مسلم بن الحجاج أبو الحسن: صحيح مسلم، ط1، مج2، دار طيبة، الرياض، 2006، ص: 831.

² - جمال الطاهري: الزهور، ج2، ص: 03.

³ - المصدر نفسه، ص: 12.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

ويكشف الشاعر جمال الطاهري عن طبيعته الجزائرية، وينقل الأطفال إلى أجوائه الداخلية، التي تفيض حباً للوطن، وإيماناً عميقاً بثورة أول نوفمبر الخالدة بفكر رسالي أكثر منه إبداعي، فكان الأكثر تصوّراً لمأساة الجزائر حين كانت تننّ تحت وطأة المستدمر البغيض، فحمل شعره عن الوطن والثورة، قيماً خلقية وإنسانية وتحريرية، وكثيراً من الأبعاد الوطنية، أراد بثّها في نفوس الناشئة فكما احتضن الشعب رسالة الثورة، وقدم دم الأحرار فداءً للوطن، سواصل نحن جيل الاستقلال الرّحف ونرسم مستقبل الجزائر الذي تعنّى به الشهداء، وسندفع بثورة التشييد إلى الازدهار، هذا ما أراده الشاعر في أنشودة (وتبقى الرّمز يا وطني) ومادام الأمر يعني الجميع فكان الخطاب على لسان الأطفال جميعاً في مرحلة المثالية، لتنامي الخيال:

سننشدها أغانيّنا	بعزمٍ ما له حدُّ
ونجمعُ حولها النّيرو	رَ، منها يبرزُ الوردُ
وندفعُ ثورة الأحرارِ	زحفاً ما له رُدُّ
وتبقى الرّمزَ يا وطني	بنا الإنجازُ والعهدُ
سنرسمُها أغانيّنا	نشيداً في دم الثوّارِ
يُعني في فم العُمّا	ل، يبني عالم الأحرارِ
نشيداً في مدى الأزما	ن، يجمعُ حوله الأنصارِ
وتبقى الرّمزَ يا وطني	برغمِ تسلسلِ الأدّهَارِ ¹

2.2- مضامين الثورة والشهيد:

ويحيي الشاعر نوفمبر التحرير المليء بالمعاني، والذي تعجز اللغات عن وصفه وتقريب صورته الشاملة للشعوب المكافحة قبله وبعده، منذ فاتحه عام أربعة وخمسين وتسعمائة وألف؛ لأنّه كان الحدّ الفاصل لزمان العدمية للشعب الجزائري التي عبر عنها بالدجى والضلال على أرض وطن خرافي في طبيعته ومساحته وتنوّعاته، وكأنّه عائد من الجاهلية الأولى؛ لزرع الرّشد، يقول الطاهري في المقطع الأول من نشيد (تحية نوفمبر) على السنة أطفال مرحلة البطولة والمغامرة، لأنّ ذلك يوائم تطوّرهم اللغوي:

¹ - جمال الطاهري: الزهور، ج3، ص:08.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

نُتَوِّجُ مَجْدَنَا مَجْدًا وَنُنَجِرُ وَعْدَنَا عَهْدًا
خَرَجْنَا مِنْ دُجَى الْأَيَّا مِ نَنْظُمٍ صُبْحَنَا عَقْدًا
وَعُدْنَا مِنْ ظِلَالِ الْأَمْسِ نَزْرَعُ دَرَبَنَا رُشْدًا
صَنَعْنَا هَيْبَةَ التَّارِيخِ صُغْنَا هَزْلَهُ جِدًّا
وَقُلْنَا: يَا ذُرَى الْعَلِيَا ءِ بَاتَ شُمُوحُنَا نِدًّا¹

ثم يواصل الشاعر استحضار مكونات الانطلاق، فيحكي عن عملاق اسمه (الشعب الجزائري) حيث فجر في الزمان (نوفمبر) وعلى المكان (الجزائر) بركانا بلون الدم والأمل، وكثيرا من التحدّي، إشراقته تجسّدت في فاتحة الشروع (بيان أول نوفمبر) في تنوع كمّي ونوعي، والله درّه حين يقول في المقطع الثاني:

عرفنا في صُموَدِ الأُر ضِ كَيْفَ نُوَلِّفُ الرِّدًّا
درسنا فوق جبهتها نصوصًا لم ندعُ بندًا
رأينا في سنين القهر ظلّمًا سافرًا لَدًّا
رأينا فترة المحتلِّ قهْرًا عَارِمًا وَعُغْدًا
وَجُودًا زلزل الأوضا عَ صَيِّرَ حُرَّتًا عِبْدًا
فَقُمْنَا لَعَلَعَ البركا نُ فِي أَنحَائِنَا رَعْدًا
نعبد ساحة الشهدا ءِ حَتَّى غَدَتْ طَوْدًا²

وكان زاد ذلك كلّهُ، الإيمان الصادق بالله سبحانه وتعالى؛ لأتّه الحارس والمعين مصداقا لقوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾³ والوعد بإتمام إنجاز رسالة نوفمبر، والوفاء لها لصنع منهج جزائري أصيل

تتغنى به الرّكبان، يختم الطاهري نشيده بقوله:

عيونُ الله تحرُّسنا وتزرعُ قلبنا سعدًا
فَعَارَ اللَّيْلُ منتحرا يُجَرِّرُ ذَيْلَهُ صَيْدًا

¹ - جمال الطاهري: الزهور، ج3، ص: 06.

² - المصدر نفسه، ص: ن.

³ - سورة محمد: الآية: 07.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

سَلِمَتْ قَوَافِلَ الْأَجْيَا لِ هُبِّي واقطعي وعدًا
على أن تُكْمِلِي الإنجَا زَ لا، لن تُتْرَكِي جَهْدًا
لنَمْسَحَ غَابَةَ الْأَشْوَا كِ نَقِطُفُ صُبْحَنَا ورْدًا¹

وفي لغة ثورية توحى بالأحلام، والرؤى المتلاحمة الوشائج، حيث الحركة والإحساس والتصورات النفسية، التي تلائم مرحلة الخيال المنطلق، يصوّر الشاعر طفل هذه المرحلة ثائراً شجاعاً، يخاطب لعبته المدفع، ويتماهى معها في حركة حيّة، وكأنّه في ساحة حرب التحرير، فيغني (أغنية ثائر) :

مدفعي لعلغ وغنّ
مُعلناً للكون عني
ثورة التحرير مني
وبها أقسمت إني
لن أبالي²

والشاعر جمال الطاهري يمتلك وفرة من الظروف النفسية والاجتماعية التي جعلت منه ينفجر خارج الذات والمنفعة الشخصية، مما يؤكد "المهمّة الأخلاقية تأكيداً مباشراً. وتراجع، في سبيل هذا التأكيد، الجوانب الذاتية بانفعالات الشاعر الفردية؛ بحيث تبدو صورة الشاعر المعلم أوضح من الصورة الذاتية للشاعر الذاتي"³ ليسمو إلى عوالم الجمال، ومحاولة الوصول بالحياة إلى عالم الكمال، في عشق فريد للجزائر، والتغني بنوفمبر التاريخ، ف جاء نشيده (نشيد الجهاد) طافحا بالقيم الدينية، في التزام أصيل، يتماهى فيه مع وجدانيات الأطفال، ويحرّضهم على الجهاد، وجمع الصف، لقطف القطوف الدانية، حيث يقول:

جندَ الفِدا هُبُّوا لبُّوا النِّدا لبُّوا
هُبُّوا بلا ريثٍ ذا موقفٌ صعبٌ

¹ - جمال الطاهري: الزهور، ج3، ص:06.

² - جمال الطاهري: الزهور، ج1، ص:11.

³ - جابر عصفور: مفهوم الشعر، ط5، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1995، ص:224.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

للغاصبِ الخَوَانُ	قد وسوسَ الشَّيْطَانُ
كَي يصرعَ الإيمانُ	أبدى نيوبَ الغدُرُ
وانقلبُوا سُيوفُ	هَيَّا اجمعُوا الصُّفُوفُ
كَي تقطفُوا القُطُوفُ	والتهبُوا وقوفُ
تشتاقُ لاستشهادِ	ذي ساعةَ الميلادِ
عزُّ مدى الآماد ¹	الفوزُ في الدارينِ

وقد حاول الشاعر أن يرسخ روح الثورة ونتائجها في نفوس جمهوره الصغير، فكان الخبير الحساس، إذ ابتعد بهم عن مظاهر العنف والدموية وإن كانت مشروعة في دحر المستعمر، إلى الإبداع الرقيق الذي يفصح عن البوح والتصوير النفسي الصادر من حنايا الضلوع، في أرق استحضار بمناسبة أول احتفال بعيد الثورة، الذي انبلج على إثره فجر الاستقلال، فكانت الفرحة، وكان النصر، وكان التغني والفخر (إننا جيل نوفمبر) حيث تظن شاعرنا إلى ما يليق بجمهوره المتلقي حسب الموضوع والغرض فكان قوله في المطلع:

فانجلي سحرُ الوجودِ	أشرقَ الفجرُ بهيَّا
بالأمانِي و الوعودِ	مبدئًا صُبْحًا سعيدًا
نفتدي جيلَ نوفمبرِ	بالحنايَا، بالحنايَا
نرسمُ الفجرَ الجديدِ	موسمُ الأفراحِ هيَّا
فأشدُّ يا أعذبَ عيدِ	نعزفُ النصرَ نشيدًا
نفتدي جيلَ نوفمبرِ ²	بالحنايَا، بالحنايَا

ويعود في كلِّ مرّةٍ ليسقط نفسه على الطبيعة، ويؤنس عناصرها، ويناديها لتشاركه الأفراح، فما عاد صوت نشيده يكفيه، فالطيور بانطلاقها ستحكي للكون المجد التليد وعلى حدِّ قول العقّاد: "إذا لم يشعر الشاعر بتغريد الطيور فبماذا عساه يشعر؟... إنّ الطير المغرّد هو الشعر كلّهُ لأنّه هو الطلاقة والربيع والطرب والعلو والتعبير

¹ - جمال الطاهري: الزهور، ج1، ص:17.

² - جمال الطاهري: نفع الياسمين، ص:05.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

والموسيقى، كما أنّ الطير هو هبة الطبيعة كشعر الإنسان وغناء الإنسان¹ والزهور ستعطر السماء بخبر جيل قال للسلام: كن فكان، في استحضار جميل لأسطورة الذبيح الصاعد (أحمد زيانا) يضيف الشاعر في هذه المعاني على السنة الأطفال:

يا طيورَ الكونِ هُبي	وخذي مِنِّي التَّشِيدُ
واعزفي لحناً جيداً	ضاحكاً الثَّغرَ مجيدُ
بِالْحَنَائِيَا، بِالْحَنَائِيَا	نفتدي جيلَ نوفمبرِ
يا زهورَ الكونِ ميسي	وانثري العطرَ هدايا
وابعثي السَّلمَ وعوداً	وازرعيه في الحنَّايا
بِالْحَنَائِيَا، بِالْحَنَائِيَا	نفتدي جيلَ نوفمبرِ ²

ويرفع الطاهري صوته ينشد الجزائريين الاتِّحادَ، ويذكّرهم بمجدهم نوفمبر الثورة وما كانت عليه البلاد، ويوجّههم إلى نوفمبر البناء؛ باستنهاضه الهمم بأسلوب تفاخري بعيد عن الوعظ المباشر الذي نهى عنه منظرو أدب الطفل فيحكي عن الحالة الحاضرة ومطالبها بأداء الواجب، ومجارة التمدن الحديث الذي لا يجاربه إلا من هدّيته التجارب فالحرية لا تتبعث من الجداول، والمال لا ينهال من السماء، ويمزج كلّ ذلك بعاطفة دينية في حديث العقل والمصلحة ويشخص أمة الجزائر في عيون شبابها العازم والحازم على رسم صورة الغد المشرق في رحاب الإسلام والعلم، وعلى لسان أطفال المرحلة المتأخرة يقول في قصيدة (هللوا الله أكبر):

هللوا: الله أكبرُ	لجهاذٍ حانَ أخطرُ
ثورةُ التشييدِ قامتُ	والكفاحُ الحقُّ أزهرُ
يا بلادي، يا بلادي	كبري فالشَّعبُ كبرُ
ساعةُ التشييدِ دقتُ	فاجعلي منها نوفمبرُ
واذكري فينا شباباً	عن زنودِ العزمِ شمّرُ
يرسمُ النورَ نصوصاً	لغدٍ حرّ مظفرُ

¹ - إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي: أدب الأطفال المنظوم (شعر الأطفال: اتجاهاته ونفده) (د، ط) مركز الاسكندرية للكتاب، مصر، 2009، ص: 177-178.

² - جمال الطاهري: نفع الياسمين، ص: 05.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

فمعالي الدين يُعلي وكنوز العلم فجَز¹

وكانت المرأة الجزائرية حاضرة ضمن مضمون الثورة في شعر الطاهري للأطفال حيث استحضرتها لذاتها في ساحة الشرف سندا لأخيها الرجل، فكانت النفس الثاني للثورة المباركة؛ بتقديم الخدمات المستمرة داخل المدن وفي الأرياف مسبلة وممرضة وطاهية ومجاهدة، ودافعة بزوجها إلى أحضان الثورة بل وترضع وليدها بدلا عن الحليب الوطن والدّماء والانتماء، وجنّسها فوق جنسيتها (الجزائرية) يقول في المقطع الثاني على لسان طفل مرحلة المغامرة والبطولة:

صحبت أخاك في الميدان لما تار كالبحر
دفعت الزوج إحصاراً فدقت ساعة الصفر
وكنت الصيحة الخضراء في تحليقة التسر
وقلت: الجرح يا ولدي...يجرح الروح والكبر²

وكما كانت المرأة أختا للرجل في ساحة المعركة، فهي اليوم أختا له في ساحة التشييد، أي أنها تجمع بين طرفي الثورة (الحرب والسلم) يصور الشاعر هذا المعنى في المقطع الأخير من ذات القصيدة بقوله:

وجاءت ثورة التشييد جاءت ثورة السلم
فتحت عيونك الحوراء بعد الحلم والحلم
وقمت اليوم يا أختاه للإتيان بالعلم
وماتت فترة التفريق بين القوم والقوم³

وقد ساهمت عناصر كثيرة كما أشرت في مواضع سابقة في تكوين شخصية الطاهري الشاعرة، فهو جزائري كبير حين يستشعر أمجاد الثورة في ضميره، وهو طفل صغير حين يشغف بالأطفال، ويرقق شعره في حديثه إليهم أو على ألسنتهم، في قدرة

¹ - جمال الطاهري: نفع الياسمين، ص: 07.

² - جمال الطاهري: الزهور، ج3، ص: 19.

³ - المصدر نفسه، ص: ن.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

عجبية على التّخاطب البسيط معهم، حيث يحكي لهم في (شهيد الوطن) عن حكاية الشهيد، وما لاقاه من أجل أن تحيا الجزائر:

شهيدَ الوطن	فخارَ الزمن
دفعتَ الثمن	ذمّاءً ودم
لبستَ الكفن	وخضتَ المحن
وعفتَ السكّن	لترعى الذّم
صعدتَ الجبال	عشقتَ النضال
سنيينَ طوال	رفعتَ العلم ¹

ويشرح بطولاته أمام العدو الفرنسي، وكيف لقّنه الدّروس، أجلّ النّصر أو الشّهادة

من ذات القصيدة:

أذقتَ العدا	كؤوسَ الردى
فكنتَ الفدا	لأفضلِ أم
وكنتَ الهمام	شديدَ الصّدام

وبعد نيّله الشّهادة، سينام قريراً في جنان الخلد، التي يتمنى الخروج منها ليقتل مرّة

أخرى؛ لما وجد عند ربّه من فضل مصداقاً لقول الرسول ﷺ: "مَا مِنْ نَفْسٍ تَمُوتُ، لَهَا عِنْدَ اللَّهِ حَيْرٌ، يَسْرُهَا أَنَّهَا تَرْجِعُ إِلَى الدُّنْيَا، وَلَا أَنَّ لَهَا الدُّنْيَا وَ مَا فِيهَا، إِلَّا الشَّهِيدُ، فَإِنَّهُ يَتَمَنَّى أَنْ يَرْجِعَ فَيُقْتَلَ فِي الدُّنْيَا، لِمَا يَرَى مِنْ فَضْلِ الشَّهَادَةِ"² ويتعهد أمام الشهيد على ألسنة الأطفال بإتمام الرّسالة:

فقلتَ المرام	جنيتَ المهم
فنمّ يا شهيد	قريراً سعيد
بجيلٍ جديد	نُتِمُّ الأهم ³

¹ - جمال الطاهري: الزهور، ج5، ص: 18.

² - مسلم بن الحجاج أبو الحسن: صحيح مسلم، مج2، ص: 909.

³ - جمال الطاهري: الزهور، ج5، ص: 18.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

وفي مضمون ديني اجتماعي وطني، يتقمص الشاعر شخصية الطفل ليدعو الله سبحانه وتعالى أن يرحم الشهيد الذي ضحى بأغلى ما وهب الإنسان في هذا الوجود ويجعله في جنّة الرّضوان، ويذكره في كلّ مناسبة، وهي معان خاصة تتميز بها أمتنا العربية والإسلامية عن بقية الأمم، تؤكد التوحد بين القول والفعل والتحام الشهيد بثرى الوطن فصار أشجاراً وأطفالاً وفتياناً ونجوماً وبنادق صار هو الأرض والأرض شهيد يقول في أنشودة (يارب رحماك بالشّهد):

ياربّ، ياربّي	رحماك بالشّهد
ضحى بكلّ العمز	لكي أحيّا سعيد
اجعله يا ربّي	في جنّة الرّضوان
مكّنه بالقرب	للعرش يا رحمان
ضحى بكلّ العمز	حتّى يجيء النّصر
عائى صنوف الضّر	حتى طلوع الفجر
اجعله في دربي	وجهاده نصبي
ثبته في قلبي	في منتهى الحُب ¹

2.3 - مضامين القومية والعروبة:

ومثلما اهتمّ شاعرنا جمال الطاهري في موضوعات الشعر الوطني والقومي بمضامين الوطن والثورة والشّهد، اهتمّ أيضاً بمضامين القومية والعروبة، فتجاوز الحدود الواهمة الضيقة، إلى التعبير عن الانتماء العربي الذي يمتدّ من الماء إلى الماء على أرض ترامت تخومها، ومازالت تملأها أمّة عريقة ضاربة في أغوار التاريخ، فضلا عن الانتماء الإسلامي الذي لا حدود له، فكان الرّجل بعيد الغور واسع الطّموح، متّسع الآفاق، ملأ دنيا الأطفال بشعره، فنظّم لهم (بني العرب) تعبيراً عن وجدان الأمّة العربية والإسلامية من خلال نفسيته، فيقول فيها على السنة أطفال العرب:

هَبُّوا أَيَا بَنِي الْعَرَبِ	هَبُّوا لِتَحْقِيقِ الْأَرَبِ
هَبُّوا وَلَا تَسْتَسْلِمُوا	لَا مَجْدَ مِنْ غَيْرِ التَّعَبِ

¹ - جمال الطاهري: الزهور، ج5، ص:19.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

هَبُّوا أَيَا بَنِي الْوَطَنِ هَبُّوا لِتَحْقِيقِ الْعَلَا
سَيِّرُوا عَلَى دَرَبِ الْمُحَنِّ يَجِنُ الْمَنَّا مِنْ عَمِلَا
هَبُّوا شِبَابَ الْمُسْلِمِينَ هَبُّوا لِتَحْقِيقِ الْمَرَامِ
إِنَّ الْعُلَا لِلْعَامِلِينَ يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الدَّوَامِ¹

ويختم القصيدة بالدعوة إلى العمل من أجل ازدهار الأوطان العربية، وبتقديم النصيحة لأبناء الأمة العربية كافة، يدعوهم إلى الالتزام بتعاليم الدين الإسلامي، والاقتداء بالرسول ﷺ :

هَبُّوا إِلَى خَيْرِ الْعَمَلِ اعْطُوا لَنَا خَيْرَ الْمَثَلِ
اهْدُوا إِلَى الشَّعْبِ الْأَمَلِ وَاْمضُوا بِهِ بَيْنَ الدَّوَلِ
وَلتَقْتَدُوا بِالْمُصْطَفَى فِي عَيْشِكُمْ مَدَى الْحَيَاةِ
صِدْقًا وَجِدًّا وَوَفَا لَا غَيْرَ إِلَّا الظَّلْمَاتِ²

كان هذا مدخلا للمضمون القومي في شعر الطاهري للأطفال، والواقع أن الذي شغله في هذا المضمون كغيره من الشعراء الجزائريين بعامّة، وشعراء الطّفولة بخاصة قضية فلسطين قلب الجسد العربي ومحنته، وقضية المسلمين الأولى على امتداد سبعة عقود ولا تزال؛ ولذلك انصهر فيها الشّاعر؛ ليؤرّخ لما يجري فيها من أحداث كغيره من شعراء القومية العربية، فحين انفجرت الانتفاضة المباركة، ذات ديسمبر بارد من عام ثمانية وثمانين وتسعمائة وألف سارع الطاهري إلى مباركتها، وإهداء أطفالها نشيد (أطفال الحجارة) مشيدا بهم وعلى ألسنتهم النائرة يقول في المقطع الأول:

وَيْلَكَ الْيَوْمَ عَدَوِي جَاءَ أَطْفَالُ الْحِجَارَةِ
لَمْ تَكُنْ تَدْرِي بَتَاتًا مَا الَّذِي تَحْوِي الْمَحَارَةَ
أَنْتَ قَدْ مُلِّكْتَ كُؤُلًا فَاْمَلِكِ الْهُولَ وَنَارَهُ
نَحْنُ لَا نَمْلِكُ شَيْئًا لَيْسَ تَعْنِينَا الْخَسَارَةُ³

¹ - جمال الطاهري: نوح الياسمين، ص: 25.

² - المصدر نفسه، ص: ن.

³ - جمال الطاهري: الزهور، ج 3، ص: 16.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

وفي تشبّث بالأرض لا نظير له، وبتصميم على استعادة الحقّ المسلوب يصوّر الطاهري صمود من رضعوا القصف والرصاص، وأينعوا وفي أيديهم الحجر، ولم تتمتع أبصارهم إلا بلون النّزيف والجراح، ورغم ذلك صامدون فيتشابك في نشيده الغموض والوضوح، والواقع والحلم، والحقيقة والخيال، يضيف في المقطع الثاني:

صامدون، ليس نبغي	غير ميلاد الصّباح
ما رضعنا مَدُّ وُلدنا	غير عصفٍ ورياح
ما ارتدينا مَدُّ حُلقنا	غير نَزْفٍ وجِراح
فارتقبْ يا خصمُ جننا	حلّ ميلادُ الكفّاح ¹

وإذا كان أطفال فلسطين يحاربون بالحجارة فصاحبنا الطاهري يحارب معهم بالكلمة، ويستثير عواطفهم ليتخذوا من شعره نشيدا للكفاح، فيصوّر صمودهم مرّة أخرى يتغلغل في أعماق الوطن، الذي ما رضعوا على أرضه سوى المحن، وما ارتدوا إلا الجراح، ويبعثون ببرقية عاجلة للمغتصب الصّهيوني مفادها أنّ زمنه قد ولى وأنّ الزمنّ زمنهم، يختم الشّاعر نشيده:

صامدون، ليس نبغي	غير تحريرِ الوطن
ما رضعنا منذُ جننا	غير أثداءِ المحن
قد لبسناها الجراح	واتخذناها كفن
فاتك الوقتُ عدوي	إذ لنا صار الزمن ²

ويستمرّ الطاهري في الإنشاد لأطفال فلسطين، ودعوتهم للنّشيد معه في نشيد آخر يكاد يتطابق مع النّشيد الأول في عنوانه (الطفّل الفلسطيني) فيخال المنتبّع لذلك أنّ الشّاعر يكرّر نفسه، والحال أنّ الشّاعر قد غير سياقه نحو التّصعيد، يلثم من النّشيد الوطني الجزائري للشّاعر العملاق (مفدي زكرياء) ويصنع نشيده للطفّل الفلسطيني بصورة شعرية أرادها أن تخلد في ذاكرة الطّفولة الفلسطينية، كما خلد نشيدنا الوطني، في كلّ ذاكرة، ولا فضّ فوه وهو يقول في هذا المقطع على لسان الطّفّل الفلسطيني في كلّ مراحل

¹ - جمال الطّاهري: الزهور، ج3، ص:16.

² - المصدر نفسه، ص:16.

طفولته:

رُمتَ رداً يا عدوي	فاستمعْ هاكَّ الجواب
ثورتي تحملُ ردي	وبها فصلُ الخطاب
إنه عهدُ الشهيد	عنه قطعاً لن أحيذُ
ضمّني عهدُ الكفاح	في أعاصيرِ الرياح
مشعلي نحو صباحي	صارَ أفواهَ السّلاح
كلمتي بالبندقية	للعدا تغدو جليّة ¹

وفي نسج سردي حكائي، يخطّ الطاهري وثيقة نفسية إنسانية، قوية المبنى حارة اللغة، ضارية التعبير، رهيفة المضمون الذي يتجاوز الأسلاك الشائكة والحصار، ويسميها (موال فلسطين) في رسالة منه على لسان الطفل الجزائري لفلسطين الجرح والمأساة، بلون التقاؤل، فمن ساحة الكانون، وألسنة اللهب تتراقص، ومن ضحكات الأطفال حوله، يرسم صورته ومشاهده فداء لفلسطين يقول الشاعر:

من خصلة الزيتون	ساحتُ على بيتي
والنار في الكانون	تهتاجُ من زيتي
من ضحكة الأولاد	من صورة الأجداد
من غفوة الأحفاد	من لعبة تأتي
أفديك يا فلسطين	مرآك ملء العين
يا شعبي المسكين	يوم الصفا آت
خذ واعتصر قلبي	واسأله كم يُنبئني
علمٌ لدى ربي	ومن حُبّي العاتي ²

لقد كسى جمال الطاهري أرواح الأطفال باللطيف والرّفاهة والكبرياء والأنفة والأناقة والجمال، ونهل من ينابيع كثير؛ ليصوغ أجمل ما في فنون البشر، لأجمل ما في الحياة الدنيا؛ ليبقى شعره قوة إدهاش لهم اليوم وغدا، وعلى مرّ السنين أجل تحقيق الأهداف

¹ - جمال الطاهري، الزهور، ج3، ص:17.

² - جمال الطاهري، الزهور، ج4، ص:18.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

الآتية :

- 1- غرس حبّ الوطن في نفوس الناشئة.
- 2- تنشئة الشخصية الوطنية المتكاملة.
- 3- تعميق الجذور التاريخية عند الطفل، وربط ماضيه المشرف بحاضره ومستقبله المستشرف.
- 4- تعريف الطفل بثورة التحرير المباركة.
- 5- التنفيس عن رغبات الطفل بالبحث عن البطولة والعودة إلى حياة الأجداد.
- 6- زيادة حصيلة المفاهيم اللغوية لدى الطفل.
- 7- تنشئة الشعور القومي لدى الطفل.
- 8- إرضاع الطفل حبّ فلسطين الوطن الذي لا حدود له.
- 9- مشاركة الطفل الفلسطيني معاناته.

وأما ما يؤخذ على شاعر الطّفولة جمال الطّاهري في هذا المحور نوره في الآتي:

- خلوّ شعره من المناسبات الوطنية التي ترتبط بحوادث التاريخ وطبيعة الصّراع بين الشعب الجزائري والاستعمار الفرنسي، كعيد النّصر، وعيد الاستقلال وأحداث 8 ماي 1945، وغيرها والتي لها علاقة مباشرة بالطفّل حيث يحييها كلّ سنة حسب تواريخها في المدارس الجزائرية بمختلف أطوارها.
- لم ينظم شعرا في الكشافة الإسلامية ولم يشر إليها ولو عرضاً، لما لها من أبعاد تربوية ووطنية في تكوين الأفواج والفرق الكشفية، فهي للأطفال بمثابة الجيش الوطني المدني الذي ينهلون في رحابه الإخلاص للوطن واللّغة العربية ومختلف الأناشيد.
- لم يرتبط شعره بالحركة الإصلاحية، فحجب من شعره مضمون الشخصيات الوطنية وبخاصّة شخصية عبد الحميد بن باديس رائد حركة الإصلاح، والأمير عبد القادر وبعض الشخصيات الثورية.
- لم يكتب في مضمون الوحدة العربية عامّة، والوحدة المغاربية خاصة.

ورغم ذلك فقد عالج جمال الطّاهري الموضوعات الوطنية والقومية بحذافة ملتزماً الاتّجاه الواقعي الثوري مصبوغاً بالاتّجاه الديني، متجاوزاً حدود أرض الوطن الضيقة

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

إلى آفاق رحبة في وطن أكبر، رأى أنه من حق الأطفال عليه أن يعرفهم بحدود هذا الوطن الكبير، ليعيشوا آلامه وآماله، وعمل في ذلك على تبسيط الأفكار وتقديمها لجمهوره الصّغير في أجمل العبارات وأسمى المعاني.

خلاصة:

إن جمال الطاهري في موضوع شعر الطبيعة أخضع هذه الأخيرة لهوى الأطفال وعبر عن أحاسيسهم، والأجمل أنه مزج الطبيعة وعناصرها بمشاعره الدقّاقة، ونفخ فيها من روحه الفيّاضة، حتّى غدت كالكائنات الحيّة التي تشاركه أحواله، تفرح بفرحه، وتكتئب باكتئابه، وتتألم لألمه، فكانت ملهمته التي استوحى منها تجربته الشعريّة للأطفال.

واستعمل الشاعر ما طاب له من الصّور الجمالية لتجلية المعاني مصحوبة بأساليب شائقة، في مضامين متنوعة تتمّ عن ثقافة موسيقية واسعة، وتأثّر واضح بالرومانسية، في هجرة روحية اجتهد فيها في تصوير البيئة التي هام فيها، حيث "يخلق لنفسه صورة ترضيها، لا يهّمه فيها أن يتحرّى الواقع، ولكن يهّمه أن يتصوّر مواطن الجمال التي يحلم بها؛ ويودّ لو طارت به أجنحة خياله إليها ليتّم له فيها تحرّره، وسواء كانت هذه الهجرة عقلية وفكرية بما ينشد الكاتب من غذاء ثقافي في البيئة التي تستوطنها روحه، أم كانت فنيّة ينعم الكاتب بمناظرها ومشاهدها، فإنّه يتخذها وطناً روحياً"¹؛ لترتاح فيها نفسه، وفيها تتفتح أزهاره، وياسميناته للأطفال، فولع بطبيعة الجزائر ومناظرها الجميلة، وتغنّى بشمسها الوضاءة المشرقة، وسهر في ليلها الأسمر وناجى نجومها الغزيرة وأقمارها، وذاب هيما في ربيع جنّتها الضاحكة المغمورة بكلّ الورود، ووصف رياضها التي تفيض بالروح والريحان، والعطور العبقّة، وحكى عن الشّتاء وأمطاره وأفوافه وغنّى مع الطّيور، وطارد الفراشات المحلّاة بالألوان الرّاهية، وأنسن الديك ومنحه شرف القيادة وكانت هزّته أنسه ومسرّته.

كما التزم في شعره الوطني والقومي للأطفال هاجس الأطفال الأدبي والثقافي والوطني، والتاريخي يتوجّه عبرهم إليهم، وعمل على تقديم ما عنده بأقرب ما يمكن

¹ - محمد غنيمي هلال: الرومانتيكية (د، ط) نهضة مصر للطباعة، القاهرة (د، ت) ص: 78.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) أنموذجا

من طرقهم ومناهج تعبيرهم وتلقّيهم، وسبل انفعالهم وفعلهم وتمكّن من ممارسة الفهم لجمهور الأطفال عبر وظيفته التربوية محتفظا برونق شعريته الصّافي، وتجوهر لغته الغنائية التي ارتفعت عن السّداجة، ونأت عن الغامض، وتمثّلت الأداء الموسيقي الأسر لكلّ مرحلة طفلية فكان الشّاعر الذي لا تخذله الموهبة في كلّ المجالات، فموضوعاته الوطنية والقومية كانت بسيطة في عناصرها وشكلها، وإن تعقّدت بعض مضامينها إلا أنّها تحمل روح الشّاعر وهواجسه ورؤاه وقناعاته، متجاوزا أسر العناوين بتعدّد المضامين بتقديم لوحات شعرية، وعمارات لغوية طفلية مترفة وقيّمة، ورؤى ملوّنة مدعّمة بثقافة غنية وخيال مجنّح أحيانا، وجعل الأحزان رحماً لتوليد النّشوة والانتصارات والأمجاد على امتداد خارطة الوطن.

الفصل الثاني :

موضوعات الشعر الديني والاجتماعي والتعليمي

تمهيد

1- موضوعات الشعر الديني

2- موضوعات الشعر الاجتماعي

3- موضوعات الشعر التعليمي واللغة العربية

خلاصة

تمهيد:

لقد أكد علماء النفس ورجال التربية، على أهمية مراحل الطفولة كما فصلت في غير موضع، ذلك أنّ حياة الطفولة لها أثر خطير في توجيه حياة الإنسان بكلّ مراحلها ففيها تتكوّن شخصية الإنسان، وتتبلور طباعه وتتشكّل ميوله وعاداته واتجاهاته. فالطفل كلّما تلقى خبرات جديدة ومفيدة كلّما تقدّم في نموّه المعرفي والعقلي والحركي وتطوّر توافقه الاجتماعي، بتغذية من أدب الأطفال.

والشعر أحد فنون هذا الأدب؛ الذي يعمل على تنمية الطفل، وصوغ وجدانه في قالب المنشود، وتعليمه وتنقيفه، وإشعاره بأصول التصور الإسلامي لعلاقة المسلم بالمسلم، "والعمل الجماعي المنتظم، والمنبني على التصورات الصحيحة، والتخطيط الواعي المستند إلى القرآن والسنة، وسلف الأمة"¹ الذي يكون للطفل دور فيه بالحفظ والإنشاد؛ لما فيه من عظات صادقة، تمنح الطفل دقات من العزيمة والإصرار للسّير نحو المستقبل؛ لتذوق الرحمة، وإدراك معنى العدالة.

لذلك وجب على شاعر الأطفال أن يكون حريصاً في انتخاب موضوعات شعره الموجّه لهم، وأن يجعل المضامين سبيلاً للوصول إلى عقول الأطفال بما تحتويه من قيم دينية وتربوية واجتماعية.

والأستاذ الشاعر جمال الطاهري آمن بما ينتجه للأطفال، وبأهمية الشعر نو المضامين التي تحثّ على التمسك بالدين والأخلاق، والأدعية، فكان لموضوع الدين قصب السبق في كفيّاته لا في كمّه، فضلاً عن موضوعات التوعية الاجتماعية والبيئية مع إضفاء جزء للجانب التعليمي، والتربوي، بلمسات مشحونة بالقيم والرسائل الهادفة. وهو ما سنحاول معالجته في هذا الفصل.

¹ - مروان كوجك: أناشيد إسلامية، ط3، دار الأرقم، الكويت، 1987، ص:08.

1- موضوعات الشعر الديني:

قد لا نجانب الحقيقة إن قلنا أنّ موضوعات الشعر الديني هي التي تتصدر الكتابات الموجهة للأطفال في الجزائر "وفاقا لما يقوم عليه المجتمع الجزائري من حسّ قوي، وروح جيّاشة تجاه كلّ ما له صلة بهذا الدين الحنيف فلقد أدّت هذه الروح دورها التربوي، والتّعليمي في كلّ العصر الحضارية التي قطعها هذا المجتمع وبقطعها"¹ فالموضوعات الدّينية بمضامينها المتنوعة قد تطرّق لها الشعراء في أشعارهم بوصفها أحد المظاهر الأساسيّة في المجتمع يستمدّون منها كل العزم والقوة والخلود، ليبقى صوت الإسلام عالياً ورايته خفاقة انطلاقاً من المخزون المعرفي المعتمد على الموروث الديني في التّوظيف على أساس فاعلية التّواصل مع المتلقّي الصغير، وإحاطته بثقافته ومعرفته الخاصّة بشكل واقعي وعصري يجعل الأطفال يتذوّقون ما يُضيفه المبدع إلى الموضوعات الدّينية.

وتتجلّى أهميّة الشعر الديني بمختلف موضوعاته في كونه "فنّاً أدبياً يستمدّ جمالياته من الإعجاز البياني ومما أوتي من جوامع الكلم، وبستلهم قيمه من معاني الذّكر الحكيم والهدي الشّريف، ومن أدب السّلف الصّالح الواعي لمهمّته في الحياة. ولعلّ هذه الرّؤيا هي التي جعلت العديد من شعرائنا في العصر الحديث يبدعون في القصائد الدّينية"² ذلك أنّ العلاقة بين الدين والأدب لم تنقطع على مرّ العصور، ورغم ما قد يُصيب أحدهما من تقدّم أو تأخّر في زمن ما، فإنّ هذه العلاقة تبقى قضية أصيلة بحكم عنصر الممارسة والأداء لكل منهما "على نحو لا يعود معه أيّ عنصر في واحدهما غريباً عن الثّاني، وبالفعل تعبّر الأصالة، من جهة أولى عمّا هو عفوي إلى أقصى حدود العفوية عند الفنّان، ولا تعبّر من الجهة الثّانية إلّا عمّا هو من صميم طبيعة الموضوع بحيث تظهر أصالة الفنّان وكأنّها أصالة الموضوع نفسه..."³ وثنائية الممارسة والأداء

¹ - عميش عبدالقادر: قصّة الطّفل في الجزائر، ص:43.

² - عبدالرحمن بغداد: إسلاميات أحمد شوقي (دراسة نصّية تناصية) (رسالة دكتوراه مخطوطة) جامعة تلمسان 2007، ص:أ.

³ - هيقول: المدخل إلى علم الجمال فكرة الجمال، ط2، ترجمة: جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، 1988 ص:460.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) أنموذجا

جعلت الأدب عامّة، والشعر خاصّة ينمو في رحاب القرآن الكريم، ويمتاز من فيضه الأمر الذي جعل الشّاعر المسلم الذي يكتب للأطفال يهتمّ "بتأصيل القيم الروحية في نفوس الأطفال، وغرس الفضائل الحميدة، والأخلاق النبيلة، وتهذيب الطّباع، وتعديل السلوك، وتعميق معنى الإيمان، وتأكيد مبدأ الوحدةانية، وتقريب فكرة الألوهية إلى عقول الأطفال بصورة مبسّطة"¹.

وشعر الأطفال عند جمال الطاهري لم يخلُ من الموضوعات الدّينية، حيث شغلت مضامينه حيّز كبيرا في ديوانيه، والجدول الآتي يبيّن ذلك:

الصفحة	مصدرها (الديوان)	عنوان القصيدة
01	الزّهور ج 2	دعاء
03	الزّهور ج 4	الدّعاء
14	الزّهور ج 1	هو الله وحده
06	الزّهور ج 1	ابتهالات
01	الزّهور ج 5	يا رب بارك لي
04	الزّهور ج 4	يا رب
03	الزّهور ج 5	سبحان الله
06	الزّهور ج 2	محمد
05	الزّهور ج 2	أدبني ربّي
01	الزّهور ج 3	النّهج المحمّدي
14	الزّهور ج 2	في ذكرى المولد
13	الزّهور ج 2	شموع المولد
04	الزّهور ج 2	القرآن
14	نفح الياسمين	قرآن ربي

¹ - العيد جلولي: النّص الشعري الموجّه للأطفال في الجزائر، ص: 185.

02	الزهور ج 5	يا واسع الخيرات
----	------------	-----------------

جدول (03) يتضمّن 15 قصيدة تعالج موضوعات الشعر الديني.

1.1 - مضامين التوحيد والابتهالات:

استهلّ الشاعر موضوعات الدين بقصيدة (دعاء) متوجّها إلى الله سبحانه وتعالى

بالدعاء والتضرّع على لسان الطفل هادفاً من ذلك تعميق الصلة الروحية، حيث يقول:

أَيَا نُورَ قَلْبِي	وَبَهْجَةَ لُبِّي
وَمِصْبَاحَ دَرْبِي	وَمَهْبِطَ حُبِّي
إِلَهِي الْعَظِيمِ	وَرَبِّي الْكَرِيمِ
أَخَيْرَ دَلِيلِ	وَهَادِي السَّبِيلِ
شِفَاءَ الْعَلِيلِ	وَعَوْنِي الْجَلِيلِ
إِلَهِي الْعَظِيمِ	وَرَبِّي الْكَرِيمِ ¹

فحين تشتدّ أمور الدنيا على الإنسان وتواجهه الصعوبات، أو الصدمات

والأحزان فإنّ راحة البال في الدعاء لله عزّ وجلّ مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَأذْكُرْ رَبَّكَ فِي

نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ

الْغَافِلِينَ² والقرآن الكريم مليء بمثل هذه الأساليب الشائقة التي تدعو الإنسان للابتهال

والدعاء؛ فالشاعر يحمّد الله بندائه إيّاه، ويذكر بعض صفاته العليا ويدعو بأسمائه

الحسنى، استجابة لقول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا^ط وَذَرُوا الَّذِينَ

يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ^ع سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ³ معترفاً بذلّه والفقر إليه

لأنّ الله سبحانه وتعالى يحبّ من عبده أن يعترف بعظيم نعمه وجليل فضله؛ فهو الخالق

والهادي، والمطعم والسّاقى، وهو الذي يشفي ويميت ويحيي، وهو القائل في محكم تنزيله:

¹ - جمال الطاهري: الزهور، ج2، ص: 01.

² - سورة الأعراف: الآية: 205.

³ - سورة الأعراف: الآية: 180.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ . وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ . وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ . وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ . وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ

الدِّينِ﴾¹ ثم يضيف الشاعر في ذات القصيدة متوسلاً لله سبحانه وتعالى أن يقبل

صلاته، ويحسن خلقه وخلقه ويسعد حياته وأن يبارك ثمرة اجتهاده، وحصاد عمله المثمر الذي يعود بالنفع على البلاد والعباد، وهي قيم دينية وحضارية لها علاقة بالعقيدة الإسلامية أراد الشاعر أن يرسخها في الأطفال، ليستقيموا في أخلاقهم كسلوكات لبناء الأمم وأن يتوجهوا إلى الله دون سواه بالدعاء والتضرع والخشية ولعل ذلك من أسمى أهداف أدب الأطفال الإسلامي إذ يقول:

تَقْبَلُ صَلَاتِي	بِمَا ضِ وَأَتِ
وَجَمَلُ صِفَاتِي	وَاسْعِدْ حَيَاتِي
إِلَهِي الْعَظِيمِ	وَرَبِّي الْكَرِيمِ
ابْنِ لِي اجْتِهَادِي	وَبَارِكْ حَصَادِي
أَفْذُ بِي بِلَادِي	وَكُلِّ الْعِبَادِ ²

ويجمع المعاني السابقة في مضمون قصيدة أخرى عنونها بـ (الدعاء) وكأنه يفسر قصيدته الأولى التي عنونها بـ (دعاء) دون تعريف-أي نكرة- والاسم النكرة يفتح دلالات تأويلية متسعة تحيل على الإثارة، أمّا (الدعاء) باعتباره معرفة فهو محرك حيوي وحاضنة لرؤية الشاعر في تشكيل قصيدته كتجربة إبداعية، وكمضمون قيم يلبأ إليه الإنسان حين تنته منه الدروب وتضيق به السبل، وعنه ينفص الأصدقاء والأصدقاء ويبقى يعانق وحدته والحزن ينسج خيوطه حول قلبه، ويخنق بقايا الفرح، وحين ذاك لا ملجأ من الله إلا إليه، وله المفرّ، لأته القائل في كتابه العزيز: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي

لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾³ يقول فيها:

¹ - سورة الشعراء: الآيات: 78-79-80-81.

² - جمال الطاهري: الزهور، ج1، ص: 01.

³ - سورة الدّاريات: الآية: 50.

إن تاه الدرب، وضاق طريق
وانفضَّ الصَّحْبُ، وولَّى صديق
وبقيتَ المفرد، دون رفيق
فألجأ لله، إله الكون
وإذا بالعمّة فيض شروق
إن ضاق الدهر، وخانك حظ
والدنيا ضاقت طولاً. عرض
وكأنك تحملُ وزر الأرض
فألجأ لله إله العون¹

إنه توجّع القلب حين الشعور بفرق الحبيب، غير أنه لا عزيز أعزّ من النفس ولا طيب أقرب من الله ورسوله، فقد يهرب الإنسان من المخلوق إلى غيره، فيحتضنه أو يردّه، لكن الله أرحم من الوالدة بولدها وهو القائل: ﴿حَتَّى إِذَا ضَاقتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقتْ عَلَيْهِمُ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾². فالشاعر يبدو متأثراً بالقرآن الكريم المصدر الأول للاستيعاب، فاقتبس منه لأداء وظيفة الاقناع، واستشهد به بطريقة غير مباشرة لإيصال المعنى بسهولة للأطفال.

وقد سعى جمال الطاهري في قصيدة (هو الله وحده) إلى تقمص شخصية الطفل المتأمل في صنع الله، فمنذ أن يفتح عينيه وهي واحدة من أهم نعم الله عليه، وهو يرى في بيئته الزهور البديعة، والنحل، والفراشات، وهي تحوم حول هذه الزهور، وأسراب الحمام، وتحولات الطبيعة، ودورة الشمس وما ينتج عنها من فصول تتباين في مظهرها بين جمال الربيع، ووداعة الصيف، وكآبة الخريف وصقيع الشتاء، وكل أولئك من صنع

¹ جمال الطاهري: الزهور، ج4، ص:03.

² - سورة التوبة: الآية:118.

الله تعالى القائل في محكم تنزيله: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ

الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ¹ يقول:

هو الله وحده	تأمل صنيع الإله ورتّل
وكوّن في باطن النحل شهده	فسبحان من سكّب الحسن ورده
وعلم وحش القلاة الموده	وألهم سرب الحمائم رشه
هو الله وحده	تأمل صنيع الإله ورتّل
وفي فصل صيف لطيف وديع	أراه بفضل الربيع البديع
وتلج شتاء ومرأى صقيع	وفصل خريف كئيب مريع
هو الله وحده ²	تأمل صنيع الإله ورتّل

ولفنّ الابتهاال نصيب عند جمال الطاهري، ينطلق فيه من دوافع الانكسار، وكأنّه يعيش أزمة نفسية متأزّمة، وأحسب الرّجل يُدلف إلى الابتهاالات كلّما أحسّ من نفسه بتقصير أو مروق، معترفا بما قد يكون اقتزفه في الماضي ممّا لا يذكره تصريحاً " ليغلق على نفسه الباب، وينظر إلى الحياة من زاوية خاصّة، هي زاوية الذات المحرومة والنفس المكبوتة، باحثاً عن نفسه..."³ في تجربة شعرية صادقة، ليضع الأطفال في جو الخشوع، ويربطهم ربطاً وثيقاً بحبّ الله والتقرب إليه بالصّفاء الرّوحي والسّمو بالذات في أجواء إيمانية بحثاً عن الطمأنينة والرّاحة يقول في مقتطف من قصيدة (ابتهاالات):

نور وجداني يا ربّي	بيّان الآيات العذب
وأوضي ما أظلم من دربي	وأقم من ذكرك لي صوبي
سبحانك ربّي سبحانك	
إلهي صبراً في عُسري	والشُّكرُ الخالصُ في يُسري
امنحني رُشداً في أمري	وصواباً يقدح في فكري

¹ - سورة العنكبوت: الآية:20.

² - جمال الطاهري: الزهور، ج1، ص:14.

³ - عبدالله الركيبي: دراسات في الشعر العربي الجزائري الحديث، ص:12.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

سبحانك ربِّي سبحانك¹

ويتابع الشاعر رحلته في موضع آخر إلى توجيه الأطفال إلى مبادئ الدين الإسلامي الحنيف، وتعميق الإيمان في نفوسهم، وهم يطلبون من الله عزّ وجلّ أن يبارك في أعمالهم وأقوالهم، وأن يتّصفوا بالعطف والرّفق، وفعل الخير يقول في قصيدة (يا رب بارك لي) :

يا ربِّي بارك لي	في طيّب الأعمال
يا وافرَ البذل	زين لي الأقوال
بارك لي العُمرا	أفعل بي الخيراً
كي أكنز البراً	أدعوك ياربِّي
ثبّت لي الإيمان	جمّل لي الإحسان
كنز بي العمران	أدعوك ياربِّي
عرّف لي الحقّ	كي أتبع الصّدق
والعطف والرّفقا	أدعوك ياربِّي ²

وفي لحظة انعزال الإنسان وتفوّده عن الإخوان، قد يعتريه اليأس والقنوط دون أنيس أو معين، فيرى الطريق طويلةً وشاقّة، ثمّ ما يلبث أن يصحو على ثقة وأمل بالله سبحانه وتعالى، يناجي جمال الطاهري ربّه شاكياً له مواجهه وأحزانه في رائعته (يا رب) وإن كانت فوق مستوى الأطفال الإدراكي، واللّغوي لتنامي الرّمزية الصّعبة وتغليب التخيل على المعنى الحقيقي فقد أبدع في إجلاء الصّورة، وبنائها على أرضية الحركة بين الأسلوب والموقف، في مناجاة رحيمة تفيض سماحة على لسان الإنسانية في طفولتها يقول :

كمّ بتُّ أكابِدُ وأعاني	أجتُرُّ مجامعَ أحزاني
والسُّهْدُ يمزقُ أفناني	والحسرة أمست سلطاني

فيناجي قلبي: يا ربّي

¹- جمال الطاهري: الزهور، ج1، ص:06.

²- جمال الطاهري: الزهور، ج5، ص:01.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

فإذا بالحسرة أوهام
كم سرتُ أعاني من عُسري
وإذا بالحسرة أحلام
ومتاعبُ عمري كالجرير
والدنيا ضاقتُ من أمري
خرباً يتأجج كالجرير

فيناجي قلبي: يا ربّي

فالعُسْرُ يُعوّضُ باليسرِ
والضيقُ يُنابِعُ بالخير¹

ومثل هذا المقطوعات التي تقترب من حسّ الأطفال وتداعب الذائقة الغنائية لديهم تجعلهم يتغنّون بها، ويشعرون بالسرور حيالها، لأنها "تنمّي خيالهم وتوقظ عواطفهم ومشاعرهم، وتغرس فيهم القيم الدينية والمبادئ الخلقية"² لأنّ فيها المعاني القيّمة، حيث اصطفى فيها الشاعر الألفاظ ذات الأثر العميق في نفس المتلقّي الصّغير، بعيداً عن مظاهر التكلّف .

وفي زحام الحياة لا ينسى شاعرنا تسبيح الله، في حقيقةً يهزّ بها قلوب الصّغار موضّحاً أنّ الكون كلّهُ بملائكته وإنسه وجنّته، وشجره وثمره، بنجومه وغيومه، بأطيّاره في أوكارها، تلهج بذكر الله وتسبيحه وتحميده وتمجيده بغير تخلف ولا توقّف ولا انقطاع يقول في قصيدة (سبحان الله) :

أنظر لذي الشجرة
تحكي بها النّمره
تختالُ مزدهره
عن حسن خلق الله
أنظر لذي النّجمه
تحكي لذي الغيمه
تختالُ بالبسمه
عن حسن خلق الله
أنظر لذي الغيمات
تحكي بها الخيرات
حامت بها النّسمات
عن حسن خلق الله
أنظر لذي الأطيّار
تشدو لدى الأوكار
تسبيحها أشعار
عن حسن خلق الله³

¹ - جمال الطاهري: الزهور، ج4، ص:04.

² - حسن شحاتة: أدب الطّف العربي دراسات وبحوث، ط2، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1994، ص:212

³ - جمال الطاهري: الزهور، ج5، ص:03.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

وفي هذه المقطوعة يرسخ الشاعر العقيدة الصحيحة في نفوس الأطفال ويبين لهم أن الله خلق الخلق فأحسنه وأنقنه متعلقاً مع قوله تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ^ط وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ¹﴾ وتضمينا غير مباشر لقوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ^ج صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ^ع إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ²﴾.

2.1- مضامين مدح الرسول ﷺ:

وبعد هذه التفحات الإيمانية التي بين فيها الشاعر عظمة الخالق بذكر آلائه وتمجيد ذاته، والدعوة إليه بالتضرع والدعاء، يتوجه بنا إلى حضرة الرسول محمد ﷺ علم الهدى ونبراسها، نور الوجود، والوافي بالعهود، شفيح الخلق يوم التنادي؛ مُعدداً صفاته ومبيناً فضله على البشرية جمعاء، فقد وصفه المولى عز وجل بقوله في كتابه العزيز: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ³ فَصِفَتَا الرَّأْفَةَ وَالرَّحْمَةَ مِنْ أُنْبُلِ الصِّفَاتِ الَّتِي اتَّصَفَ بِهَا سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ ﷺ ودعا إلى الاتصاف بها، وقد استعمل الشاعر أسماء التفضيل لأن الأطفال تعودوا على استعمال هذه الألفاظ في مناشطهم الدراسية للمقارنة والقياس بأسلوب شعري مترنم في أنشودة (محمد):

هو البزوغ الأسعدُ

هو الرجاء الأبعدُ

هو الدليل الأوحُدُ

هدى الأنام الأرشُدُ

شمس الورى المُكْرَمُ

¹ - سورة السجدة: الآية: 07.

² - سورة التمل: الآية: 88.

³ - سورة التوبة: الآية: 128.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) أنموذجا

بها يَفْتَاتُ الْمَسْلَمُ
هُوَ الرَّسُولُ الْمَثَمُّ
وَالْقَائِدُ الْمَعْلَمُ¹

فهذه الأسطر القصيرة تجيب الأطفال عن أسئلتهم الطويلة، التي من خلالها يستلهمون "هدي النبي ﷺ ويدفعنا إلى تلمس هذا الهدي إيماننا أنه ﷺ الأنموذج الذي وضعه الله نصب أعيننا، وطالبنا باتباعه والمشى على نهجه وعرزه"² فهو الإسوة الحسنة التي تضيئ صفحات حياتنا توجيهها وقولا وفعلا، وفي هذا المعنى يقول جمال الطاهري في قصيدة (أدبني ربّي):

علمني تعليم	بخلقه الكريم
أعطاني المثل	بنهجه القويم
والنهج لم يزل	المرجع السليم
علمني الصدق	والعدل والحقا
والصالح الأبقا	أطلبه سبقا ³

ويبدو أنه أراد تفسير قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾⁴ وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾⁵ بطريقة مبسطة يفهمها الأطفال بأسلوب شعري رقيق؛ ثم يمعن الشاعر في تعلّقه بالحبیب محمد ﷺ رداً على الآثمين وعلى أولئك الذين هانوا على الله، وهانوا على الأرض من أجل أن لا تعلقوا راية الحق، ولا يتأتى ذلك إلا بالتمسك بدين الله عقيدة وشریعة، عبادة وسلوكاً وأخلاقاً، ثم التمسك بسنة النبي ﷺ؛ لأن من أهم أسباب رسالة

¹ - جمال الطاهري: الزهور، ج2، ص:05.

² - منقذ بن محمود السقار: الدين المعاملة (د، ط) الإدارة العامة للثقافة والنشر (د، ب) 2009، ص:04.

³ - جمال الطاهري: الزهور، ج2، ص:05.

⁴ - سورة الأحزاب: الآية:21.

⁵ - سورة القلم: الآية:04.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

الإسلام الأخلاق التي لاقت قلوباً نقيّة صادقة تعلم أنّها أمام قدوة اختارها الله عزّ وجلّ ليقود العالم إلى الحياة الأفضل والآخرة الأنعم يقول في مقتطف من قصيدة (النّهج المحمّدي):

بمحمّد سأنبئدي	وبالرّسول أقتدي
وسوف أبقى المهتدي	بنهجه المحمّدي
محمد زَيْن الوري	بحبله شدّ العُرى
وهو ضياء من يرى	بنهجه المحمّدي
محمّد نورُ البشر	من نوره الجهلُ اندثر
علمنا مدى العُمر	بنهجه المحمّدي
محمّد زَيْن الخلق	وشرعه عدلٌ وحق
إشراقه عمّ الأفق	بنهجه المحمّدي ¹

فشخصية نبينا محمّد ﷺ وجد فيها الشاعر القدوة والأخلاق، وفي تفاصيل حياته مادّة خصبة، وكتابا ينهل منه، ويتحدّث عنه، ليبين للأطفال أنّه الأفضل والأطهر الذي علم البشرية كيف تكون الأخلاق. وللشاعر في هذه القصيدة مشاهدات وأذواق تعبّر عن مكنون حبه، ولواعج أشواقه للنبي ﷺ فيختتمها قائلاً:

هو قائدي وهو الإمام	والبدر إن عمّ الظلام
وسبيله نشر السّلام	بنهجه المحمّدي
من نوره عمّ الصّباح	والبدر في اللّيلاء لآخ
ذاب الدجى والضنك رآخ	بنهجه المحمّدي ²

لقد كان ولا يزال الرّسول ﷺ الأنموذج المثالي الذي تهفو إليه كلّ نفس مؤمنة ويتعطر بسيرته كلّ لسان ذاكراً، وكثيراً ما مدحه الشعراء ولهجوا في شعرهم بمناقبه ومآثره، تشفّعاً وتبرّكاً، فقد "وجد شعراؤنا تراثاً ضخماً من المدائح النبوية بدأت من حسان بن ثابت شاعر الرسول ﷺ ومن عاصره من الشعراء الإسلاميين، ثمّ من تلاهم

¹ - جمال الطاهري: الزهور، ج3، ص:01.

² - المصدر نفسه، ص:ن.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

من الشعراء على مرّ الأيام والدّهور وقد تلوّنت تلك المذائح بأذواق العصور الإسلامية المتوالية... فحملت قصيدة المدح إلى جانب المعاني الدينية، أشواق العصر وتطلّعات أهله إلى المستقبل ورجاء المؤمنين في حياة أفضل¹ وشاعرنا الطاهري تجاوب مع هذه المعاني السّامية التي يجيش بها قلبه، في سياقات مناسبة للأطفال مرتبطة بمناسبة دينية هي عيد المولد النبوي الشّريف التي ينتظرها الأطفال بشغف كلّ عام، ولا أحسن من أن يرويه من منبع شعره على ألسنتهم (في ذكرى المولد):

نحن أوقدنا الشّموع	من سنّا الهادي الكريم
نوره عمّ الرّوع	ينشرُ البِشر العظيم
بدرُهُ عَذْبُ السّطُوع	يُذهِبُ الجهلَ الأليم
وهو في طيّ الضّلوع	مصدرُ الخيرِ العميم ²

وبعيداً عن النّقاش الفقهي، تناول الشّاعر المناسبة من مظهر حبّ الرّسول ﷺ وإجلال شخصيته في نفوس الأطفال في طابع ديني بحت لشكر الله على أنّه بعث لنا هذا النبي ﷺ معدّدا شمائله، وخصائصه، وصفاته وعظيم فضله على البشرية:

نحن أوقدنا الشّموع	من سنّا الدّنيا محمّداً
نور عمّ الرّوع	فهو في الدّنيا مُخلّداً
بدرُهُ عَذْبُ السّطُوع	ذكره دوماً مُمجّداً
وهو في طيّ الضّلوع	ألف تذكّار مُؤبّداً ³

وينسجم الطاهري مع الأطفال في مرحلة الواقعية والخيال المحدود في خيالها الإيهامي بجعل (شموع المولد) ناطقة بتوّحده معها ومحاورتها مستخدماً تقنية التّشخيص والأنسنة وهي تقنية "إسباغ الحياة الإنسانية على ما لا حياة له كالأشياء الجامدة

¹ - سعاد عبد الوهاب عبدالكريم: إسلاميات أحمد شوقي (دراسة نقدية) (د، ط) مطابع أهرام الجيزة الكبرى، مصر (د، ت) ص: 239.

² - جمال الطاهري: الرّهور، ج2، ص: 14.

³ - المصدر نفسه، ص: ن.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

والكائنات المادية غير الحية¹ فالشمعة عنده ترمز إلى الوجود بنورها، وإلى التضحية بذوبانها واحتراقها من أجل حياة مشعة للآخرين:

لا نوح يا شموع	في مولد الهادي
لا تسكبي الدموع	في خير ميلاد
لا تحرقني الضلوع	في عيد أعياد
بل نوري الربوع	من أجل إسعادي ²

ويواصل خطابه متوسلاً الشمعة أن تكفّ عن البكاء، فالمقام مقام شدو وغناء وإنشاد، وهي صفات الطفولة المنطلقة، التي لاتزال تجهل عمق الجراح التي تتبدى آلامها أمام الإنشاد، في مقطعة من ذات القصيدة:

يا شمع كفّ النوح	قد غرّد الشادي
غنّت طيور الدوح	للزائح الغادي
والبشر صاع البوح	ذا زهره البادي
يأسو عميق الجرح	من حلو إنشاد ³

3.1- مضامين القرآن الكريم:

وإذا كان الشاعر قد استلهم من القرآن الكريم أفكاره في صياغة شعره للأطفال متعاملاً معه كمنبع لثقافته الإسلامية؛ فإنه لم ينسأه وهو الإعجاز الإلهي ومنهج الحياة الربّاني الكامل الذي أنزله الله سبحانه وتعالى على نبيه محمد ﷺ ليكون دستوراً وشريعة وتاج الأدب وقاموس اللغة العربية أسلوباً وعرضاً، ومظهر البلاغة، والطاقة الخلاقة من الفكر والذكر، الذي قال فيه ألدّ أعدائه، وهو كافر بمحمد ﷺ وبالقرآن: "والله إنّ له لحلاوة، وإنّ عليه لطلاوة وإنّته ليحطم ما تحته، وإنّته يعلو وما يُعلى"⁴ لذلك كلّهُ أفرد

¹ - الشّهاب رضوان: الشعر والفن والجمال (د، ط) دار الأحد، بيروت، 1961، ص: 45.

² - جمال الطاهري: الزهور، ج2، ص: 13.

³ - جمال الطاهري: الزهور، ج3، ص: 13.

⁴ - سيد قطب: التصوير الفني في القرآن، ط17، دار الشروق، القاهرة، 2004، ص: 25.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

الشاعر قصيدة للقرآن الكريم، ووسمها باسمه (القرآن) وتفنن فيها بالصبغة التوشيفية للوصول السهل إلى شفاه الأطفال:

قرآن ربّي دُنْياً ودينٌ هدىً ونورٌ للعالمينُ
أتى انبعثاً للمسلمينُ أنار أفكارَ الجاهلينُ
فما أجلّ : قرآنَ ربّي

أتى بشيراً للمؤمنينُ أتى نذيراً للكافرينُ
أزالَ زيفَ المضلينُ أنارَ درباً للتائهينُ
فما أجلّ : قرآنَ ربّي

أتى فصحّى كلّ النيامِ دعا الشعوب إلى القيامِ
وأيقظَ العربَّ من منامِ وكان بعثاً على الدوامِ
فما أجلّ : قرآنَ ربّي¹

نلاحظ أنّ الحس القرآني يسيطر على خيال جمال الطاهري فهو يستوحي المعنى من قوله تعالى: ﴿كَتَبُ فُصِّلَتْ ءَايَاتُهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ . بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾² وقوله عزّ وجلّ: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِكَ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾³.

ومن الصّور التي تدلّ على الحقيقة الروحية للقرآن الكريم الذي أنزله الله ضياءً يهدي به من يشاء أنّه نظام أتى لإزالة الفوارق بين النّاس، ومحاربة الجهل، ووضع ميزان النّفوس، يقول الطاهري على لسان طفل ترعرع في أحضان التربية الإسلامية:

قرآن ربّي أتى رسالهُ أتى نظاماً أتى عدالهُ
وكان سيفاً على الجهالهُ ما استطاع نهجاً يحذو مثالهُ

¹ - جمال الطاهري: نفع الياسمين، ص: 14.

² - سورة فصلت: الآيتان: 03-04.

³ - سورة الإسراء: الآية: 78.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

فما أجلّ : قرآن ربّي¹

وبسلك الطاهري "سبيل الاستجابة للصوت الديني الكامن في أعماقه ليظهر هذا التأثير المتعدّد في كثير من شعره، ليرسم صوراً مستوحاة من القرآن الكريم، ومعانيه"² على نحو:

اسمع لَوْحِي الإله واصدعْ وافهمْ معاني الكتاب تُخشعْ
ارجع لأمرِ القديرِ ارجعْ تجدْ نظاماً للخلقِ يرفعْ

فما أجلّ : قرآن ربّي³

فقد استوحى معاني صورته الفنيّة من قوله تعالى: ﴿فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾⁴.

وخاتمة الموضوعات الدينيّة التي كلّها خير وبركة على الأطفال، إذا ما أحسنوا التلقّي، أنشودة جميلة تتدرّج في معانيها، فصيحة الحروف، قريبة من تداولات الأطفال خارج المناشط الدّراسية قبل ولوجها، يقبل عليها الأطفال؛ لما فيها من موسيقى عذبة مستساغة، تعمل على التّسامي بالنّفس، والرّقي بالوجدان، والدّوبان في ملكوت الله (يا واسع الخيرات) بأفواه الأطفال:

يَا رَافِعَ النَّجْمَاتِ وَسَّعَ لَنَا الْخَيْرَاتِ
وَكَتَبَ لَنَا الْبَرَكَاتِ دَوْمًا مَدَى الْعُمُرِ
يَا جَالِبًا لِلرِّزْقِ يَا رَبَّ كُلِّ الْخَلْقِ
نَوِّرْ طَرِيقَ الْحَقِّ مَهِّدْهُ لِلْخَيْرِ
يَا رَبَّ كُلِّ الْإِنْسِ جَمِّلْ لَدَيْنَا النَّفْسِ
وَأَذْهَبْ بِكُلِّ الْيَأْسِ إِنَّ حَامَ بِالصِّدْرِ

¹ - جمال الطاهري: نفع الياسمين، ص: 14.

² - سعاد عبد الوهاب عبدالكريم: إسلاميات أحمد شوقي (دراسة نقدية) (د، ط) مطابع أهرام الجيزة الكبرى، مصر (د، ت) ص: 239.

³ - جمال الطاهري: نفع الياسمين، ص: 14.

⁴ - سورة الحجر: الآية: 94.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

صُنَّا أَيَا رَبِّ بِالْخَيْرِ بِالْحُبِّ
وَأَنْدَعُ عَلَى الدَّرْبِ مِنْ خَيْرِ البَذْرِ¹

ومن خلال ما سبق تقديمه يمكن أن نحدّد خصائص الشعر الديني للأطفال عند شاعرنا في الآتي:

- لغته كانت لغة قرآنية فصيحة وسليمة دون دخيل عامّي أو غيره.
- تضمّن أخلاقاً وفضائل حتّى عليها الإسلام.
- لم يتضمّن أي صورة من صور الخرافات والخرارق.
- دعا إلى التفكير في ملكوت الله، وفي المخلوقات، وتأمّل الكون، وكيفية خلقه.

وهذا يحيلنا إلى استنتاج غاياته من خلال الآتي:

- التّعرف المباشر على وحدانية الله، وبعض صفاته وأسمائه الحسنى.
- التّعرف على سيرة حبيبنا محمد ﷺ وصفاته من خلال الاحتفال بمولده.
- تنمية العقيدة على أسس سليمة فهما، وممارسة، وسلوكاً.

ونضيف في الأخير بعض المآخذ على الموضوع الديني في شعر الأطفال عند جمال الطاهري في الآتي:

- تميّزت القصائد بالطول، وهو أمر يشنّت انتباه الأطفال ويبعث فيهم الملل.
- لم يتضمّن الموضوع الديني مضمون العبادات، وهو أمر مهمّ جداً للأطفال بمختلف مراحلهم، وبخاصّة عبادة الصلّاة الذي يرافق تعليمها للطفل منذ سن السابعة كما حتّى على ذلك رسول الله ﷺ أي منذ منتصف مرحلة الطفولة الثانية، حيث لم يذكرها إلاّ بعبارة واحدة عبر الديوانين (تقبّل صلاتي) وكذا عبادة الصّوم في شهر رمضان وهي مناسبة لها نكهة خاصّة عند الأطفال.

- خلوّ شعره من كلّ المناسبات الدّينية ما عدا مناسبة عيد المولد، والمناسبات الدّينية هي مظهر الجمال والفرحة عند الأطفال بترديدهم الأشعار المناسبة لها حفظاً وأداءً.
- المعجم المستعمل فيه من الألفاظ الصّعبة، وبعض الرّمزية الموغلة في التّخيّل ما يتجاوز الفئات العمرية للأطفال، وبخاصّة وأن شعره عامّة موجه للمرحلة الابتدائية التي

¹ - جمال الطاهري: الزهور، ج5، ص:02.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

تمتدّ من عمر الستّ سنوات إلى اثنتي عشرة سنة أي المرحلة الثانية والثالثة بقياس المستوى اللغوي.

2- موضوعات الشعر الاجتماعي:

إنّ موضوعات الشعر الاجتماعي عامّة ترتبط في مضامينها بالقضايا الاجتماعية الظاهرة، والباطنة التي تثار في المجتمع إيجابية كان أم سلبية أمّا في شعر الأطفال "فتبرز الظاهرة الاجتماعية والغاية منها بشكل مباشر وقريب من الطفل، ولقد وقف مجموعة من الشعراء عند المظاهر التي تخصّ الطفل، وتعكس علاقته بأسرته ومدرسته ومجتمعه، وبقضاياه وعاداته السلبية والإيجابية"¹ وعلى ذلك فالشعر الاجتماعي للأطفال هو ما تحويه القصائد من أفكار تتعلّق بوحدة أو أكثر من القيم، والظواهر الاجتماعية التي لا يمكن تفسير ظاهرة منها بمعزل عن مضمونها، مثل ظاهرة الأمومة والأبوة والأخوة والعادات والتقاليد السائدة في ثقافة المجتمع، فالشاعر لا بدّ أن يقيم علاقة مُعينة بينه وبين بيئته الاجتماعية لتتضمّن "إحساسه بنقص في هذه البيئة فيدفعه شعوره بهذا النقص إلى البحث عن الحل الذي يرضيه من خلال إبداعه للقصيدة"² فالشاعر إذن يمارس عملية تغيير، بالنسبة لمن يحيط به من أفراد، بتغيير وجدانهم، وتكمن عبقريته في إيضاح علاقته بمجتمعه بتركيباته وأطيافه وتوجّهاته.

وجمال الطاهري حاول أن يعيش في سبيل جمهور الأطفال، حيث نشأ شعره الاجتماعي، وترعرع "في حضن بيئته، ومجتمعه، فكان غنيا بالمعاني الإنسانية النبيلة والقيم الروحية الأصيلة"³ تعبيراً باللّغة البسيطة العادية التي يحبّها ذلك الجمهور ويستطيع أن يتجاوب معها، في موضوعات اجتماعية مختلفة المضامين التي حفل بها ديوانه والتي عالج فيها الأسرة بأطيافها، والعمل بموقعه ومميزاته، وبعض تركيبات المجتمع، ونجمل ذلك في الجدول الآتي:

¹ - عبير النوايسة: أدب الأطفال في الأردن (الشكل والمضمون) ط1، دار اليازوري، الأردن، 2004، ص:112.

² - حسن أحمد عيسى: الإبداع في الفن والعلم، سلسلة عالم المعرفة، العدد:24، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1979، ص:117.

³ - هيفاء بنت رشيد عطا الله الجهني: النزعة الإنسانية في الشعر (رسالة دكتوراه مخطوطة) جامعة أم القرى السعودية، 2006، ص:12.

الصفحة	مصدرها (الديوان)	عنوان القصيدة
14	الزهور ج 4	خير صاحب
11	نفح الياسمين	احفظ لي يا رب ماما
12	نفح الياسمين	أمي (قصيدة أولى)
13	نفح الياسمين	أمي (قصيدة ثانية)
10	الزهور ج 5	صوت ماما
8	الزهور ج 1	بسة ماما
11	الزهور ج 5	كلمة بابا
12	الزهور ج 5	بنيتي
6	نفح الياسمين	من حكايات جدتي
2	الزهور ج 2	من أجل الإنسان
6	الزهور ج 4	العمل عبادة
9	الزهور ج 3	دعوة إلى العمل
7	الزهور ج 2	نعم أجر العاملين
8	الزهور ج 4	صناع بلادي
3	نفح الياسمين	دعاء فلاح
4	الزهور ج 5	أسرع إلى شغلك
11	الزهور ج 3	الغد للشباب

جدول (04) يتضمّن 17 قصيدة تعالج موضوعات الشعر الاجتماعي.

1.2 - مضامين الأسرة وما يتصل بها:

إنّ الطّفل بطبعه اجتماعي والأبعاد الاجتماعية في بيئته المحيطة به تستهويه وليس أقرب له في هذا المحيط من أسرته، الوتر الحساس الذي عزف عليه كثير من شعراء الطّفولة. فالأسرة هي عالمه الكلّي، وأداة التنشئة الرّئيسة في أثناء مراحل الطّفولة المختلفة، ولها تأثير في حياته "ويبدأ هذا التأثير بالاتّصال المادي والمعنوي

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

المباشر بين الأم وطفلها، فهي ترعاه وتحنو عليه وتشبع حاجاته، كما أنّ لدور الأب والإخوة تأثيراً كبيراً في هذا السياق¹ ومادامت الأسرة هي الركيزة الأساسية لبناء المجتمع "كانت العناية مطلوبة على نحو ضروري بهذه الركيزة، فإذا صحّ أساس البناء أصبح البناؤون مطمئنين إلى الأرضية التي سيعتلي عليها البناء، ممّا يوفّر شعوراً بالأمان لساكنيه"² غير أنّه إذا كانت هذه الأرضية ضعيفة ولا تقوى على الصمود أمام المتغيرات والمؤثرات، كان المجتمع أضعف منها، وكان التضراب في أداء الأدوار، ومن ثمّ الانحلال الأسري، الذي لم تسلم منه بيوت العالم المادّي المعاصر، فتحوّلت هذه البيوت إلى سجون لغياب قيم الإيمان، والرّحمة، والشفقة، والحب، والوفاء.

لذلك كلّ حرص الشعراء على المشاركة الفاعلة في بناء المجتمعات، وتقويم الاعوجاج الحاصل في تركيباتها، وإذا كانت الأسرة هي نواة المجتمع، فإنّ الأم هي ذرّة تلك النواة، ومادامت كذلك فقد أفرد لها شعراء الطّفولة قصائد وقصائد وجمال الطاهري من أولئك الشعراء حيث خصّ الأم في ديوانه بستّ قصائد مختلفة المضامين، وفتحها قصيدة (خير صاحب) يقول في مطلعها:

من خير الصّاحب؟ أمك

من خير الصّاحب؟ أمك أمك

من خير الصّاحب؟ أمك أمك

فاصدع واسمع نصح محمّد³

نلاحظ أنّ الشّاعر عرف من المنبع الثاني لثقافته الإسلامية وهو الحديث النبوي الشريف، باستدعائه لحديث رسول الله ﷺ الذي رواه أبو هريرة -رضي الله عنه- قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلّم فقال: "من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: ((أمك)) قال: ثم من؟ قال: ((ثم أمك)) قال: ثم من؟ قال: ((ثم أمك)) قال: ثم من؟ قال: ((ثم أبوك))⁴ وصبّه في بودقة غرض شعره، فتزيّنت أبياته بوجي معناه.

¹ - أنور عبد الحميد الموسى: أدب الأطفال... (فنّ المستقبل) ص: 161.

² - عبد المجيد طعمة حلبي: التّربية الإسلامية للأولاد، ص: 11.

³ - جمال الطّاهري: الزّهور، ج4، ص: 14.

⁴ - مسلم بن الحجاج أبو الحسن: صحيح مسلم، مج2، ص: 1186.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

ولاشك في استحقاق الأمّ لمثل هذه المرتبة المفضّلة، فهي الرّيحانة المشفّقة والمرّبية الحانية على أولادها، لذلك كانت أحقّ بالصّلة الوثقى، وجميلٌ هو توجيه الشّاعر لكلّ طفل مسلم إلى الإحسان للأمّ وتعظيم مكانتها، ولا يترك الشّاعر الأطفال يتساءلون عن سرّ هذه الصّحبة المجلّلة التي ألحّ عليها رسول الله ﷺ فيفسّر لهم ذلك:

فهي المنقذُ وقتَ الأزْمَةِ
وهي الفرقدُ عند الظُّلْمَةِ
وهي المرشدُ وقتَ العتْمَةِ
وملاك الرّحمة فيها تجسّدُ
أُمَّكَ مَلَكٌ فوقَ سَمَاكِ
ومُنَاهُ الأَكْبَرُ نَيْلُ جِمَاكِ
إنّ يوماً سَهَمُ العَدْرِ رَمَاكِ
تُسَلِّمُكَ الرُّوحَ بِدُونِ تَرَدُّدٍ¹

إنّ الشّاعر جمال الطاهري ينكص إلى الذاكرة الطّفولية، ويعيد حياة الطّفولة، وكأنّه يتمرّد على كِبَرِهِ، لأنّ الطّفولة بآمالها وآلامها أحلى بوجود الأمّ فيها، فكم هي الآلام التي كابدتها والصّعاب التي تحمّلتها في سبيله، حملته كُرْهاً ووضعت كُرْهاً، قاست عند ولادته ما لا يطيقه الشّداد من الرّجال، ثم تتسى ذلك كلّه برويته حين ولادته، لتشغل ليلاً ونهارها تحرسه وترعاه، واللّبن من ثديها طعامه، والبكاء لِألمه لغتها، وتميط الأذى عنه والرّضى عربون مودّتها وما أطول الطّفولة التي رافقته فيها، في رحمةٍ وشفقة لا نظير لهما، فلذلك كانت الوصيّة بصحبته مكافأةً لها على ما بذلته وقدمته، هذا ما أرادته الشّاعر للأطفال أن يعيشوه، ويعاينوه بأنفسهم، ومن ثمّ هل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟ يضيف الطاهري في مطوّله (احفظ لي يا رب ماما):

حَمَلْتَنِي تِسْعًا فِي صَبْرِ
قَاسَتْ كَيْ تَحْفَظَ لِي عُمْرِي
قَدْ ذَاقَتْ شَهْدًا مِنْ مُرِّي
وَ لِهَذَا نَدَعُوهَا مَامَا
قَامَتْ بِطَعَامِي وَشَرَابِي
خَاطَتْ قُمْصَانِي وَثِيَابِي

¹ - جمال الطاهري: الزهور، ج4، ص: 14

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

أَهْدَتْ لِي أَحْلَى الْعَابِي
تَبْكِي لِعَذَابِي لَوْ أَبْكِي
يَا مَا أَهْوَاكِ، يَا مَامَا
مِنْ أَجْلِي تَقْبَلُ بِالضَّنْكِ
وَتُنَوِّرُ لَيْلِي مِنْ حَلْكِ
مَنْ يَفْعَلُ هَذَا كَالْمَامَا¹

ويستجيب الشاعر جمال الطاهري على لسان الطفل ليقدم الشكر لأمه ويترسل في ذكر الأعمال التي تقوم بها تجاهه، وكأني بالرجل لم يوف الأم حقها في قصيدته (خير صاحب) أو أن أشطرها القليلة حالت دون استيعاب كل معاني الأمومة، وما تقوم به من أعمال في تأدية رسالتها داخل البيت فضلا عن التربية:

نُعْنَى بِدُرُوسِي وَكِتَابِي
كَيْ أُصْبِحَ أَوْلَى أَنْزَابِي
وَتُهُدِّبُ دَوْمًا آدَابِي
مَنْ يُعْنَى بِي مِثْلُ الْمَامَا
لِإِطَاعَةِ رَبِّي تَدْعُونِي
فِي مَسَلِّكَ (طَه) تَرْجُونِي
بِالْخَيْرِ دَوْمًا تَدْعُو لِي
وَسَعَادَةَ عُمْرِي تَرْجُو لِي

ويطلب في آخر هذه المطولة من الله عز وجل أن يحفظها، لأنها أجمل لفظ للسان، وأخفق حب للقلب:

يَا أَحْلَى لَفْظٍ فِي قَلْبِي
احْفَظْهَا دَوْمًا يَا رَبِّي
مَنْ أَجْلِكَ يَخْفُقُ بِالْحُبِّ
كَيْ أُرْجَعَ أَفْضَالَ الْمَامَا
مَا أَحْلَاهَا مَا أَبْهَاهَا
فَجِزَاكِ الْجِنَّةَ يَا مَامَا²

أما قصيدة (أمي) الأولى، وهي الأخرى من المطولات، فيصور الطاهري فيها حكاية الطفل على لسانه مع أمه، في صور مشهدية، لا تقلل جمالا عن سابقاتها، وإن تكررت بعض المعاني والرؤى بين الحين والحين، وهذا التشابه في المعاني، وأحيانا في بعض المقاطع ينبئ عن محدودية المعجم اللغوي للأطفال، وهو ما دفع الطاهري إلى عدم مجاوزته، يصور في آخر مقطع منها مشهدية العيد وأراه يقصد عيد مولد الطفل، وإن كان دخيلا على ثقافة الرجل الإسلامية:

مَنْ إِذَا بَتَّ عَلِيْلًا
أُرْسِلُ الْآهَ كَالِيْلًا

¹ - جمال الطاهري: نفع الياسمين، ص: 11.

² - المصدر نفسه، ص: ن.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

وَأَرَى الدَّاءَ وَبِيلاً
إِسْمُهَا يَا نَاسُ: أُمِّي
مَنْ إِذَا مَا جَاءَ عِيدِي
قَبَّلْتُ خَدِّي، وَجِيدِي
إِنَّهَا يَا نَاسُ: أُمِّي
مَنْ إِذَا خَانَ صَدِيقِي
مَنْ إِذَا تَاهَ طَرِيقِي
إِنَّهَا وَاللَّهِ أُمِّي
يَبْعَثُ البُرءَ شِفَاها
هِيَ أُمِّي، هِيَ أُمِّي
وَ أَنَا غَيْرُ سَعِيدِ
يَبْعَثُ العِيدَ رُؤَاها
هِيَ أُمِّي، هِيَ أُمِّي
وَانزَوَى عَنِّي رَفِيقِي
وَجَّهْتَنِي بِهَدَاها
يَحْفَظُ الرَّحْمَنُ أُمِّي¹

ويعترف الشاعر في قصيدة (أمي) الثانية، والاعتراف سيدّ الفضيلة بفضل أمّه متقمّصاً شخصية طفلة صغيرة، وأحسب أنّه يتغنّى بها في صورة هذه الطفلة، وهذه هي شخصية شاعر الأطفال:

أَنْتِ يَا أُمَّاهِ أَضْوَاءُ بَفَجْرِي
أَنْتِ نَبْعُ المَاءِ فِي صحراءِ عُمْرِي
أَنْتِ رَقْصُ البِشْرِ فِي أعْماقِ صَدْرِي
مَنْكَ أَفْرَاحِي الكَثِيرُ
مَنْكَ آمَالِي الكَبِيرُ
بَلْبَلُ غَمِّي انْتِشَاءً
بَعْدَ لَيَالٍ مَرِيرُ
أَنْتِ أَنْوَارُ حَيَاتِي
مَنْذُ أَنْ كُنْتُ صَغِيرُ²

وخامسة قصائده للأُمّ أنشودة لأطفال المرحلة الأولى روعة في بساطتها وقصرها وتناغم ألفاظها (صوت ماما) فغنّوا معي:
صَوْتُ مَما أَعَدُّ بِما

¹ - جمال الطاهري: نفع الياسمين ، ص:13.

² - المصدر نفسه، ص:12.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) أنموذجا

كَالْمَوْسِيقَى	مَاسَ رَقِيقَا
مَا أَحْلَاهُ	هَبَّ شَذَاهُ
مِثْلُ الْوَرْدِ	عَذْبُ الشَّهْدِ
وَبِهِ أَنْسِي	وَرَضَى نَفْسِي
وَبِهِ لَيْلِي	عَبِقُ الْفُلِّ
صَوْتُ مَامَا	حُلُوْ يَامَا ¹

فهذا التعبير غني في محتواه العاطفي والاجتماعي والفكري، يجعل الطفل يتفاعل معه عقليا ووجدانيا، وورود لفظ الموسيقى دليل على أن الشاعر ذو ثقافة موسيقية مكنته من الارتقاء بمشاعره نحو التذوق الجمالي للفن، والتركيز على مرحلة الاستقبال ثم الإدراك عند الأطفال "حيث أن الطفل المستمع في (مرحلة الخيال المحدود) يكون قادرا على استقبال المنثرات الموسيقية بما لها من تأثير يسمح بالتعرف عليها، والتمييز بين النغمات"².

إننا أمام شاعر يتميز بالذكاء والفتنة، والنضج التربوي، وهو يفقه الكثير من أمور الأطفال ومراحل الطفولة المتتابعة، وهي الموصفات التي دفعته للكتابة للأطفال، ومنطقه يقرّ بالعلاقة بين الأصالة والتفتح، في توافق بين الدفعة الشعورية والتجلي الشعري فقد وجد في شعر الأطفال "هيكلا مرنا لمشاعره الدفينة، يرقى معها حينما يحلو له أن ترقى (المشاعر) حيث قوة المعاني وجزالة الألفاظ، وجلالة المواقف، وينزل معها برفق، حينما يحلو لها ذلك، حيث رقة المشاعر الوجدانية، وسلامة التركيب، وخفة الألفاظ..."³ ويتجلى ذلك في خاتمة قصائده للأُم (بسمة ماما) على شفاه الطفل وهو يصور بسمة أمه في كل حال:

بَسْمَةُ مَامَا	مِثْلَ الشَّمْسِ
تُفْرِحُ قَلْبِي	فَرَحَةَ عُرْسِ

¹ - جمال الطاهري: الزهور، ج5، ص:09.

² - شريف إبراهيم خميس: التذوق الموسيقي ط1، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 2011، ص:16.

³ - عبد الحميد بوزوينة: نظرية الأدب في ضوء الإسلام، ط1، ج1، دار البشير، عُمان، 1990، ص:34.

فَإِذَا طَلَعَتْ	طَلَعَ الْقَمَرُ
وَإِذَا بَزَعَتْ	ضَحِكَ الزَّهْرُ
بَسْمَةً مَامَا	نِعَمَ الْبَسْمَةَ
فِيهَا الصَّدَقُ	فِيهَا الرَّحْمَةُ
بَسْمَةً مَامَا	فِيهَا الْحُبُّ
وَلَهَا دَوْمًا	يَرْنُو الْقَلْبُ ¹

ويُعتبر الأب أحد العناصر الأساسية في التكوين الأسري بعد الأم، فبعد وظيفة الإنفاق، وتوفير الحماية للأسرة، يتجلى دوره في وظيفة التنشئة الاجتماعية وضبطها باعتباره همزة الوصل بين الأسرة والمحيط الخارجي، وباعتباره مؤثراً في شخصيات أبنائه حيث يتحوّل إلى النموذج والمثل في الكفاح والمثابرة باعتبار أن الإسلام "يرى أن القدوة أعظم وسائل التربية... إذ لا بدّ للطفل من قدوة في أسرته ووالديه لكي يتشرب منذ طفولته المبادئ الإسلامية، وينهج على نهجها الرفيع"² إلا أن جمال الطاهري لم يخص الأب إلا بقصيدة واحدة فقط على شاكلة (صوت ماما) على لسان ابنته التي تمثل الطفولة في أرقّ معانيها وهي تَلْفُظُ (كَلِمَةً بابا):

يَا مَا أَعَدَبُ	كَلِمَةً بابا
يَا مَا أَطْيَبُ	كَلِمَةً بابا
فَلَهَا طَعْمٌ	مِثْلُ الشَّهْدِ
وَلَهَا عَطْرٌ	مِثْلُ الْوَرْدِ
نَعْمٌ حُلُوٌّ	مِثْلُ السُّكَّرِ
وَلَهَا شَجْوٌ	رِيحُ العنْبَرِ
كَلِمَةً بابا	مَا أَحْلَاهَا
فَاحْفَظْ رَبِّي	دَوْمًا بابا

¹ - جمال الطاهري: الزهور، ج1، ص:08.

² - محمد قطب: منهج التربية الإسلامية، ط14، ج1، دار الشروق، القاهرة، 1993، ص:185.

وفي نبرة الأب الحاني، الرقيق، وفي جو يشع فيه الحبّ والوئام، تحت مظلة الانسجام، وفي عاطفة مشبوبة، وأسلوب فكه مرح، يردّ الطاهري على ابنته في قصيدة (بنيتي) :

بُنَيْتِي يَا فَرَحَتِي	يَا قُرَّةَ الْعَيْنِ الَّتِي
بِهَا تَطُولُ عَيْشَتِي	يَا فَلَدَتِي وَالْعَيْنُ
يَا زَهْرَتِي يَا فُلَّتِي	حِكَايَتِي وَقِصَّتِي
يَا مَذْبَعًا لِفِكْرَتِي	يَا فَلَدَتِي وَالْعَيْنُ
يَا مَأْمَلِي يَا بَسْمَتِي	الْعِطْرُ عَمَّ فُلَّتِي
أَنْتِ أَنْيْسُ وَحَدَّتِي	يَا فَلَدَتِي وَالْعَيْنُ
فَلْتُرْسَلِي إِبْتِسَامَهُ	كَيْ تَكْشِفَ الْغَمَامَهُ
وَتَهْدِلَ الْحَمَامَهُ	يَا فَلَدَتِي وَالْعَيْنُ ²

ثم يأتي الدور على الجدة التي يعتبرها الشعراء بمثابة الأم الثانية وقد ربطوا حضورها بسرد الحكايات الشعبية، والخرافية كوظيفة أساسية لها في أدب الأطفال، يقول جمال الطاهري في قصيدة (من حكايات جدتي) في طابع شعري قصصي عن حكاية الريح والأشباح، والجنّ، والخوف الذي يترك الأطفال بفعل الظلمة الحالكة:

أَبْطَالُ الظُّلْمَةِ قَدْ كَسَرُوا	مِرَاةَ الشَّمْسِ
بَنَتْ فِي الكَوْنِ عَسَاكِرَهُمْ	أَبْوَاقَ اليَأْسِ
الظُّلْمَةُ تَرْحَفُ دَامِسَةً	فَتَنُوحُ الرِّيحُ
تَمْضِي تَتَسَلَّلُ كَالْأَفْعَى	وَبِدُونِ فَحِيحِ
وَالرِّيحُ تُهَمِّهُمُ بِالْوَادِي	فَبِهِ تَأْوِي
تَعْوِي فَتُرَدُّ أَضْلَعَانَا	شَجْنَا يَعْوِي
كَالْوَحْشِ تُرْمَجِرُ عَاصِفَةً	تَطْوِي الْأَرْضَا

¹ - جمال الطاهري: الزهور، ج5، ص:11.

² - المصدر نفسه، ص:12.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

تَسْرِي كَالجِنِّ بِأَرْبَعِنَا طُولًا عَزْضًا
يَجْتَاخُ أَحْوَفُ أَمَاسِينَا وَيُيرِي الأَطْفَالَ
أَشْبَاحَ اللَّيْلِ يُجَسِّمُهَا لَهَبُ المِشْعَالِ¹

ويطلع الشمس، وإشراقه الصبح، تنزاح الظلمة، ويتجلى النور، وتتضح الرؤى
فما كان البارحة هو مجرد خيالات، فبعد الفزع والويل، الأمن والأمل يواصل الشاعر
على لسان الجدة تصوير المشهد:

لَكِنْ يَنْزَاحُ مَعَ الصُّبْحِ فَرَعُ الأَمْسِ
وَالنُّورُ يُذِيبُ بِمَبْسَمِهِ كَمَدَ البُؤْسِ
جَلَّادُ الظُّلْمَةِ قَدْ ظَلَمُوا وَالنُّورُ أَبَى
فَسَعَى فِي الأَرْضِ وَطَارَ بِهَا خَبَبًا خَبَبًا
شَقَّ الأَسْتَارَ وَعَرَّفَنَا بِظِلَالِ اللَّيْلِ
فَإِذَا الأَشْبَاحُ خَيَالَاتٌ تَسْقِينَا الوَيْلَ
وَالشَّمْسُ تَرُفُّ بِأَعْيُنِنَا أَمَلًا، أَمَلًا
وَالطَّيْرُ يُغَادِرُ مَضْجَعَهُ فَرِحًا، جَذَلًا
وَالضَّحْكَ تُشْبِعُ مَبْسَمَنَا قُبَلَاتِ عَبَقِ
فَتَبُّ النَّشْوَةِ وَجَنَّتْنَا أَقْوَابَ شَفَقِ
وَأُنَاسُ العَالَمِ يَحْفَرُهُمْ حُبُّ العَمَلِ
دُنْيَاهُمْ أَضَحَتْ مُشْرِقَةً بِسِنَا الأَمَلِ²

2.2- مضامين المجتمع وتركيباته:

وقد تناول الشاعر جمال الطاهري تركيبات المجتمع المختلفة أجل تعريف الأطفال
بقيمة الإنسان كصانع فعال، ومحرك للأحداث، فهو الباني للحضارات والمؤثر في سير
المدنيات، الذي رأته فيه النظرة الإسلامية دون غيرها، الكائن المستحق للتكريم الإلهي

¹ - جمال الطاهري: نفع الياسمين، ص: 06.

² - المصدر نفسه، ص: ن.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

دون سائر الخلق، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَبْرِ وَالْبَحْرِ
وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾¹ فالإنسان
كائن له قيمة في الحياة بما يقوم به من أدوار اجتماعية، وسلاحه في ذلك العلم
والإيمان، والصبر، لتوفير الخير والسمو بالنوع البشري نحو المثل العليا، وتطهيره
من الأنانية وشوائبها، يقول في قصيدة (من أجل الإنسان):

بِالْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ بِالْجِدِّ وَالصَّبْرِ
يَنْتَصِرُ الْإِنْسَانُ فِي رِحْلَةِ الْعُمُرِ
كَيْ يَغْلُو الْبُنْيَانُ كَيْ يَكْثُرَ الْإِحْسَانُ²

ثم يذكر بعض الأدوار التي كُلف الإنسان بالقيام بها، وهي لا تختلف في أهميتها
وإن تفرقت في تسميتها، فالرسالة ذاتها عند الفلاح، والصانع والعامل في مختلف
مؤسسات المجتمع، والفارقة فقط في مدى الفاعلية لأداء هذه الأدوار يضيف:

ذَا زَارِعٌ يَفْلَحُ مَنْ كَدَّهُ يَفْرَحُ
يَسْعَىٰ وَلَمْ يَزْتَحْ مَنْ أَجَلَ إِنْسَانُ
ذَا صَانِعٌ يَصْنَعُ فِي شُغْلِهِ يَبْرَعُ
يَسْعَىٰ وَلَمْ يَقْبَعْ مَنْ أَجَلَ إِنْسَانُ
ذَا عَامِلٌ يَعْمَلُ فِي الْجِدِّ لَا يَكْسَلُ
يَسْعَىٰ وَكَمْ يَبْذُلُ مَنْ أَجَلَ إِنْسَانُ³

ثم يخبر الأطفال بأن الإسلام قوم الإنسان على أساس رسالته الاجتماعية ولا قيمة
له تُذكر دون عمل صالح يفيد به المجتمع، وأخلاق تزيّن هذا العمل داعياً إياهم
أن يعملوا فيختم:

فَاعْمَلْ أَيَّا طِفْلُ إِسْلَامُنَا شَغْلُ

¹ - سورة الإسراء: الآية: 70.

² - جمال الطاهري: الزهور، ج2، ص: 02.

³ - المصدر نفسه، ص: ن.

كَيْ يَكْتُرُ الْبَدْلُ مِنْ أَجْلِ إِنْسَانٍ¹

ثم يتوجه الطاهري للطفل في خطاب رقيق، ليبين له أن الله سبحانه وتعالى أودع فيه الاستعداد والقابلية للعمل، الذي هو عبادة كباقي العبادات، وأنه سيفتح له الآفاق للوصول إلى قطف ثمار أعماله بالجد والكد، ودون سؤال الناس مصداقاً لقول الرسول ﷺ "لَأَنْ يَغْدُوَ أَحَدُكُمْ فَيَحْطَبَ عَلَى ظَهْرِهِ، فَيَتَّصِدَّقَ بِهِ وَيَسْتَغْنِيَ بِهِ مِنَ النَّاسِ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ رَجُلًا، أَعْطَاهُ أَوْ مَنَعَهُ ذَلِكَ. فَإِنَّ الْيَدَ الْعُلْيَا أَفْضَلُ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى. وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ"² يقول في مقتطف من قصيدة (العمل عبادة) :

قَدْ صَاغَ اللَّهُ لَكَ الْكَفَّيْنِ	قَدْ صَاغَ اللَّهُ لَكَ الْعُقْلَا
فَتَوَكَّلْ وَاضْرِبْ بِالرَّجْلَيْنِ	وَاعْمَلْ فِي الْأَرْضِ وَكُنْ فَحْلَا
اهْتَمَّ أَيَا بَنِي الْبَدْرِ	فَبِهِ قَدْ تَرَسَّبَ أَوْ تَرَسَّى
اعْمَلْ فَعْدَاةً لَا تَدْرِي	إِذْ كُلُّ يَصْرُخُ يَا نَفْسِي ³

ثم ينطلق من فلسفته في الحياة، ونظرته إلى العمل، في قصيدة خفيفة (دعوة إلى العمل) تدعم الجانب القيمي عند الأطفال، لتقديس العمل كقيمة أساسية للعز والنجاح، وكأن الأطفال قد وعوا الدرس، واستجابوا لدعوة الشاعر وهو يحثهم على الاهتمام والمثابرة، فراحوا ينشدون :

فَبِهِ عِزُّنَا	وَبِهِ مَجْدُنَا
وَبِهِ فَخْرُنَا	وَدَوَامُ الْأَمَلِ
بِالْعَمَلِ، بِالْكَفَّاحِ	نَسْتَطِيبُ النَّجَاحِ
وَنَنَالُ الصَّبَّاحِ	وَنَكُونُ الْمَثَلِ ⁴

وتضحيماً لشأن العمل، وتعميقاً لدلالته الاجتماعية فقد اقتبس الشاعر من القرآن الكريم، لإبراز فكرته، وتقديمها واضحة للأطفال، وتوجيه انتباههم إلى عدة مضامين

¹ - جمال الطاهري: الزهور، ج2، ص:02.

² - مسلم بن الحجاج أبو الحسن: صحيح مسلم، ط1، ج1، دار الفكر، بيروت، 1993، ص:458.

³ - جمال الطاهري: الزهور، ج4، ص:06.

⁴ - جمال الطاهري: الزهور، ج3، ص:09.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

في الوقت نفسه، في مساحة قصيرة، وذلك في قصيدة (نعم أجر العاملين) حيث يقترن الإيمان بالعمل الصالح في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ نِعَمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾¹ في مقابلات لفظية جذابة ومحبة إلى الطفل من حيث طبيعتها الصوتية التي تنمي الإحساس لتذوق الجمال الموسيقي، وتنمية الثقافة الاجتماعية، وبعض المهارات الحياتية وهي دعوة أدب الطفل في جعل هذا الأخير مواطناً صالحاً متميزاً الشعور، ويساهم في رقي المجتمع، يقول الشاعر:

نَعَمْ أَجْرُ الْعَامِلِينَ بُسُّ أَجْرِ الْعَاطِلِينَ
الْعَلَاءُ، وَالنَّاءُ، وَالْهَاءُ بِالْعَمَلِ
وَالْخَسَارُ، وَالْبَوَارُ، وَالذَّمَارُ بِالْكَسَلِ
نَعَمْ أَجْرُ الْعَامِلِينَ بُسُّ أَجْرِ الْعَاطِلِينَ
السَّدَادُ، وَالرَّشَادُ، وَالْمَرَادُ بِالْعَمَلِ
وَالْكَسَادُ، وَالنَّقَادُ، وَالْقَتَادُ بِالْكَسَلِ
نَعَمْ أَجْرُ الْعَامِلِينَ بُسُّ أَجْرِ الْعَاطِلِينَ
الْغِنَى، مَعَ الْمُنَى، يَأْتِي الْهَنَا مَعَ الْعَمَلِ
وَالْجَنَى، مَعَ الْمُنَى، عَنِ الدُّنَى مَعَ الْكَسَلِ
نَعَمْ أَجْرُ الْعَامِلِينَ بُسُّ أَجْرِ الْعَاطِلِينَ²

وما وجود التكرار لبيت بكامله إلا للفت انتباه الأطفال، وإلحاحه على إيصال المعنى لهم بسهولة، وهو هدف من أهداف أدب الأطفال في مرحلتي الطفولة الأولى والثانية.

ولم يتناول جمال الطاهري تركيبات المجتمع المختلفة إلا من خلال الصانع والفلاح، والمعلم الذي سنأتي على ذكره في موضع آخر، فقد خصّ الصانع بقصيدة

¹ - سورة العنكبوت: الآية: 58.

² - جمال الطاهري: الزهور، ج2، ص: 07.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

(صنّاع بلادي) حاول من خلالها غرس طائفة من القيم ذات التوجّه الإيجابي في النشء مساهمة منه في تربيتهم على احترام كل أطراف المجتمع الكادحة، لأنّ البلاد في حاجة إليهم يقول في آخر مقطع:

يَا صَانِعَ كَنْزِي فِي بَلَدِي رَمَزُ الْعُمَرَانِ إِلَى الْأَبَدِ
فَلَأَنْتَ مُرَادِفُ مَنْ عَمَرُوا كَلَّ الْبُلْدَانِ بِلَا عَدَدِ
إِصْنَعُ... فَبِلَادُكَ فِي شَعْفِ بِالصَّانِعِ يَأْتِي بِالْمَدَدِ
لِتَعِيشَ بِلَادِي رَاقِيَةً وَالْحَصْمُ تَقَطَّرَ مِنْ حَسَدِ
بِالصَّانِعِ يَفْخَرُ مَنْ عَرَفُوا قَدَرَ الصَّنَاعَ مَدَى الْأَمَدِ¹

وللفلاح نفس أهمية الصّانع، فالزراعة كانت ولا تزال العمل الأصيل الذي يفخر به كل فلاح، وجدير أن يتصدّر الفلاح سلم القيم الاجتماعية، لأنّه الأهم في معادلة اسمها الأمن الغذائي. وللمطر حكاية بشرٍ مع الفلاح، يقول الشاعر في قصيدة (دعاء فلاح)

إِهْطَلْ، إِهْطَلْ بِالْبِشْرِ بِالرِّزْقِ الدَّافِي بِالْخَيْرِ
بَأْمَانِي أَحْرُفُهَا شَتَّى فَالْدُنْيَا كَوْنٌ مِنْ بَشْرِ
بَشْرٌ مَسْمَعٌ فَلَاحٍ بِالغَيْمِ بِهِمَسَاتِ الْقَطْرِ
بِالْقَمْحِ الْأَخْضَرِ يَنْسُجُهُ وَيُعَانِقُهُ أَمَلُ الْفَجْرِ
إِهْطَلْ، إِهْطَلْ بِالْبِشْرِ يَا نَاشِرَ أَجْنِحَةِ الْخَيْرِ²

فيحكي الفلاح قصة ارتباطه بالأرض عبر تاريخه الطويل، وكيف يسقيها من عرقه وسيان عنده النهار والليل، أجل بناء الوطن، وتقديم الغذاء لأبنائه ويخصّ بالذكر الأطفال، لأنّ من أسمى حقوقهم الغذاء:

فَأْمَانِي أَطْفَالِي شَتَّى أَعْلَى مِ الْفِضَّةِ وَالنَّبْرِ
بُوعُودٍ سُمْرٍ مَا حَمَلَتْ إِلَّا بِبِسَاتَيْنِ خُضْرٍ
وَنُثَارِ حَيَاةٍ مَا أَمَلَتْ بِمَثِيلِهِ كِيرَانُ الدُّرِّ³

¹ - جمال الطاهري: الزهور، ج4، ص:08.

² - جمال الطاهري: نوح الياسمين، ص:03.

³ - المصدر نفسه، ص:ن.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

ويختم قصيدته بوصف جنّته التي أقامها على أرضه، التي حوّلها من البور والعقم إلى الحياة والاحضرار، وكأته يفسّر قول الله تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَّجَبِرَاتٌ وَجَنَّتٌ مِّنْ أَعْنَبٍ وَزَّرْعٌ وَنَخِيلٌ وَصِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضٌ بَعْضُهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾¹ حيث يقول:

الزُّرْعُ الأخضرُ بالوادي	يُنْمِي وَيَجِدُّ أَعْيَادِي
وَحَرِيرُ الْمَاءِ بِرَفْرِقِهِ	يُهْدِينِي قِصَّةَ مِيلَادِي
الْأَرْضُ تُبَارِكُ مِنْ خَلَقَتْ	أَيْدِيهِ وَسَيْلَةَ إِسْعَادِي
الْأَرْضَ تُبَارِكُ مِنْ نَعِمِ	أَشْدُوهُ فَتَطْرَبُ أَعْوَادِي
الزُّرْعُ الأصْفَرُ أَنْشَانِي	وَبَدَارُهُ أَنْشَاءُ أَجْدَادِي
وَسَاحِيَا عُمْرِي فَالْحَا	كَيُّ أَكْمَلَ قِصَّةَ أَمْجَادِي ²

فهذه القصيدة ومثلها تدعم الجوانب القيمة لدى الأطفال في مرحلتهم المتأخرة بالنظر إلى المعجم المستعمل، والخيال الموسّع، وتقريبهم إلى العمل اليدوي، وحب خدمة الأرض واحترام من يعمل فيها من جهة، ومن جهة أخرى فالأرض الغناء بحقولها ومجاريها وسواقيها هي نُزْلُ راحتهم ولعبهم بعيداً عن ضوضاء المدينة، وأحسب الشاعر أصاب ذهنية الطفل ومستواه الإدراكي في مرحلة الطفولة الثالثة .

وفي مقابل الحقوق لابدّ من واجبات، حتى يصبح المرء كيانا ذا قيمة وقائماً بذاته لبناء التمكين وصناعة المصير، والقيام بمهمّات النهوض الاجتماعي من اقتصاد وصناعة، وتعليم، وصحة، وتغذية وإعمار، وغيرها وفي ذلك خاطب الطاهري الطفل في شخصه: رجل الاقتصاد، الصّانع، الأستاذ، الطبيب، الفلاح، والبناء... في قصيدة (أسرع إلى شغلك) طالبا منه أخذ العبرة من الطيور في إبقارها تغدو خماسا وتعود بطانا ومن النمل في مثابرتة وصبره، وتحمله المشاق بلا كلل، يقول:

¹ - سورة الرعد: الآية: 04.

² - جمال الطاهري: نفع الياسمين، ص: 03.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

الطَيْرُ قَدْ شَفَّقَ وَغَنَاءَهُ أَطْلَقَ
والضَّوْءُ قَدْ أَطْبَقَ أَسْرَعَ إِلَى شُغْلِكَ
أَنْظُرُ إِلَى التَّمَلِّ يَسْعَى بِلَا مَهْلٍ
في سَاحَةِ الشُّغْلِ أَسْرَعَ إِلَى شُغْلِكَ¹

وأمام أجواء تمتلئ بالإغواء، والإغراء، وتحيط بثقافة الشباب لتجعلهم يعيشون في اضطراب على مستقبل بناء الحياة، حتى صاروا في حاجة "إلى من يقف معهم يتفهم ظروفهم، ويدرك حجم التّحدّيات التي تواجههم، ويمدّ لهم يد العون، ليتجاوزوا مخاطر هذه المرحلة الحسّاسة الحرجة من أعمارهم"² حتى يكونوا مشعل الغد المأمول لذلك تلمس جمال الطاهري في شعره حلولاً واكتشف بعض سبل الإنقاذ والخلص بتوجهه إلى المرحلة المثالية في حياة الطفل التي تمثّل منعرج التحوّل من البراءة إلى عالم الكبار، والبحث عن إثبات الذات في قصيدة (الغد للشباب):

إِعْمَلُوا وَابْرَعُوا اِكْدَحُوا وَاصْنَعُوا
واسْمَعُوا وَاصْدَعُوا فغَدُ للشَّبَابِ
فغَدُ للشَّبَابِ حين يهوى الصَّعَابِ
فاسمعوا ذَا الخطابِ فغَدُ للشَّبَابِ
كُلُّ صُبْحٍ أَمَلٌ حين نَهْوَى العَمَلِ
فألْكَرَى والكَسَلِ ليسَ طَبَعُ الشَّبَابِ
بادرُوا لِلْجِلَادِ وَأَجِبُوا الْجِهَادِ
عِرْنَا يُسْتَعَادِ بُرْنُودِ الشَّبَابِ³

وهو توجيه سليم يدفع الشباب لتفجير طاقاتهم وكفاءاتهم، وتحمل مسؤولياتهم، فبالجد والاجتهاد تتحقق الآمال والتطلعات.

¹ - جمال الطاهري: الزهور، ج5، ص:04.

² - حسن الصّفار: الشباب وتطلّعات المستقبل، ط1، أطراف للنشر والتوزيع (د، ب) 1428هـ، ص:10.

³ - جمال الطاهري: الزهور، ج3، ص:11.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

وخير ما نختم به الموضوعات الاجتماعية موضوع الهدية، التي لها تأثير على الروابط والعلاقات الاجتماعية، في مختلف المناسبات، حيث تجلب المودة وتفتت الضغائن، وتجمع القلوب على المحبة، وقد ذكرها الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم في قصة بلقيس مع النبي سليمان - عليه السلام - : ﴿وَإِنِّي مُرْسَلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاطِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾¹ وقال رسول الله - ﷺ - "تهادوا تحابوا" والهدية عند الطفل شيء جميل ينتظره في عيد ميلاده، ويقبلها بسمة من أمه، أو أبيه، أو منه لكليهما. هكذا أراد جمال الطاهري أن يقف جمهور الطفولة على معنى الإهداء والهدية، والمهدي إليه ومغزى الهدية في أنشودة (أجمل الهدايا) في قالب موسيقي خفيف على لسان طفل في عيد ميلاده:

مَا أَجْمَلَ الْهَدِيَّةِ	لَقَيْتُهَا بَعِيدِي
قَدْ رَفَرَفْتُ بِهِيَّةِ	فِي عِيدِي السَّعِيدِ
ذِي بَسْمَةٍ لِمَامَا	فَنَانَةٌ بَدِيعَةٍ
أَحْلَى مِنَ الْخُزَامِي	صَافِيَةٍ وَدِيعَةٍ
وَبَسْمَةٍ لِبَابَا	شَهِيَّةٌ كَالشَّهْدِ
الْحُبِّ فِيهَا طَابَا	نَفَاحَةٌ كَالْوَرْدِ
حُضُورُ الْوَالِدَيْنِ	عِنْدِي أَحْلَى هَدِيَّةِ
كَمَا حَمَامَتَيْنِ	لِنَفْسِي الرَّضِيَّةِ ²

وهذه الأنشودة خالية من التركيب والعلاقات الفنية المعقدة، تشدّ طفل المرحلة الأولى لما فيها من لذة عند سماع أو ترديد مقاطعها، بمشاركة حواسه كلمس الهدية والنظر إلى شفاه أمه وأبيه، وشمّ الخزامى، وتذوق الشهد، وسماع الأنشودة.

وكلّ ما سبق كان من أجل استقرار أهداف وغايات أدب الطفل التي نذكر منها:

- غرس الفضائل والأخلاق الحميدة.

¹ - سورة التمل: الآية: 35.

² - جمال الطاهري: الزهور، ج5، ص: 20.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

- برّ الوالدين، وحسن صحابتهما.
- التّعرف على أهميّة العمل في حياة الإنسان.
- التّعرف على دور العمل كقيمة اجتماعية، وطريق إلى العبادة.
- احترام الآخرين، وبخاصة أولئك الذين يساهمون في بناء المجتمع بأعمالهم المتنوعة.
- إدراك أنّ المستقبل الواعد للأطفال.
- شحذ الهمم وتفجير الطّاقات لبناء الوطن.

أمّا ما يؤخذ عليه في هذا الموضوع فنوجزه في الآتي:

- اكتفاؤه في شعره الاجتماعي بتركيبات اجتماعية قليلة، وبخاصة وأن شعره قد بدأ في الظهور غداة الاستقلال أي سنة 1964م، وهي مرحلة البناء والتشييد التي تتطلب جهداً وعطاءً أكثر، إذ حجب في شعره تركيبات مهمّة ومحبيّة للأطفال كالشرطي وساعي البريد الذي يعرفه الأطفال جيداً، والنّجار الذي تربطهم به علاقة من خلال الأثاث والأدوات المدرسية، والطبيب... وبذلك يكون قد اكتفى، بما ليس من شيم الشعراء في العطاء، وكأنيّ به لم يستطع مجاراة التّحوّلات النّقافية والاجتماعية التي حصلت في الجزائر في ستينات وسبعينات القرن الماضي، أو ربّما رآها معركة خاسرة لم يملك سلاحها، ولكنّه يبقى فحلّ الطّفولة، وواحد من أبرع شعرائها الحنّيين في الجزائر.
- قصائد الموضوعات الاجتماعية في شعره تعتبر من أطول القصائد في ديوان (نوح الياسمين) إذ بلغت في قصيدة (أمّي) الأولى تسعة وعشرين سطراً وفي قصيدة (احفظ لي ياربي ماما) خمسة وعشرين بيتاً، وفي قصيدة (أمّي) الثانية أربعة وعشرين بيتاً، والطّول كما سبق ذكره في موضع سابق لا يتلاءم في شكله مع مستوى النّمو الأدبي والاجتماعي للأطفال، ويشنّت الدّهن، ويفصم تتابع الأفكار ويحيل على الشّروء، ويبعث الملل في نفوسهم في مختلف المراحل السّنّية.

3- موضوعات الشعر التعليمي واللّغة العربية:

الشّعر التعليمي فنّ قديم عرفه اليونان، وعرفه العرب منذ العصر العبّاسي وهو لا يلتقي مع الشّعر الفنّي الذي يغلب عليه عنصرا الخيال والعاطفة إلا في صفة النّظم

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

وعلى ذلك فهو الشعر الذي "تنظم فيه فنون العلم والمعارف كالتحوي والفقه والتاريخ..."¹ بهدف تعليم الناس شؤون دنياهم وأخراهم، وتزويدهم بالحقائق والمعلومات المتعلقة بحياة الفرد والجماعة.

ويعالج الشعر التعليمي في عمومه "الأخلاق والعقيدة والعبادة، ويتناول الخير والشر، والفضيلة والرذيلة، ويتناول التاريخ والسير؛ فيقرر ويبين الأنساب والأصول والفروع، وتسلسل الحوادث وترتيبها، ويبحث العلل والأسباب، ويعرض للعلوم والفنون والصناعات، فيقرر الحقائق المتعلقة بشأنها، ويضع لها القواعد ويستتبط لها القوانين"². حتى صار وسيلة في أيدي بعض الناظمين ليعين الناشئة على حفظ العلوم وبخاصة في موضوعات المتون التعليمية، في شكل لقمة سائغة سهلة الحفظ، وسريعة الاستدعاء لأنّ النظم أعلق بالذهن من النثر؛ وذلك بعض من فوائده، أمّا مضارّه فمرجعها إلى التباسه بالشعر، والإساءة إلى مفهومه كفنّ جميل يحمل الأفكار والمشاعر بأسلوب ممتع، يتمازج فيه الخيال مع الموسيقى.

وإذا كان هذا هو أمر الشعر التعليمي عامّة، فإنّ أمره في أدب الأطفال ليس المقصود به تقرير حقائق، أو حكم في أبيات، وإلاّ أصبح مجرد نظم لا حياة فيه، وإنّما المقصود به تصوير هذه الحقائق وتحويلها إلى لوحات نابضة بالحياة³ لتكوين صورة خاصة في ذاكرة الطفل، وفي أكثر الأحيان تتداخل المضامين التعليمية مع المضامين التربوية والمضامين الاجتماعية وذلك لارتكاز "كلّ منها على توجيه الطفل وحفزه بشكل تربوي، إلى السلوك السليم وإلى التحلّي بالخلق الكريم، من خلال ربطه بقضية ما ثمّ توجيهه إلى أخذ الإيجابيات منها"⁴ لإيصاله إلى الهدف، والوقوف على حقائق الأشياء.

¹ - فرّوخ عمر: تاريخ الأدب العربي، ط4، ج1، دار العلم للملايين، بيروت، 1981، ص:49.

² - بيلو صالح آدم: حول الشعر التعليمي، مجلة الجامعة الإسلامية، ج52، المدينة المنورة، ص:206. مأخوذة من الموقع: <http://shamela.ws/browse.php/book-23069>، تاريخ الرفع: 2015-07-08

³ - عبد المعطي نمر موسى، ومحمد عبد الرحيم الفيصل: أدب الأطفال، ط1، دار الكندي، الأردن، 2000، ص:52.

⁴ - عبير التوايسة: أدب الأطفال في الأردن، ص:117.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

وقد اهتم شعراء الطّفولة في الجزائر بعالم الطّفّل المدرسي، وبكلّ ما يتّصل به بتعليمه كيف يعيش مع الآخرين، وجعل تفكيره أصيلاً نزاعاً إلى المثل العليا من خير وحقّ، وعدل وحرية، وتنشئة شخصيته على الأخلاق الإسلامية التي لا يختلف جوهرها بين الأسرة والمدرسة، وتربيته التربوية الاجتماعية العقلانية وتدريبه على حلّ المشكلات لتحملّ المسؤوليات، على اعتبار أن المدرسة هي الحضن الثاني بعد حضن الأسرة فعالجوا في موضوع الشعر التعليمي للأطفال - وإن كُنّا نزعم أنّ كل شعر الأطفال هو شعر تعليمي - مضامين متنوعة تدعم الجوانب التّربوية، وتوضّح رسالة المدرسة.

وجمال الطّاهري لم يشذ عن ذلك، حيث تناول مجموعة من الموضوعات تعدّدت مضامينها بين طلب العلم، التّعلّم، التعليم، والقراءة... ويمكن حصرها وفق الجدول الآتي:

الصفحة	مصدرها (الديوان)	عنوان القصيدة
02	نفح الياسمين	اطلبوا العلم
23	نفح الياسمين	طلب العلم
01	الزّهور ج 1	تعلّم
09	الزّهور ج 1	التّعليم الأولي
02	الزّهور ج 3	المعلّم
15	نفح الياسمين	تعليم الفتاة
13	الزّهور ج 4	حيّوا البنين
26	نفح الياسمين	لغتي
09	الزّهور ج 5	هياّ نقرأ القصة
07	الزّهور ج 3	وصية باديس
02	الزّهور ج 1	أغنية الجيل الجديد
08	الزّهور ج 2	سلاح الجيل الجديد
03	الزّهور ج 1	عصر العلوم

جدول (05) يتضمّن 13 قصيدة تعالج موضوعات الشعر التعليمي واللغة العربية.

1.3 - مضامين التعليم والتربية:

بادئ ذي بدء، في موضوعات التعليم والتربية، يتناول الشاعر انطلاقاً من رؤيته الإسلامية مضمون طلب العلم؛ حيث استرشد من القرآن الكريم ولجأ إلى التضمين في إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ¹ لينطلق إلى إرشاد وتوجيه الطفل المتلقي لطلب العلم في مطلع قصيدة (اطلبوا العلم):

مبدأ الإسلام: اقرأ جعل التعليم مبدأ
فأطلب العلم سلاحاً سيد الأقسام يبدأ²

ثم يوجه الأطفال إلى أن قوة الوطن تكمن في امتلاك أبنائه سلاح العلم الذي تكتظ ساحة الحياة بمعطياته الحديثة وتطبيقاتها في كل مجال، فينقل الحياة من محدودية الوسائل والإمكانات إلى آفاق باهرة ومتجددة من الرغد والرفاهية والتحكم في البيئة والغذاء والصناعة والزراعة والتنقل؛ فالعلم بمضامينه ونتائجه وتفاعلاته هو الذي يجعل الأوطان قوية، لذلك يفخر الشاعر على السنة أطفال مرحلة الخيال الحر بالقلم كرمز لطلب العلم، ودافع للاكتشافات والاختراعات التي ترحل بنا إلى مصاف الأمم المتقدمة يضيف الشاعر:

بلدي يحيا قويا ويد العلم قوية
وبه يحيا ابيا راية العلم ابيية
فخرنا اليوم اليراع فاكشاف واختراع
وبه يخلو الصراع ان تحدثنا البرية
به نرتاد الحضارة به نعلو عن حقاره
به نحتل الصدارة في صفوف البشرية³

¹ - سورة العلق: الآية: 01.

² - جمال الطاهري: نفع الياسمين، ص: 02.

³ - المصدر نفسه، ص: ن.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

ويتناول ذات المضامين لأطفال مرحلة الواقع المحدود بالبيئة، بأسلوب غنائي خفيف، مجرباً الخطاب على ألسنتهم دون إرهاق أو تعجيز، داعياً إلى إلزامية التعليم لتحقيق المنافع والمكاسب لكل البشرية، وذلك في أنشودة (تعلم):

تَعَلَّمْ، تَعَلَّمْ	وَحُدِّ بِالْعُلُومِ
بِعِلْمٍ تَقَدَّمَ	تَتَلَّ مَا تَرُومِ
تَعَلَّمْ صَالِحَ	تَعَلَّمْ فَلَاحِ
وَحُضِّ بِالْكَفَاحِ	طَرِيقَ النَّجَاحِ
تَعَلَّمْ لَخَيْرِ	جَمِيعِ الْبَشَرِ
وَتَلِّ كُلَّ فَخْرٍ	بِمَا يُبْتَكَرُ ¹

وإذا كان الشاعر قد خاطب الأطفال بأن يتعلموا في المقطوعة السابقة؛ فإنه يصورهم وكأنهم قد استجابوا لدعوته في مقطوعة (التعليم الأولي) ليطلبوا من الذين يقفون على تربيتهم أن يعلموهم ما يرغبون في تعلمه، وصحبة المتعلم للمربي شرط في النظرية التربوية الإسلامية؛ لأنه "يجد فيه القدوة التي ينقل عنها السلوك المرغوب به، وليساعده على الفهم، وليجد البيئة التي تمكنه من تطبيق ممارسة ما ترنو إليه أهداف التعليم"² فهم يرغبون في حفظ القرآن الكريم، وهدى النبي ﷺ والارتواء من سيرته العطرة، وتعلم مبادئ الدين الإسلامي الحنيف:

عَلِّمُونَا	مَنْ هُدَى اللهُ الْعَظِيمِ
أَسْلِكُونَا	فِي هُدَى الْهَادِي الْكَرِيمِ
نُورُوا قُلُوبَنَا	بِمِشْعَلِ الْقُرْآنِ
وَأَزْرَعُوا دُرُوبَنَا	مِنْ سِيرَةِ الْعَدْنَانِ
نِظَامُنَا	إِسْلَامُنَا
مَنَارُنَا	قُرْآنُنَا ³

¹ - جمال الطاهري: الزهور، ج1، ص: 01.

² - ماجد عرسان الكيلاني: تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية، ط2، دار ابن كثير، دمشق، 1985، ص: 66.

³ - جمال الطاهري: الزهور، ج1، ص: 09.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

وتناول الطاهري موضوع المعلم من مضمون رسالته المقدسة في تعليم الناشئة، فهو عنده السراج الذي ينير الدروب للسالكين، في ظلمة الجهل في تناص إشاري مع المقولة المشهورة: (من علمني حرفاً صرت له عبداً) وكأنه يشير إلى الرسول ﷺ المعلم الأول للبشرية، والهدية التي منّا الله على المؤمنين في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾¹ انطلاقاً من رؤيته الخاصة على لسان طفل مرحلة المغامرة والبطولة، الذي كان تلميذاً له لأنه مربيّاً، يقول في مطلع قصيدة (المعلم):

إعلم من علمني حرفاً	أمكث في العمر له عبداً
أهداني النور بمشكاة	أهدت في الظلمة لي رُشداً
قد عانى السهد ليهديني	ليحوّل أيامي سعداً
إعلم من علمني حرفاً	قد حرّرت من عقلي العبدان ²

والشاعر يبعد الطفل عن تلك النظرة المادية للمعلم، ويضعه في منظار القداسة والرفعة لهذا التاج الذي يعلو كلّ الرؤوس، فهو رمز الهيبة والوقار، الذي يهدي عمره للصغار ليروي عقولهم من منابع المعرفة، ويبني أفكارهم ويحميها من زيغ الانحراف بآيات القرآن الكريم، ويهتّم جاهداً بصحتهم، ويتوافقهم الشخصي والاجتماعي، وبآمالهم وأهدافهم وطموحاتهم، ولا أجلّ من أن يحييه الأطفال ويدعون له بطول العمر يضيف شاعرنا قائلاً:

من عاش العمر ليهديني	من نبع الحكمة يستقيني
بالتور الخالص يشفيني	وبآية ربي يخفيني
أدعو الرحمن له أبداً	يخدوه يقيناً بيقين
ويطيل العمر له سندا	تأييد يمين يمين

¹ - سورة آل عمران: الآية: 164.

² - جمال الطاهري: الزهور 3، ص: 02.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

حَبِيبْتُمْ يَا رُسُلَ النُّورِ مُذْ هَبُّوا ضِدَّ الدَّيْجُورِ¹

ثمّ راح الشّاعر يعدّد المهام التي يقوم بها المعلّمون من أجل أجيال عالمة ومتقّفة وبيبرز أدوارهم في المجتمع الإسلامي؛ بل وحتّى في المجتمع العالمي وفي مفكّرة أوقانهم يتساوى النّهار مع اللّيل، فهّم في اللّيل يتحاورون مع الكتب وما تحويه من معارف وفي النّهار يخاطبون بها عقول الأطفال في أمانة لا تُبارى ولا تُجارى؛ في معركة رابحة يصنعون فيها أمجاد الأمم:

عَنُّوا للصُّبْحِ وَكَمْ سَهَرُوا لِقِتَالِ اللَّيْلِ الْمَسْعُورِ
بَسِيُوفِ عُلُومٍ وَيَقِينِ مَصْنُوقِ مِثْلِ الْبُلُورِ
وَأَتَوْا بِالشَّمْسِ بِرُؤُوفِهَا لَعْدِ مَشْدُوهِ مَبْهُورِ
هَبُّوا لِلنُّورِ بِالْعِلْمِ لَا ثَوْرَةَ إِلَّا بِعُلُومِ
أَهْدُوا لِلْعَالَمِ أَنْجَمَهُ فِي أُرُوعِ عَقْدِ مَنْظُومِ
حَطُّوا لِلشَّعْبِ مَسِيرَتَهُ فِي نَهْجِ الْحَقِّ الْمَرْسُومِ
مَا عَمَّ الْخَيْرُ بِمَجْتَمَعِ إِلَّا مِنْ فَضْلِ التَّعْلِيمِ²

وانطلاقاً من مقولة: طفل اليوم رجل الغد، يتوجه صاحبنا جمال الطاهري إلى تحية الأولاد الذكور وهم في حركة دائبة نحو مدارسهم لطلب العلم على لسان المجتمع فيقول في مقطوعة من قصيدة (حيّوا البنين):

حيُّوا براعمَ الذُّكُورِ لَمَّا عَدُّوا سَاعَ الْبُكُورِ
أَعْيُنُهُمْ نَارٌ وَنُورٌ فِي جِرَّةِ اللَّيْلِ الْهَصُورِ
تَعَلَّمُوا أَيَا صِغَارِ بِالْعِلْمِ تَعْدُونَ الْكِبَارِ
أَنْتُمْ حُمَاهُ هَذِي الدَّارِ فَلْتَجَلِّبُوا لَهَا الْفَخَارِ
حيُّوا تلميذنا اللَّيِّبِ فَقَدْ يُرَى غَدًا طَيِّبِ
أَوْ عَالِمًا عِلْمًا خَصِيبِ أَوْ صَانِعًا صُنْعًا عَجِيبِ³

¹ - جمال الطاهري: الزهور، ج3، ص:02.

² - المصدر نفسه، ص:ن.

³ - جمال الطاهري: الزهور، ج4، ص:13.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

ولا ينس جمال الطاهري تعليم الفتاة، الذي كان يُنظر إليه نظرة إهمال لتخلف البلاد في سنوات مجحفة سابقة، لأسباب عديدة لا يتسع المقام لمناقشتها فعالج هذا المضمون من كون أنه إذا كان تعليم الفتاة يحقق لها أغراضاً شخصية؛ فإنه إلى جانب ذلك "يحقّق للمجتمع المسلم أغراضاً قد تكون أهم وأكبر في الجملة مما يتحقّق للفتيات المتعلّقات فالرّقي الاجتماعي، والتّقدّم الحضاري، وإحياء التّراث الإسلامي، وغيرها من المقاصد الحسنة لا يمكن أن تتحقّق للمجتمع المسلم إلّا من وراء تعليم الفتاة، وتربيته إيّاها"¹ وركّز على المعرفة الدّينية كمطلب أساس حتّى عليه الإسلام، في شكل خطاب من الفتيات نحو المجتمع الذي كان يرفض تعليمهنّ، يقول الشاعر في قصيدة (تعليم الفتاة):

عَلِّمُونَا، عَلِّمُونَا	قَالَ قُرْآنُ الْإِلَهِ
أَفْهَمُونَا، هَدِّبُونَا	وَأَفْهَمُوا أَمْرَ الْحَيَاةِ
إِنَّ تَعْلِيمَ الْبَشَرِ	مَطْلَبُ الدِّينِ الْحَنِيفِ
إِنَّمَا الْجَهْلُ خَطَرٌ	فَاطْرُدُوا الْجَهْلَ الْمَخِيفَ
عَلِّمُونَا، عَلِّمُونَا	إِنَّهُ أَمْرُ الرَّسُولِ
كَانَ نَوْرُ الْعَالَمِينَ	كَانَ بِالْعِلْمِ يَقُولُ ²

ثم يعالج ضمن هذه المفاهيم عضوية الفتاة في المجتمع، وكيفية اضطلاعها بمهمّاتها التربوية والاجتماعية، إذا ما أحسن المجتمع تعليمها على الأقلّ العلم الواجب والمعرفة الأساسيّة، لإخراجها من أسرّ الذات، ببناء شخصيتها العلمية، لكونها تمثل نصف المجتمع، ولكونها المسؤولة عن تربية النشء، وإذا ما تواطأت الأسرة في صورة المجتمع على إهمالها وتجهيلها، فإنّها هنا غير ملامة على جهلها، إذا ما ضيّعت واجباتها المنوطة بها، يقول الطاهري في ذلك ودائماً على لسان الفتيات المحرومات من التعلّم:

عَلِّمُونَا، عَلِّمُونَا	تَدْرِكُ الدَّرَبَ الصَّحِيحَ
وَأَمْلَأُوا الْأَفْهَامَ نَوْرًا	نَصْنَعُ الشَّيْءَ الْمَلِيحَ
نَحْنُ نَصْفُ الْمَجْتَمَعِ	فُؤُوَّةٌ فِي الْوَطَنِ

¹ - باحارث عدنان حسن: أبحاث في تعليم الفتاة المسلمة في ضوء التربية الإسلامية، ط1، دار الصمعيي السعودية 2012، ص:12.

² - جمال الطاهري: نفع الياسمين، ص:15.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

لَوْ رَعَانَا وَاسْتَمَعْ
لَا تَلُومُوا إِنْ جَهَلْنَا
مَنْ أَضَعْتُمْ لَهُ حَقًّا
عَلَّمُونَا سَوْفَ نَرَعَى
فِيهِ نَدْرِي وَقْتِ نَسَعَى
نَدْرِكُ الصَّنْعَ الْمَفِيدُ
نَحْرُسُ النَّشْءَ الْمَجِيدُ
زَالَ نَصْفُ الْمَحَنِ
وَاجِبَاتِ الْمَسْلَمَاتِ
كَيْفَ يَدْرِي الْوَاجِبَاتُ
وَاجِبَاتِ الْوَطَنِ
سَيِّئًا مَنْ حَسَنِ
وَالْخِلَالَ الْفَاضِلَاتِ
وَالصَّبَايَا الْمَسْلَمَاتِ¹

ثمَّ يخلص في الأخير إلى نتيجة مفادها أن فتاة اليوم هي أم الغد، ويصوّر معاناتها مع الجهل الذي استعار له صورة الليل الطويل، ووصفه بالضلال كما أشار إلى الصورة التي ستكون عليها الأجيال القادمة إذا ما رضعت جهل الأم الجاهلة، وبذلك يصل إلى حلّ خلاق، وهو وجوب تعليم الفتاة، يضيف على لسان البنات:

وَابْعَثُوا فِيْنَا جَمَالًا
وَأَمْنَعُوا عَنَّا ضَلَالًا
نَحْنُ فِي صَفِّ الْبَنَاتِ
وَيَلَّ جَيْلٍ أَرْضَعْتُهُ
نَدْرِكُ الشَّيْءَ الْجَمِيلُ
رَاعِنَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ
وَعَدًّا فِي الْأُمّهَاتِ
أُمّهَاتٍ جَاهِلَاتٍ²

ويتضح في قصيدة (طلب العلم) التالية، أن الرجل خبر الموضوع السابق جيّدًا وقدمه بأسلوب سهل بتمكّن واقتدار، ليضيف إلى شعره أنموذجاً يميّز بتبسيط المعلومات للأطفال، وكأنّ قصائده "يجمع بينها خيط شعوري واحد وكأنّها قصيدة واحدة طويلة تجمع بين أبياتها شتى المشاعر، جنباً إلى جنب في تأليف فريد"³ فإنّه وإن ثار في ما سبق على رموز السلطة بوصفها حواجز وقيود ضدّ تعليم الفتاة وصورها مجنّباً عليها من المجتمع، فهو يتحدّى هذه الرموز ويطلب من الفتاة أن تتعلّم، وتُقبل على التعلّم فيقول مخاطباً البنت الجزائرية:

¹ - جمال الطاهري: نفع الياسمين، ص: 15.

² - المصدر نفسه، ص: ن.

³ - أيمن عامر: الإبداع والصراع، ط1، ايتراك للنشر والتوزيع، القاهرة، 2004، ص: 07.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

تعلّمي، تعلّمي
وادرّكي، تفهّمي
على العلوم أقدمي
أنّ العلاء للأمم

يُنَالُ بالتعلّم

تعلّمي، تعلّمي
وادرّكي لتفّدي
فأنتِ بنتُ المسلم
إرقي بخيرِ سلّم

إذا ما علمتِ تسلّمي¹

ثمّ يبيّن العلوم الواجب تعلّمها على الفتاة، بعد أن هيأ المناخ الملائم لتحرير خيالها وفتح منافذ مناسبة لتسويق أفكاره في فكر أصيل حالم، وإبداع موجه:

تعلّمي خيرَ العلوم
فألهُ خيرَنا يروم
لتمنّطي متنّ النجوم
وهو بنا دوماً رؤوم

لا يقبلُ الجهلَ الظلوم

تعلّمي علماً سبق
لتُرشّدي منْ قد مرّق
كي تُدرّكي ظلماً وحق
وتتصرّي منْ قد صدق

وتعبّدي اللهَ الأحقّ²

وبمناسبة عيد العلم، الذي ارتبطت تسميته برائد النهضة الجزائرية، الشيخ عبد الحميد بن باديس؛ الذي كرس حياته للعلم والمعرفة، وتعليم أبناء الجزائر مبادئ العلوم الإسلامية، وتوجيههم إلى الطريق الصحيح، يستغلّ الشاعر المناسبة ليقدّم مقطّعة صغيرة شرفها أن تحمل (وصية باديس) يخاطب فيها ابنته الصّغيرة، ومن خلالها بنات الجزائر في شكل مقولات صغيرة، استمدّ معانيها من تراث بن باديس، وأخضعها لنظريته التربوية وبسّطها للبنات الصّغيرات، وساقها في إيقاع سهل محبّب لبنات مرحلة الخيال المنطلق يقول فيها:

باديسُ قال، باديسُ قال
كوني مثلاً رائعاً
هَبّي ابنتي كوني المثال
في كلِّ آنٍ ومجال

¹ - جمال الطاهري: نفع الياسمين، ص: 23.

² - المصدر نفسه، ص: ن.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

باديسُ قال، تعلّمي
فالعلمُ فرضٌ للجميع
العلمُ يعطيك الجمال
وليس حكرًا على الرجال¹

ويلجّ الطاهري على التعلّم في شتّى الميادين؛ لأنّ العصر عصر علوم وبيوضح أنّ السّمو بالطّموح، يجعل من النّجوم موطناً للأقدام، بالعلم والإيمان وقهر الصّعاب ويشير تصريحاً إلى أنّ أوّل آية نزلت من القرآن الكريم دعت للعلم ببيان (اقرأ) والتي تكرّرت مرتين في سورة العلق: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ . أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ . الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾² مع اقترانها بالعلم حتّى وأمراً، يقول الشاعر في المقطع الأول من (عصر العلوم) مخاطباً مرحلة الطفولة الثالثة لجعل الأطفال يحسّون بعوالم البيئة من حولهم، يخاطب واحداً منهم:

تعلّم، تعلّم، تعلّم، تعلّم
فمن نال علماً سمّا في البرايا
فأولُ آياتِ ربِّك اقرأ
فخذْ بالعلوم سبيلاً قويمًا
فعصرك هذا لعصرُ العلوم
ومن نال علماً سمّا للنجوم
لأنّ التعلّم أمرٌ عظيم
تعش في البسيطة عيش النعيم³

ثمّ يوجه الأطفال إلى قيمة الكتاب بوصفه غذاء العقل، فعلى الرغم من أنّ التقدّم الهائل الذي يسير بسرعة مذهلة في هذا العصر، جعل من بعض الوسائل رفيقة للإنسان، ومسايرة له؛ لصغر حجمها وقدرتها الفائقة على تخزين المعلومات بل وقد تحوّل بعضها إلى معلّم ومرشد، في عملية التعلّم، يبقى الكتاب الرّافد الأول للعلم والمعرفة، والحامل الأول لهما، فهو للعقل بمثابة الطّعام للجسم، وزاد القلب، والعقل بالفكر هو المحرّك، والجسم بالعقل هو الوسيلة في هذه المعاني يقول الطاهري في المقطع الثاني:

وعش بالكتاب كما بالطعام
وزود فؤادك دوماً غذاءً
فعيش بهذا، وعيش بذاك
إذا رُمت تحقيق كلِّ مُناك

¹ - جمال الطاهري: الزهور، ج3، ص: 07.

² - سورة العلق: الآيات: 1-2-3-4-5.

³ - جمال الطاهري: الزهور، ج1، ص: 03.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

فَرُبُّكَ أَعْطَاكَ جِسْمًا وَعَقْلًا فَسَخَّرَهُمَا لِتَرَى مُبْتَغَاكَ
فَفَكَّرَ بِعَقْلِ كَبِيرٍ سَلِيمٍ وَنَفَّذَ بِجَسْمِكَ أَمْرَ دُنَاكَ¹

ويسعى الشاعر إلى تحريك أفكار الأطفال ضمن المنظومة القيمية للعلم ويصوّر معركة قائمة بين العلم والجهل، والفائز فيها من اكتسح علمه مساحات جهله، بالمتابرة والاكْتِسَاب من منهل العلوم على اختلافها، أجلّ تقديم خدمة للبشرية جمعاء، وبذلك ينفع وينتفع، ويجلي من خلال هذه المعاني قيمة العلم كسلاح روحي نافع، ويدعو الأطفال لامتلاكه والتجهّز به؛ لنيل العزّة والرّفعة، وقد أصاب الرّجل حين ابتعد بالأطفال عن الوجه الضّار للعلم؛ حتى لا يشوّش نازعة التلقّي عندهم؛ التي تحبّ كل جميل ولا تعرف فلسفة الكره ضمن مراحل الطفولة:

وَإِنْ شِئْتَ فَوَزًّا بِهَذَا الصَّرَاغِ فَفُزْ بِابْتِكَارٍ، وَفُزْ بِاخْتِرَاعِ
تَجَهَّزْ بِكُلِّ ضَرْبِ الْعِلْمِ أَعِزُّ السَّلَاحِ سِلَاحُ الْبِرَاعِ
وَسَخَّرْهُ مِنْ أَجْلِ خَيْرِ الْأَنَامِ فَلَا شَكَّ تَلَقَى خَيْرَ انْتِفَاعِ
بِهِ الْقَوْمُ سَادُوا بِهَذَا الْوُجُودِ لَهُمْ عِزَّةٌ فِي الْوَرَى وَانْتِفَاعٌ²

ويكرّر المعاني السابقة في قصيدة أخرى سماها (أغنية الجيل الجديد) وتحول فيها من الإرشاد والتّوجيه إلى تغني الأطفال بالعلم، والتعهدّ بالبراعة فيه لبناء الدولة الجزائرية على شاكلة النشيد الوطني وفي تضمين لطيف منه، يقول على السنة أطفال المرحلة المتوسطة في استجابة لتوجيهه وإرشاده لهم:

قَسَمًا فِي الْعِلْمِ نَبْرَعُ نَبْرَعُ سَوْفَ نَبْرَعُ
وَسَنَبِنِي أَلْفَ مَصْنَعُ نَصْنَعُ أَلْفَ مَصْنَعُ
وَسَنَبِنِي مِنْ جَدِيدُ دَوْلَةٌ أَرْقَى وَأَرْفَعُ
إِنَّهُ عَهْدٌ مُؤَكَّدُ فَاشْهَدُوا
مَبْدَأُ الْإِسْلَامِ: اقْرَأُ نَقْرَأُ سَوْفَ نَقْرَأُ
جَعَلَ التَّعْلِيمَ مَبْدَأُ مَبْدَأُ سَوْفَ نَبْدَأُ

¹ - جمال الطاهري: الزهور، ج1، ص:03.

² - المصدر نفسه، ص:ن.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

وسنبنى من جديد فوق ما الغربي أنشأ¹

ويخطّ جمال الطاهري لأجيال العرب طريق النّجاح الحقيقي، حيث العلم والأدب والمعرفة، ويوضّح أبعاد هذا القضية في جمال أداءٍ وحلاوةٍ إيقاعٍ، فكان نشيد (سلاح الجيل الجديد) "ذو تأثير عميق على مختلف الأجيال التي نشأت تحبّ العلم... وهذا هو السّبِق، وهذه هي الرّيادة في أدب الأطفال المنظوم"² لإقامة دعائم هذا الفن الذي يحبّه الأطفال، ولإيصال رسالته في أبسط المعاني:

بالعلم والأدب	سلّحوا جيلَ العرب
فهو خيرُ المكتسب	للصّباح المرتقب
باسمِ العلوم نفخرُ	ويُجتنّي التّحضّر
بها الورى تحرّروا	بفضلِها تطوّرُوا
بها نجني أعلى المرام	ونعتلي أسمى المقام ³

ودائماً يسعى الطاهري في شعره للأطفال أن لا تخلو قصيدة أو أنشودة منه من لمسة دينية؛ لترسيخ الأخلاق الحميدة، يضيف في ذات القصيدة:

وفخرنا زين الخلق	فهو الجمال والألق
به يكون المنطلق	لمن نحو العلا استبق
به الشعوبُ تسعدُ	وقد نأى عنها القلق ⁴

ويخلص في الأخير إلى حكمة جميلة يوجّهها لأطفال العرب؛ مفاد مضمونها أنّ من قعد به النّسب لا يرفعه إلّا العلم والأدب، يقول:

بالعلوم والأدب	سلّحوا جيلَ العرب
فالعلا لا يُكتسب	إن قعدنا بالنّسب ⁵

¹ - جمال الطاهري: الزهور، ج1، ص:02.

² - إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي: أدب الأطفال المنظوم، ص:166.

³ - جمال الطاهري: الزهور، ج2، ص:08.

⁴ - المصدر نفسه، ص:ن.

⁵ - نفسه، ص:ن.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

كما اهتمّ شاعرنا بالقصة كوسيط ناقل للتاريخ، وبما تتضمنه من دروس وعبر وما تصوّره من قصص الشجاعة والبطولة والتضحية، وكوسيط ناقل للسير وأحداثها المثيرة، وصوّر شكلها ومضمونها في قالب شعري تعليمي رقيق قصير الكلمات، خفيف الوزن، يمسّ ذائقة مرحلة الطفولة الأولى، بأسلوب طلي عذب (هيا نقرأ القصة) وكأنه يشاركهم هذا الفعل؛ لينفعلوا معه قراءة وأداءً في دعوة ضمنية للمطالعة:

يَا مَا أَحَلَى	هَذِي الْقِصَّة
فَأَنْقَرُهَا	فِي ذِي الْحِصَّة
فِيهَا أَدْرِي	الْمَاضِي الْغَابِرِ
تُهْدِي عُمْرِي	الْيَوْمَ الْحَاضِرِ
وَبِهَا ذَكَرَى	مَنْ أَجْدَادِي
تَحْمَلُ بَشْرَى	صَوْتِي الْحَادِي
هِيَ نَقْرَأُ	هَذِي الْقِصَّة
نُحْيِي نَعْنَمُ	أَحَلَى فِرْصَةَ
فَأَنْعَرِفُهَا	فَقْرَهُ، فِقْرَهُ
وَلِنَذْكُرَهَا	عِبْرَهُ، عِبْرَهُ
وَلِنَعْلَمَهَا	دَرْسًا، دَرْسًا
إِنْ نَفْهَمَهَا	تُعَلِّمُ النَّفْسَا ¹

2.3- مضمون اللغة العربية:

وفي ظلّ التداخل اللغوي بين العربية الفصحى والعامية وبينها واللغة الفرنسية في شتى المناشط الرسمية وغير الرسمية، يتناول الشاعر موضوع اللغة العربية زهرة التاريخ العابقة، وشهادة الأجيال الناطقة، ويفخر بتسميتها (لغتي) في إرشاد شائق بينه وبين تلميذه (خالد) وفي تعالق تاريخي باستدعائه لشخصية سيف الله المسلول (خالد بن الوليد) الذي عمل على نشر الإسلام واللغة العربية في فتوحاته الإسلامية، فيطلب منه في أول مقطع منها أن يقرأ الجملة العربية بصوت عالٍ وفق مخارج الحروف:

¹ - جمال الطاهري: الزهور، ج5، ص:08.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

اقرأ ذِي الجملةَ يا خالدُ
انطقها بالحرفِ الماجدُ
اقرأ ذِي الجملةَ يا خالدُ
انطقها بالحرفِ الخالدُ
اقرأها بالصوتِ العالِي
انطقها بالضادِ الغالِي
اقرأها بالصوتِ العالِي
حرفِ القرآنِ المتعالِي¹

ثم إنَّ "الذي يدقق النظر في العربية المعاصرة يجد الكثير من ألفاظها فارق أمه وظلت تلك الأم الفصحى حية مقصورة على الاستخدام الديني المرتبط بالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة"² والاستعمال الأدبي في أشكاله النثرية والشعرية؛ لذلك انبرى الشاعر للدفاع عنها، وسعى لنجدتها من كل ضرر؛ لأنها لغة القرآن والذكر والفكر وكانت عذبة التغاريد، رضي بها الأسلاف في المفاخر؛ حتى سادت وقاربت ووحدت ولن تكون رباعها مجفوة في عصر التقنيات والشبكات، ولن تعجز عن تنسيق أسماء المخترعات على حد قول حافظ إبراهيم حين قال على لسان اللغة العربية:

وسعتُ كتابَ الله لفظاً وغيابة
فكيف أضيق اليومَ عن وصفِ آلهِ
أنا البحرُ في أحشائه الدرُّ كامنٌ
فيا ويحك أبلَى وتبلى محاسني
فلا تكلوني للزمانِ، فاتني
يضيف الرجل في المقطع الثاني :

اقرأ ذِي الجملةَ في فخرِ
اقرأها اليومَ منمّقةً
لغةَ القرآنِ تُجمّلُها
وكما قد سادت من قبلِ
وبصوتِ يزخرُ بالكبرِ
بنُصوصِ النثرِ أو الشعرِ
لغةً للحكمِ و للذكرِ
ستحورُ السبقَ بذَا العصرِ⁴

¹ - جمال الطاهري: نفع الياسمين، ص: 26.

² - محمد محمد داود: العربية وعلم اللغة الحديث، ط1، دار غريب، القاهرة، 2001، ص: 23.

³ - حافظ إبراهيم: الديوان، ط2، ضبط وتصحيح: أحمد أمين وآخرون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1987 ص: 253-254.

⁴ - جمال الطاهري: نفع الياسمين، ص: 26.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

ثم يوجه الشاعر بؤرة الضوء على فنّ عريق قائم بذاته، هو فن الخط العربي الوجه الآخر للغة العربية "منذ كانت في رحم النقوش الصخرية، مروراً بأطوارها التاريخية، فتية يدون بها القرآن الكريم، ثم ناضجة تزيّن بها جهود اللغويين العرب الذين ما فتئوا يطوّرونها بأدوات لغوية وفنية أحكمت صنعها من داخل الكتابة نفسها، فنجحوا في التطوير والبناء وكانت جهودهم منهجاً لنا مازلنا نسير عليه وبعد أن اكتملت أدواتها الأدائية، نراها ترفل بعد ذلك في بذخ جمالي شامخ مع إبداعات الفنانين المسلمين من أرباب الخط العربي"¹ ليضع الشاعر أسرار هذا الخط وخفاياه أمام الأطفال مبيّناً التموّج السحري لحروفه وضُرف أشكالها كما لو أنّها تدبّ الحياة فيها، ويوجّههم إلى أنّ التّغيير في بنيتها النّحوية والصّرفية والكتابية يؤدّي إلى زعزعتها، ويوضّح أهمّيّتها؛ لارتباطها بمصادر التّشريع التي نزلت وكتبت بها، وكلّ ذلك في قالب شعري له من الرّوعة ما يجعل الأطفال يتواصلون معه في المقطع الثالث :

راقب ذي الجملة يا خالد	انظر ما أجمل ذا الحرفا
خطاً يتماوج مسحوراً	قد صبّه رحمانى صرّفا
حرفاً يتألق ميسوراً	قد حدّد نحواً أو صرّفا
أهداه الله حمايته	عنه التحريف لقد كفا ²

ثم يتدرج في تخلص سلس؛ ليحرّك كلّ مظاهر النّشاط الكامنة في روح الطّفل ليتعلّم الحرف العربي، وينطق به؛ ليصبح مألوفاً لديه بتكرار نطقه دون خجل، وبذلك يربّي فيه الشّجاعة الأدبية للتّعني باللّغة العربية دون نقص؛ لتكسير أصداف القائلين بتخلّفها، وبفعله ذاك يثبت للعالم كلّهُ أنّ اللّغة التي سطرّت وحي السّماء؛ هي لغة بينها وبين الله عهد، ولا يمكن التّنازل عنها، وستبقى رغم الصّدّات عالية فوق صروف الوهن، كالمعدن الثّمين الذي كلّما غابره الرّمن ازداد لمعاناً، يضيف الشّاعر في المقطع الرّابع:

اقرأ ذي الجملة يا خالد	اقرأ كلمات مألوفة
------------------------	-------------------

¹ - صالح بن إبراهيم الحسن: الكتابة العربية من النقوش إلى الكتاب المخطوط (د، ط) دار الفيصل الثقافيّة، الرياض 2003، ص:10.

² - جمال الطّاهري: نفع الياسمين، ص:26.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

وحروفاً أحلى من شَهْدِ ولديكَ جميعاً معروفة
أقرأها وأعدّها في شَعْفِ ردّها مثل المعزوفة
لا تخشَ نقصاً من لغةٍ ببيانِ الأعرُبِ موصوفة¹

وفي المقطع الأخير يخلص الشاعر بالطفل إلى أنّ اللغة العربية هي عنوان الكيان وجمال البيان، بحروفها يُتلى القرآن، وبحبّها تشدو الألحان، وهي جزء من الهوية الوطنية وحبّها من حب الوطن:

أقرأُ ذِي الجملةِ يا خالدُ أقرأُ كلماتِ عريبه
كَلِمَاتِ فُصْحَى قَدْ حَمَلَتْ آيَاتِ الوَحْيِ العُلُويّه
أقرأُ ذِي الجملةِ يا خالدُ كَيْ تُدْرِكَ معنَى الوَطَنِيّه
(لُعْتِي العَرَبِيّه عُنْوَني لُعْتِي عُنْوَني الشَّخْصِيّه)²

لقد حرص جمال الطاهري على تقديم كل ما سبق بصورة متدرّجة ثلاث مراحل الطفولة المختلفة، أجل تحقيق الأهداف التالية:

- تحبيب العلم إلى نفوس الأطفال، وتحويله إلى حركة في العقل والقلب.
- تنمية القدرات العقلية للأطفال، وتأهيلهم للتثقيف واكتشاف الحقائق.
- اكتشاف المواهب العلمية من خلال التعلّم.
- إدراك الأطفال لقيمة الإنسان التي تتجلّى في علمه وتحصيله المعرفي.
- صقل سلوك الاطفال وفق القيم التربوية والأخلاقية.
- تنمية حس الأطفال الفنّي والجمالي بالقراءة والمطالعة.
- تشجيع الأطفال للتكيّف؛ لصنع حضارتهم ومجتمعهم وسعادتهم.
- احترام الأطفال للمعلّمين وإجلالهم.
- تعليم البنات حق، وواجب على المجتمع.
- تعلّم اللغة العربية نطقاً وكتابةً.

¹ - جمال الطاهري: نوح الياسمين، ص: 26.

² - المصدر نفسه، ص: ن.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) أنموذجا

أما المآخذ التي يمكن توجيهها لموضوعات شعر التعليم والتربية عند جمال الطاهري فيمكن حصر بعضها في الآتي:

- لم يتناول مضمون المدرسة ككيان مادي؛ لأن المدرسة تمثل للطفل عالم الانطلاق والانفتاح، وأول مغامرة تنطلق به من عالمه الضيق إلى هذا العالم الذي ينشئ فيه أولى علاقاته وتطبيعته الاجتماعي، وانسجامه كفرد في الإطار الثقافي؛ وبذلك يكون شاعرنا قد حجب عواطف واتجاهات كثيرة كان بمقدوره وهو المرابي الفاضل أن يعبر عنها على السنة الأطفال بحبهم للمدرسة والمعلمة والرفاق، والتغني بالأدوات المدرسية ولا سيما المحفظة رفيقة الطفل ذهابا وإيابا والقلم الذي أشار إليه ضمنا كرمز للعلم، فضلا عن ممارسة مختلف الرياضات في ساحاتها... ولعل مهتم الذات قطع الطريق أمام صاحبي للنظم في ذلك.

- خلّو شعره التعليمي من المناسبات المرتبطة بالعلم والتعليم، كعيد العلم ومظاهر الاحتفال به، ويوم المعلم، والدخول المدرسي، ووداع المدرسة وما يصبغها من نجاحات وتوزيع للجوائز.

- لم يقصد للنظم حول الكتاب بشكل عام، والكتاب المدرسي بشكل خاص إلا ضمن ما أشرت إليه في موضعه، وما يشفع له في هذا الجانب هو تكرار كلمة (اقرأ) في أكثر من موضع؛ لأن القراءة متصلة بالكتاب.

- طول قصيدة (تعليم الفتاة) التي وصل عدد أبياتها إلى ثلاثين بيتا، يتقل كاهل المتلقي الصغير، وهو اتجاه غير إيجابي نحاه الشاعر في كثير من قصائده.

ورغم ذلك يبقى جمال الطاهري كتفا عربيا، وقلما مؤمنا بدوره في إيقاظ الأطفال وتحفيزهم على استعادة دورهم الريادي، مراعيًا الدوق السليم، ومحترما الأمزجة والخصوصيات، محلّقا بخياله دون قطيعة مع الدين والحضارة، محاربا كلّ ممجوج، موقظا مشاعر العزة والكرامة، في أرض العزة والكرامة.

خلاصة:

لقد شكلت موضوعات الشعر الديني في شعر الأطفال بمختلف مضامينها عند جمال الطاهري حيزاً واضحاً في ديوانه، وركزت على الجوانب المرتبطة بالخالق عز وجل وبالرسول ﷺ والأدعية والابتهالات التي تضمنت معظم ما يجسد علاقة الطفل بربه، وهو نهج إسلامي لا بد من تربية الأطفال عليه.

كما عالج الشاعر جمال الطاهري قضايا وواقع عصره ومجتمعه في موضوعات شعره الاجتماعي للأطفال، طامحاً أن تجري معاني ما قدم في أوردة الأطفال، بل الهواء الذي يتنفسونه، ومتمنياً أن يكون وجودها على أرض الواقع حقيقة معيشة، وهي أمنية جامعة أطلقها في شعره لتخترق سماء الطفولة الملبدة بغيوم العواطف، معتمداً على تجربته الطويلة التي أثرت الموضوعات الاجتماعية التي عالجها بشفافية ووضوح ورقة وعذوبة إلا في القليل منها، وذلك بالتوجه المباشر لعقول الأطفال، وعواطفهم من خلال هذه المضامين. وقد أصاب ذائقة الطفولة في كل مراحلها بفسيفسائه الفنية وبين أهمية هذا الاتجاه في تنشئة الأطفال، وتوجيه سلوكياتهم، وتنميتهم، وبلورة شخصياتهم، وبذلك فقد اهتم بمعالجة أحوالهم، وأحوال عائلاتهم، ومجتمعاتهم بتركيباتها على اختلاف وظائفها، فضلاً عن العمل بقيمته في بناء المجتمع من خلال ما كتب لهم من أشعار سواءً أكانت هذه الأشعار يتعلمها الأطفال في المدارس، أو يقرؤونها منفردين أو تقرأ لهم عن طريق أسرهم.

كما تنوعت مضامين موضوعات شعر الأطفال التعليمي والتربوي عند جمال الطاهري، سعيًا منه لغرس ما رآه صالحاً من قيم أصيلة، وعادات متأصلة في نفوس أطفال العرب عامة، وأطفال الجزائر خاصة، وتلكم هي رسالته التربوية التي آمن بها وتكبد مشاقها وكله أمل في صنع جيل معرب، ومتقف، ومتعلم من أجل تحقيق التقدم والازدهار لهذا الوطن الجميل، وبذلك يكون قد أسهم في بناء شخصية الطفل، وأعلى بناء مستقبله وأخرج عالم الطفولة من مجال التربية المنغلقة في نطاق الأسرة والمدرسة إلى مجالات أرحب؛ لتحقيق نمو فكري أفضل للطفل، وتنمية إبداعه وتخيله، ومحاولة

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) أنموذجا

إطالة أمد الانتباه عنده؛ حتى يمدّ ثقافة الطّفّل بمختلف أنواع المعرفة بمعلوماتها وحقائقها ذات الاتصال المباشر ببيئته.

الباب الثالث:

البناء الفني في شعر الأطفال

عند جمال الطاهري

* الفصل الأول: بنية اللغة الشعرية

* الفصل الثاني: بنية الصورة الشعرية والتشكيل
الموسيقي

الفصل الأول :

بنية اللغة الشعرية

تمهيد

1- مراحل التطور اللغوي عند الطفل

2- اللغة الشعرية

خلاصة

تمهيد:

يهدف الفنّ الأدبي في واحد من أهدافه إلى "محاولة التأثير بالتجارب التي يعيشها الأدباء، ويعبرون عنها بأساليبهم الخاصة، مراعين في ذلك جودة المضمون وروعة الأداء، باللّغة المختارة، وبالتصوير الذي يوضّح المعاني ويقربها جلية من المتلقّي؛ لأنّ النصّ حلقة وسطى بين المرسل والمتلقّي"¹ لحصول علاقة التآثر والتأثير، ذلك أنّ الشّاعر وهو يكتب شعره؛ فهو يعبر عن حالة نفسية، أو تجلية موقف معيّن ولا يحدث التأثير في ذلك إلا إذا أحسن اختيار الوسيلة الناقلة للأفكار التي تتضمن تلك الحالة أو ذاك الموقف، وأحسن وسيلة هي الأسلوب الذي هو "فنّ من الكلام، يكون قصصاً أو حواراً، تشبيهاً أو مجازاً أو كناية، تقريراً أو حكماً وأمثالا...فهو الصّورة اللفظية التي يعبر بها عن المعاني، أو نظم الكلام وتأليفه؛ لأداء الخيال وعرض الأفكار، أو هو العبارات اللفظية المنسّقة؛ لأداء المعاني"² ويحصل ذلك بالاختيار الدقيق للّغة وحسن صياغتها في العمل الأدبي؛ لحصول الاستجابة الواعية بين طرفي النصّ: المرسل والمتلقّي.

واللّغة هي أداة الفنون الأدبية، وسنامها الشّعر الذي بها يتحقّق كيانه ويصنع نفسه وينسج ثوبه، ليفرغ في قلب المتلقّي شحنة من الطّاقة الرّوحية بطريقة خاصّة تميّزه عن باقي الفنون الأدبية. وخصوصية الشّعر هذه ترجع إلى الظلال التي تعكسها الألفاظ وإلى العلاقات والارتباطات بينها، وما تصنعه من صور وأخيلة، فألفاظ الشّاعر ينبغي أن تحقّق التوافق والتّواءم بينها لحصول الجودة الشعريّة؛ لأنّ "أجود الشّعر ما رأيتَه متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، فتعلّم بذلك أنّه قد أفرغ إفراغاً واحداً، وسبك سبكاً واحداً فهو يجري على اللّسان كما يجري الدّهان...وكذلك حروف الكلام وأجزاء البيت من الشّعر تراها متّفقة ملّسا وليّنة المعاطف سهلة...خفيفة على اللّسان، حتّى كأنّ البيت بأسره كلمة

¹ - شاعر لقمان: شعر ملوك الطوائف في الأندلس (د، ط) دار نوميديا، قسنطينة، 2009، ص: 128.

² - أحمد الشايب: الأسلوب، ط8، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1991، ص: 41-46.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

وحتى كأنّ الكلمة بأسرها حرف واحد¹ فلا فائدة من فصل اللفظ عن المعنى؛ لأنّ الحسن لا يكتمل إلاّ بالطرفين "فاللفظ جسم وروحه المعنى وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم يضعف بضعفه، ويقوى بقوّته، فإذا سلم المعنى واختلّ بعض اللفظ كان نقصاً للشعر وهجنة عليه، كما يعرض لبعض الأجسام من العرج والشلل والعمور وما أشبه ذلك من غير أن تذهب الروح وكذلك إن ضعف المعنى واختلّ بعضه كان للفظ من ذلك أوفر حظاً، كالذي يعرض للأجسام من المرض بمرض الأرواح، ولا تجد معنى يختلّ إلاّ من جهة اللفظ..."² لذلك اهتمّ النقاد باصطفاء الألفاظ، ووفّروا لها شروطاً تكسبها الجمال لتحدث تأثيراً بهياً وتصبح قادرة على التجاوز إلى نفوس الآخرين.

وشعر الأطفال باعتباره نمطاً جديداً في مضامينه، ارتبط بأطر وقوالب متجددة في الأدب العربي بعامة، ممّا جعله يحظى بأهمية كبرى؛ أهّلته أن يكون نمطاً شعرياً يبحث عن استقلاله، ويغرس بذوره في تربة الأدب العربي على يد شعراء كثر ارتبطت أسماؤهم به، من ناحية نظمه وإن اختلفت الآثار التقدّية فيه فهو لم يزل شافهاً إلى دراسة اللّغة فيه، وإبراز جمالياته، ودراسة بنياته الفنيّة للامسك بأطرافه، وإدراك علاقاته التّصويرية التي عادة ما نجدها تتباعد عن الخيال المجنّح وأدواته؛ لأنّ من شروطه أن يتناول موضوعات على ألسنة الأطفال في معانيه وصياغاته وأساليبه مع الاحتفاظ بخصوصية اللّغة الشعريّة وهي المعادلة الصّعبة التي لا يمكّن بخيوط حلّها إلاّ القلّة من شعراء الأطفال؛ فشعر الأطفال ليس بالإنتاج المفتوح الذي يجذب إليه كلّ ناظم أو حتى دارس لاقتحام قلاعه، بل لا بدّ من توفّر الشاعريّة الناضجة، والموقف الرّصين لإعطاء الوهج الفنّي لهذه الألفاظ التي لا يتألّف منها إلاّ شعر الأطفال.

وممّا سبق يتبين لنا أنّ شعر الأطفال يختلف عن بقية الفنون التعبيرية الأدبية في شكله وأسلوبه وصياغته وفي مفرداته التي يتألّف منها، والتي يتوجّب أن تكون عارية من الزخارف البيانية، فشاعر الأطفال عليه أن يستخدم الأدوات التي تعينه على المباشرة

¹ - الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر: البيان والتبيين، ط7، ج1، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي القاهرة، 1998، ص:67.

² - ابن رشيق أبو علي الحسن القيرواني: العمدة في محاسن الشعر، وأدابه، ونقده، ج1، ص:124.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

في التعبير، وإن كنت لا أنفي بعض الصور البيانية التي تتجلى من النوع القريب أو المعتاد للأطفال في دلالاته الخاصة؛ ففي كل عمل شعري طفلي إبداع فني ينبعث من قدرة الشاعر على تركيب عباراته وتنسيقها، مما يجعل هذا النوع الشعري يحافظ على قيمته المتميزة ورسالته النبيلة؛ التي تبرز أبعادها ودلالاتها من خلال اللغة التعبيرية التي تتسلل إلى وجدان المتلقي الصغير.

وشاعر الأطفال يجسد في ذلك العناء المبدع "في سبيل اقتناء العبارة الشعرية، هذه الممتعة المدللة؛ التي تعصى وليس يروضها غير الذي يتقمص الجمل الصبور... ولكن الصبر والعناء وحدهما غير كافيين، بل لابد أن تسبقهما تلك الفطرة الشعرية الشفيفة النقية التي تماثل في نقائها وشفافيتها سريرة الأطفال، لابد أن يكون الشاعر بقلبه طفل يكوّر جنّة"¹ وذلك هو اليقين الشعري الذي يجب أن يعيشه شاعر الأطفال ليمنح ذات شعره لقارئه الصغير ببسر وسهولة.

¹ - علي عشري زايد: عن بناء القصيدة العربية الحديثة، ط4، مكتبة ابن سينا، القاهرة، 2002 ، ص:14.

1- مراحل التطور اللغوي عند الطفل:

تشكل اللغة وسيلة أساسية من وسائل الاتصال والتّحاور بين الأفراد والمجتمعات والشّعوب، "فهي خاصية إنسانية ينفرد بها الإنسان عن غيره من الكائنات، من حيث هي أداة تعينه على تناول الأشياء والأشخاص تتاولا يختلف عن الحيوان، إذ الحيوان يتناول الأشياء بالحواس، أمّا الإنسان فيتناولها مع الحواس بشيء آخر تقرّد به هو نطقه وفكره وهو التناول الصحيح لأنّه يفيد الإحاطة والشّمول والاتّصال؛ لأنّ قدرة الإنسان بواسطة اللغة، على تسمية الأشياء، وبالتالي معرفتها، تؤكّد في الوقت عينه قدرته على نوع من الهيمنة والسيطرة عليها"¹ وعلى ذلك فكلّ عمل أدبي أو فني "غايته الاتّصال بالأطفال بغية مخاطبتهم خطاباً معرفياً، وتربوياً، وجمالياً، وإمتاعياً، لا يكتب له النّجاح ولا يصل إلى المستوى الذي نريده من الفاعلية والتأثير في أعماق الأطفال ما لم يهتم بعنصر اللغة ودلالاتها الأسلوبية والفنية، والتعبيرية في العمل الفني أو الأدبي أساسيات اللغة"² وهذه الأخيرة مهمّة لنجاح الأساليب في أدب الأطفال؛ لأنّ لغة القصيدة الطفلية "تكون عنصراً أساسياً في كفاءة الهيكل فهي أدواته الوحيدة، ولذلك ينبغي أن تحتوي على كل ما تحتاج إليه؛ لكي تكون مفهومة"³ عن طريق الاستثمار والترميز للأفكار والقيم التي يعمل شعراء الأطفال على إيصالها إلى الأطفال. ولا يتأتّى ذلك إلّا من خلال المعرفة الرّصينة بنضج الأطفال اللّغوي، ومدى تطوره عبر المراحل الطفلية المتعاقبة التي أشرت إليها في الفصل الأول من هذه الرسالة.

إنّ معرفة أساسيات اللغة عند الطّفل من المسائل المهمّة التي من شأنها الاسترشاد بها أثناء مخاطبة الطّفل خطاباً لغوياً، للعمل على شدّه إلى لغة ذلك الخطاب، وهو ما عني به الدارسون حين أعطوا أهميّة كبيرة للغة في الشعر الموجّه للأطفال واعتبروها ركيزة فيه، باعتبارها أوّل ما يصادف الطّفل المتلقّي حين يصبح قادراً على تلقّي هذا اللون الشعري، وقبل الخوض في اللغة الشعرية في شعر الأطفال عند الشاعر جمال الطّاهري

¹ - حلمي خليل: الكلمة دراسة لغوية معجمية (د، ط) دار المعرفة الجامعية، 1998، مصر، ص: 09.

² - فاضل الكعبي: كيف نقرأ أدب الأطفال، ط1، مؤسسة الوراق، الأردن، 2012، ص: 57.

³ - نازك الملائكة: قضايا الشعر المعاصر، ط3، مطبعة النهضة، بيروت، 1967، ص: 205.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

استمحت أن أعرج على مراحل النمو اللغوي عند الطفل من خلال العلوم التي لها أنساب مع شعر الأطفال وهي علم النفس، وعلم التربية، وعلم اللغة، للوقوف على المعجم اللغوي الذي يمتلكه الطفل عبر مراحل نموه؛ حيث يعتقد بعض الدارسين "أنّ هذا النمو الذي توطّره جملة من المحدّدات البنوية والوظيفية، يتمّ بصورة تدريجية إلى أن يصبح في نهاية المطاف على شكل نظام مستقل يسمّى بالذاكرة الدلالية للطفل"¹ حيث يستعمل الطفل مجموعة من الأساليب لتشكيل هذا النظام كالأساليب الإدراكية والحركية، والأساليب المعرفية، والتجارب الطفلية، وغيرها.

يرى (فيرث Firth 1890-1960م) أنّ تتبّع مراحل النمو اللغوي عند الطفل ينبغي

أن تكون مرتبطة بالتجارب الهامة التي تمرّ بها حياته، وهذه التجارب كما يراها هي:

1. مرحلة المهد: وتبدأ منذ ولادة الطفل إلى ما قبل استطاعته الجلوس.

2. مرحلة الجلوس وفيها تبدأ مرحلة الكلام واللعب بالدمى وغيرها.

3. مرحلة الحبو.

4. مرحلة السير بمساعدة.

5. مرحلة السير وحده.

6. مرحلة السير خارج المنزل.

7. مرحلة الذهاب إلى المدرسة².

فهذه المراحل المتسلسلة لها كبير الأثر في الاكتساب اللغوي عند الطفل على الأقل في جانب من جوانب لغة المجتمع، وإن كانت لغة الطفل لا تبيّن إلا مع المرحلتين الأخيرتين، وعلى ذلك لم يهتم الدارسون بهذا التقسيم رغم أهميته؛ نظراً للانفراج الكبير الذي اعتمده (فيرث Firth) في هذا التقسيم.

أمّا اللغوي الدانماركي (أتو يسبرسن Jespersen 1860-1943م) فإنّه يقترح

في هذا المضمّار للتعرف على النمو اللغوي عند الطفل، ثلاث مراحل وهي:

¹ -الغالي أحرشواو: اللغة والطفل، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1993، ص:24.

² - عطية سليمان أحمد: النمو اللغوي عند الطفل، ط1، دار النهضة العربية، القاهرة، 1993، ص:09.

1. مرحلة الصياح.

2. مرحلة البأبة.

3. مرحلة الكلام، وهذه الأخيرة يقسمها إلى فترتين:

- فترة أطلق عليها فترة اللغة الصغيرة؛ أي اللغة الخاصة بالطفل حيث ينفرد باستعمالات لغوية خاصة به.

- وفترة أسماها فترة اللغة المشتركة، وهي الفترة التي يأخذ فيها الطفل في الخضوع للغة الجماعية التي ينتمي إليها¹ وكل فترة من الفترات الثلاث لها ميزات الخاصة باللغوية والصوتية والصرفية والتحويلية والدلالية.

1.1 - مرحلة الصياح:

توصف هذه المرحلة بفترة ما قبل اللغة، وهي مشتركة في عمومها بين الأطفال لا يكتسب فيها الطفل اللغة، وإنما تساعده على التحكم في الجهاز النطقي، وتنمية القدرات السمعية، وبعض الخبرات النطقية المحدودة، فهي مرحلة تهيئة الطفل لمرحلة الكلام وتدوم حوالي عشرة أشهر، وهي فترة لا تعنينا على الرغم من أن العديد من الأبحاث والدراسات أكدت أن الطفل حتى في مرحلته الجنينية يتواصل مع أمه: يفرح بفرحها، ويغضب لغضبها ويستجيب لكثير من المثيرات الخارجية، وهو أمر لا نسعى إليه في هذه الدراسة. وتوصف هذه المرحلة أيضا بالمناغاة أين تكون فيها الأصوات عشوائية وغير مترابطة "بيد أنها لا تشكل من الوجهة الوظيفية، أصواتا لغوية، فهي أصوات لا تنتمي إلى أية لغة... فهي أصوات كونية وفطرية يعبر الأطفال بوساطتها عن حالات الارتياح بأنواعها"² أي أنها تشكل تمرينات لأعضاء النطق على الحركة، وهذه المرحلة في عموم ما يحصل فيها من صراخ وصياح وهديل ومناغاة هي مرحلة متشابهة ومشاركة بين جميع أفراد الجنس البشري، بصرف النظر عن اللغة السائدة في هذا المجتمع أو ذاك.

¹ - حلمي خليل: اللغة والطفل دراسة في ضوء علم اللغة النفسي، ط2، دار المعرفة الجامعية، 1987، ص:64.

² - أنور عبد الحميد الموسى: أدب الأطفال... (فن المستقبل)) ص:181.

2.1- مرحلة البأبة:

وهي الفترة التي تتجلى ملامحها مع نهاية العام الأول وبداية العام الثاني من عمر الطفل، وإن كانت محسوبة على فترة ما قبل اللغة، فإنّ "أول صوت يظهر فيها هو صوت الميم ثم يتبعه صوت الباء فيتكوّن من ذلك كلمة (مَامَا) و (بَابَا) و (بُوبُو) وفي نهاية هذه المرحلة يكون الطفل قد تمكّن من نطق عدد كبير من الفونيمات مكوّنا منها سلاسل طويلة من مقطع واحد، والشائع أنّ أول ما ينطق الطفل به يكون غالبا من الصوائت المفردة، أو صوائت يسبق كلّ منها صامتا"¹ ويبدأ الطفل في إنتاج بعض المجموعات الصوتية التي تحوي في تركيباتها بعض الألفاظ الدالة، مع نهاية السنة الأولى إلّا أنّ "هذه المجموعات لا تتعدّى حدود أو مواصفات اللغة الوسيطة سواء في شكلها أو في مدلولها. فهي اللغة التي تساعد على تحقيق وظيفتين أساسيتين: الوظيفة التواصلية التي بموجبها يرفض ويطلب ويشير... والوظيفة المرجعية التي عن طريقها يحدّد الموضوعات والأحداث"² إلّا أنّ هذه المرحلة لا تبيّن عن لغة نظامية عند الطفل، فهي محاولة لاكتساب النظام الفونيمي للغة عن طريق السّمع. ففي هذه الفترة يفرض الطفل بعض القواعد على مجموعاته المنطوقة مما يجعلها تختلف على نطق الكبار، وقد علل بعض الدارسين ذلك "بوجود قواعد نظامية عميقة عند الطفل تعمل من أجل تسهيل النطق... ففي سنين الطفل الأولى تكون حصيلته من الألفاظ قليلة، وكذا تكون عدد التّجسيدات الدلالية التي يمكنه تشفيرها محدودة، وفي المراحل التالية تضيف التّعقيدات النحوية أعباء على مقدرة المعالجة ممّا يدفعه إلى حذف أو تبسيط عناصر نحوية..."³ أجل إنتاج نطق كامل خلال الزمن المتاح، ولعلّ القواعد النظامية العميقة المشار إليها أنفا توحى باللا شعور الذي قال به (فرويد). وبالكفاءة اللسانية أو المعارف الضمنية التي قال بها تشومسكي؛ الذي يقول: "تكشف نظرة متأنّية إلى تفسير التّعابير بشكل سريع جدّا أنّ الطفل، منذ المراحل المبكرة يعرف بشكل هائل أكثر مما قدّمته له الخبرة. يصحّ ذلك

¹ - عطية سليمان أحمد: النمو اللغوي عند الطفل، ص: 10.

² - الغالي أحرشواو: اللغة والطفل، ص: 102.

³ - جلال شمس الدين: علم اللغة النفسي المناهج والتّطبيقات (د، ط) ج1، مؤسسة الثقافة الجامعية، مصر (د، ت) ص: 106.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

حتى على الكلمات البسيطة. ففي الفترات الذّروية لنمو اللّغة، يكتسب الطّفل الكلمات بمعدّل يبلغ حوالي كلمة واحدة بالسّاعة...¹ واكتساب اللّغة ينمو عند الطّفل تماماً كما تنمو الأعضاء، وما يحدث للطّفل ليس هو من يقوم به، وإنّما هو ملكية بشرية حسب تشومسكي.

3.1 - مرحلة الكلام:

يبدأ الطّفل مع منتصف السّنة الثّانية في فهم معنى بعض الكلمات المتّصلة بحياته المعيشة "وفي نفس الوقت تصدر عنه الكلمات الأولى بقصد أن يفهمها الآخرون كطلب أو رفض، للدّلالة على شيء. ثمّ يبدأ الطّفل بإجراء الارتباط بين الألفاظ التي يسمعها والتّجارب التي يعيشها. ويلاحظ أنّ التّصور واكتساب ألفاظ اللّغة كرموز تدلّ على الأشياء، أمران متقاربان جدّاً. فصورة الشّيء العقلية التي تتيح مقارنته بغيره، هي نوع من الرّمز ينشأ من الواقع كما أنّه مستقلّ عنه"² بمعنى أنّ الصورة واللّغة في بداية حياة الطّفل تعبران عن وظيفة واحدة، ثمّ يتواصل اكتساب اللّغة عند الطّفل بالاعتماد على الفعاليات العقلية مع توفير أدوات معينة لهذا الاكتساب، فكّما تزايدت المفردات في مخزونه اللّغوي كلّما اتّضحت الدّلالات بشكل أدقّ عنده، ومن ثمّ التّمييز بين مجموعات الكلام كالأفعال، والأسماء، والصفّات، فتتّضح لديه العلاقات بين الألفاظ وفق التّمثيل القواعدي النّحوي.

واعتماداً على ما سبق يمكن أن نصف مرحلة الكلام بمرحلة استعمال اللّغة أو مرحلة النّمو اللّغوي عند بعض العلماء، والتي لم تسلم من شقاق الاتفاق والاختلاف على بدايتها بالضبط ونهايتها، فمتوسط الاتفاق بين علماء اللّغة وعلماء النّفس، أنّها تنطلق من السّنة الثّانية من عمر الطّفل دون تحديد نهاية دقيقة، لتستمرّ سنوات طويلة ومرجع الاختلاف يعود في أصله إلى نظريات التّعلّم واكتساب السلوك اللّغوي، بين النّظرية السلوكية التي حاول منظرها على غرار (بافلوفPavlov) و(واطسونWatson)

¹ - نعوم تشومسكي: آفاق جديدة في دراسة اللّغة والعقل، ط1، ترجمة: عدنان حسن، دار الحوار، سوريا، 2009 ص:39.

² - محمد سلامة آدم، وتوفيق حداد: علم نفس الطّفل، ط1، وزارة التعليم الابتدائي والثّانوي، الجزائر، 1973، ص:88.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

و(سكينر Skinner) و(هول Hull) على إثبات أنّ الإنسان هو حصيلة مجموعة من التعلّقات والاكْتسابات الناتجة عن المحيط البيئي والاجتماعي والمثيرات الخارجية وبذلك ينفي أصحاب المدرسة السلوكية الخاصية الإبداعية للطفّل كذات متكلمة، فهي تقصي ما أشرت إليه في موضع سابق، وهو العمليات العقلية والتّمثلات الذهنية. والنظرية الفطرية والأساس الوراثي للغة أو ما يسمى باللسانيات التوليدية عند (نعوم تشومسكي) والتي تعتبر اللغة نشاطاً ذهنياً وأنّ الطّفّل يولد ومعه بنيات تساعد على اكتساب اللغة مع استيعاب المفاهيم البسيطة والمعقدة في الوقت نفسه. فضلاً عن النظرية الاجتماعية والتفاعل بين النّم والتعلّم، ونظرية النّم والتفسير التكويني للغة التي تحتاج إلى مساحة أكبر للإحاطة بها.

وقد عمد العلماء إلى تقسيم مرحلة استعمال اللغة إلى مرحلتين، اللغة الصّغيرة واللغة المشتركة، كما أشرت سابقاً، غير أنّ الواقع أثبت أنّ داخل هذه المرحلة أكثر من فترتين، مما نحا ببعض الدارسين أن يعمدوا إلى تقسيم أكثر شمولية باعتبار أنّها مرحلة ممارسة اللغة بالنسبة للطفّل، حيث تصبح لغته ذات أهمية في مجتمعه بتأثره بها أو تأثيره فيها، وفق المراحل الجزئية التالية:

1.3.1 - المرحلة المقطعية (مرحلة الكلمة الجملة):

وتعدّ هذه المرحلة بداية النّم اللّغوي الحقيقي لدى الطّفّل، إذ تستمرّ إلى ما دون العامين من عمر الطّفّل بقليل، حيث يبدأ الطّفّل بنطق مجموعة من الكلمات المألوفة والقريبة من محيطه الأسري وأسماء الأشياء التي يكثر استعمالها "حيث يتألف كلام الطّفّل فيها من مقطع واحد، مفرد، أو مكرّر ويكون هذا المقطع اسماً، فعلاً، ظرفاً أو صفة، فهو يحوّل كل كلمة يسمعهها إلى مقطع واحد ويفهم مجتمعه مقاطعه هذه"¹ حيث أجمعت معظم البحوث على أنّ مقدرة الطّفّل على نطق الكلمة الواحدة يكون في الفترة الممتدة بين السنة والسنة والنّصف من عمره، أين تصل مفرداته في نهاية السنة الثانية إلى ما يزيد عن مائة كلمة مفردة.

¹ - عطية سليمان أحمد: النّم اللّغوي عند الطّفّل، ص: 12.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

ونلاحظ هنا أن "الطفل يبدأ بفهم الكلمات قبل نطقها بنفسه بمدّة طويلة... كما يلاحظ أنّ الطفل الذي يعيش في بيئة غنية بالمتغيرات اللغوية، وبنال عناية وتدريباً من الذين حوله، يتوصّل إلى اكتساب اللّغة قبل الطّفّل الذي يعيش في عزلة نسبية..."¹ لذا يجب الإكثار من التحدّث معه لمساعدته على تعلّم الكلام، وبخاصة تلك الألفاظ التي تعبّر عن اهتماماته المباشرة من مثل: ألفاظ الطّعام، الشّراب، اللّعب، اللّعب، وبعض الحيوانات التي تشبّهه في الحركة كالقطة التي عادة ما يسميها باسم صوتها، وكذا الكلب وهو في الواقع وإن كان ينطق بكلمة مفردة فهو يعبّر عن جملة لا يملك مفرداتها، ويتكرّر ما ينطق وعن طريق نبرة الصّوت، يفهم المحيطون به قصده. ولذلك أطلق بعضهم على هذه المرحلة اسم مرحلة الكلمة الجملة، لأنّ الكلمة تحمل وظيفة الجملة. وحينئذ يمكننا وصفها باللّغة المختزلة، حيث يعبّر الطّفّل في هذه الفترة على المعنى الكلّي الذي يحاول إيصاله إلى من يحيط به بلفظة واحدة وقد يُسقط منها بعض الأصوات إذا طالت أو يُعمل فيها الاستبدال والقلب. وأغلب الظنّ "أنّ الطّفّل قلّمًا يستعمل الكلمات الأولى للإشارة بها إلى مدلولاتها لأنّ الأشياء لا تعنيه إلّا بمقدار ما تحوم حول ذاته، ولذلك فهو ينظر إليها من خلال نفسه أي من خلال رغباته وحاجاته"² لأنّ الطّفّل إذا ما توفّر لديه كلّ ما يريد لا يكون عنده باعث للكلام ومن ثمّ يتأخر نموّه اللّغوي.

2.3.1 - مرحلة التّركيب:

قدّر بعض العلماء حصيلة المفردات عند الطّفّل في المرحلة الجزئية السّابقة ما بين المائة والمائتين، وهو معجم يؤهّله إلى التّركيب اللّغوي على فترات متتالية نوجزها في الآتي:

- **فترة الكلمتين:** وتأتي في النصف الثاني من السنة الثانية من عمر الطّفّل وتسمى بمرحلة الجملة الناقصة، أين يستبدل الطّفّل استعمال الكلمة الجملة بالعبارات ذات الكلمتين دون تركيب جملة تامة، ويسميها بعضهم لغة التلغراف لأنّها موجزة في تركيبها

¹ - أنور عبد الحميد الموسى: أدب الأطفال... (فن المستقبل)) ص: 184.

² - حنفي بن عيسى: محاضرات في علم النّفس اللّغوي، ط6، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2011 ص: 139-140.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

ولكنها تحمل دلالات كثيرة، وهي أقل من لغة الراشدين لبساطتها، وتوصف بأنها أسرع مراحل الطفولة من حيث النمو اللغوي، حيث يستخدم الطفل فيها الأسماء، الأفعال الصفات، الأدوات، والضمائر، وتزداد فيها حصيلته اللغوية لتصل مع نهاية سن الثالثة إلى ألفي كلمة.

- **فترة شبه الجملة والجملة التامة:** وفيها يكون الطفل قادراً على تشكيل أشباه الجمل ثم الجمل التامة، وتزداد قدرته خلال المراحل العمرية التالية على إنتاج بعض الجمل المعقدة التي تأخذ الطابع الابتكاري، ويلاحظ أن نمو الطفل يكون "بطيئاً في هذه المرحلة؛ لأن بناء الجملة الطويلة يتطلب توظيف قواعد البناء الخاصة؛ ومثل هذه القواعد لم يكن الطفل قد طورها بشكل جيد بعد"¹ لأنه ليس في حاجة إليها في مثل هذا السن، حيث لا تأخذ تطورها الحقيقي إلى ما بعد سن التمدرس في حدود السادسة أو السابعة من عمره.

وحصيلة الطفل اللغوية في مرحلة التركيب تسودها ضبابية من حيث كم مفرداتها عند الطفل العادي، فبعض نتائج الدراسات تشير إلى ألفين وخمسمائة كلمة، وأخرى تشير إلى أربعة آلاف كلمة، وما بينهما بالزيادة أو النقصان، وهو دليل على أن الطفل أصبح ذو كفاية لغوية تؤهله للتعبير والتواصل. وهي سمات الفترة التالية.

- **فترة الدلالة:** وتنطلق في العموم من سن الرابعة، حيث تكتمل فيها جوانب اللغة المختلفة، وتنزع لغة الطفل نحو الكمال باستعمال الجمل المفيدة، والسيطرة على استعمال الضمائر، وفهم كنه الظروف، ويبدأ نمو القريحة يتجلى من خلال التعبيرات الإنشائية، التي تجعله يتصل بالآخرين بطريقة سهلة وسريعة، وهنا تبدأ بيداغوجيا الفوارق الفردية تتضح من خلال الخبرات والقدرات العقلية والمعرفية وكل ما يحيط بعملية التعلم ومستوى الذكاء وهذا الأخير "يكيف إلى حد ما السرعة التي يستجيب بها جهاز الطفل الصوتي للنطق بالكلام، كما يكيف مدى قدرته على استخدام لغة الحديث، وتبين البحوث أن الطفل الغبي أبطأ من الذكي في حديثه، كما أنه أقل قدرة على التمكن من الكلمات والجمل والتراكيب ومن أجل هذا كانت للقدرة اللغوية دلالاتها على ذكاء الطفل"².

¹ - أنور عبد الحميد الموسى: أدب الأطفال... (فن المستقبل)) ص: 189.

² - عبدالفتاح أبو معال: أدب الأطفال وأساليب تربيتهم وتعليمهم وتثقيفهم، ص: 24.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

وفي الأخير نخلص إلى ملاحظات أساسية حول مراحل النمو اللغوي السابقة:

- 1- مراحل التطور اللغوي عند الطفل هي مراحل متداخلة، وقد تختلف المرحلة التطورية الواحدة باختلاف البيئة والمجتمع والمثيرات اللغوية. فضلا عن بيداغوجيا الفوارق الفردية بين الأطفال.
- 2- تبقى البدايات والنّهيات لهذه المراحل خاضعة لنتائج الدراسات اللغوية والنفسية والتربوية.
- 3- كلّ مرحلة قد تتفرّع إلى مراحل جزئية تتدرّج بالتفصيل مع تقدّم الطفل في عمره الإدراكي، والتي تبقى خاضعة للدراسات المتجدّدة.
- 4- مراحل النمو اللغوي تقع تحت طائلة المواجهة بين نظريات التعلّم عند تفسير ظاهرة الاكتساب اللغوي، مما جعل معالمها غير واضحة في هذا التنافر.

2- اللغة الشعرية:

لقد تبين من خلال الإطلالة البسيطة السابقة على مراحل التطور اللغوي عند الطفل أنّ لدى الطفل قاموسا لغويا خاصا به، وقوائم تراكيب تمتاز بمجموعة من الخصائص لذا كان "التعرّف إلى هذه المفردات والتراكيب من الأهمية بمكان بالنسبة إلى كلّ من المعلّم ومؤلّف كتب الأطفال، إذا ما أريد للطفل أن يمضي في التّدريب اللغوي وفي تعلّم القراءة والكتابة بنجاح، ومن ثمّ أصبحت الحاجة ماسّة إلى تأليف معجم الأطفال يجمع ألفاظهم وتراكيبهم ويصف مفاهيمهم اللغوية وصفا دقيقا"¹ لأنّ قوائم المفردات اللغوية التي يستعملها الأطفال تختلف من مرحلة نمو لغوي إلى أخرى، ومعرفتها وجمعها في قاموس خاص يساعد في صياغة النصوص الشعرية الموجهة للأطفال. لذا وجب على شعراء الأطفال أن يطلّعوا على نتائج الدراسات التي عالجت موضوع تطوّر النمو اللغوي عند الأطفال "وأن يوجّهوا عناية خاصة للمفردات اللغوية في نظم نصوصهم الشعرية، وأن يضعوا في اعتبارهم الحقائق العلمية التي توصل إليها الباحثون في هذا المجال...ومعرفة هذه المعطيات والاطّلاع عليها يساعد الأديب المبدع والنّاقد الدّارس

¹ عبدالفتاح أبو معال: أدب الأطفال وأساليب تربيتهم وتعليمهم وتثقيفهم، ص: 24

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

على حدّ سواء في فهم خصوصيات النصّ الأدبيّ الطّفليّ ومن ثمّ خصوصيات هذا المتلقّي الخاص¹ وهذه الخصوصيات تقوم أساساً على ما يألّفه ويستخدمه الطّفّل من كلمات وتراكيب، فقاموس الطّفّل الكلامي هو معيار التّقويم لكلّ عمل موجّه إليه.

وانطلاقاً من ذلك كلّهُ يتراءى لنا أنّ لغة الشّعْر الموجّه للأطفال هي ذاتها لغة الشّعْر بعامة، ولكنّها تفارقها في نمط الصّيّاعة، فتصبح لغة خاصّة لفئة خاصّة من المجتمع هي فئة الأطفال الذين يعتمدون في عضويتهم في المجتمع على قدرتهم على التّواصل اللّغوي، وإذا كان ذلك مهمّاً على مستوى اللّغة المنطوقة "فإنّه يصبح أكثر أهميّة مع اللّغة المكتوبة التي يقرأها الطّفّل ويعود إليها في كلّ مرّة، كلّما أُتيحت له فرصة المطالعة"² ولعلّ أجمل هدية يقدّمها شعراء الأطفال للأطفال "اللفظة الرّشيقة الموحية الخفيفة الظلّ، البعيدة الهدف التي تلقي وراءها ظلالاً وألواناً، وتترك أثراً عميقاً في النّفس"³ بالابتعاد عن المفردات ذات الإشارات الضمّنية، والمعاني الكامنة، واختيار الكلمات الصّريحة المباشرة، وفي ذلك أثر كبير على النّمّو اللّغوي للطفّل، وتكوين قيمه واتّجاهاته.

إنّ اللّغة في الشّعْر الطّفلي تأخذ جانباً وافراً لإبراز العناصر الفنّية فيه ويتميّز الشعراء بها عن بعضهم في البناء الفنّي والجمالي، وأزعم أنّ الشّاعر جمال الطّاهري قد تميّز من بين شعراء الطّفولة في الجزائر بلغته الطّفلية التي سألحوا الوقوف عندها من خلال تجربته الشعريّة الموجهة للأطفال في الجزائر.

لقد حمل الشّاعر جمال الطّاهري في داخله قلب الطّفّل وتمثّل أحلامه وطرق تعبيره عن الأشياء، وهذا هو الجوهر الذي أوصله إلى النجاح في كتاباته الشعريّة للأطفال لأنّه لم ينس الخصائص الطّفلية، فسكب في عالمها الصّغير أفكاره وتجاربه الكبيرة، وعبر باللّغة البسيطة عن تعابيرهم، وهو الأمر الذي أدّى إلى انجذاب الأطفال إلى نصوصه الشعريّة لإحساسهم بخفّتها، فالشّاعر كان قريباً من عالم الطّفّل الجميل، والنّقي، فاستعمل

¹ - العيد جلّولي: النصّ الشعريّ الموجّه للأطفال في الجزائر، ص: 395-396.

² - محمد الصالح خرفي: أدب الأطفال في الجزائر، ص: 55.

³ - سليمان العيسى: ديوان الأطفال، ط1، دار الفكر، دمشق، 1999، ص: 15.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

ثروته اللغوية وهو الأستاذ الفاضل، والمربيّ القدير، لينتج منها الجمل القصيرة، والبسيطة البعيدة عن ألوان التعقيد في عمومها؛ لأنّ الطّفل في حاجة إلى من يفتح نوافذ عالمه من خلال اللّغة المفهومة والسّهلة ذات المفردات البسيطة؛ التي يتلقّفها بمجرد سماعه لها ويكرّرها بالغناء أو الحفظ.

إنّ لم يشذ صاحبنا الطّاهري عن قاعدة الكتابة الشعريّة للطفّل، فكانت معظم قصائده عابقة بالروح الطّفولية، وتلكم خصيصة فرضتها طبيعة المتلقّي ولست بالضرورة أنزّه كل القصائد عن الوقوع في مأزق الغموض، والرّمزية والخيال المجنّح. وذلك ما سيتجلّى في غير موضع، ومن هنا كانت أهميّة البساطة والوضوح في الشعر الموجّه للأطفال "لا من حيث إنّها تُمدّنا بما يألّفونه ويعرفونه من ألفاظ وتراكيب فحسب؛ بل لأنّ هذه الألفاظ والتراكيب ترتبط ارتباطاً وثيقاً بما يعرّم به الأطفال من الأشياء وألوان النّشاط النّابعة من خبراتهم المباشرة ومصادر اهتمامهم"¹ ومعنى ذلك أنّ الكلمات المألوفة لدى الطّفل هي التي تصلح ليطمئنّها شعر الأطفال، حسب كل مرحلة عمريّة، وحسب كل مرحلة تطور لغوي، أي تقديمها بتدرّج؛ لتتّفق مع القاموس الكلامي للطفل .

1.2 - على مستوى الألفاظ:

إنّ ولوجنا عالم شعر الأطفال من خلال لغته، هو أقرب المداخل إلى فهم جوهره ذلك أنّ النّقد العربي "انتهى في قمّة تطوّره إلى اعتناق نظرية لغوية خالصة في تفسير الشعر وهي نظرية النّظم التي نادى بها عبد القاهر الجرجاني في القرن الخامس الهجري"² لأنّ الشعراء هم أمراء الكلام يصرفونه أنّى شاءوا وأحسن طريقة للوقوف على كيفية أداء اللّغة لوظيفتها في الشعر "تكون وقت الكلام الفعلي في موقف لغوي بسيط. لنفرض أنّ طفلاً رأى تفّاحة وشعر برغبة في التقاطها وأكلها، فهذا الطّفل - كي يشبع رغبته - يمكنه أن يسلك أحد طريقتين. إذا كانت التفّاحة سهلة المنال. وليست هناك عوائق في طريقه ففي استطاعته أن يذهب بنفسه ويحصل عليها دون مساعدات خارجية.

¹ - عبدالفتاح أبو معال: أدب الأطفال وأساليب تربيتهم وتعليمهم وتنقيحهم، ص: 38.

² - جون كوين: النظرية الشعرية، ط4، ج1، ترجمة: أحمد درويش، دار غريب، القاهرة، 2000، ص: 22.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) أنموذجا

أما إذا لم يتمكّن من الوصول إليها... فلا بدّ له حينئذ من مساعدة شخص آخر¹ فالنقّاحة سهلة المنال، رمز للألفاظ البسيطة.

إنّ الألفاظ هي تلك الوحدات التي يتركّب منها الكلام برصف بعضها إلى بعض فتجذب الطّفل ويفهمها دون وسيط خارجي؛ لأنّ أوضح ما يهدف إليه شاعر الأطفال هو "أن يتبيّن الصّلة بين ما ننطق به من أصوات وما تدلّ عليه من دلالات، ونتعرّف على أثر هذا المنطوق فيما يوحيه إلى الأذهان من صور قد تختلف قوّة وضعفا، وتتباين في رفعتها أو خستها، وتتأرجح بين الوضوح والإبهام"² وعلى الرّغم من أنّ الألفاظ هي قاسم مشترك بين كل علوم وفنون البشر، فهي في شعر الأطفال ذات استعمال خاص تكون في متناول الأطفال، بنقل المعاني المجرّدة إلى إحساسات موجودة في أذهان الأطفال.

وتميزت الألفاظ في شعر الأطفال عند جمال الطّاهري بمجموعة من الخصائص نجملها في الآتي:

- استخدم اللّغة العربية الفصحى المتضمّنة لمعجم مبسّط في متناول الأطفال دون اللّجوء إلى العامية التي تنافي الحس الحضاري من جهة، ومستقبل لغة الطفل العربية من جهة أخرى، إلا في قصيدة واحدة سنأتي على ذكرها. وبذلك فقد ساهم الطّاهري في طبع النشء على الذخر العربي السّليم بأيسر السّبل وبأقرب الطّرق الملائمة لمداركه. ولم يقع في أخطاء لغوية كثيرة كما وقع غيره؛ لأنّه كان مدرّسا للّغة العربية في التّعليم المتوسط وعاش الناشئة عن قرب وعرف القيم الوظيفية في أحاديث الأطفال، فاستخدم الفصحى وزوج في القليل من أشعاره بين لغة الكلام واللّغة الفصحى؛ ليحقّق بذلك متعة تعلّم اللّغة العربية ومتعة القراءة السّهلة.

- لقد استوفى المعجم الطّفلي في شعر الأطفال عند جمال الطّاهري حقّه من خصائص لغة الطّفل، حسب كلّ مرحلة وضع لها، سواء من ناحية الاستخدام اللّغوي للألفاظ أو من ناحية الموضوعات كما فصلت فيه في الباب الثاني بفصليته، حيث تفاوتت سهولة

¹ - ستيفن أولمان: دور الكلمة في اللّغة (د، ط) ترجمة: كمال محمد بشير، مكتبة الشباب، مصر (د، ت) ص: 18.

² - إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ، ط5، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 1984، ص: 38.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

الألفاظ وصعوبتها حسب كلّ مرحلة عمرية ففي المرحلة الأولى والثانية تبدو سهلة واضحة، وتتميّز ببعض الصّعوبة في المراحل التّالية لما تفرضه طبيعة المتلقّي الباحث عن بعض العمق والتّقصي عن الجمال الفنّي للإمساك بلذّة المعنى.

- لقد عمد الطّاهري إلى استخدام معجم شعري يتضمّن كثيراً من الألفاظ التي يستعملها الطّفل في المناشط الدراسية، كأسماء التّفصيل، وألفاظ العلم والتّعليم وبعض المصطلحات الرّياضية والجغرافية، ليؤسّس بذلك إلى مرجعية تعليمية في مواد دراسية غير الأدب بلغة مرنة بعيدة عن الجفاف والقاموسية المملّة التي سادت شعر الأطفال عند شعراء المدرسة الإصلاحيّة.

- لم يلجأ جمال الطّاهري إلى الشروح والتّعليقات على الألفاظ التي استعملها في شعره للأطفال، وهذا ما يشي بقدرة الشّاعر على التقاط المفردة السّهلة المعبّرة عن المعنى الذي يودّ إيصاله إلى قارئه الصّغير.

وقد تنوّعت الألفاظ التي استعملها جمال الطّاهري في شعره للأطفال بتنوّع الموضوعات التي تناولها فيه، فمن خلال دراسة الموضوعات التي عالجها يمكن الوقوف على مختارات منه وفق الآتي:

1.1.2 - ألفاظ الطبيعة:

لقد كانت لغة جمال الطّاهري في شعر الطّبيعة للأطفال ترجماناً صادقاً لوصف الطّبيعة في الجزائر للأطفال الجزائري، باستعمال معجم متميّز بالوضوح والبساطة والسّداجة الطّفلية، من حيث مناسبته للقدرة الإدراكية للأطفال واستعمالهم اليومي للغة، فوفّر عليهم اللّجوء إلى البحث القاموسي، فكان طروباً يبحث للأطفال عن جو الطّرب، الذي قد لا يحلو إلا على بسط الجزائر الخضراء، وربوعها السّاحرة، لا يصور الشّمس إلا وهي عنصر من عناصر الطّبيعة، ولا يصف الرّبيع إلا بين أرجائها، ولا يدعو الأطفال للهو إلا في رحابها، فكان كلفاً بالطّبيعة وبعناصرها، وقد استعان بهذه الأخيرة لنقل تجاربه ومواقفه التّربوية للأطفال، ودكّر لفظ الطّبيعة في أكثر من قصيدة فقد وسم بها إحدى قصائده الطّفلية (عرس الطّبيعة) وذكرها من خلال قوله من قصيدة (إلى أمّ لاجئة):

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

نهوى الطَّبِيعَةَ والنَّجُومَ، وكلَّ ما لثَمَّ البَصْرُ¹

وأشار إليها في قصيدة (الفراشة) بقوله:

هناك في الطَّبِيعَةِ رأيتها بديعة²

فمحور الطَّبِيعَةِ كان طافحا برونقها ومباهجها عند جمال الطَّاهري فقد نظم فيه ما يزيد عن خمس وثلاثين قصيدة طفلية، ففي قصيدة (عرس الطبيعة) من ديوانه (الزهور) في الجزء الأول يصف الشاعر الطبيعة في رحاب فصل الربيع ويعدّد مظاهر ذلك (الطَّير يحكي، أرض الجدود، مواويل طائر، هذي الجداول، الحقل، هذي الحشائش مرج، بساطا جميلا، كنان...) وهي ألفاظ قريبة من استعمالات الطِّفل، وفي أنشودة (يا شمس) يوظف الشَّاعر مقارنة معجمية غاية في الرّوعة، وهو يؤنسن الشَّمس ويخاطبها كطفل صغير باستعمال أفعال حركية كثيرا ما يخاطب بها الكبار الصَّغار (دوري، نورّي، صُبِّي عسجدي، مشطّي، صاحبي، مُدّي، نشري، أبهجي...) إذ يقول:

يا شمسُ	يا شمسُ
وَنورِي الأَكوانُ	دوري على البلدانُ
وعسجدي الأَلوانُ	صُبِّي على الشَّطآنُ
وصاحبي الصَّحاري والرّمال	ومشطّي الدُّرُوبَ للأَطفالُ
ونشري السُّرُورُ	مُدّي جَنَاحَ النُّورُ
على مَدَى الدُّهُورُ	وابهجي الشُّعُورُ
يا شمسُ يا حبيبة الفَراشِ والطُّيورِ والرّهـورُ ³	

وفي قصيدة (حفل ربيعي) يستدعي الشَّاعر لفظة (حفل) من المعجم المدرسي للدلالة على التنوع الطَّبِيعي في فصل الربيع، وينقل الحميمية بين الطِّفل والربيع؛ لأنَّ جسد الربيع هو عنوان روح المتعة، فقد كرّر الشَّاعر (ما أعذب) أربع مرّات في القصيدة

¹ - جمال الطَّاهري: الزَّهور، ج3، ص:12.

² - جمال الطَّاهري: نفع الياسمين، ص:18.

³ - جمال الطَّاهري: الزَّهور، ج2، ص:18.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

وانتقى لهذه العذوبة المفضلة (صوت سواقينا، خضرة أعشاب، تغريد الأطيّار، لون الورد) ثم طرّز قصيدته بكل ما له صلة بجمال الرّبيع مستعملاً المعجم الدّال على ذلك (الماء الصّافي، أروع أثواب، وقت الأسحار، تميم الأشجار، بواكير النّوار، الرّحيق...).

كما استعمل الشّاعر الألفاظ الدّالة على السّماء والنجوم، في كثير من قصائده وهي ألفاظ تدل على كلّ ما علا وارتفع، وقد استعملها الشّاعر بمعناها المعروف لدى الأطفال، فلفظة (السّماء) مثلاً وهي كلمة تقال لكل ما ارتفع وهي سقف كل شيء، وكلّ بيت، استعملها الطّاهري عبر ديوانيه معرّفة ب: (ال) 08 مرات وبالإضافة 04 مرات ونكرة مرّة واحدة. واستعمل لفظة (النجمة) وهو لفظ يدلّ على الطّلع والظّهور، والجسم المضيء في السّماء في غير موضع من قصائده الطّافية، بمعناها المعروف، فقد أوردها معرّفة على صيغة المفرد المؤنث مرتين وعلى ذات الصيغة نكرة مرتين أيضاً، كما استعملها بصيغة المفرد المذكر مرة واحدة، وجمعها جمع مؤنث سالم مرة واحدة، وجمع تكسير أربع مرات. وهو بذلك يقدّم دروساً في النّحو والصّرف بطريقة غير مباشرة.

ويواصل الشّاعر جمال الطّاهري عنايته بالمعنى بمقدرة حاذقة تنير ميول الأطفال وتوجّههم إلى كيفية الوصول إلى المعنى بأنفسهم، ويرتبط بذلك "ألاً نسرف في التّعقّ اللّفظي المعقّد، أو المناقشات الجانبية قليلة الأهميّة في مجال التّدوّق، لأنّها سرعان ما تقلّ من ميل الناشئ إلى الأدب، فلا يستطيع إلى تدوّقه سبيلاً، فيتحوّل إلى الأدب التّفاه، وينساق في تياره..."¹ وهو ما فعله الشّاعر حين ركّز على المحسوسات في شعر الطّبيعة بما يتوافق مع الأساليب الطّافية في تفكيرهم الحسيّ، بحيث تبدو الموصوفات مجسّمة بأشكالها، وأجسامها وخصائصها المادّية في مخيلات الأطفال، وكأنّها جاثمة أمامهم تتبض بالحياة والحركة، وتجلّى ذلك من خلال اهتمامه بالطّبيعة المتحرّكة وبخاصة الحيوانات القريبة من عالم الطّفل كالفراشة حين وصفها بألفاظ تليق بمقام جمالها وروعها (مزوّقة، منمّقة، مصفّقة، ملوّنة، مزينة، طليقة، سعيدة، محلّقة) واختار لها من الأفعال ما يناسب حركتها ونشاطها (تجول، تحفل، تحوم، تلعب، تضطرب تغلو...).

¹ - أحمد نجيب: أدب الأطفال علم وفن، ص: 150.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

ولمّا أدرك الشّاعر جمال الطّاهري ما تمثّله بعض الحيوانات، والطّيور وبخاصة الأليفة منها من أهمّية للطفّل، جعل هذا الأخير يندمج في عالمها وجعل بيان ذلك "على ألسنة الحيوانات ليكون أبلغ في المواعظ، وأبين في الخطاب، وأعجب في الحكايات، وأظرف في المسامح، وأظرف في المنافع وأغوص في الأفكار، وأحسن في الاعتبار"¹ ذلك أنّ الطّفّل يشاركها في بعض أوصافها، ويفصل عنها بنطقه حين يردّد أصواتها من خلال الأشعار الموجّهة إليه، وقد سعى الشّاعر في عمق ذلك إلى تحميل شعره للأطفال المغزى الإنساني الذي يهدف إلى ترسيخ الغايات التربوية والأخلاقية، غير أنّ "توظيف الصّوت كلغة حيوانية اقتصر على أطفال المرحلة المبكّرة إذ من غير المستساغ أن يخاطب الشّاعر أطفال المراحل المتوسّطة والمتأخّرة بهذا الأسلوب الذي يوحي إليهم بأنهم مازالوا صغاراً"² لكن جمال الطّاهري ارتبطت مقاصده بظروف اجتماعية، وربّما سياسية أيضاً، استعمل أصوات الحيوانات كبلاغة تواصلية جديدة أجل التّهذيب الأخلاقي ومعالجة بعض الاعوجاج الاجتماعي، فيطرح أصوات الحيوانات ومعانيها بطريقة سلسلة سهلة الحفظ، يربطه بين الحيوان وصوته (صياح الديك) واستعمال الفعل منه دلالة على النّشاط والحركة حين يقول:

الديكُ صاح... الديكُ صاح استيقظوا جاء الصّباح³

كما جسّد الشّاعر الصوت وحوّله إلى اسم للحيوان نفسه كما فعل مع (الديكُ كوكو) وملّكه لساناً فصيحاً يعبر به عن خلجاته منقّصاً الذات الانعزالية الفردانية، ولكنّه في كلّ مرّة يحاول أن يخلق امتدادات في المحيط الاجتماعي، كتعبير عن وجوده وحضوره في عرض مباشر وبعد سياسي بسيط يتواءم ومدارك الأطفال، فاستعمل لذلك (شهرتي هوابتي، من تحدّاني، مرعّت، رأيت، أدبّت، أشبعّت، أعلمت، أصون...) ومن مظاهر ذلك الفخر قوله:

¹ - أحمد بن عبد الله: رسائل إخوان الصّفاء وخلان الوفاء، الجسمانيات الطّبيعيات (د، ط) مج2، دار صادر، بيروت ص:179.

² - العيد جلولي: النصّ الشعري الموجه للأطفال في الجزائر، ص:405.

³ - جمال الطّاهري: الزهور، ج4، ص:5.

شهرتي في الخم كوكو ترتجي قدري الملوك¹

أما القطّة الحيوان الأقرب من الطفل، وباعتبار أنّ أسهل صوت يقلده الطفل باستمرار هو صوت القطّة (ميو، ميو) فقد وظّف الطاهري صوتها في أنشودة (الهرة) حين قال:

وتصيحُ ماؤُ من بعدِ نأؤ²

واستدعى قاموساً لغويّاً استعمل منه كلّ الأفعال التي تحمل معاني الحركة والخفة ولم يستعملها برمزية مثلما فعل مع الديك، وإنّما تناولها كحدث وموضوع أساس فاستعمل لذلك (هفت، اختفت، بدت، تبدّدت، تطاولت، تكاسلت، تخمش، تخربش...).

جمال الطاهري شاعر ولد من رحم بيئته وثقافته، فجاء شعره للأطفال عن الطبيعة صورة عنها، وهمس شعره خريز سواقيها، ونغم رياحها، وتغريد عصافيرها، وبالعودة إلى المعجم الذي تكرر عبر لسانه إلى الأطفال في قصائده فضلاً عما سبق لوجدنا (الصباح، الرياح، الشّمس، النور، الشّعاع، الفجر، الكون، اللّيل، المطر، الغيوم الرّعود، البروق، السّهول، الشّجرة، البحار، السّحب، الخشب، الحطب، الطيور، الجداول الرّبيع، الصيف، الخريف، الشّتاء، الثلج، البلبل، الكنار، الأفيال، القطعان، الثّعلب، النّحلة النّملة، الأرض، الحجر، الورود، الزّهور، الأعشاب، الرّوضة، الغابة، الصّحاري، الرّمال الشيا، الجراء، الخراف...) ومعظم هذه الألفاظ تكرّرت في كل القصائد، وهي تعبّر عن واقع الشّاعر المعيش، وقصدت إلى انتقائها واستعمالها في شعره للأطفال؛ لأنّه آمن بحياة الطبيعة التي بإمكانها توفير السّعادة للأطفال، في إطار جميل وجذاب.

3.1.2 - ألفاظ الوطن والثورة:

للوطن عند جمال الطاهري وشائج جعلته يتوهج في قلوب الأطفال شعراً رقيقاً، فاق العشرين قصيدة، كانت اللّغة فيها هي أداته، يذوب فيها وينحت أفكاره منها، وينحت منها

¹ - جمال الطاهري: الزهور، ج4، ص:9.

² - جمال الطاهري: الزهور، ج5، ص:21.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

لغة خاصة به، ويطوّعها خصيصة لأطفال الجزائر، تمتاز باستخدام الألفاظ المألوفة لديهم، متجنباً الألفاظ الصعبة والغريبة، والثقيلة في النطق والفهم وعلى السمع.

عنون الطاهري مجموعة من قصائده الوطنية والثورية للأطفال باسم الوطن (حبيب يا وطني، موطني، عاشق الوطن، بني وطني، وتبقى الرمز يا وطني، شهيد الوطن، حارس الوطن) وكرّر لفظ الوطن في متن قصائده 28 مرّة، كان أرقاها قوله:

وخليقٌ أن أحبّ الوطنًا ما سما الشعرُ على الدنّيا وطالاً¹

واستعمل لفظة (بلادي) كمرادف للفظة (الوطن) ووسم بها قصيدتين، الأولى وسما مباشرة (بلدي) والثانية (صنّاع بلادي) وسنام قوله عنها:

أحبُّ بلادي أدافعُ عنها أقدّسُ أبطالَ قومي الأباة

أحبُّ جواهرَ شمس بلادي تلالاً فوق أعزّ الجباه²

وكرّر هذه اللفظة في مضمون شعره 20 مرّة في صورتني (بلدي) و (بلادي) كما فعل مع (وطني) و (موطني) وهو تنويع أراد الشاعر من خلاله إثراء القاموس اللغوي عند الأطفال؛ لأنّ لفظة البلد ذكرت في القرآن الكريم على صور مختلفة، فكان من عظيم قدرها أن أقسم الله -عزّ وجلّ- بها في صورة مكة المكرمة في قوله تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ . وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾³ وذكرت بصورتها الثانية في كثير من السياقات القرآنية كقوله تعالى: ﴿الَّتِي لَمْ تَخْلُقْ مِثْلَهَا فِي الْبَلَدِ﴾⁴ ففي دلالة الأولى التخصيص والتعميم في الثانية.

غير أنّ جمال الطاهري لم يسم ولا قصيدة ب (الجزائر) الاسم الأصلي للوطن واكتفى بإيرادها على هيئة صفة كعنوان لقصيدة (الجزائرية) وكرّر لفظ الجزائر في قصيدة

¹ - جمال الطاهري: الزهور، ج3، ص:05.

² - جمال الطاهري: الزهور، ج2، ص:15.

³ - سورة البلد: الآيتان: 01-02.

⁴ - سورة الفجر: الآية:07.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

(أغنية الجيل الجديد) 04 مرات لتأكيد الانتماء إليها، وذكرها مرّة واحدة في أنشودة (بلدي) لتعريف الأطفال باسم هذا البلد الحبيب الذي يتغنّون به فقال:

بلدي الفاخر يُدعى الجزائر¹

ثمّ راح يصف هذا الوطن بعبارات تليق به في رقّة طفولية جذّابة (الفاخر، الثائر، بلد الحرائر، الأكبر، الطاهر...).

أمّا المعجم اللّغوي الذي استدعاه في منظومته للأطفال حول الثّورة والشّهيد، فكان بسيطاً بساطة روحه الشعريّة، استعمل فيه المتداول في المناشط المدرسية، متغنّياً بالأمجاد، ومرتّباً بالمآثر، فكانت كلماته كجبال أوراس وجرجرة والأبيض، في صدق تعبير، وعمق معنى، فاستعمل ألفاظ (الشّهيد، الجبال، العلم، الجهاد، الكفاح، الثّورة الشعب، الجندي، النّصر، نوفمبر، الحدود، مدفع...) وغيرها من الألفاظ لتعريف الأطفال بثورتهم المجيدة، ونأى عن الألفاظ التي تثير الخوف في نفوس الأطفال كلفظ الحرب التي ذكرها مرّة واحدة في قوله:

خوضوا ميدانَ الحرب المَخُوفِ

إنّ الجنانَ تحت السيُوف²

واستصغر (فرنسا) ولم يأت حتى على ذكر اسمها في كامل شعره للأطفال، وبذلك يكون قد صنع على أنقاضها شعراً يفوح جمالا ونبلا، لأظهر مخلوق على أرض الجزائر. وتجاوز جغرافية الجزائر؛ ليعرّفهم بموقع الجزائر ضمن خارطة العالم، فذكر (إفريقية) كموقع تقع فيه الجزائر، وهو بذلك يؤسس لدرس جغرافي مقرر في مناهج التّعليم الجزائرية، وأورد اسمها بلفظتين حسب اختلاف المراجع (إفريقية، إفريقيا) وهي إشارة ذكية تحسب له.

ولم ينس صاحبنا جغرافية الوطن العربي، واختصرها أجمعين في صورة فلسطين التي نمثّل لها بقوله:

¹ - جمال الطاهري: الزهور، ج5، ص:07.

² - جمال الطاهري: الزهور، ج2، ص:03.

حيث وضع أطفال الجزائر أمام متعتين: متعة فنّه الشعري للأطفال وما يشكّله من ثروة لغوية، ومتعة الموضوعات بزخمها وروعيتها، والتي تركت أثارا في نفوس أطفال الجزائر، ونفوس غيرهم من الأطفال العرب.

3.1.2- ألفاظ الشعر الديني والاجتماعي والتربوي:

كان لفظ الشاعر الديني للأطفال سمحا، سهل مخارج الحروف، وهو ما ألفناه في جل إنتاجه الطفلي، محاولا كسر الحواجز بينه وبين المتلقي الصغير؛ بالوقوف على العالم المحسوس، وإظهار مكامن الجمال، بسلاسة هادئة، وأسلوب شفاف، لتمتج بذلك مشاعره الطفولية، مع مشاعر الأطفال في لحمة تذوقية، حيث كان ولوجه هذا العالم بلفظ (دعاء) مستدعيا أسماء الله الحسنى (العظيم، الكريم، الجليل، القدير، الهادي...) لأن كثيرا من أسماء الأطفال مرتبطة بلفظ الجلالة (الله) وبأسمائه الحسنى، وهي أسماء معروفة عند الأطفال من خلال وسائط الإعلام الموجهة لهم. فشاركهم جمال الطاهري بأن عرفها لهم من خلال كثير من قصائده، لزيادة تعظيم الله في قلوبهم، وزيادة عباداتهم له.

وألفاظ المعجم الديني في شعر الأطفال مألوفة لدى الأطفال، وقليلة هي الألفاظ التي تحوج الطفل إلى الرجوع إلى المعاجم المدرسية، فقد استعمل في التعبير عن وحدانية الله سبحانه وتعالى مخاطبا الطفولة المتوسطة (نظام دقيق، صنيع الإله، سكب الحسن سرب الحمام...) وعبر عن مظاهر هذه الوحدانية باستعمال ألفاظ الفصول الأربعة مجتمعة في قصيدة واحدة (هو الله وحده)، حيث جمع مظاهرها المتناقضة (الربيع الوديع صيف لطيف، خريف كئيب، ثلج شتاء) في قمة تأثير نفسي، وأداء فني، وجمال معنوي مستعملا أفعال البحث والتقصي (تأمل، رتل، علم، أراه...).

وفي مشاعر وأحاسيس رقيقة تفيض من نفس الشاعر حين يضيق الدهر ويخون الحظ، يسوق منظومة مصطلحية مألوفة لدى الأطفال تعبر عن الضياع في دنيا الضياع

¹ - جمال الطاهري: الزهور، ج4، ص:18.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

(تاء، ضاق، انفضّ، ولى) ويعالج ذلك بلفظتين جميلتين سهلتين، رقيقتين، وموجبتين (إلجأ) إلى الله، (يشرق) في قلبك ألف صباح، وكلّ أولئك أجل الوصول إلى أذن المتلقّي الصّغير، بلغة لا تجهد، ولا تزعجه "لأننا لا نريد للطفّل أن يقف محتاراً أمام الكلمات والتراكيب ليسأل نفسه عن معانيها... كما لا نريد أن يبّد الأطفال وقتاً في الوقوف عند الكلمات والتراكيب، ذلك الوقوف الذي كثيراً ما يذهب بمتعة الطّفّل، وربّما ينسيه الأفكار التي نريد لها أن تتّضح أمام ذهنه ومخيّلته"¹ ودون اللّجوء إلى كثرة التكرار في الألفاظ حتى لا تفقد جمالها وخفّتها.

ونشير في هذا المقام إلى أنّ الالتزام بقاموس الأطفال اللّغوي، لا يلغي القاموس الإدراكي للأطفال؛ لأنّ الأطفال بإمكانهم فهم كلمات خارج محيط قاموسهم المستعمل في لغة تواصلهم، لكن دون إفراط، وفي هذا المقام استعار جمال الطاهري مجموعة من الألفاظ استقاها من معجم الطّبيعة ليعبّر بها عن صفات الرّسول ﷺ الذي وسم القصيدة باسمه (محمّد) (البزوغ، الصّباح، شمس، ضياء) التي تعبّر في أصلها عن أشياء محسوسة لها علاقة بالحواس ولما كان شخص الرّسول ﷺ غير مجسّد، استعمل ضمير المفرد الغائب (هو) الذي كرّره في القصيدة 06 مرات بدلاً عن لفظ (محمّد) لتسهيل الحركة الموسيقية، وهذه الألفاظ بإمكان الأطفال فهم معانيها وبخاصّة في مراحلهم المتأخّرة.

بينما في قصيدة (النّهج المحمّدي) استعمل اللفظ المباشر (محمّد) وكرّره في القصيدة 04 مرّات، وأورد لفظ (الرّسول) كبديل عنه مرّة واحدة، ثمّ عزّز ذلك ببدايل لغوية أخرى دالة على شخصية الرّسول ﷺ من مثل (الإمام، القائد) وراح يشرح للأطفال الألفاظ داخل متن القصيدة فاستعمل (زَيْن الوري، نور البشر، زين الخلق) وكأني بالرجل لما أحسّ بثقل لفظ (الوري) على فهم الأطفال استعمل لفظ (البشر) لشرحها، ثمّ وسّع ذلك فاستعمل لفظ (الخلق) وإن كانت دلالتها عامّة إلاّ أنّه في هذا المقام يوردها كمرادف للفظتين السابقتين. وهو بالضبط أحد المطالب في أدب الطّفّل، حين دعا منظّروه إلى التدرّج في إيصال الفكرة إلى الأطفال. فقال في نهاية المقطع الأول:

¹ - هادي نعمان الهيتي: أدب الأطفال (فلسفته-فنونه-وسائطه) ص: 99.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

محمّد زَيْنُ الْوَرَى بحَبْلِهِ شَدَّ الْوَرَى

وقال في بداية المقطع الثاني:

محمّد نُورُ الْبَشَرِ مِنْ نورهِ الْجَهْلِ اندثر

وقال في وسط ذات المقطع:

محمّد زَيْنُ الْخَلْقِ وَشَرَعُهُ عَدْلٌ وَحَقٌّ¹

وفي توأمة بين المعاني والأفكار والمواقف يتمثّل الطاهري لغة بعيدة عن بلبلّة الذهن، في قصيدة (القرآن) التي جمع فيها معظم الألفاظ الدينية التي خاطب بها الأطفال، والتي استوردها من المعجم القرآني وهي: (دين، هدى، نور، المسلمين الجاهلين، الكافرين، قرآن، المؤمنين، القيام، رسالة، وحي، إله، الكتاب، المسلم، الفلاح الصّلاح، ربّي...). وهي ألفاظ تستحوذ على لبّ القارئ الصّغير، ولا تجعل ذهنه يتشتّت وتثير الأفعال المصاحبة لها(أتى، أزال، دعا، أيقظ، حبّب، اسمع، افهم، ارجع...). مجموعة من المنبّهات التي توقظ الأحاسيس، وتؤكد لهم أنّهم أمام شاعر صادق تنبع أقواله من ذاته الحاملة لرسالة موجّهة لهم عبر شعره للأطفال، باستعمال لغة ذات وجه إغرائي وبعد جمالي نقطف منها:

قرآنُ ربّي صوتُ الفَلاحِ دعا إلى الخَيْرِ والصّلاحِ

وحبّبَ القومَ في النَّجَاحِ به تَبَدَّى وجهُ الصّبّاحِ

فما أجَلَ قرآنُ ربّي²

أمّا المحور الاجتماعي فقد نظم فيه الشّاعر جمال الطاهري ما يقارب العشرين قصيدة وأنشودة، وظّف فيها معجماً يخدم طبيعة المتلقّي الصّغير باعتباره فرداً اجتماعياً حيث جعل الألفاظ عمادة لفكره؛ للتعبير عن المحيط الاجتماعي تعبيراً دقيقاً واضحاً ومحدّداً في أكثر الاستعمالات؛ للوصول إلى الهدف بطريقة ترضي الطّفّل، وتتميّ عنده حاسة التذوق اللّغوي. فقد انصرف في كثير من شعره للأطفال إلى كثير من الشّؤون الاجتماعية، وقد يرجع ذلك إلى ارتباطه وقربه الدائم من شرائح المجتمع المختلفة

¹ - جمال الطاهري: الزهور، ج3، ص:01.

² - جمال الطاهري: الزهور، ج2، ص:04.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

كأصحاب الحرف والمهنيين، والعمال بشتى أصنافهم، بالإضافة إلى تركيبات الأسرة.

ولما كان أقرب عنصر اجتماعي من الطفل (الأم) فقد عني الشاعر بهذا المخلوق عناية مميزة على مستوى المضمون، وعلى مستوى اللغة، فقد وظف لفظة (أمك) في قصيدة (خير صاحب) 09 مرات لتأكيد المعاني التي وردت في حديث الرسول ﷺ "من أحق الناس بحسن صحابتي..." ثم يستدعي لفظ (ماما) وهو الاسم الذي ينادي به كل إنسان في هذا العالم أمه كبديل عن اسمها الحقيقي الذي لا تُنادى به، وبخاصة من قبل الأطفال، فأعادها 31 مرة في مضمون قصائده في سياقات متعددة، واستعمل هذه اللفظة، لأنها الدارجة على السنة كل أطفال الجزائر إلا في قليل من المناطق التي تستعمل ألفاظ (دادا، نانا، يمّه) وإن كانت كلها تقتصر للجذور اللغوية في العربية إلا أن كثرة الاستعمال جعلها مألوفة تلج قواميس الاستعمال دون إذن المواضعة، ونمثل لذلك بقول الشاعر:

احفظ لي يا ربّي ماما واحرس لي يا ربّي ماما
ما أحلاها ما أبهاها ما ثمّة أجمل من ماما¹

ثمّ يحدّد في هذه القصيدة تحديدا مباشرا كلّ المهام التي تقوم بها الأمّ تجاه طفلها وعلى لسان الطفل باستعمال مجموعة من الأفعال الحركية، ولكّنه في حذاقة جميلة، جعل الطفل يعترف بفضل أمّه، قبل أن يحدّد مهامها الجليّة فاستدعى (احفظ، احرس) ثمّ ربّب بقية الأفعال وفق ناموس الخلق، ومراحل التطور في تسلسل عجيب ففي مرحلة الحمل استعمل (حملت، قاست، ذاقت) وبعد الولادة استخدم (حامت، تدنّرتي، تدفنتني، تغمرني) وفي مرحلة الترقّيص استدعى (نقص، تغني) وفي مرحلة المدرسة اجتلب (تُعنى بدروسي تهذب أدابي) وفي مرحلة التّكليف تناول في المضمون الأفعال (تدعوني، تنهاني).

ومن كثرة الحظوة التي نالتها الأم عند جمال الطاهري في خطابه الشعري للأطفال استعمل لفظ (أمّي) كعنوان لقصيدتين متتابعتين في ديوان واحد وكأنّه يقدّم دلالات الثانية بالأولى، غير أنّ القصيدة الأولى نظمها بغرض المدح وأكثر فيها من ضمير المؤنث المخاطب على لسان الطفل (أنتِ)، هذا مقطع منها:

¹ - جمال الطاهري: نفع الياسمين، ص: 11.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

أنتِ يَا أُمَّاهُ أضواءً بفجرِي
أنتِ نبعُ الماءِ في صحراءِ عمري
أنتِ رقصُ البِشْرِ في أعماقِ صدري¹

بينما القصيدة الثانية وإن كان غرضها هي الأخرى المدح، فقد كان المتكلم فيها هو الطفل أيضاً، لكنه استعمل ضمير المؤنث الغائب (هي، هـا) في شكل قصصي، وكأني بالشاعر أراد من خلال هذا الاستعمال أن يذكر الآخرين على لسان الطفل بأفضال الأم وتفانيها في تربيتهم، وما تقدمه من عطاء فيأض فيؤكد ذلك بقوله:

من تُرى قد كان حلْمِي قلتُ: أمِّي، هي أمِّي
اسمها يا ناسُ: أمِّي هي أمِّي، هي أمِّي²

كما استعمل الشاعر لفظ (أمّاه) أكثر من مرّة، وهو دليل قاطع على حنين الشاعر وشوقه لأمّه التي يبدو أنه افتقدها مبكراً، فعبر عن ذلك بنداء بعيد قريب بحذف حرف النداء، وحمل الطفل هذه الصورة الرائعة في صورته التي أرادها أن تتجلّى من خلاله وهو الأجل على الإطلاق في مثل قوله:

أنتِ يَا أُمَّاهُ بلبلٌ
صادحُ حلُو الغنّاءِ

أنتِ يَا أُمَّاهُ مهدي
وأراجيحي، سريري³

ولم يستعمل لفظ (الوالدة) لأنّ الطفل لا يعرف هذه الكلمة ضمن قاموسه اللغوي في مرحلة ما قبل المدرسة، وتأتي استعمالاته لها عارضة في دروس التربية الإسلامية

¹ - جمال الطاهري: نفتح الياسمين، ص: 12.

² - المصدر نفسه، ص: 13.

³ - نفسه، ص: 12.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

بصيغة المثني أو الجمع في مثل قوله تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾¹ وقوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾²

ومن الألفاظ المتكررة صباحا مساء على السنة الأطفال لفظة (بَابَا) إلا أن جمال الطاهري لم يوظفها كثيرا في شعره للأطفال واكتفى بإدراجها في عنوان أنشودة (كلمة بابا) وكررها 06 مرّات للتأكيد على دور الأب ومكانته في الأسرة. واكتفى بهذه اللفظة ولم يتجاوزها إلى استعمالها الأخرى (الوالد الأب، أبي).

لقد اعتدّ جمال الطاهري بقوته اللغوية، وتحمل الصعاب من أجل غاية شريفة، وهي حماية اللغة العربية بالابتعاد عن الابتذال المفرط وهو يخاطب عقول الصغار، سالكا الوضوح والدقة في الموضع، ومطابقة قوانين اللغة، فكان المعجم المستعمل في المحور الاجتماعي مطابقا للمعجم الطفلي فاستعمل في مضمون العمل مثلا (العمل، عامل صانع، مصنع، الصنعة، الصناع، زارع، فلاح، الشغل، العاملين، العاطلين...) واستعمل من الأفعال ما يخدم ذلك (اعملوا، اصدعوا، اهرعوا، اجتهدوا...) حيث لاعم بين المواضيع ومضامينها وبين الألفاظ وجزالتها، مبتعدا عن غريب اللفظ وتناثر الحروف، فجاءت ألفاظه رقاقة بالبشر وهو يلج عالم المجتمع بتراكيبته المختلفة، فكانت الإجابة وكان الإبداع.

وإذا كان من أهم الأهداف التعليمية لشعر الأطفال "تنمية فعل القراءة والكتابة عندهم، وتزويدهم بثروة لغوية فصيحة، تزيد من ثروتهم وخبراتهم الخاصة، وتنمو هذه الثروات والخبرات، مع نمو أعمارهم ومراحلهم وقراءاتهم"³ فقد فهم الشاعر جمال الطاهري القاموس اللغوي عند الأطفال حسب مراحلهم اللغوية المختلفة، فكان استخدامه للألفاظ في مضمون التعليم مناسبا لهم ومفهوما عندهم، الأمر الذي جعله ينوع فيه؛ لتقويم السنة الأطفال، والارتقاء بأساليب تعبيرهم بعيدا عن الافتعال والصعب والمعقد.

¹ - سورة البقرة: الآية: 83.

² - سورة البقرة: الآية: 233.

³ - محمد حسن بريغش: أدب الأطفال أهدافه وسماته، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996، ص: 141.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

لقد استعمل الشاعر في هذا المحور مفردات لصيقة بالطفل وقريبة منه منذ ولوجه عالم المدرسة والدراسة فقد استهلّ إحدى قصائده بقوله:

مبدأ الإسلام: اقرأُ جعلَ التَّعليمَ مبدأً¹

ليعيد توظيف ذات المعنى في قصيدة أخرى بذات الاستعمال وفي المستهلّ أيضاً، حيث يقول:

قالَ وحيُّ الإله: اقرأُ فاجعلوا التَّعليمَ مبدأً²

وكأنَّ الشاعر وهو يخاطب الأطفال في البيت الأول أراد أن يوصل إلى أذهانهم أنّ القراءة وطلب العلم فرض، ليوصيهم في البيت الثاني بالالتزام بهذا الفرض. فاستبدل الإسلام بالوحي، وحول زمن الفعل (جعل) من الماضي إلى الأمر (اجعلوا) واحتفظ في البيتين بمضمون الرسالة (اقرأ...التَّعليمَ مبدأً) وما لجوء الشاعر لذلك إلا استجابة لضرورة التعبير عن رؤية تربوية يفسر فيها السابق باللاحق، وتأكيد الدلالات بإعادة صياغتها؛ لزيادة الفهم والإفهام، فيجمع البيتين السابقين في قصيدة (أغنية الجيل الجديد) في قوله:

مبدأ الإسلام.. اقرأُ نقرأُ سوفَ نقرأُ
جعلَ التَّعليمَ مبدأً مبدأً سوفَ نبدأً³

فالشاعر ينمّ عن شاعرية خصبة، وقدرة كبيرة على ملاءمة بعض مقطوعاته لأذواق الصغار عبر مراحل نموهم لغةً ومضموناً، في ملاحظتهم بالمعلومات؛ للتأكيد أو للتذكير لاستنفار الهمم من جديد، فما صلح عنده للمراحل المبكرة، قد يصلح للمراحل التالية بإعادة صياغته؛ فزواج بين القراءة كفعل، وبين المبدأ كقيمة هامة عبر محطات مختلفة لأنّه استقى المضمون من القرآن الكريم، واعتبره بمثابة مُسلّمة لا يمكن تغيير فحواه إلا بتبسيط اللغة وإعادة الصياغة.

¹ - جمال الطاهري: نوح الياسمين، ص: 02.

² - المصدر نفسه، ص: 15.

³ - جمال الطاهري: الزهور، ج1، ص: 02.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

وقد استمدّ جمال الطاهري مادّته اللغوية من المنهج المدرسي فاستعمل (التعليم العلم، رسالة، الكتاب، الواجبات، اليراع، العلوم، التعلّم، الجهل، القصة، اللّغة...) فهذه الألفاظ وغيرها كثير تركز إلى السهل القريب من استعمالات الأطفال، وهو ما جعل الشاعر لا يستدعي غيرها إلى المبتذل وعاج إلى المستهلك بلغة فصيحة، وبذلك يكون قد احتفظ لنفسه وللأطفال بمستوى رفيع من اللفظة الحسنة الواضحة المعنى.

ويوظّف جمال الطاهري ثقافته اللغوية في جانبها النحوي والصرفي والكتابي في شعره للأطفال، في محاولة منه لجعل الطفل قارئاً جيّداً، ومتصفّحاً للكتب بلغته العربية نثراً وشعراً ورسماً بخطّها فيقول:

اقرأها بالصوت العالي	اقرأ ذي الجملة يا خالد
انطقها بالضاد العالي	انطقها بالحرف الماجد
	إلى أن يقول:
أنظر ما أجملَ ذا الحرفاً	راقب ذي الجملة يا خالد
لقد صبّه رحماني ضرفاً	خطاً يتمّأج مسحوراً
قد حُدّد نحوّاً أو صرفاً	حرفاً يتألّق ميسوراً
عنه التّحريفَ لقد كفّاً	أهداه الله حمايته
اقرأ كلمات مألوفه	اقرأ ذي الجملة يا خالد
ولديك جميعاً معروفه ¹	وحروفاً أحلى من شهيد

فألفاظ (الحرف، الكلمة، الجملة) عبّر بها الشاعر عن مراحل التطوّر اللغوي عند الطفل انطلاقاً من المرحلة الفونيمية، فمرحلة الكلمة، والكلمة الجملة فمرحلة الدلالة ويدخل بهذه الألفاظ حجرة الدرس في المدرسة، فأول ما يتعلّم الطفل الحروف من صورة الكلمة بالتفكيك؛ ليعيد تركيبها في الكلمة، ثم يركّب الجملة من الكلمات حسب تدرّج الأطوار في التعليم. وهذه العمليات التعلّمية يصاحبها نشاط الكتابة بالخط العربي الذي يعتبره الشاعر عنصراً جمالياً متنوعاً أشكاله كخط النسخ خادم القرآن الكريم، وهو الخط

¹ - جمال الطاهري: نفع الياسمين، ص: 26.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

المعتمد في الكتب المدرسية لشدة جماله ورونقه، وصغر حروفه وتلاحقها. فاستعمل الشاعر الألفاظ السابقة لكثرة تداولها عند الأطفال وعبر الشاعر عن ذلك بلفظ (مألوفة) فضلاً عن كونها دروساً يتعلمها الطفل في أنشطة اللغة، لذلك استعمل الشاعر لفظي (التحو والصرف) للدلالة على علم النحو، وعلم الصرف وأهميتهما في تعلم اللغة العربية التي أشار إليها بلفظ (الضاد) ذلك الحرف الذي يميزها عن لغات العالم.

وجمال الطاهري شاعر قادر على مسك اللغة من معجمه العام وتفعيلها للأطفال وفق معجمهم الخاص، وكأني بالرجل ينحت ويصنع، ويخترع، من أجل الدلالة الواعية في مطابقة للواقع الطفلي، فيرسم حصّة المطالعة في شكل أنشودة جميلة، ويصرّ مرة أخرى على فعل القراءة (هياً نقرأ القصة) ولفظ (القصة) جاء عاماً للدلالة عن التنوع فيما يقتنيه الأطفال حسب ميولهم ورغباتهم وأمزجتهم ويشير إلى المصطلح التربوي المستعمل في كل نشاط دراسي (الحصّة) ويشرح

كيفية قراءة القصة في حصّة المطالعة فيقول:

فلنعرفها فقره، فقره

ولنذكرها عبره، عبره

ولنعلمها درساً، درساً¹

في إشارة إلى تقسيم المضمون إلى فقرات باستعمال لفظ (فقرة، فقرة) واستخلاص العبرة من كل فقرة (عبرة، عبرة) بالمناقشة والتحليل، وهو بذلك يعرض خطوات حصّة دراسية لها أهميتها الكبرى في اكتساب اللغة، وتنمية الرصيد المعجمي، أجل ترك الأثر المعرفي، والاعتزازي، والجمالي، والترفيهي لدى الأطفال؛ بأخذهم حيث يريد من موضوع حسب استخدامه للكلمات وإن كانت بسيطة فهي تتناسب وجميع حالات النمو اللغوي وكل أولئك نابع من ثقافة الشاعر التربوية.

وشعر جمال الطاهري للأطفال فنّ قولي، يتخذ من الكلمة جسراً إلى نفوس الأطفال "فللكلمة دلالتها المعنوية التي اختفت وراء حروفها، وللعبارة التي تتألف من الكلمات فكرتها التي تتوارى خلف ألفاظها، ولهما معا-الكلمة والعبارة- دلالات وجدانية تكمن

¹ - جمال الطاهري: نفع الياسمين، ص: 26.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

فيهما، وتتجلى براعة الشاعر في استعمال الكلمات والعبارات استعمالاً يفتق أكامها عن شذى العاطفة، وريحان الانفعال¹ وكان ذلك عندما صدرت الكلمات عن نفسه، لتحل مباشرة في نفوس الأطفال، وتبعث عن طبعه متدفقة إلى وجدانيات الأطفال تهزهم هزاً رقيقاً. فله فضل السبق والامتياز في وصف المعلم لأطفال الجزائر؛ حيث راح يتقن في اصطفاء الألفاظ والأوصاف، التي تليق به، فاشتق من العلم اسمه ووسم به قصيدته (المعلم) ولم يجار من سبقه في النظم؛ بل تفرد بقوله:

اعلم من علمني حرفاً
أهداني النور بمشكاة
قد عانى السهد ليهديني
اعلم من علمني حرفاً
أمكث في العمر له عبداً
أهدت في الظلمة لي رشداً
ليحول أيامي سعداً
قد حررت من عقلي العبد²

فالمعلم هو الوحيد في المجتمع الذي يصطاد واقفاً في صحراء قاحلة لتورق خضرة يانعة بعد صيده، فكان من واجب المتعلم أن يعترف بفضلها، ولهذا الاعتراف استعمل الشاعر جمال الطاهري على لسان الطفل الألفاظ التي توحى بذلك (علمني، يهديني يحول، حرر، يشفيني، يحييني...) واستهل القصيدة بلفظ (اعلم) وكأنه يوقظ في المتلقي الصغیر غفلة بلون الجهل، ويهيئه ليلقي عليه قولاً على لسانه (من علمني حرفاً) وجاء بلفظ (من) ليدل على الإنسان العاقل دون تحديده بالاسم وربطه بلفظ (علمني) ليدل على كل من له صلة بتعليمه؛ لأنه لم يفصح عن شخصية (المعلم) في متن القصيدة إلا من خلال العنوان، ولم يذكر اسمه، واكتفى بأسلوب رسالته في الحياة، وهو توجه بصير حين يدل المضمون على العنوان، فيختم القصيدة بقوله:

ما عم الخير لمجتمع
إلا من فضل التعليم

والتعليم لا يقوم به إلا المعلم في مؤسسات التعليم العامة والخاصة وقد استعمل الشاعر فعل الأمر (اعلم) أكثر من مرة مصحوباً بالفعل الماضي (علمني) للتخفيف من حدة الأمر، ولم يستخدم ألفاظ المفاضلة كما فعل لفيق من الشعراء؛ لأن المعلم أرفع

¹ - سعد إسماعيل شلبي: الأصول الفنية للشعر الجاهلي، ط2، دار غريب، القاهرة، 1992، ص:34.

² - جمال الطاهري: الزهور، ج3، ص:02.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

من أن يقارن بتركيبات المجتمع الأخرى.

لقد سعى جمال الطاهري إلى أن ينمي عند الطفل مهارات اللغة قراءة وكتابة وسماعاً، من خلال الأساليب والألفاظ التربوية السهلة؛ التي لا تتجاوز مستوى تفكيره البسيط، حيث بثّ فيه روح الطمّوح العلمي، وحبّ المدرسة والدراسة، فخطبه بصيغة الأمر الجميل من جهة الطلب؛ لحصول العلم بلفظ (تعلم) التي كرّرها في مطلع قصيدة (عصر العلوم) 04 مرات بقوله:

تعلم، تعلم، تعلم، تعلم فعصرُك هذا لعصرُ العلوم¹

ويعيد نفس اللفظ ويسم به أنشودة (تعلم) ويكرّره في المطلع مرتين في قوله:

تعلم، تعلم وخذ بالعلوم
بعلمٍ تقدّم تتلّ ما تروم²

ثم ينقل اللفظ من صيغة المخاطب المفرد إلى المخاطب الجمع؛ ليخاطب جميع أطفال الجزائر في قصيدة (حيّوا البنين) في قوله:
تعلموا أيا صغاراً بالعلم تغدون الكبار³

وجمال الطاهري يصرّ على تعلم الفتاة فيتوجّه إليها بذات الخطاب الذي وجّهه للطفل، وحتى يضع الاثنين في الكفة نفسها استعمل نفس الفعل بصيغة المخاطب المفرد المؤنث، وفي مطلع قصيدة (طلب العلم) فقال:

تعلمي، تعلمي على العلوم أقدمي
إلى أن يقول:
تعلمي، وعلمي فأنتِ بنتُ المسلم⁴

¹ - جمال الطاهري: الزهور، ج1، ص:03.

² - المصدر نفسه، ص:03.

³ - جمال الطاهري: الزهور، ج4، ص:13.

⁴ - جمال الطاهري: نفع الياسمين، ص:23.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

نلاحظ أنّ الشّاعر قد عبّر بفعل الأمر (تعلم) بسياقات متباينة؛ أجلّ الوصول إلى الإفصاح عمّا يريد، وما يرمي إليه بكلّ وضوح، باعتناؤه بمنابع الجمال اللّغوي والعناية بطريقة التّأليف، واختيار اللفظة المناسبة للطفّل في الموضع المناسب وإن لم تختلف الدّلالة، فقد اختلف الفاعل في التّقدير. فكان شعره للأطفال في محور التّعليم والتّربية يحمل مضمونا ومعنى لا يحيل على التّفسير والشّرح القاموسي؛ لوضوح الأفكار التي تحملها الألفاظ البسيطة.

ونشير في الأخير إلى أنّ جمال الطّاهري من شدّة اعتناؤه بالكلمة في شعره للأطفال عمد إلى عنونة كثير من قصائده بكلمات مفردة نذكر منها: الهزة، الشّناء الفراشة، المعلّم، الشّاعر، القرآن، محمّد، نورّة، الدّعاء، البدر، الثلج، وهي ألفاظ مستعملة داخل حجرات النّشاط التّعليمي على هذه الهيئة فاجتلبها من الكتاب المدرسي؛ لمساعدتهم في العملية التّربوية والتّعليمية التي يتعرّضون لها.

2.2- على مستوى الجمل والتراكيب:

لقد قام الدرس النحوي في معظم أبحاثه على الجملة، من حيث تأليفها وطبيعتها ونظامها، ووظائفها "فهناك تفاعل قائم مستمر بين الوظيفة التّحوية والدّلالة المعجمية للمفرد الذي يشغل هذه الوظيفة. ويشكّل هذا التّفاعل بينهما مع الموقف المُعين، المعنى الدّلالي للجملة كلّها، والجملة هي الغاية الأولى لكلّ نظام نحوي، إذ يعمل على كشف تركيبها، ويحاول أن يربط بين الصّورة السّمعية المنطوقة لها، والمعنى المراد منها من خلال النّظام العقلي الذي يحكمها، والنّحو من اللّغة كالقلب من الجسم الإنساني"¹ ذلك أنّه إذا كان القلب يمدّ الجسم بالدمّ ليمنحه الحياة، فإنّ النّحو يمدّ الجملة بالمعاني ليمنحها صحّتها.

والجملة أحسن أنموذج يمثّل التّركيب بضم كلمة إلى أخرى في شكل إسنادي أو إضافي، أو وصفي، أو مزجي؛ للدّلالة على معنى، أمّا الكلام فهو "ما كان قائماً

¹ - محمد حماسة عبد اللّطيف: النّحو والدّلالة مدخل لدراسة المعنى النّحوي الدّلالي، ط1، دار الشروق، بيروت 2000، ص:19.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

برأسه غير محتاج إلى متمّم له، فهذا سمّوا ما كان من الألفاظ تامّاً مفيداً، كلاماً¹ أي أنّ الكلام لابدّ أن يكون مفيداً فائدة تامّة يحسن السكوت عليها، "بخلاف الكلمة فإنّ اللفظ فيها يدلّ على معنى مفرد، وبخلاف المركّب أيضاً فإنّه يمكن أن يكون المعنى فيه ليس تاماً، ومن ثمّ لا يحسن السكوت عليه، ومن ثمّ يكون الكلام بهذا المعنى أحد أشكال التّركيب"². وقد اختلف النّحويون في التّوحيد والتّفريق بين مصطلحي الجملة والكلام، فمنهم من طابق بينهما بقوله: "وأما الكلام فكلّ لفظ مستقلّ بنفسه، مفيد لمعناه وهو الذي يسمّيه النّحويون الجمل، نحو زيد أخوك، وقام محمد، وضرب سعيد، وفي الدار أبوك وصه، ومه ورويد، وجاء، وعاء، في الأصوات، وحسّ، ولبّ، وأفّ، وأوه، فكلّ لفظ مستقلّ بنفسه، وجنيت منه ثمرة معناه، فهو كلام"³ وهو بهذا المعنى جملة على حدّ قول أحدهم: "اعلم أنّ الكلام عند النّحويين عبارة عن كلّ لفظ مستقلّ بنفسه مفيد لمعناه ويسمّى الجملة"⁴ ويذهب آخرون مذهب التّفريق، حين بيّنوا أنّ الكلام أخصّ من الجملة وليس مرادفاً لها، فالكلام قول مفيد بالقصد، بينما الجملة عبارة عن الفعل وفاعله، فيقول أحدهم: "وبهذا يظهر لك أنّهما ليسا مترادفين، كما يتوهّمه كثير من النّاس... والصّواب أنّها أعم منه، إذ شرطه الإفادة، بخلافها، ولهذا تسمّعهم يقولون: جملة الشّروط، جملة الجواب، جملة الصّلة، وكلّ ذلك ليس مفيداً، فليس كلاماً"⁵ و يبدو أنّ بن هشام بقوله هذا يردّ على بن يعيش في قوله السابق؛ الذي طابق فيه بين الجملة والكلام.

وهناك جوانب أخرى كثيرة تناولها الدارسون في دراسة الشّعر بمعزل عن بعضها فالعروضيون تناولوا الوزن وبيان البحور وما يلحق بها من زحافات وعلل وأعاريض وأضرب وغيرها، والنّحاة اشتغلوا بالجمل والتراكيب لإثبات القواعد النّحوية، والبلاغيون تخصصوا في البيان والبديع وعلم المعاني كالتشبيّهات، والاستعارات بالتّفكيك وإعادة

¹ ابن جنّي عثمان أبو الفتح: الخصائص، ط1، ج1، مطبعة الهلال، مصر، 1913، ص:19.

² علي أبو المكارم: الجملة الفعلية، ط1، مؤسسة المختار، مصر، 2007، ص:21.

³ ابن جنّي عثمان أبو الفتح: الخصائص، ص:15.

⁴ ابن يعيش موقّق الدين يعيش بن علي: شرح المفصل (د، ط) ج1، إدارة الطّباعة المنيرية، مصر(د، ت) ص:20.

⁵ ابن هشام عبد الله جمال الدين بن يوسف الأنصاري: مغني اللّبيب عن كتب الأعراب، ط1، ج5، تحقيق:

عبد اللطيف محمد الخطيب المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2000، ص:08.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

التركيب "ولكن يظلّ النصّ الشعري وحدة تحتاج إلى تعاون هذه الجوانب المختلفة لتفسيره وشرح أبعاد تركيبها وبنائها اللغوي بطريقة تعتمد على مكونات البناء الشعري نفسه متعاونة لا متنافرة"¹ فتعاون كل هذه الجوانب وتضافرها يجعلنا نقف على أسرار الإبداع اللغوي في الشعر عامة، وشعر الأطفال خاصّة، على الرغم من صعوبة التناول، ذلك أنّ الجمل والتراكيب في النثر هي وحدة الكلام، ويمكن أن يتمّ معناها عند حدود الوقف في نهاياتها، بينما في الشعر قد تتوزّع أجزاء الجملة على أكثر من بيت، باعتبار هذا الأخير الوحدة الإيقاعية للقصيدة. فتتكسّر الجملة أحياناً على حساب الوزن، وتخرج عن المألوف وبخاصة في الأناشيد الموجهة للأطفال.

إنّ الكلام في شعر الأطفال يميّز بالتركيز، وليس فيه مجالات للإضافة والشرح والتفصيل كما هو الحال في النثر "ولذلك يعبر عن كثير من الحقائق في لفظ قليل كما يوحي بالفاظ لا يذكرها صراحة، وربما كان الوزن والقافية من أسباب هذا الإيجاز وربما القدرة الفنيّة للشاعر هي التي تمكّنه من الإلمام بكثير من المعاني في قليل من اللفظ، ومهما كان السبب فإنّ الإيجاز في الشعر من الأسباب التي تجتلب الطّفل وتهيّء له أسباب الحفظ السّريع بخلاف النثر الذي تطول تعبيراته وفقراته"² ومن ثمّ اكتسب شعر الأطفال أهمّيته كوسيلة تنمّي ذخيرة الطّفل اللغوية، وتزيد من معجمه اللفظي.

إنّ الشّاعر جمال الطّاهري ومن خلال تصفّحي لديوانيه قراءة ودراسة بدا لي أنّه ساءل نفسه قبل أن يبدأ بالكتابة الشعريّة للأطفال: لمن سأكتب؟ وبعد أن بحث لنفسه عن إجابات لتساؤله، وأدرك الخصائص العمريّة للأطفال راح يتمثّل الموضوعات واللّغة والأساليب المناسبة للكتابة لهم، فراعى في ذلك قصر الكلمات والجمل والتراكيب؛ التي هي قريبة من استعمالات الأطفال، قراءة وفهما، وعموما فقد تميّزت الجمل والتراكيب عند جمال الطّاهري في شعره للأطفال بما يلي:

¹ - محمد حماسة عبد اللّطيف: الجملة في الشعر العربي، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1990، ص:14.

² - هدى قناوي: الطّفل وأدب الأطفال (د، ط) مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2009، ص:109.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

- وضوح الأسلوب، وبساطة النسيج اللفظي، وشفافيته، وخلوه من الزخارف والتشبيكات في غير سذاجة؛
- التنوع في الجمل ما بين الجملة الاسمية، والجملة الفعلية، وأشباه الجمل.
- قلة التقديم والتأخير، وذلك ما يتناسب مع وتيرة الشعر الموجّه للأطفال بتقريب ركني الجملة وعدم المبالغة بينهما.
- المزج بين الأسلوب الخبري والأسلوب الإنشائي.
- انعدام الجمل الاعتراضية.
- بروز ظاهرة التكرار على مستوى الألفاظ والجمل، وهو مطلب حققه الطاهري بامتياز في كثير من قصائده الطفلية؛ لجلب انتباه الطفل، والتأكيد على اللفظة أو العبارة المكررة لتحقيق الوظيفة التعليمية والتربوية، والبعد الجمالي الفني.

1.2.2 - الجمل الاسمية:

يستخدم مصطلح (الجملة الاسمية) في التراث النحوي العربي للإشارة إلى كلّ جملة يتصدرها اسم، مع وقوعه ركناً إسنادياً فيها "وتتكوّن الجملة الاسمية عند النّحاة من: مبتدأ وخبر، أو مبتدأ مرفوع سدّ مسدّ الخبر أو ما كان أصله المبتدأ والخبر وبذلك تكون الجملة الاسمية عند النّحاة إطاراً يضمّ في حقيقته أنماطاً متنوّعة الصّيغة والمكوّنات، مختلفة الرّوابط والعلاقات..."¹ وهي تتكوّن من طرفين أساسيين هما: المسند والمسند إليه.

لم يشذ جمال الطاهري عن قاعدة الجملة الاسمية في شعره للأطفال واتّجه في معظمه الاتجاه التربوي، واستعمل فيه الجملة الاسمية في أبسط صورها: المبتدأ والخبر مجردان للإسناد بإخلائهما من العوامل (الجدُّ جهادٌ، العزّ بالشباب، الصنعة كنزٌ، الديكُ صاحٌ، العسرُ يعوّض بالعسر، السهدُ يفتحُ أجفاني، النورُ في الكتاب الزرع الأخضر بالوادي، الظلمةُ تزحفُ، الصبحُ طيفٌ، البردُ قاسٌ، الأفقُ خدٌّ شاحبٌ الصيفُ وهمٌ ينعشُ، أنتِ نبعُ الماء، قرآن ربّي دنيا ودين، فراشة ملوّنة، الضياء يعطي

¹ - علي أبو المكارم: الجملة الاسمية، ط1، مؤسسة المختار، القاهرة، 2007، ص: 18.

الشفاء...) وغير هذه الجمل كثير جدا في ديوانية لا يمكن الإحاطة بها كلها ويتضح أنه نوع في الخبر بين الاسم المفرد والجملة الفعلية، وشبه الجملة.

كما اتخذ الشاعر من الجملة الاسمية عناوين لكثير من قصائده الطفلية على غرار (العمل عبادة، حكاية عن الشتاء، زوبعة مفاجئة، أغنية الجيل الجديد عصر العلوم، درس الروضة، عرس الطبيعة...) وفي ذلك تنوع لاستعمال الجملة الاسمية وعرض بعض صورها بشكل قصير يحمل دلالات المضمون، ويشد انتباه الصغار ويشبع فضولهم.

2.2.2- الجملة الفعلية:

يعرّف التحوين الجملة الفعلية بأنها الجملة المُصدّرة بفعل، وهي الجملة المكوّنة من فعل وفاعل، أو ما كان أصله الفعل والفاعل، ولا يمكن دراستها خارج هذا الإطار لوجود العديد من الجمل التي لا يتصدّرها فعل ويعتبرها النّحاة جملا فعلية وهو ليس مجال بحثنا، والجملة الفعلية هي التي يكون فيها الفعل مسندا سواء تقدّم أو تأخّر مع دلالاته الزمنية على حدث في الماضي أو الحاضر أو المستقبل.

لقد وظّف الشاعر جمال الطاهري الفعل في الجمل الفعلية في زمن الماضي في مثل قوله من قصيدة (أدبني ربي):

أدبني ربي فأحسن التأديبا
والمرسلُ النبي هذبني تهديبا¹

ثم يسترسل في توظيف الفعل الماضي (نور، علمني، أعطاني...) لترسيخ البعد الديني الأصيل. ويعبر عن البعد التاريخي للثورة الجزائرية وحكاية الشهيد فيها بذات التوجّه فيكثر من استعمال الجمل الفعلية؛ لأنّ الشهيد وإن كان حيا عند الله عزّ وجلّ فإنّه ميّت في نظر الأطفال وذلك في أنشودة (شهيد الوطن):

دفعت الثمن ذمّاء ودم
لبست الكفن وخضت المحن

¹ - جمال الطاهري: الزهور، ج2، ص: 05

وعفت السّكن	لترعى الذّمم
صعدت الجبال	عشقت النّضال
أذقت العدا	كؤوس الرّدى
فكنت الفدا	لأفضل أم ¹

وفي وصف الشّتاء بعد حصول مظاهره في الطّبيعة يستعمل أيضا الفعل الماضي؛ ليدلّ على التّغير الذي حصل فعلا في الطّبيعة، لأنّ الطّفل يؤمن بالمحسوسات (عمّت، فرّت، أرعش، أرسلت، تتابعت، باتت، أغمضت، خلّفت، امتطت رمت، بكت، تساقط...) فخطابه في هذا المقام باستعمال الجملة الفعلية في زمن الماضي هو خطاب توتّر وحركة؛ لأنّ أغلب الأفعال المستعملة تؤشّر على الحركة وتفيض بالحيوية، وتستمدّ إشعاعاتها من تجربة الشّاعر وأصالته، ووعيه للكلمات ومواضع استعمالها ودلالاتها المناسبة لجيل الصّغار في اقتصاد لغوي إلى أدنى حد.

كما وظّف الشّاعر الجمل الفعلية في زمن الحاضر وأجرى على الفعل الاستمرار، ودلّ عليه بعلاماته (السين، سوف) في مثل قوله:

علمونا سوف نرعى واجبات الوطن

وقوله:

سيأتي الرّبيع بنيّ الحبيب سيأتي الرّبيع

سيأتي ويُزهر بين الورود بوجهٍ بديع²

والملاحظ أنّ جمال الطّاهري اعتنى بالأسلوب التّربوي؛ لتحقيق الفائدة التّعليمية للتّاشئين، الذين اختار لهم مصطلح (الجيل الجديد) الذي سيستمرّ معه التّهذيب وصولاً إلى كمال الشّخصية، ف جاء قلمه لهذا الجيل سهل العبارة "واضح الأثارة وألفاظ فصيحة غير حوشية ولا متجسّمة لصعب التّراكيب ومعاني رجيحة تتخرط

¹ - جمال الطّاهري: الزّهور، ج5، ص:18.

² - جمال الطّاهري: الزّهور، ج2، ص:16.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

في سلك مستحسن الأساليب وافية بكمال التّهذيب¹ فعين الفعل المضارع للمستقبل على السنة الناشئة فقال:

قسماً في العلم نبرعُ نبرعُ سوف نبرعُ
وسنّبنِي ألفَ مصنعِ نصنعُ ألفَ مصنعِ
وسنّبنِي من جديّدِ دولةً أرقى وأرفعُ²

فتوظيف المضارع هاهنا للدلالة على استمرارية الصّراع بين تخلف موروث عن المستعمر وثورة تشييد يستقبلها الجيل الجديد بعد الاستقلال، واستعمل الشاعر في ذلك حيّزاً لغويّاً يعبر عن فكرة هذا الصّراع تعبيراً مباشراً سهل الاستيعاب.

إنّ شعر جمال الطاهري للأطفال هو شعر العمالقة "في سموّه وبساطته وتشويقه وواقعيته، وسحره وعفويته، وهو نموذج يحتذى به في شعر الأطفال العربي المعاصر"³ بتقديمه أدباً جيّداً للأطفال وبخاصة في فنّ الشعر الذي كان فيه أكثرًا فكان شعره مشحوناً بالنّبرات الطّفولية والعالم الأليف، وقد نجح بجعل نصّه الشعري للأطفال ميسراً حين ابتدأ نصوصه بكلمات سهلة وجمل تثير اهتمام الصّغار "وهذا يعطيهم الثّقة بالقدرة على قراءة النصّ والاستمرار، ولو كانت البداية صعبة لنفر الطّفّل وتوقّف عن القراءة"⁴ فضلاً عن كونه خرق قانون الوعظ والأمر في أدب الأطفال بحداقة، فاستعمل فعل الأمر في جمل فعلية تامّة في أبسط صورها، وأنماطها التّركيبية، حيث لم تتجاوز الفعل والفاعل، أو الفعل والفاعل والمفعول به في جمل قصيرة مكوّنة من كلمتين أو ثلاث كلمات، فعمد إلى عنوان القصيدة بجمل فعلية يتصدّرها فعل أمر (زرعُ حُبّاً) وراح يعبر عن أفكاره باختيار الأفعال التي يحبّها الطّفّل ولا ينفر منها فيقول:

زرعُ يابني زرعُ حقّاً
خيرًا تجن خيرًا أبقي

¹ - أحمد زلط: أدب الأطفال بين كامل الكيلاني ومحمد الهراوي، ص: 19.

² - جمال الطاهري: الزهور، ج1، ص: 02

³ - إسماعيل عبدالفتاح: أدب الأطفال في العالم المعاصر، ص: 189.

⁴ - إبراهيم أحمد نوفل: أضواء على أدب الأطفال، ط1، دار مكتبة الكندي، الأردن، 2014، ص: 82.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

أزْرَعُ حُبًّا	أَسْعِدُ قَلْبًا
نَوِّزُ دَرْبًا	فَوَضُّ رَبًّا
أَرْسِلُ بِسْمَهُ	مِثْلَ النَّجْمَةِ
بَدِّدُ ظِلْمَهُ	حَلَّ الْكَلِمَةِ
اعْمَلْ يَا بَنِي	عَمَلًا مُتَقِنًا
جَوِّدْ، وَابْنِ	جَوِّدْ فِي الْفَنِّ ¹

ومما يلفت النظر أنّ الرجل على وعي بمن يخاطب، فقد خصّ في خطابه الشعري للأطفال كلّ تركيبات الأطفال من حيث الإفراد والتأنيث والجمع، فقد خاطب المفرد المذكر في الأنشودة السابقة، وخاطب المفرد المؤنث في أكثر من موضع نمثل له بقوله:

تَأَلَّقِي بَيْنَ النُّفُوسِ	كَمَا تَأَلَّقِ العُرُوسُ
وَنَوِّرِي لَيْلًا عُبُوسَ	فَمِنْكَ فَيْضُ الأَمَلِ
وَلِنَبْعِي فِيْنَا الهَنَا	وَرِدِّي أَحْلَى المُنَى
وَابْقِي دَوْمًا مَعَنَا	فَمِنْكَ فَيْضُ الأَمَلِ ²

أمّا خطابه لجماعة الأطفال باستعمال فعل الأمر فقد أكثر فيه ننتخب منه قوله:

اسْمَعُوا، وَاصْدَعُوا³ وَاَعْمَلُوا، وَاِبْرَعُوا³

وخلاصة ذلك أنّ الطاهري كاد أن يأسر الأطفال بمعانيه وصوره لولا أفعال الأمر التي كثرت في لغته الشعرية، ونزوحه إلى كثير من عبارات التوجيه التي قد يفرّ منها الطفل، وما شفع له أنّه قلبها على وجوه عدّة، يرسم ويلوّن، وكنت بصفتي دارسا لهذا النمط الشعري أمّني نفسي بثمار أخرى واعدة من شجرة شعر الطاهري للأطفال غير أنّ الموت غيبه في سنّ مبكرة.

¹ - جمال الطاهري: الزهور، ج5، ص: 05

² - جمال الطاهري: نوح الياسمين، ص: 20.

³ - جمال الطاهري: الزهور، ج2، ص: 09.

3.2- توظيف العامية والأخطاء الإملائية:

إنّ الانقسام حول استخدام الفصحى والعامية في أدب الأطفال يعدّ إشكالا متكرراً في كثير من الدول العربية منذ منتصف القرن الماضي بين أوساط الكتاب والنقاد المهتمين بالأدب، وتفرّقوا في ذلك مذاهب، فأقرّ بعضهم بضرورة الفصحى ومردّ ذلك إلى أنّ الطفل إذا لم يحصل على تأسيس قاعدي باللّغة العربية الفصحى من خلال ما يقدّم له من أدب في مختلف الفنون؛ فإنّه سيشرع لا محالة بأنّ الفصحى ليست لغته الحقيقية وإنّ أُنفع بحقيقتها فإنّه سيتسلّل إلى عقله أنّها لغة لا تصلح للعواطف ومواقف الترفيه واللّعب، وهو ما سيجبره على استعمال اللّهجة العامية لبلده أو اللّهجة المحليّة لقريته، في ظلّ الاستهلاك اليومي من قبل الإعلام الطّفي لهذه اللّهجات، ممّا أحرّ مستوى استعمال الفصحى حتّى في مؤسسات التّعليم الرّسمية في كلّ العالم العربي دون استثناء، فضلا عن تنافر اللّهجات داخل الوطن الواحد الذي يصعب تحديد معاجمها للأطفال على اختلاف الرقعات الجغرافية العربية، ممّا أوقعها على سلسلة متصلة من التباين وأطياف من التغيرات. فالعاميّة قد لا تتجاوز حدود البلد الواحد، ولا يمكن أن تكون لغة يفهمها كلّ أطفال العرب، واستعمالها في أدب الأطفال خطر يهدّد حياة العربية الفصحى، ويفسد لغة القارئ الصّغير وتوجّهنا هذا لا يرفض الرّأي القائل بأنّ العامية قادرة على حمل ونقل الوقائع بكلّ مصداقية إلاّ بما برّرنا سابقاً.

ويظهر توجّه آخر يدعو إلى توظيف العامية ضمن الإطار العام للفصحى باعتماد السّياقات المناسبة في أدب الأطفال، ويبدو لنا أنّ الأمر قد أجز فيه على مستوى القصّة "وهذا يعود إلى طبيعة النّص القصصي الذي يجعله قابلاً لاستخدام العامية إلى حدّ ما خصوصاً في الحوار؛ ولأنّ العامية شاع استخدامها في النّصوص السردية بصفة عامة"¹ ذلك أنّ العامية صالحة لنقل المواقف الكوميديّة الطّريفة، وتعكس حسب مريدي هذا التّوجه المستوى الذّهني للشخصيات الاجتماعيّة

¹ - العيد جلولي: النّص الشعري الموجّه للأطفال في الجزائر، ص: 415.

وثقافتها في النصوص السردية بينما الفصحى هي لغة المثقف، غير أنّ النص الشعري للأطفال لا يزال محلّ دراسة في ظلّ الإشكال السابق، ولا يزال شفيفاً لذلك.

إنّ استعمال العامية في شعر الأطفال ليس ظاهرة تستدعي النظر والدراسة وإنّما يأتي شذرات عابرة وبخاصة عند شعراء الطّفولة في الجزائر فجّلهم وظّفوا اللّغة العربية الفصحى في خطاباتهم الشعريّة للأطفال، ولم ينظموا قصائد كثيرة بلغة عامية وإنّ وظّفوا بعض الكلمات العامية في النسيج اللّغوي الفصيح، غير أنّ صاحبنا جمال الطّاهري كسر الرّتابة وفاجأنا بأنشودة كاملة بلغة عامية، وسمها ب: وصية شهيد ولكنه حاول عبثاً أن يجعلها عاميّة خالصة؛ لأنّه من دعاة القلم العربي كما سبق التّفصيل، فراح يطوّع الفصحى للعامية ويستبدل الحركات بالسكّات؛ ليجاري الأناشيد الثّورية الشّعبيّة التي انتشرت في السّتينات والسبعينات من القرن الماضي وهي مغامرة فنيّة على مستوى الاهتمام الطّفلي بهذا النوع من الأناشيد عند الأطفال، وبخاصّة وأنشودة (وصية شهيد) هي الوحيدة المكتوبة بلهجة عامية من بين ما يزيد عن 130 قصيدة طفليّة كتبها جمال الطّاهري للأطفال باللّغة العربيّة الفصحى، مكوّنة من 12 بيتاً دون لازمة مكرّرة، وهو ما يبعد عنها طابعها الغنائي، وجعلها على لسان الشّهيد وهو يخاطب أمّه، بأنّ ابنها سيعيش في كنف الجزائر المستقلّة، في شكل وصية ستتوارثها الأجيال، يقول في المقطع الأوّل:

يا أمّي ما تبكيش	وليدي راه يعيش
هاذي وصية أجدادي	نخلّيها لأحفادي
من أجلّ اعلام بلادتي	يسقطو الشّهدا ¹

نلاحظ أنّه زواج في هذا المقطع بين العربية الفصحى والعامية فاستعمل من الفصحى (يا أمّي، أجدادي، أحفادي، من أجل) أمّا بقية الألفاظ وما كوّنته من تراكيب فهي وإن كانت تنحو إلى العامية فاستعمالها متداول في اللّغة الدّارجة على ألسنة أطفال الجزائر.

¹ - جمال الطّاهري: الزهور، ج3، ص:18.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

ويبدو من الاستعمال العامي أن الشاعر نظم هذه الأنشودة في وقت مبكر من حياته أين كانت العامية قريبة من وجدان جمهور الأطفال قبل انتشار التعليم، وفصول محو الأمية، فيقول في المقطع الثاني، وهو يطالب بهناء الطفولة، بتفتح أزهار الفل، تحت ظلال الاستقلال، الذي حققه عندما قدم نفسه فداءً للوطن:

أُوْحَتَّى يَبْسَمَ الْفَلْ أُوِيَهْنَى طُفْلًا وَطُفْلَ
أُوُوُزُ الْبُدْرُ الْهَادِي يَتْبَسَمُ فِي الْبُوَادِي
بَاشْ نُحَقِّقُ مُرَادِي نَنْقُدُّمُ لِّلْفِدَا¹

وأمام الأفق اللغوي الضيق للهجة العامية، يقف الطاهري أمام ألفاظ لا تطاوعه في وصف الألق النفسي والعاطفي، وبخاصة وهو أمام نشيد إلقائي من أهم أهدافه تفجير روح الجمهور المتلقي؛ لإثارة الحماس، فاستعمل ما استعمله غيره من الصفات دون إثارة جديدة، ويحول الخطاب من على لسان الشهيد إلى خطاب عام موجّه لأمّ الشهيد، يقول في المقطع الثالث:

بُشْرَى أُمُّ الشَّهِيدِ أُوُلَيْدِكُ رَاهُ سَعِيدِ
فَازْ بَقُورْبِ الرَّحْمَنِ بِالْجَنَّةِ وَالْعُقْرَانِ
كِي نَادَانُو الْأُوَطَانَ اسْتَجَابَ لِلنَّادَا²

ويبدو أن العامية غير قادرة وحدها على التعبير بما يرمي إليه الشاعر فأعانها بألفاظ اللغة العربية الفصحى؛ كي تقف بقوة بالمعنى؛ لأنّ ألفاظ (الشهيد، الجنة الغفران) ليس لها بدائل لغوية في اللهجة العامية فوظفها الشاعر بهيئتها الفصحى.

ويستدعي الطاهري الشطر الأول من البيت الأول؛ ليعيد توظيفه بلفظه وتركيبه ليس بهدف التأكيد، وإنما لافتقار العامية على بديل لغوي آخر يصلح لإعادة الصياغة على لسان الشهيد مرة أخرى، فجاء المقطع الأخير مثقلاً بالشكل والتنقيط، وهو ما يحيل على أن قراءة الشعر بالعامية من أصعب القراءات على الأطفال، لتغيّر أوضاع الحركات، وكسر قواعد اللغة العربية الفصحى، بكثرة تتابع السكّنات، وهي هجنة

¹ - جمال الطاهري: الزهور، ج3، ص:18.

² - المصدر نفسه، ص:18.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

قد تمارسها اللهجة العامية على الفصحى فتسلبها جمالياتها. يقول الطاهري في آخر مقطع:

يَا أُمِّي مَا تَبْكِيشْ
أُولِيدَكْ كَانْ مُنَاضِلْ
بِلَّهْ مَا تُحْزُنِيشْ
بِاسْمِ الْإِلَهِ يُقَاتِلْ
حَتَّى يَهْزَمَ الْبَاطِلْ
أُويْطَرِدُ الْعِدَا¹

أما على مستوى الألفاظ فلم أعر للرجل على استعمالات كثيرة لألفاظ من العامية في قصائده بالفصحى، وما تمّ توظيفه كان لضرورة فنية ولمطابقة العروض بالضرب حتى يستوي اللحن، فوظف لفظ (يَامَا) وهي لفظة تستعمل في العامية للدلالة على الكثرة، مرتين في أنشودة (صوت ماما):

صَوْتُ مَامَا
صَوْتُ مَامَا
أَعَذِبُ يَامَا
حَلُو يَامَا²

واستبدل كلمة (دجاجة) بكلمة (جاجة) بحذف حرف الدال ليساوي بين (جاجة) في العروض و(جاجة) في الضرب مع العلم أنّ كلمة (جاجة) مستعملة كثيرا في بيئة الشاعر (ولاية المدية) وما جاورها، ودلّ على استيرادها من العامية بوضعها بين قوسين، فقال:

وَإِنْ رَأَيْتُ (جَاغَهْ)
وَأَسْرَفْتُ فِي الْبُعْدِ
تُبْغِي قِضَاءَ حَاغَهْ
أَدْبَيْتُهَا بِجَدِّ
أَشْبَعْتُهَا بِالنَّقْرِ
حَتَّى تَعُودَ تَجْرِي³

وكرّر ذات اللفظ وبنفس الطريقة في مسرحيته الشعرية (الدجاجة المخدوعة) فضلا عن لفظة أجنبية متداولة في العامية الجزائرية وجاء بها ليطباق بين العروض والضرب أيضا وهي (كرنفال) حيث قال على لسان الطفل الراوي:

وبينما المكان
يعمه الأمان

¹ - جمال الطاهري: الزهور، ج3، ص: 18.

² - جمال الطاهري: الزهور، ج5، ص: 10.

³ - جمال الطاهري: الزهور، ج4، ص: 09.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

وإذا بظلاً (جاجة) يطلُّ من زجاجة
سوداءَ حبشيَّة في طلعة وحشيَّة
قد قفزت في الحال في زيِّ (كرنفال)
وانزلقت في الخمِّ كغارق في الجرم¹

كما تتأثرت ألفاظ أخرى عامية في مسرحه الشعري للأطفال ولكنها محدودة من مثل: سردوك (مرتان) الحومة، تأتي (اسم لباس) كاتي (اسم محل تجاري) حقار سومة (ثمن) ميكى (اسم حيوان) دربوكة، بهذلة (لفظة عامية مصرية) العنروسة (العنزة) فهي كلمات كثيرة التداول بين الأطفال واستجلبها لضرورات شعرية وإضفاء حركية موسيقية على نصوصه المسرحية الشعرية.

إن من أهم وظائف شعر الأطفال تنمية الجانب اللغوي عند الأطفال الذين يعتقدون في كل ما يقدم لهم من أدب، الصحة والسلامة من الأخطاء بشتى أنواعها، غير أن كثيراً من شعراء الطفولة وقعوا في أخطاء جسيمة لا تغتفر في حق الطفولة، وما أكثر الدواوين الموجهة للأطفال المليئة بالضعف اللغوي، في جانبه النحوي، والفني. ولم يسلم صاحبنا الطاهري من ذلك، وإن كان كبيراً في مستوى لغته وموهبته الأدبية التي تحكّم في مستوى لغتها، فقد أورد في قصيدة (الدبك كوكو) خطأ إملائياً واضحاً بذكره لفظ (يقضان) بالضاد وكررها في البيت الثاني والبيت السادس، وحقيقة كتابتها أن تكتب بالطاء (يقطان) حيث قال:

وهوايتي صنعُ المفاخرُ وعلى الحمى يقضانُ ساهر²

ولا شفاعة للطباعة في ذلك؛ لأن القصيدة مكتوبة بخط جميل بلسان القلم، والدليل القاطع على أنه خطأ إملائي ورودها صحيحة في موضع آخر:

وبيئما الدبكُ يدورُ يقضانُ فوق السور³

¹ - جمال الطاهري: الدجاجة المخدوعة (مسرحية شعرية للأطفال) ط1، مؤسسة أشغال الطباعة، المدية، 1992 ص:02.

² - جمال الطاهري: الزهور، ج4، ص:09

³ - جمال الطاهري: الدجاجة المخدوعة، ص:05

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

كما جمع لفظ (دَمّ) على (دَمَى) بهذا الشكل في قوله:

بهم دَمَى صلاح الدين وأحمد الهادي الأمين¹

والأصح أن "دَمّ" مثناه دَمَان ودَمِيَان ودَمَوَان، جمعه دِمَاءٌ ودَمِيٌّ ومصغره دُمِيٌّ" وإن قصد لضرورة شعرية أو موسيقية كان الأجدر أن يمدّ الألف (دِمَا).

ووظف صوت الأسد (الزئير) في غير موضعه ونسبه إلى الفهد الذي صوته (التئيم)

في قوله:

ويمدحُ الجنديَّ فهذاً في سبيلِ الله يزأُر²

ويبدو أن الشاعر أراد أن يستعير صفتي السرعة والشجاعة؛ ليصف بهما الجندي الجزائري في ساحة الجهاد، فالسرعة من صفة الفهد، والشجاعة من صفة الأسد، وهما صفتان قد لا تتوفران معا في أحد الحيوانين، وقد يكون حرف الروي هو الذي أجبره أن يستعمل (يزأُر) بدلا عن (ينأم).

4.2- توظيف اللغة الشعرية الصعبة:

لقد ناقشت في الفصل الأول ضرورة موازنة أدب الطفل لمراحل الطفولة وضرورة تقنين مضامينه لكل مرحلة، وترجع هذه الضرورة "إلى توفير إنتاج أدبي يتميز بموافقته لمستويات الأطفال في مختلف المراحل، وهذا من شأنه أن يمكّن الدارس من الحكم على هذا الإنتاج إن كان صالحا لهذه الشريحة أم لا من نواح عديدة، لعلّ أبرزها إن كانت لغة هذا العمل في مستوى الأطفال أو تتجاوز مستوياتهم"³ وهذا ما لم يبرز عند كلّ شعراء الطفولة، حيث جاءت دواوينهم موجّهة في عناوينها إلى الأطفال بعامة، ممّا يثقل كاهل الدارس في البحث عن هذه التوأمة التي غيبها الشعراء.

وجمال الطاهري اكتفى في ديوان (نوح الياسمين) بإضافة عبارة (مجموعة أناشيد للأطفال) دون تخصيص مرحلة معينة، وعنون الجزء الخامس من ديوان الزهور

¹ - جمال الطاهري: الزهور، ج4، ص:12.

² - جمال الطاهري: الزهور، ج3، ص:04.

³ - العيد جلولي: النص الشعري الموجه للأطفال في الجزائر، ص:189.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

ب: الزهور للأطفال، بينما الأجزاء من واحد إلى أربعة أضاف إليها فضلاً عن العنوان (الزهور) عبارة (قصائد للفتيان والفتيات) أما مسرحيته الشعرية فقد وسمها ب: الدجاجة المخدوعة (مسرحية شعرية للأطفال) وشتان بين الفتى والفتاة والطفل في قواميس اللغة؛ ولكن في معرض إهدائه في الجزء الثاني من الزهور يقول:

إلى كلِّ طفلٍ صغيرٍ وطفلةٍ

أقدمُ ألفَ سلامٍ وقُبْلَةٍ

وأجمعُ من ضوئِ عينيَّ شُعْلَةٍ

تضيءُ الأزاهيرُ...¹

فبذكرة لفظ الطفل والطفلة يؤكد أنّ ديوانه الزهور بجميع أجزائه موجّه للأطفال والأعجب أنّه أضاف صفة (صغير) إلى لفظ (طفل) للتأكيد على ذلك وعدّد من صورة الطفل في شعره للأطفال؛ ليضيف في صفحة (كلمة لا بدّ منها) في الجزء الرابع من ديوان (الزهور) قوله: "من قال: إنّ تلامذة مدارسنا لا يقرأون! من قال: إنّ أطفالنا لا يطالعون! من قال: إنّ أحبّاءنا الصغار لا يتذوقون الشعر ولا يحسون!..."² وإيراده لعبارة (تلامذة مدارسنا) دليل على عنايته باهتمامات كل مراحل الطفولة وبخاصة ما بعد مرحلة الإيهام أي من سن السادسة إلى سن الثانية عشر وهي مراحل الدراسة من بدايتها حتى نهاية المرحلة المتوسطة، ولم يكثر في الكتابة لمرحلة اليقظة الجنسية، وقد انطلقت أحكامي كدارس لهذا اللون الشعري وبخاصة في دراسة الموضوعات من هذا المنطلق.

وعلى الرّغم من ذلك فقد برزت في شعر جمال الطاهري للأطفال نصوص محمّلة بالغموض؛ لأنّها لم تكن موجّهة أصلاً للأطفال، ولكنّه أدرجها في ديوانيه للأطفال فها هو يستبيح قائمة الممنوعات في أدب الطفل، ويركن إلى نوع من الشكوى حين مسّته البلوى (شكاة مريض) في تصريح علني مضر برهافة الحس عند الأطفال، ويعبّر عن تجربة شخصية ذاتية صادرة عن كبير وموجّهة لكبير ويشرح ذلك بقوله: "كتبتُ إلى الصديق الشاعر محمد بن رقطان" حيث يقول :

¹ - جمال الطاهري: الزهور، ج2، ص: إهداء.

² - جمال الطاهري: الزهور، ج4، ص: كلمة لا بدّ منها.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

شَكَوْتُ إِلَيْكَ شَكَاةَ الضَّعِيفِ
وَأَعْلَمُ أَنَّ ضُرُوبَ الشُّكَاةِ
وَلَكِنْ لِي فِي الْبَرِيَّةِ قَلْبًا
إِذَا مَاسَ يَوْمًا خِيَالَ نَسِيمِ
وَيَعْلَمُ رَبِّي لَكُمْ قَدْ صَبَّرْتُ
أَبُوحُ إِلَيْكَ بِسَرٍّ مَرِيضِ
عَلَيْهِ تَفِيضُ ضُرُوبِ الِهْمُومِ
يَقُولُ بِهِ الْكُلُّ: سُحْقًا لَغَيْرِي
شَكَاةَ الْوَرِيْقَةِ فَصَلَ الْخَرِيفِ
لَغَيْرِ الْإِلَهِ لِأَمْرٍ سَخِيفِ
أَرْقُ مِنَ الْفُلِّ فَهُوَ رَهِيْفِ
يُخَلِّئُهُ الرُّعْبُ فَهُوَ رَجِيْفِ
وَكَمْ هَزَّنِي أَلْفُ كَرْبٍ مُخِيفِ
وَمَا لَهُ فِي الْكُونِ غَيْرُ الْقَرِيضِ
بَكُونِ غَدَا وَجَهَ وَحْشٍ بَغِيضِ
فَلِي مَفْرَدًا كُلُّ عَيْشٍ غَرِيضِ¹

والقصيدة لا تزال طويلة، وهو مطبّ آخر في شعر الأطفال يصيب الأطفال بالشتات، وسرعة الملل، والعزوف عن المتابعة، وقد أثبت الشاعر هذه القصيدة في غير موضعها، ولا يمكن تصنيفها تحت شعر الأطفال، لأنّ الطّفولة أبعد ما يكون خيالها عن تصوّر ما يرمي إليه الشاعر من خصوصيات شعرية وكثير من ألفاظها يخرج عن بنية اللّغة الملائمة لشعر الأطفال (الشكّاة، يخلخل، رجيف، كرب، القريض غريض...) فإذا ما كانت الألفاظ اللّغوية معقّدة، كان الإيقاع أعقد منها، لأنّ الطّفّل يتكلّم ويفهم اللّغة التي يغنيها.

كما ورد في شعره للأطفال مجموعة كلمات يستدعي فهمها الرّجوع للقواميس إذ من الصّعب على الأطفال فهمها في السياق من مثل (بنتلة، الأفواف، الفرقد، هامات سبب...) ولكنه لم يكثر منها، وما إيرادها في مواضعها إلّا إغناء للقصيدة الطّفلية وتوفير قوة الفكرة التي يعالجها، ودفع الطّفّل إلى تعلّم البحث في القواميس اللّغوية التي يجب توفيرها على مستوى البيت والمدرسة؛ فاللفظ الصّعب ليس كلّ شرّ في شعر الأطفال.

وفي مدلهمة عاطفية خيالية مجازية أخرى يقول في بعض أبيات من قصيدة نثرية (وفاء):

¹ - جمال الطاهر: الزهور، ج4، ص:12

وَحُنَّتْ طَرِيقِي!!

جَعَلْتَ الْعِرَاقِيلَ عِبْرَ طَرِيقِي

وَأَلْبَتَ ضِدِّي كُلَّ رَفِيقِي

وَأَجَّجْتَ قَلْبِي أَشَدَّ الْحَرِيقِ¹

فهذه المقطوعة لا تطرح قيمة تربوية مباشرة، وتخرج عن أدبيات الطفل بإغراقها بالتعابير المجازية، فالطفل لا يعي اشتعال القلب بالحريق، ولا خيانة الطريق، إلا بما هو مجسّد حسّي، ولا حتّى عراقيل الطريق، وكلّها مجازات عقلية بعيدة عن تصوّرات الطفل. بالإضافة إلى أنّ الأفعال المستعملة (أججت، ألبت) تحمل طاقة جيّاشة من العواطف وتعبّر عن مشاعر ذاتية لا يمكن تبسيطها للصغار.

ومن المفارقات العجيبة عند جمال الطاهري في شعره للأطفال استعماله للفظ المميّز السهل الرشيّق والموسيقى العذبة، دون تمزيق لأوصال العبارات واسترساله بملاحة ولطافة في مخاطبة جمهوره الصّغير، ولكنّه يستعمل الفخم من الصّورة ممّا يجعل المعنى غير مكشوف، في اللفظ القريب المعروف، وهذا كشف لذلك من خلال مقطع من قصيدة نثرية (تحت وابل من المطر):

وكلّما تساقط المطرُ

شعرتُ بانّثشاءٍ كَمِثْلِ رِيشَةِ الوترِ

رَقِصْتُ حَتَّى خِلْتَنِي مِنْ رَاقِصِي العَجْرِ

وكلّما تساقط المطرُ...،

تتهدّت جَوَانِحِي، تَحْسِبُهَا أَضْمُومَةَ

الرَّهْرِ

زَالَتْ بِهَا مَخَاوِفِي مَخَاوِفُ السُّهَادِ

وَالسَّهْرِ

وَأَصْبَحْتُ حَدِيقَتِي مَأْوَى لِلشَّمْسِ وَالقَمَرِ

فَلتُعُولِي سَفِينَةَ الرِّيحِ

¹ - جمال الطاهر: الزهور، ج4، ص:15.

ولتستسيغي قصة الدُموعِ والعذاب
والجِراح¹

ففي نظمه عبارات تفيد تقويم لسان الطفل، صحيحة في تكوينها النحوي ولكنها صعبة على الفهم، إلا لمن كان له حظٌ وافر من التأدب المبكر في مثل قوله: (شعرتُ بانثشاءً، تنهدتُ جَوَاحِي، فلتُعولي سفيئةَ الرِّياحِ، مأوى للشمسِ، ولتستسيغي، قصةَ الدُموعِ...) فهذه الألفاظ والعبارات لا يجري استخدامها على لسان الطفل، ولكن اتساع الشاعر لاستجلابها يعوّل فيه على فهمها بالاستخدام من قبل الأطفال، ودفعهم إلى التفاعل مع النص الشعري ومضمونه.

خلاصة:

وخلاصة القول، أنّ اللغة الشعريّة في شعر الأطفال عند جمال الطاهري تميّزت بالسهولة والبساطة في الألفاظ والتراكيب، وجاءت الجمل تقريرية وقصيرة في شبه محاكاة للغة الواقع الطفلي المعيش، التي من السهل أن يفهمها الطفل، أو يحصل معناها أمّا الألفاظ الصعبة فهي نادرة، وإن وجدت فهي من قبيل الجديد الذي يثري قاموس الطفل اللغوي، ويرفع من مستواه التواصلي الذي أعتبه اللهجات العامية، وبعض الاستعمالات الأجنبية التي فرضت نفسها في البيئة اللغوية الجزائرية، حتى داخل الحجرات الدراسية في المدارس؛ ولم يستعمل الألفاظ الفجة التي أوقعت غيره في الإسفاف اللغوي، ولم يزوج بين الفصحى والعامية إلا في القليل الذي لا يذكر لدواعي فنية، ولم يجنح للعامية كلغة شعرية إلا بما بيّنته في موضعه.

لقد اعتمد جمال الطاهري في لغته الشعريّة على ثقافته العربية الأصيلة وموهبته الأدبية، فكانت خير تمثيل للاتجاه التربوي لفترة ما بعد الاستقلال، الذي تبنّى اللغة السهلة غير المحلّقة، والقريبة من متناول الأطفال، في غير تعقيد لفظي مع متانة التركيب بصياغة فصيحة تتميز بالاقتصاد اللغوي؛ وذلك ممّا يقع في حدود معجم الطفل اللغوي

¹ - جمال الطاهري: الزهور، ج4، ض:11.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

أو مستوى هذا المعجم في إطار مداركه وبيئته وخبرته. فكان هذا العطاء الشعري الطفلي دليل على أصالته الشعاعية وتكريس حياته لتربية النشء، وإشباعه بالفن والحياة .

امتلك جمال الطاهري طاقة عميقة وجياشة سلط شعاعها على الكلمة فجعلها تهوم حاملة شحناته النفسية التي تجمع بين الماضي والحاضر وآمال المستقبل، بما يستطيع القارئ الصّغير استيعابها، في تركيبات سحرية غير مفتعلة، استطاع من خلالها أن يلّم إليه انتباه الأطفال ويقظتهم ودهشتهم.

الفصل الثاني :

بنية الصورة الشعرية والتشكيل الموسيقي

تمهيد

1- الصورة الشعرية

2- التشكيل الموسيقي

خلاصة

تمهيد:

تتعدّد وسائل التّليغ للوصول إلى الغايات بتعدّد الفنون البشرية الجميلة لحصول التأثير في جمهور المتلقّين، والشّعر الذي يشنّف الأسماع، ويأخذ بمجامع القلوب يعتبر من أرقى هذه الفنون، وغايته أيضاً التأثير في المتلقّين عن طريق اللّغة باعتباره نشاطاً إنسانياً تخيلياً، يتميّز في طبيعته، ودقّة معانيه ولطافة الخيال فيه، عن الفنون الجميلة الأخرى، وانطلاقاً من ذلك "يحاول النّقد المعاصر النّفاذ في نسيج العمل الشعري، وتأمّله باعتباره بنية من العلاقات يكشف تفاعلها عن معنى القصيدة، كما يشير إلى طريقتها المتميّزة في إثراء المتلقّي، وتعميق وعيه بنفسه، وخبراته بالواقع، ومن هذه الزّاوية تظهر أهمّية الصّورة الفنّية للنّاقد المعاصر، فهي وسيلته التي يستكشف بها القصيدة، وموقف الشّاعر من الواقع، وهي إحدى معايير الهامة في الحكم على أصالة التّجربة"¹ وكذا قدرته على تشكيلها في أنساق يحقّق من خلالها نقل فكرته وعاطفته معاً إلى قرائه أو سامعيه .

إنّ بنية المعنى في الشّعر الموجّه للأطفال تتولّد من صورته التي تتميّز "بأنّ كلماتها محدّدة في معظم الأحيان، وتقوم فيها علاقة متبادلة بين أشياء مخلوقة، وغالبا ما تنتمي إلى عناصر طبيعية، وإذا كان من الممكن لبعض هذه الكلمات أن تمسّ شعورا ما فإنّ الصّورة تصبح أشدّ حساسية كلّما تعلّقت بشعور جوهري لدى الإنسان"² فضلا على إثارة الخيال، ودفع الدّهن إلى المتعة القصوى بجمالية الصّورة؛ التي تنبثق من تفاعل المشاعر العميقة المخترنة في روح الشّاعر الذي يكتب للأطفال؛ التي تمكّنه من صياغة تجربته ومواقفه الشعريّة في منمنمات شعريّة طفليّة متفرّدة بأجمل الصّور، ذلك أنّ "الشّعر صياغة، وضرب من النّسج، وجنس من التّصوير"³ فاللّغة بألفاظها التّعبيرية تشكّل عمادة هذا الضّرب، وتشكّل العاطفة روحه، وتجمع فضاءات الخيال وآفاق التأمّل، وكلّ

¹ - جابر عصفور: الصّورة الفنّية في التّراث النّقدي والبلاغي عند العرب، ط3، المركز النّقافي العربي، بيروت، 1992 ص:07.

² - صلاح فضل: نظرية البنائية في النّقد الأدبي، ط1، دار الشّروق، القاهرة، 1998، ص:239.

³ - الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: كتاب الحيوان، ط2، ج3، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1943، ص:132.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

ذلك؛ لتحديد معالم الصورة التي يتفاعل معها المتلقي الصّغير مظهراً ومضموناً؛ لتلمّس البواطن الشعورية.

وأهمّ ما يميّز مظهر الشّعر "موسيقاه وطريقة كتابته رعاية لهذا الجانب الإيقاعي. وقد أكّدت تجربة الإنسانية في كلّ العصور وكلّ اللّغات أنّه لا شعر بلا موسيقى"¹ ذلك أنّ الموسيقى تؤثر تأثيراً فعّالاً في التّشكيلات الجمالية للشّعر، بتضافر الأصوات اللّغوية حيث تتناسق في نظام خاص محدثة إيقاعاً تعبيرياً عما يختزنه الشّاعر من حالة عاطفية في شكل إحياءات نصّية مموسقة، وهذا الإيقاع يكون محبباً إلى نفس الطّفل، ويتحوّل نتيجة التّدوّق إلى سلوك إيجابي معبّر "يصدر من الطّفل نتيجة لسماعه عمل موسيقي وتفاعله معه عقلياً ووجدانياً، وهذا السلوك الإيجابي غالباً ما يتّخذ أشكالاً مختلفة من التّعبير الحركي عن الموسيقى المسموعة، وهذه الأشكال المختلفة من التّعبير الحركي هي التي يمكن قياسها وتقديم نسبة التّدوّق على أساسها"² وهو ما أفادت به العديد من الدّراسات وتأكيداً على أنّ الموسيقى تمتلك القدرة التّعبيرية، والإنسان يمتلك القدرة على الاستجابة لها من خلال تفاعله معها.

1- الصورة الشعرية:

1.1- مفهوم الصّورة الشعرية:

تعتبر الصّورة كشف نفسي في تشكيل الشّعر الجميل، وتتفجّر تشكيلاتها الشعرية "على أساس من حقائق الفلسفة الجمالية النّظرية...وفقاً لثقافة الشاعر ومدى وعيه بحقيقة التّعبير الفنّي"³ تزامن وجودها مع وجود الشّعر عبر الأزمنة المتعاقبة، غير أنّ المتلقي كان ولا يزال يتفاعل معها كمصطلح باستعمالات عدّة: الصورة الأدبية، الصّورة الفنّية الصورة الشعرية، والتّصوير الفنّي، مما صعّب الامساك بتعريفها تعريفاً جامعاً حيث اختلف النّقاد والدارسون والباحثون في فهمها وتحديد معالم دلالتها النّقديّة؛ وهذه الدّلالات

¹ - محمد حسن عبدالله: الصّورة والبناء الشعري، (د، ط) دار المعارف، القاهرة، 1981، ص: 09.

² - شريف إبراهيم خميس: التّدوّق الموسيقي، ط1، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 2011، ص: 05.

³ - عزالدّين إسماعيل: التفسير النفسي للأدب، ط4، دار غريب، القاهرة (د، ت) ص: 88.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

المختلفة لمصطلح (الصورة) واستعمالاته المتعددة "تشكل لدى أي باحث في نطاق الأدب متاهات كثيرة وتقيم أمامه صعوبات جمّة، وتضع في طريقه عقبات كأداء، فأية دلالة يمكن أن يتخذها أساساً لدراسته مادامت الصورة بطبيعتها فضلاً عن دلالاتها - تقع في منتصف الطريق بين الفنّ والفلسفة"¹ كما أشرت سابقاً؛ حتى ليكاد يشعر الباحث وهو يقف عليها أنه أمام تعريفات لأشياء متعددة، لا أمام تعريفات لشيء واحد؛ لأنّ موضوعها قديم ويتجدد باستمرار، إذ لم تكن غائبة على أعين القدماء؛ بل كانت واضحة أمامهم وانتشرت في آرائهم، فقد تجسّدت أول ما تجسّدت بالإشارة والتّحديد في التراث النّقدي العربي في قول العلم الشّامخ الجاحظ في قوله: "والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي. وإنّما الشّأن في إقامة الوزن، وتخيّر اللفظ، وسهولة المخرج، وفي صحّة الطّبع وجودة السّبك. فإنّما الشعر صياغة، وضرب من النّسج وجنس من التّصوير"² فالجاحظ وإن لم يحدّد معنى الصورة أشار إلى عناصرها إذ الفنّ الشّعري يقوم عنده على "الوزن وصحة إقامته، الطّبع والابتعاد عن التّكلف، الصّيغة اللفظية البارعة، الوحدة العضوية أو جودة السّبك أو النّسج المتقن، وأخيراً القدرة على التّصوير وبراعة الشّاعر الخيالية في رسم صورته وتفردّه في ذلك الخيال"³ وهي من أهمّ الأركان في تكوين الشعر، وبها يؤسس الجاحظ للعناصر الأدبية للتّصوير لذلك يعتبر مفهوم التّصوير عند الجاحظ من أوليات التّحديد الدّلالي لهذا المصطلح، بوضعه الملامح الأساسية للتّصوير في العمل الأدبي.

وغير بعيد عن الطّرح السّابق يتناول قدامة بن جعفر حرّية الشّاعر في اختيار معانيه، وحسن تصويره لشعره بجميل اللفظ وحسن التّشكيل بقوله: "إنّ المعاني كلّها معرضة للشّاعر وله أن يتكلّم منها في ما أحب وآثر من غير أن يخطر عليه معنى يروم الكلام فيه، إذ كانت المعاني للشّعر بمنزلة المادّة الموضوعية، والشّعر فيها كالصورة، كما يوجد في كلّ صناعة من أنّه لا بدّ فيها من شيء موضوع يقبل تأثير الصورة منها مثل الخشب للتّجارة، والفضة للصّيغة، وعلى الشّاعر إذا شرع في أي معنى كان من الرّفعة

¹ - نعيم اليافي: مقدّمة لدراسة الصورة الفنّية (د، ط) منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي، دمشق، 1982، ص: 46.

² - الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر: كتاب الحيوان، ج3، ص: 131-132.

³ - عناد غزوان: مستقبل الشّعر وقضايا نقدية، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، 1994، ص: 114.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

والضعة... والمدح وغير ذلك من المعاني الحميدة أو الذميمة أن يتوخى البلوغ من التجويد...¹ فهو يعتبر المعاني مادة الشعر التي يشكّل منها الشاعر قصائده في الأغراض المختلفة، وبراعة الشاعر عنده تبرز في اللفظ والشكل، لا في المعنى والفكرة وبذلك تتحدّد الصورة عند قدامة بن جعفر من خلال كونها غاية لفهم الشعر بتشكيل المادة وصياغتها وتزيينها وتحسينها، كما هو الشأن مع الخشب والفضة.

أمّا عبد القاهر الجرجاني فقد جمع بين تصوير الجاحظ وصياغة قدامة في قوله: "ومعلوم أنّ سبيل الكلام سبيل التصوير والصياغة، وأنّ سبيل المعنى الذي يُعبّر عنه سبيل الشيء الذي يقع التصوير والصوغ فيه، كالفضة والذهب يصاغ منهما خاتم أو سوار. فكما أنّ محالاً إذا أنت أردت النظر في صوغ الخاتم، وفي جودة العمل وردائه، أن تنظر إلى الفضة الحاملة لتلك الصورة... كذلك محال إذا أردت أن تعرف مكان الفضل والمزية في الكلام أن تنظر في مجرد معناه"² فقد نظر إلى أنّ المعنى والمبنى ينتظمان في الصورة الشعرية ولا فضل أو مزية لأحدهما دون الآخر، ويبدو لي أنّه انطلق من العلاقات النحوية في نظرية النظم لتحليل مفهوم الصورة الشعرية حين ربطها بالصياغة، وأنّ جماليات الصورة لا تتأتى من الكلمات وحدها؛ بل حتّى من المعاني الخفية وراءها، فمفهومه للصورة جعله يلجأ إلى المقابلة بين الشعر والرسم "وقد تواردت على ذهنه خواطر متشابكة بين المعنى في النحو، والمعنى في الزخرفة والمعنى في جماليات الشعر"³ فهو يقابل بين الصورة الشعرية والزخرفة من الناحية الجمالية الشكلية، ومن ناحية إثارتهما للحواس، وي طرح الجرجاني "أسئلة كثيرة حول طبيعة الصورة الشعرية، ودلالاتها النفسية، وعلاقتها بذات الفنان، وفعلها في ذات المتلقّي، لكنّه، في الوقت نفسه، يطرح أسئلة مهمّة حول علاقة الصورة بسياقها المباشر

¹ - قدامة بن جعفر: نقد الشعر، ط1، مطبعة الجوائب، القسطنطينية، 1302هـ، ص: 04.

² - الجرجاني عبد القاهر بن عبد الرحمن: دلائل الإعجاز (د، ط) تعليق: محمد محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة 1984، ص: 254-255.

³ - عمر محمد الطالب: نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني وعلاقتها بالصورة الشعرية، مجلة آفاق الثقافة والتراث العدد: 31، جامعة الموصل، العراق، أكتوبر 2000، ص: 39.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

وسياق التجربة الشعرية الكلية¹ في كثير من نصوصه التراثية، حتى تجلّت الصورة الشعرية عنده مجازاً وانطباعات حسية ورموزاً، وبذلك عدّ أول من بسط القول في الصورة أثناء استناده العميق للإبداع الشعري على الذوق الفني.

أمّا في النقد الحديث فقد اندرج مفهوم الصورة الشعرية تحت رؤية مختلفة "فقد كانت الصورة الشعرية، دوماً، موضوعاً مخصوصاً بالمدح والتثناء إنها هي وحدها التي حظيت بمنزلة أسمى من أن تتطّلع إلى مراقبها الشامخة باقي الأدوات التعبيرية الأخرى والعجيب أن يكون هذا موضع إجماع بين نقاد ينتمون إلى عصور وثقافات ولغات مختلفة. ولهذا أمكن القول: إنّ الصورة الشعرية كيان يتعالى على التاريخ"² إذ لكل عصر أذواقه اللغوية وتصويراته الخاصة به، مما يجعل الصورة الشعرية تتعالى على المكان والزمان، وتتعالىها تعددت الدراسات التي تناولتها؛ حتى صعب حصرها، وعلى الرغم من تباين النظرات والرؤى، فقد أجمعت معظم الدراسات على البعد الدلالي للصورة الشعرية من خلال إحياء الشعراء وتأثيراتهم، إذ تأتي مشحونة بعواطفهم الروحية بما يبيّنونه فيها من أنفاسهم الذاتية.

وعلى هذا لا يمكن الإحاطة بها إلّا من خلال التمثيل لها، فهي "الشكل الفني الذي تتخذ الألفاظ والعبارات بعد أن ينظمها الشاعر في سياق بياني خاص؛ ليعبر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية الكاملة في القصيدة مستخدماً طاقات اللغة وإمكاناتها في الدلالة والتركيب والإيقاع والحقيقة والمجاز والتّرادف والتّضاد، والمقابلة والتّجانس، وغيرها من وسائل التعبير الفني. والألفاظ والعبارات هما مادّة الشاعر الأولى التي يصوغ منها ذلك الشكل الفني، أو يرسم بها صورته الشعرية"³ إلا أنّها من خلال هذا الطّرح لم تبتعد عن الجذور النقدية التراثية العربية وما تناولته من مظاهر فنية للصورة الشعرية بما ذكرناه سابقاً وبما عالجه ضمن قضية اللفظ والمعنى والصياغة.

¹ - كمال أبو ديب: جدلية الخفاء والتّجلي دراسات بنوية في الشعر، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1979 ص:40-41.

² - الولي محمد: الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1990 ص:07.

³ - عبدالقادر القط: الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر (د، ط) مكتبة الشّباب، القاهرة، 1988، ص:391.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

ويلجّ محمد غنيمي هلال على دراسة الصّور الأدبية "في معانيها الجمالية وفي صلتها بالخلق الفنّي، والأصالة، ولا يتيسّر ذلك إلا إذا نظرنا لاعتبارات التّصوير في العمل الأدبي بوصفه وحدة، وإلى موقف الشّاعر في تجربته. وفي هذه الحالات تكون طرق التّصوير الشّعريّة وسائل جمال فنّي. مصدره أصالة الكاتب في تجربته وتعمّقه في تصويرها، ومظهره في الصّور النّابعة من داخل العمل الأدبي والمتآزرة معا على إبراز الفكرة في ثوبها الشّعري"¹.

ويتحدّث العقّاد عن الصّورة المشخّصة عند الشّاعر، وخلق الأشكال للمعاني المجرّدة، وخلق الرّموز للأشكال المحسوسة، ويرى في الصّورة "قدرة الشّاعر البالغة على نقل الأشكال الموجودة كما تقع في الحس والشعور والخيال أوهي قدرته على التصوير المطبوع؛ لأنّ هذا في الحقيقة هو فنّ التّصوير كما يتاح لأنبغ نبغاء المصوّرين... إنّما الصّورة لون وشكل ومعنى وحركة"² والحركة أصعب ما في التّصوير الشّعري، لأنّ فهمها يتجاوز المدركات الحسيّة الظّاهرة إلى البصيرة التي يسمّيها العقّاد بملكة النّاطر، وتتكامل الصّورة عنده حينما تتجلّى فيها سمات الزّمان والمكان والحركة وتأخذ نصيبها من التّمثيل والتلوين والتّبيين.

ومن الصّورة إلى التّصوير الفنّي عند سيد قطب، إذ قدّمه على أنّه أحسن أداة في الأسلوب القرآني، ويتجاوز في شرح معناه حلية الأسلوب إلى الألوان والحركة والتّخييل والتّغمات، وكأني بالرجل يولّد الصّورة من رحم الأسلوب إذ هو عنده التّعبير: "بالصّورة المحسنة المتخيّلة عن المعنى الذّهني، والحالة النّفسيّة، وعن الحادث المحسوس، والمشهد المنظور، وعن النّمودج الإنساني والطّبيعة البشريّة، ثم يرتقي بالصّورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشّاخصة، أو الحركة المتجدّدة، فإذا المعنى الذّهني هيئة أو حركة، وإذا الحالة النّفسيّة لوحة أو مشهد، وإذا النّمودج الإنساني شاخص حي، وإذا الطّبيعة البشريّة مجسّمة مرئية"³ وفي حدود الظّلال الحسيّة المشاهدة أو المتخيّلة التي تشعّها معاني

¹ - محمد غنيمي هلال: النّقد الأدبي الحديث، ص: 387.

² - عباس محمود العقّاد: ابن الرّومي حياته من شعره (د، ط) مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012 ص: 237.

³ - سيد قطب: التّصوير الفنّي في القرآن، ط16، دار الشّروق، القاهرة، 2002، ص: 36.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

العبارات؛ لترسم صورة الموضوع، وكيف تبرز العبارة قيمة الألفاظ المصوّرة له يضيف سيد قطب: "وتستمدّ العبارة دلالتها- في العمل الأدبي- من مفردات الدلالة اللغوية للألفاظ. ومن الدلالة المعنوية الناشئة عن اجتماع الألفاظ وترتيبها في نسق معين ثمّ من الإيقاع الموسيقي الناشئ من مجموعة إيقاعات الألفاظ متناغماً بعضها مع بعض ثمّ من الصّور والظلال التي تشعّها الألفاظ متناسقة في العبارة"¹ فبتضافر العناصر السابقة تتشكّل الدلالة المعنوية، والتّصوير التخيلي في العمل الأدبي عند سيد قطب.

استناداً لما سبق تبقى طبيعة الصّورة في الشّعر بتشكيلاتها وعناصرها وأنماطها خاضعة لمفاهيم متباينة، بتباين العصور الشّعريّة، بما لمسنا فيها من فارقة في المفاهيم بين الفهم القديم في التّراث العربي، والفهم الحديث لها "ونجد هذا التّغاير والتّقاطع في طبيعة البناء والعناصر والمصادر الصّورية في الشّعر العربي الحديث تدريجاً مع مراحل بدءاً بالتقليدي أو المحافظ وانتهاء بالشّعر الحر، فالصّورة هي المرآة التي لا تعكس الخصوصية والوجه الابداعي للشّاعر فحسب؛ بل إنّها تحمل سمات المرحلة الشّعريّة التي يعدّ الشّاعر جزء منها"² فالشّاعر ينطلق من الحياة نفسها، ويعيش واقعه الثقافي والاجتماعي والسياسي والاقتصادي، فيكوّن بذلك صورة لعصره، وأخرى لنفسه بصفته مبدعاً وقد يجمع بين البيئة المعيشة والظروف الخاصة لتشكيل صور شعره.

وإذا كان هذا من شأن الصّورة في الأدب بعامة والشّعر بخاصّة، فالأخص في الشعر الموجّه للأطفال، أنّ الصّورة الشّعريّة التي تقدّم للأطفال تختلف عن تلك التي تقدّم للكبار؛ لأنّ مقاييس الجمال في الصّورة تتباين بين الصّغار والكبار، فما جمل عندنا كراشدين قد يقبح عند الصّغار، والعكس أيضاً؛ لذلك "ينبغي للصّورة أن تلائم مستوى إدراك الطّفل، ومرحلة نموّه، وقاموسه اللّغوي وذكائه الحسيّ أو المجرّد... ولا سيما أنّ الصّورة قد تنتمي إلى الأنواع الآتية: الصّورة الحسية(من المحسوس إلى المحسوس ومن المجرّد إلى المحسوس) والصّورة الذّهنية(من المحسوس إلى المجرّد، ومن المجرّد

¹ - سيد قطب: النّقد الأدبي أصوله ومفاهيمه، ط6، دار الشّروق، القاهرة، 1990، ص:43.

² - بشرى موسى صالح: الصّورة الشّعريّة في النّقد العربي الحديث، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1994 ص:13.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

إلى المجرد) والصورة الرمزية، إذ ليس من المنطقي مخاطبة الطفل... بصورة مجردة أو أخرى تحمل رموزاً غامضة¹ لأنّ التعبير بالصورة في شعر الأطفال هو مفتاح الموضوع بمضامينه الحقيقية للتبليغ والملاءمة لهذا الطفل الذي يجب على كلّ شاعر مراعاة طبيعة الصورة الشعرية الخاصة به بالابتعاد عن الحشد، ومتاهاات التأويل والدلالة والغموض والإبهام؛ فتصير الصورة في أبسط عباراتها "التعبير باللّغة المحسوسة عن المعاني والخواطر والأحاسيس، فاللّغة التصويرية ليست سرداً تقريرياً للحقائق، أو بثاً مباشراً للأفكار، ولكنها تجسيد وتمثيل لتلك الأفكار والحقائق في صورة محسوسة يعاينها المتلقّي، ويدركها إدراكاً حسياً فيكون لها- من ثمّ - فعاليتها في نفسه وعميق أثرها في وجدانه"² فجمال الشعر ليس في مجرد معانيه المتجلية من الشرح والتقرير، وإنما في الصور المحسوسة التي تتجسّد فيها المعاني التي تنبض بالحركة والحياة.

إنّ للصورة في شعر الأطفال أهميّة فنيّة وأدبية، وتربوية، حيث تساهم في إثراء ثقافة الطفل وبناء شخصيته من خلال بنية الشعر واستحضار مضامينه الدلالية أمام عينيه، ومن هذا تكون "الصورة وسيلة فعّالة لتجسيد القيم وتقريب مدلولاتها من عقل الطفل، وإدماجه في فضائها السّاحر وجماليات ألوانها وشعرية تجاور الخطوط وتداخل الأجزاء في الكل وتراسل الأبعاد بالمقرب البين وما إلى ذلك من أنساق الصورة وبنياتها الجمالية"³ وهو جهد وتدبّر وجب على شاعر الأطفال أن يتحلّى به، حين يتضاءل بصره من علياء الكبرياء إلى نقاوة وشقاوة المتلقّي الصّغير بلسانه، وتقمّص فكره والنزول إلى ذوقه بالتماس أجمل الصور المتدفّقة عبر الانثيالات الرقيقة القوية بالتشخيص والتّجسيم الذي يوضّح دلالة المقصود.

2.1 - أنماط الصورة الشعرية:

لقد غدت الصورة الشعرية معياراً للإبداع، يعبر بها الشاعر عن تجربته وأفكاره وأحاسيسه، ومواقفه، فيزداد تأثير شعره بازدياد تفاعل الدلالة والتشكيلات الفنيّة عنده

¹ - أنور عبد الحميد الموسى: أدي الطفل... (فن المستقبل) ص: 492.

² - حسن طبل: الصورة البيانية في الموروث البلاغي، ط1، مكتبة الإيمان، مصر، 2005، ص: 15.

³ - عميش عبد القادر: قصة الطفل في الجزائر، ص: 209.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

فالجملّة الشعريّة تتضح إحياءاتها كلّما أحسن الشّاعر اختيار الصّور وبلورتها في تعابير وتراكيب ذات دلالات مؤثّرة. وشاعر الأطفال النّاجح هو ذلك الشّاعر الذي يتخيّر لفكرته من المعجم الطّفلي ألفاظ اللّغة القريبة من استعمالات المتلقّي الصّغير؛ التي تحرّك فيه مكنونات الإدراك، هذا الذي يعتبر "جوهر عملية الاتّصال الإنساني بمستوياتها المتعدّدة لأنّ فهم الأسلوب الذي يدرك به الإنسان ما حوله ذو أهميّة كبيرة في فهم الطّرق التي يبني بها تصوّره عن العالم المحيط به"¹ فالإدراك عملية إنسانية تأتي من الظروف المحيطة بالإنسان عند تحليل التّأثيرات الوجدانية للصّور الفنّيّة البديعة؛ التي تدمج دخائل النّفس بهففتها.

من ذلك كلّه كان لهفافة الشّاعر جمال الطّاهري كبير الأثر في صناعة صورهِ وتشكيلاتها الفنّيّة، في شعرهِ الموجّه للأطفال، فقد تأنّى كثيراً عند صياغة صورهِ في قصائد الأطفال، فحرّكها عن الجمود، وأفرغ فيها شحناته العاطفيّة وأخضعها لمطالب الأطفال، وشكّل فيها القدرة على حمل ما يوائم احتياجاتهم ببساطة لقد اجتهد فأفلح وأجاد في الأعمّ الأغلب؛ فكانت الصّورة جزء من ملامح تجربته الشعريّة التي انبثقت من مواقفه واتّجاهاته التّربويّة؛ حتّى "تحوّلت المفردات الحسيّة في الصّورة الشعريّة من مجرد مفردات جامدة إلى إشارات انفعاليّة ترتبط كل منها برصيد من التّجارب والمواقف الشعريّة"² معتمداً في ذلك الصّور الحسيّة والذهنيّة التي تتخذ التّشبيه متكاً لها، فضلاً عن الاستعارة وتراسل الحواس وغيرها بوصفها أركان رئيسة في التّشكيل البلاغي للصّورة الشعريّة.

وكما فصلنا في غير موضع فقد ارتبط شعر الأطفال عند جمال الطّاهري بأهداف متنوّعة، وبالأخص ما قصد إليه من غايات دينية تربيّة وتعليمية وتهذيبية؛ والتي تتطلّب المباشرة في الخطاب والوضوح في اللّغة الشعريّة، إلا أنّه لم يهمل الصّورة الشعريّة، فرسم المشاهد ولوّنها بالجماليات، وشحنها بعاطفة الرّجل المرّي، والأب الحنون، وأبدع في تصوير الكون، وروعة الخلق، وجلال الخالق، وهو ما سنحاول الوقوف عليه

¹ - محمد عبد الحميد، والسيد بهنسي: تأثيرات الصّورة الصّحفيّة النّظريّة والتّطبيق، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 2004 ص:18.

² - السعيد الورقي: لغة الشعر العربي الحديث، ط3، دار النّهضة العربيّة، بيروت، 1984، ص:133.

في الآتي:

1.2.1- الصور البلاغية:

إنّ البلاغة فنّ له موضع عظيم بين فنون وعلوم العربية، كموضع الرأس من جسم الإنسان، "فهي مستودع سرّها، ومظهر جلالها، فلا فضيلة لكلام على كلام، إلّا بما يحويه من لطائفها، ويودع فيه من مزاياها وخصائصها ولا تبريز لمتكلم على آخر إلّا بما يحركه من وشيها، ويلفظه من درّها، وينفته من سحرها، ويجنيه من يانع ثمرها"¹ بها نعرف إعجاز القرآن، وندرك ما فيه من خصائص البيان، وبها يقيم الأدباء والشعراء العلاقات الفنّية بين عناصر كلامهم، حتى يكتسب كلامهم نثراً أو شعراً قدرة التأثير في المتلقي واستمالاته إليهم؛ لذلك وصفت البلاغة بأنّها "وضع الكلام موضعه من طول أو إيجاز مع حسن العبارة"² أي إهداء وتقديم المعنى للقلب كهدية في أحسن صورة للألفاظ التي تحمله؛ لبلوغ الفهم والإفهام.

ولمّا كانت البلاغة تسعى إلى إفهام المتلقّي بما يقدر عليه من فهم فإنّ شعر الأطفال لا بدّ أن يسير وغاية البلاغة؛ لأنّه موجّه إلى قلوب إنسانية بسيطة لا تقبل إلا ما يوائم مستوياتها الإدراكية، وتوافقها النفسي.

1.2.1.أ- الصور التّشبيهيّة:

إنّ من الطّبيعي أن تختلف الصّورة في القصيدة الطّفليّة سواء في مفهومها أو الغاية الفنّية منها، أو على مستوى الصياغة والتشكيل، عن القصيدة الموجّهة للكبار، نتيجة لتباين طبيعة الخيال، فهي في شعر الأطفال على قدر من الوضوح وقرب تناولها من الأطفال، "ولعلّ علاقة (المشابهة) كانت هي أكثر العلاقات بين عناصر الصّورة شيوعاً في القصيدة العربية، ومن ثمّ فإنّ معظم جهود النّقاد والبلاغيين العرب في دراسة الصّورة الشعرية دارت حول هذه الصورة التي تقوم على فكرة المشابهة"³ وهذه الأخيرة هي

¹- أحمد مصطفى المراغي: علوم البلاغة، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2000، ص: 05.

²- ابن رشيق أبو علي الحسن القيرواني: العمدة في محاسن الشعر، ج1، ص: 250.

³- علي عشري زايد: عن بناء القصيدة العربية الحديثة، ط4، مكتبة بن سينا، القاهرة، 2002، ص: 66.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

التي تتصدّر الصّور الشعريّة في الشعر الموجّه للأطفال؛ بالاعتماد على التّشبيه؛ لأنّه الأقرب إلى توليد صور فنيّة تقوم على أنسنة وتشخيص المجرّدات، وتحويلها إلى كائنات تشعّ بالحياة والطّاقة التّعبيرية، وهو ما يميل إليه الأطفال في مراحل حياتهم الأولى.

والتّشبيه في اصطلاح البلاغيين يتجاوز التعريف الواحد في اللفظ مع الالتقاء في المعنى، فحدّه "صفة الشّيء بما قاربه وشاكله، من جهة واحدة أو جهات كثيرة لا من جميع جهاته؛ لأنّه لو ناسبه مناسبة كلّية لكان إياه ألا ترى أنّ قولهم (خذّ كالورد) إنّما أرادوا حمرة الورد وطراوتها، لا ما سوى ذلك من صفرة وسطه، وخضرة كمامه وكذلك قولهم (فلان كالبحر، وكالليث) إنّما يريدون كالبحر سماحة وعلما، وكالليث شجاعة وقرما، وليس يريدون ملوحة البحر وزعوقته، ولا شتامة الليث وزهومتة"¹ فهو عقد علاقة مقارنة بين شيئين يلتقيان في صفة مشتركة أو أكثر، دون الاشتراك في جميع الصّفات وإلاّ كان المشبّه هو ذاته المشبّه به، وقد تكون هذه العلاقة حسية مادية أو ذهنية مجردة.

وقد استخدم الشعراء التّشبيه في بناء صورهم الشعريّة، لما يتمتّع به من قدرة على تمثيل المعاني فهو "مما اتّفق العقلاء على شرف قدره، وفخامة أمره في فنّ البلاغة وأنّ تعقيب المعاني به، يُضاعف قواها في تحريك النفوس إلى المقصود بها مدحا كانت أو ذمّا، أو افتخارا أو غير ذلك"² وتزداد روعته وجمالياته في انسجامه مع بنية الشّعْر ومقابلة الصّور ببعضها، وجعلها مشهدا تصويريا ولوحات فنيّة ممزوجة بالخيال والعاطفة والتّشخيص.

وأركان التّشبيه أربعة نوجزها في الآتي:

- المشبّه: وهو الأمر الذي يراد إلحاقه بغيره.
- المشبّه به: وهو الأمر الذي يلحق به المشبّه.

¹ - ابن رشيق أبو علي الحسن القيرواني: العمدة في محاسن الشعر، وأدابه، ونقده، ص: 286.

² - الخطيب القزويني يحي بن علي الشيباني: الإيضاح في علوم البلاغة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003 ص: 164.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

- وجه الشبّه: وهو الوصف المشترك بين الطرفين. ويكون في المشبه به أقوى منه في المشبه. وقد يذكر وقد يحذف.

- أداة التشبيه: هي اللفظ الذي يدل على التشبيه. ويربط المشبه بالمشبه به. وقد تذكر الأداة وقد تحذف¹.

ولمّا أدرك الشاعر جمال الطاهري القيمة الفنيّة للتشبيه، عني به، وأكثر في استعماله في مواضع كثيرة جدّاً، فكان من أحسن وسائله في تشكيل صورته الشعريّة في شعره للأطفال، فقد بدا إنساناً صادقاً، ينقل إلى الأطفال تجاربه الصادقة بكلّ صراحة ودون موارد، مازجا بين شخصيته الشعريّة وشخصيته العملية التربوية، في رسم لوحاته الفنيّة المبنية على التشبيه عبر سحر الكلمة وجرسها ورشاققتها حين يقول:

إلى كلّ طفل صغيرٍ وطفلةٍ
أقدمّ أزهار هُدبِي
أقدمّ أنغام قلبي
أقدمّ أشعار حبي²

فهذه الصّورة وإن كانت تعتربها الكثافة والإيحاء المشهدي في بلورة مدلولات الجمل وتحفيزها جمالياً؛ توحى بما يختلج في نفس الشاعر، حيث يصوّر الشّعر الثّابت على حروف الأجناف والأشجار؛ والتي طالت وكثرت بفعل السنين وامتزج سوادها ببياض الشيب فيها حتى صارت كالخملة، بالأزهار الجميلة، ويصوّر دقات قلبه موسيقى نغمية تصويرية حاملة تنبض بالحياة، ليجمع الكلّ في لوحات فنيّة شعريّة صبغ ألوانها بلطائف الحب؛ ليقدمها هدية إلى طفولة الجزائر بكلّ لحظاتها وجمالها وبراعتها.

وبذلك لم يبتعد الشاعر عن عالم الطّف من خلال صورته التشبيهيّة المجملّة السّابقة فدارت في فلك الأزهار، والموسيقى، والحبّ، والهدية المعنويّة، وهي صور انفعالية تتصل ببيئة الطّف وقريبة من إدراكه.

ويورد الطاهري للأطفال في أنشودة (كلمة بابا) صوراً شعريّة غاية في الابتكار، حين

¹ - محمد التّونجي: المعجم المفصل في الأدب، ط2، ج1، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1999، ص:248

² - جمال الطاهري: الزهور، ج2، ص:الإهداء.

يقول:

يَامَا أَطِيبٌ	كَلِمَةٌ بَابَا
فَلَهَا طَعْمٌ	مِثْلُ الشَّهْدِ
وَلَهَا عَطْرٌ	مِثْلُ الْوَرْدِ
نَعْمٌ حَلْوٌ	مِثْلُ السُّكَّرِ
وَلَهَا شَجْوٌ	رِيحُ الْعَنْبَرِ ¹

فهذه الصّور اعتمد فيها الشّاعر على التشبيه المفرد، حيث عبّر مجازاً عن نطق كلمة (بابا) بالطعم وشبه هذا الطعم بأحلى شيء في الوجود وهو الشهد، ونطقها يفوح عطرا من بين شفّتي الطفل إذ لا يشابهه إلا عطر الورد، وهذه الأصوات المتتالية (بابا) تشكّل نغما موسيقيا طروبيا، مثل السكّر في حلاوته، ويستعمل لفظ (شجو) الدال في حقيقة معناه على الحزن والغضب، في صورة مواتية لتسلسل التشبيهات، حيث استورد معناها الذي قد تحمله وهو تذكّر الألفة والطرب، وأرغمها أن تحمل الجانب الجميل في المعنى، لتتصوّر كلمة (بابا) ريحا هو ريح العنبر. وقد استعمل أداة التشبيه (مثل) التي استلهم استعمالها من القرآن الكريم لأنها أفضل أداة اسمية تنقل المعنى إلى المتلقي الصّغير؛ بجعله واضحا في صورة حسّية، باستعمال كلمات تجذب الحواس مثل الدّوق والشّم، والسّمع في توافق بين اللفظة المستعملة وما يقابلها من حاسة (الطعم والشهد العطر والورد، الرّيح والعنبر) وهي إشارات تذكّر بمواقع تخزين الصّور.

وفي ذات السياق وبنفس النّبرة الموسيقية وذات الألفاظ تقريبا يضيف الشّاعر جمال

الطّاهري في أنشودة (صوت ماما) مستعملا نفس الصّور التشبيهية:

صوتُ مَامَا	أَعَذْبُ يَامَا
كالموسيقى	مَاسَ رَقِيقَا
مَا أَحْلَاهُ	هَبَّ شِذَاهُ
مِثْلُ الْوَرْدِ	عَذْبُ الشَّهْدِ ²

¹ - جمال الطّاهري: الزهور، ج5، ص:11.

² - المصدر نفسه، ص:10.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

لقد كان من بين أغراض الشاعر جمال الطاهري من تقديم شعره للأطفال "خلق استجابات ذهنية لديهم تجعلهم في موقع جديد، يشاركون فيه الشاعر حالاته الوجدانية يوم أبداع مقطوعته، ويتذوقون مواقع الجمال عن طريق الصور الملهمة، والأفكار الجميلة التي تدفع بهم إلى التأمل والتفكير، وتهيء لهم فرص الاستماع"¹ وليس ذلك بغريب على شاعر ينتمي إلى مدرسة الاتجاه التربوي الذي يميل كثيراً إلى الطبيعة في تشكيل صورته، ووصف ما يصور وصفاً حسياً فهو حين يقول:

هناك في الطبيعة	رأيتها بديعة
حمامة وديعة	طعامها تروم
فراشة ملونة	في عرسها مزينة
أصباغها مفرقة	تحفل بالرسوم ²

يشبه الفراشة بالحمامة في وداعتها ورقتها وهي تلتقط طعامها في حركات سريعة ثم يوسع الصورة متناولاً خصائص الفراشة من خلال شكلها وألوانها حين شبهها بالعروس المزينة بأنواع الحلي والملابس المزركشة؛ وهي صفات تعتمد على الحواس دون الولوج في عوالم الأشياء الباطنة والبنىات العميقة، وكل أولئك يتفق مع مدارك وطبيعة المتلقي الصغير، وبخاصة وهو يشبه الفراشة بفسيفسائها اللونية باللوحة الفنية التي أبدعتها يد الرسام. وهي تشبيهات بليغة تقترب من الاستعارات الممكنة.

ويميل أحياناً صاحبنا الطاهري إلى التشبيهات التقليدية التي تغنى بها الشعراء مستعملاً ألفاظاً تكررت كثيراً في الشعر العربي وبخاصة في غرض المدح، ولكنه بريشة فنه يرسم من ذلك صوراً رقيقة رقة الأطفال ورقة المشبه به وذلك حين يقول واصفاً (بسمة ماما):

بسمة ماما	مثل الشمس
تفرح قلبي	فرحة عرس
فإذا طلعت	طلع القمر

¹ - هادي نعمان الهيتي: أدب الأطفال (فلسفته- فنونه- وسائله) ص: 213.

² - جمال الطاهري: نفع الياسمين، ص: 18.

وإذا بزغت ضحكك الزهر¹

حيث يشبه بسمه الأم بالشمس، وطلعتها وظهورها بالقمر وضحكها بالزهر وفرحة قلب الطفل ببسمه أمه بفرحته في الأعياد المختلفة؛ وهي معظمها تشبيهات بليغة حذف أدواتها وأوجه الشبه فيها إلا في البيت الأول، وعلى الرغم من صعوبة فهم بسمه الشمس وجمال القمر وضحكة الأزهار، تبقى هذه الصور بسيطة تلائم الطفل المتلقي؛ لحسيتها.

وتتوالى التشبيهات المألوفة في شعر جمال الطاهري للأطفال يدسها بين الحين والآخر بين سطور قصائده وأناشيده لهم، ومعظمها يستقيها من الطبيعة لأنها الأسهل على الفهم، والأقرب إلى الحسية؛ ولأن الصورة التشبيهية "التي يدركها الطفل هي التي تسير في اتجاه واحد، الانطلاق من مثبه محسوس يدرك بالحواس إلى مثبه به محسوس يدرك أيضا بالحواس خصوصا في المراحل الأولى، أما إذا تجاوز الطفل هذه المراحل فإنه يشرع في تقبل وفهم الصور التي تنطلق من مثبه مجرد أو خيالي لا يدرك بالحواس إلى مثبه به محسوس مقبول أو معروف"² غير أن الطابع الحسي مبدأ أساس في الصورة الشعرية عند الأطفال؛ لأنه وسيلة من وسائل التأثير. ولعل أرقاها ما نلمسه في قوله من قصيدة (عاشق الكابتن ماجد):

قد أقبل نحوي دحمان	والخذ كساه الرمان
قد جرجر فضل حقيبتيه	مغن عن سرد حقيقتيه
يمش يتناقل في السير	كالقط تحين للفار
بخطى تتخالط مرتبكه	كطريد يخشى من شبكه ³

يصور الشاعر في هذا المشهد صورة التلميذ دحمان وخذته يتشح بالحمرة خجلا، يجرر محفظته، منكمش الأطراف كالقط حين يتجهز ليجهز على طريدته وخطواته واحدة إلى الأمام وأخرى إلى الوراء وثالثة ثابتة، في محاولة للتخلص من نظرات المعلم كذاك الطريد الذي يحاول أن ينجو من المصيدة، وكل ذلك؛ لأنه لم يراجع دروسه؛ لأنه أفنى

¹ - جمال الطاهري: الزهور، ج1، ص: 08.

² - العيد جلولي: النص الشعري الموجّه للأطفال في الجزائر، ص: 367.

³ - جمال الطاهري: الزهور، ج4، ص: 16.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

وقته في التفرّج على لاعب الكرتون (الكابتن ماجد) ويبدو لي أن الشاعر رغم جمال الصورة التي حاول رسمها للأطفال بطاقتها اللغوية والبلاغية، يريد أن يظهر الوجه الآخر لبرامج الشاشة وكيف تمارس إكراهها على أطفالنا حدّ الإدمان الذي يجعلهم يضيّعون بفعلها واجباتهم المدرسية.

وفي مظهر آخر من مظاهر البلاغة يجيد الشاعر استعمال التشبيه المؤكّد المجلد أو ما يسمّى بالتشبيه البليغ حيث يقول في مقطع من قصيدة (الشتاء):

فالأفق خدُّ شاحبٌ والطيرُ بومٌ ناعبٌ

والصيفُ وهمٌ ينعشُ¹

فالشاعر شبّه الأفق في فصل الشتاء بمظاهره الكئيبة بالخدّ الشاحب من آثار المرض كما شبّه الطائر الذي من عادته الغناء والإنشاد باليوم رمز الشؤم وقبح الصورة والصوت والمكثى بأم الخراب، كما شبّه حرارة الصيف وتوهج الشمس فيه بالوهم الحالم أن يظهر بانتعاشه في فصل الشتاء. وهو بذلك يرسم منظراً رائعاً بصورته التشبيهية، التي قرّبها أمام الأطفال واضحة مجسّدة عن طريق البصر والسمع، ولولا هذا الشفيع لكان الخيال محلّقا في السماء.

لقد استعان الشاعر جمال الطاهري في بناء شعره للأطفال بعدّة صور تشبيهية حيث وظّف الصورة القائمة على الحسّ والتّجسيد، ولم يخترق فيها الواقع، وبدا فيها واضحا وقريبا من واقع الألفة بين الطّفل وبيئته بجميع مكوّناتها؛ حتى لا يتقل كاهل المتلقّي الصّغير؛ لأنّ الهدف الأصلي من ذلك هو التّبليغ والتّوجيه والإفادة، فضلا عن التّسلية والترفيه والمؤانسة والامتناع. ولأنّ "استجابة الطفل مرهونة بتكامل عناصر النص الأدبي الموجّه له دون أن يشعر بأجزاء بنية النص، إذ إن اتساق العناصر يصله في دفقة شعورية واحدة، فالنص عمل فنّي، والعمل الفنّي وحدة واحدة لا يمكن أن يفهم أو يتم تذوّقه جمالياً إلّا وهو مائل أمامنا ككل، ونحن حين نستمتع به لا نكون على وعي بعناصره المكوّنة له وكذلك الطّفل بالدرجة الأولى"². لذلك يسعى شعراء الطّفولة

¹ - جمال الطاهري: نفع الياسمين، ص: 09

² - راشد علي عيسى: التّشكيل الجمالي في أدب الطّفل، ط1، دار فضاء، الأردن، 2012، ص: 04.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

إلى تحسين البنية الفنية في شعر الأطفال؛ لتحقيق الأجل والنافع، وأزعم أنّ الشاعر جمال الطاهري على رأس أولئك الشعراء؛ بتعبيره الحقيقي عن أحاسيسه الداخلية المترجمة؛ والتي شكّلت عبر تراكمها صوراً شعرية جديدة، وثمّ يكمن سرّ إبداعه للأطفال حينما أعطى لحياة الأطفال بشعره زادا وأملا من ذات مبدعة إلى ذات صغيرة متلقية برؤية تربوية إبداعية ذات توجه جديد.

ونشير في الأخير إلى أنّ جمال الطاهري وهو معلّم اللّغة العربية كان ملماً بدرس التشبيه في البلاغة العربية حيث استعمل كلّ أدواته الاسمية والحرفية (مثل، كما، كأنّ ك...و) وجمعها في مشهد مسرحي على لسان الطّفّل الرّاوي في مقطع من مسرحية (الدّجاجة المخدوعة) حيث يقول:

رأى الديك دجاجة	في خطوها لجاجة
كفاعلٍ لإثمٍ	كبعض شرّ القوم
تنساب كالمحتاله	كما انساب حنّاله
رأى هناك حيّه	في داره جليّه
في الركن تستظّل	كما ينساب صلّ
سوداء مثل فحمه	أو نكبة أو غمّه
في مشهدٍ يطير	العقل والتدبير ¹ .

والملاحظ أنّ التشبيهات جاءت قريبة ومتداولة في الحياة اليومية الطّافية وبعيدة عن الغموض، وفيها ما يدلّ على حضور السّهولة، ممّا يجعل المتلقّي الصّغير يدرك العلاقة بين طرفي التشبيه بيسر، وبذلك لا يتعسر عليه الفصل بينهما، وهذا ما يجعل الصّورة التشبيهية قريبة من ذهنه. ورغم البساطة لم تفقد الصّورة التشبيهية عند جمال الطاهري طابعها الفنّي ورقّتها في نسيجه الشعري للأطفال.

¹ - جمال الطاهري: الدّجاجة المخدوعة، ص: 5-6.

1.2.1. ب- الصورة الاستعارية:

إنّ الاستعارة بما خلقتة من تداخل؛ جعلت البلاغيين والنقاد يختلفون في تعريفاتهم لها، باختلاف دلالاتها وطاقاتها الابداعية وعمق أسرارها؛ فلها "موقع في البلاغة خطير وموضع من الإبانة كبير؛ لأنّها إذا وفيت حقّها ووضعت بحيث يليق بها أكسبت اللفظ جوهريةً تنقله عمّا كان عليه لو استعمل على وضع في اللّغة زادته وضوحاً يُضوّع أريجه ويسيع أجيجه"¹ ولما كانت تعريفاتها متشعبة ومعقدة أحيانا عند بعض البلاغيين، فمنهم من أزال سقمها وجلّى جمالها، ومنهم من عقّد سهلها وجعلها سقما على سقم، صعب لمّا ما اعتورها من تعريفات، إلّا بما رأيتة وافر التّداول، مشهور الاستعمال، فهذا عبد القاهر الجرجاني يعرّفها بقوله: "اعلم أن (الاستعارة) في الجملة أن يكون للفظ أصل في الوضع اللّغوي معروف تدلّ الشواهد على أنّه أخصّص به حين وضع، ثمّ يستعمله الشّاعر أو غير الشّاعر في غير ذلك الأصل، وينقله إليه نقلاً غير لازم، فيكون هناك كالعارية"² فهي ضرب مجازي لغوي، أو عقلي علاقته المشابهة، وخصّص الشّاعر قبل غيره باستعمالها لعلاقتها الوطيدة بالصّور الشعريّة والتّصوير الفنّي بعامّة.

والاستعارة مأخوذة من العارية حسب رأي بعض الباحثين، وهي عندهم "نقل الشّيء من حياة شخص إلى شخص آخر؛ حتى تصبح تلك العارية من خصائص المعار إليه والالصاق به، وبهذا المعنى كانت ذات صلة بالمعنى الاصطلاحي الذي عرفت به لدى علماء البلاغة لما في نقل اللفظ من معنى عرف به في أصل اللّغة إلى معنى آخر لم يعرف به هذا اللفظ؛ حتى يصبح هذا اللفظ من الدلائل عليه وذلك المعنى من لوازم ذلك اللفظ"³ فالاستعارة تعليق على غير ما وضعت له في أصل اللّغة حيث تؤدّي دلالاتها عن طريق الانحراف اللّغوي، وبذلك تفارق التّشبيه الذي لا يستعمل إلا بأداته الموضوعية له في أصل اللّغة فلا يتغيّر بحقيقته، وباتّفاقهما في أداء المعنى على أساس المشابهة

¹ - علي بن خلف الكاتب: موادّ البيان، ط1، تحقيق: حاتم صالح الضّامن، دار البشائر، سوريا، 2003، ص: 124.

² - الجرجاني عبد القاهر بن عبد الرحمن: أسرار البلاغة في علم البيان، ط1، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001، ص: 31.

³ - محمود السيد شيخون: الاستعارة نشأتها وتطوّرها، ط2، دار الهداية، (د، ب) 1994، ص: 05.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

تبقى الصورة الاستعارية في موضعها مثل الصور التشبيهية في موضعها ولا مفاضلة بينهما، وإن كانت هناك مفاضلة لعدل بأحدهما عن الأخرى. إلا أن التشبيه في شعر الأطفال يسهل معه إدراك العلاقة بين المشبه والمشبه به، ويسهل معه الفصل بين المتشابهات؛ لبعده عن التعقيد الذي قد يتوالد مع الاستعارة. وبذلك يحقق التشبيه اليسر المطلوب والمشتراط في شعر الأطفال.

وبتتبعنا لشعر الأطفال عند جمال الطاهري عثرنا على صور استعارية ليست بالقليلة من ذلك قوله من قصيدة (في الصباح):

في الصباح، في الصباح ينشرُ الطيرُ الجناحَ
ويمتطي متنَ الرِّياحِ في الصباحِ
ويطرُدُ الكونُ السُّكونَ فتنفُحُ الشَّمسُ الجفونَ¹

ففي عبارة (تنفح الشمس الجفون) استعارة، حيث شبه الشمس بالعيون عندما تستيقظ من النوم، حذف المشبه به وأبقى ما يدلّ عليه وهو (الجفون) فالاستعارة هنا مكنية ولو قلب شطري البيت بالتأخير والتقديم:

وتنفُحُ الشَّمسُ الجفونَ فيطرُدُ الكونُ السُّكونَ

لكانت الصورة الاستعارية في قمة الحسن والجمال، والسّر في ذلك روعة تصوير الفكرة لأنّ سكون الليل ودهمائه لا يطرده إلا شعاع الشمس الذي يبعث الحركة فالثاني ينتج عن الأول لإكسابه قوّة الوضوح وإثارة الإعجاب في نفوس المتلقّين الصغار الذين لا يدركون بعد كنه التّأويلات. ورغم ذلك تبقى الصورة التي أوردها الشّاعر رائعة تكشف عمّا يدور في خلد الشّاعر، ومما زادها روعة أنّها مرئية محسوسة.

ويورد في قصيدة (المعلم) مجموعة من الاستعارات والتشبيهات في أجمل صور شعرية مليحة تترّبع على عرش الحسن والجمال؛ ممّا أكسب المعاني قوّة ووضوحاً حيث يقول:

حُبَيْبَتُمْ يَا رُسُلَ النُّورِ مَذُ هُبُوا ضِدَّ الدِّيَجُورِ
غَنُوا لِلصُّبْحِ وَكَمْ سَهْرُوَا لِقَتَالِ اللَّيْلِ الْمَسْعُورِ

¹ - جمال الطاهري: نفع الياسمين، ص: 01.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

بسيوفِ عُلُومٍ وبقينِ
وأثوا بالشَّمسِ برونقها
مصقُولٍ مثلَ البُلُورِ
لغدٍ مشدوهٍ مبهُورِ
هَبُّوا للثُّورِ بالعلمِ
لا ثورَةَ إِلَّا بعُلُومِ
أهدُوا للعالمِ أنجمهُ
في أروعِ عقدٍ منظُومِ¹

ففي عبارة (يا رسل الثور) استعارة، حيث شبه المعلمين بالرسل والأنبياء وصرح بالمشبه به، وقدم المشبه في عبارة (حييتم) حتى صار كالمحذوف فالاستعارة تصريحية. وفي عبارة (لقتال الليل المسعور) شبههم بالمحاربين الشجعان حيث حذف المشبه به وأبقى ما يدل عليه وهو (القتال) فالاستعارة مكنية. كما شبه الليل بالوحش، وفي حذفه للمشبه به والابقاء على ما يدل عليه وهو (المسعور) استعارة مكنية أيضا. وتكتملة جمال الصورة - إذ لا بد للقتال من وسيلة - يحول الشاعر المجردات إلى محسوسات؛ ويستعير لفظ (السيوف) للتعبير عن (الأقلام) وبهذه الاستعارة استطاع أن يصل إلى هدفه جودة واتقاناً.

أما في عبارة (أهدوا للعالم أنجمه) يشبه الشاعر جمال الطاهري علماء العالم الذين تعلموا على أيدي المعلمين بالأنجم في أحسن تصوير وأجمل تعبير فاستعارة (الأنجم) في علوها ورفعتها وبريقها وظهورها ليلاً، تدل على أنّ مكانة العلماء لا تدانيها مكانة في محاربة الجهل والخرافات، كما تفعل النجوم مع الظلام والاهتداء بها ليلاً. ويظهر ما في نفسه إلى عالم الأطفال الحسي في جمالية مشهدية ذات علاقة تابعة وهو يشبه تلك النجوم ب (عقد منظوم) فهذه اللوامع البهية في السماء الصافية كمثل عقد الدر المنثور على جيد الحسنة. وقد اختار هذه الصورة الاستعارية لتقريب المعنى إلى الأطفال بتجسيدها أمام أعينهم.

وما زاد الصورة جلاء وضعها في قالب أدبي رائع، وهذا القالب الاستعاري يعتبر "من خصائص الشعرية الرفيعة والخصب الدلالي المنقرد، نظراً لطاقته الإبداعية الكامنة في خلق انطباعات جديدة عن الأشياء والعالم، ذلك أنّ اللغة - عند الشاعر - مطابقة للوعي الفعّال الذي يؤثر في الأشياء ويحكم العالم وهو لا يوجد إلا مع إمكان خلق

¹ - جمال الطاهري: الزهور، ج2، ص: 02.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

اللغة¹ فالصّور الاستعارية التي سادت النّص لا تتحصر فقط في الدلالات الجزئية التي أشرت إليها، وإنما تشكّل متضافرة وحدة نصّية دلالية كبرى؛ ليتحول النّص برمّته إلى صورة استعارية كبرى في صورة ذهنية واحدة عبر التفاعل اللغوي؛ وهو تحوّل في قصيدة الأطفال من التقليديّة المضمّنية إلى الحدّثة التي تستمدّ مكوّناتها الذهنية والنفسية من تجارب الشّاعر جمال الطاهري الفرديّة، ومواقفه التّربوية؛ بإضافته عناصر الحركة والتّغيير والتّحول الاستعاري، دون المساس بقوائم الممنوعات في الأدب الموجّه للأطفال؛ هذا الأدب الذي يعي حاجات الأطفال ويعيش تجاربهم ويخدم قضاياهم عبر نضال كتّابه بمختلف أطيافهم الفنّية؛ الذين يندرون أنفسهم مثلما فعل جمال الطاهري من أجل أدب راق للأطفال يجد صداه عندهم، ويجدون أنفسهم فيه حيث "لا تجدي الأفكار ما لم تُعرض بأسلوب حسن مناسب على الآ يكون الأسلوب على حساب الفكرة وألّا يقع الكاتب في الرّمز والسريالية وما إلى ذلك لما يجرّ إلى غموض لا يحقّق الهدف الذي جاء من أجله"² وتلكم صفات لا تتوفّر بسهولة لدى أي كاتب أو شاعر يوجّه أدبه أو شعره للأطفال إلّا لمن أوماً إلى مستقبلهم، والتقط المشاهد الحسّاسة، وتنقلّ بين زوايا تصويره البلاغي بلباقة، وأمن بإنصاف هذه الطبقة الاجتماعيّة العريضة لاسترداد حقوقها وإعلان محاسن فطرتها، ومنحها ما يناسبها بمهارة وخفّة.

وإذا اختمرت التّجربة في ذهنه وباتت وكأنّه الذي يعيشها، تتفجّر الصّورة الشعريّة عن نفسه بحسّ فنّي أدائي جميل الصّياعة، بسيط الأسلوب منزّه عن التّعقيد، فانظروا ماذا يقول وهو يسبح ربّه:

انظر لذي الشجره	تختال مزدهره
تحكي بها الثمره	عن حسن خلق الله
انظر لذي النجمه	تختال بالبسمه
تحكي لذي الغيمه	عن حسن خلق الله ³

¹ - مسلم حسب حسين: جماليات النّص الأدبي (دراسات في البنية والدلالة) ط1، دار السياب، لندن، 2007 ص:85.

² - علي جواد الطاهر: في القصص العراقي المعاصر، ط1، ج1، المكتبة العصرية، بيروت، 1965، ص:128.

³ - جمال الطاهري: الزهور، ج5، ص:03.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

فبتأملنا لهذا المقطع الشعري ندرك أنّ الاستعارة في الصورة الشعرية فعلت فعلتها فالطاهري يشبه الشجرة بالإنسان الذي يتهادى نشوان، وكأني بالرجل يستحضر بيت شاعر الثورة في الذبيح الصاعد:

قامَ يخالُ كالْمسيحِ وئيدا يتهادى نشوان، يتلو التّشيداً¹

ثمّ يبعث الحياة في الثمرة التي راحت تحكي عن خيلاء أمّها الشجرة وزهوها بخضرتها وأغصانها الوارفة وأزهارها الربيعية والنّسائم تلاطفها فتميس أغصانها وتتهادى سكرى من خمر الجمال، وكلّ أولئك تعبيرا عن حسن خلق الله - عزّ وجلّ - ثمّ يشخص النّجمة الشّامخة بجلالها وتيهها المتسامية كالروح الطاهرة وينزلها إلى الأرض ليعيرها بسمة الطّفّل، فتصبح إنسانا باسم الثّغر، ويصور حوارا بينها وبين الغيمة في حكاية عن إبداع الله في كونه "ولا يخفى ما لهذه الاستعارات المكنية من أثر جميل في نفسية الملتقي الصغير الذي يتفاعل مع هذه الصورة التي تتكلم فيها الكائنات الطبيعية"²؛ لأنّ الهدف منها هو إفهام وتوصيل الحقائق إلى أذهان المتلقّين الصّغار مع التّشويق والإثارة.

1.2.1 ج- الصورة الكنائية:

وهي لفظ خفي وراء معنى ظاهر، أو هي ألفاظ ظاهرة لها مقاصد خفية، وقد عرفها القزويني بقوله: "الكناية لفظ أريد به لازمٌ معناه مع جوازه إرادة معناه حينئذ، كقولك: (فلان طويل النّجاد) أي: طويل القامة، و(فلانة نؤومة الضّحى) أي: مرقّهة مخدومة..."³ أي أنّها لفظة أريد بها غير معناها مع إرادة معناها وهي هاهنا عند عبد القاهر الجرجاني "أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللّغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود، فيومئ به إليه، ويجعله دليلا عليه"⁴ فهي

¹ - مفدي زكرياء: ديوان اللّهب المقدّس (د، ط) موفيم للنشر، الجزائر، 2007، ص: 17.

² - العيد جلولي: النص الشعري الموجه للأطفال في الجزائر، ص: 374.

³ - الخطيب القزويني محمد بن عبد الرحمن بن علي: الإيضاح في علوم البلاغة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003، ص: 241.

⁴ - الجرجاني عبد القاهر بن عبد الرحمن: دلائل الإعجاز، ص: 66.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

نوع من الإشارة عنده تلوح، وتومئ، وتشير "وتترك تحديد المراد، والنصّ عليه للقوى والملكات البيانية تشقّق فيما وراء الحجب صنوفاً من المعاني، وضروباً من الإشارات"¹.

وقد استعملها الجاحظ استعمالاً عاماً شمل المجاز والتشبيه والاستعارة والتعريض دون أن يحدّد فارقة بين هذه المصطلحات البيانية، لكنّه عدّها "من الأساليب البلاغية التي قد يتطلّبها المعنى للتعبير عنه ولا يجوز إلا فيها وأنّ العدول عنها إلى صريح اللفظ في المواطن التي تتطلّبها أمر مخلّ بالبلاغة"² وقد خاض فيها كثير من العلماء القدامى في سياقات عديدة لسنا هاهنا في حاجة ماسة إليها؛ لأنّها لم تحدث تغييراً يتّصل بجوهرها، بقدر ما هي أجنحة لآراء فكرية متعدّدة.

لقد تميّزت الصّورة الكنائية عند جمال الطاهري بالجدّة والطرافة وبخاصة في شعره المسرحي، في مثل وصفه على لسان الديك للدّجاجة المخدوعة:

ذِي الْفَحْمَةِ الْمَرْعُوبَةِ	تَبْغِي الدُّنَى مَقْلُوبَةً
لَكُنَّهَا مَكْلُوبَةٌ	وَرَأْسُهَا مَتَقُوبَةٌ
النَّارُ فِي هَوَاهَا	وَالسَّمُّ فِي دِمَاهَا ³

فقد استعمل (الفحمة) كناية على شدّة سواد الدّجاجة، و(مكلوبة) كناية على كثرة حركتها جرّاء نوبات الإصابة في جهازها العصبي، واستعمل (متقوبة) كناية عن عدم الفهم والاستيعاب، و(السّم) كناية عن غضبها. واستقى في ذات المعنى في تعالق جميل وطريف مع الشّعر العربي القديم صورة كنائية وظّف فيها اللون الأسود وأتى بالصّفة (حبشية) كناية عن السواد الشّدّيد حين قال:

سوداء حبشية في طلعة وحشية⁴

¹ - محمد أبو موسى: التّصوير البياني، ط3، مكتبة وهبة، القاهرة، 1993، ص:376.

² - عبد العزيز عتيق: في البلاغة العربية (علم البيان) (د، ط) دار النهضة العربية، بيروت، 1985، ص:205.

³ - جمال الطاهري: الدّجاجة المخدوعة، ص:13.

⁴ - المصدر نفسه، ص:02.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

كما وظّف ألواناً أخرى، كاللون الأسمر الذي استخدمه للتعبير عن الحالة النفسية المراد إيصالها للمتلقّي الناشئ برسم صورة شعرية ملوّنة، على اعتبار أنّ الشعر رسم ناطق، فهو يستخدمه كناية عن لون الليل الأسود حين يخالطه نور القمر فيقول:

في ليلنا الأسمر بدرُ الدجى أزهز
لنجومه يذكُر أحلامَ وادينا¹

ولم يشذ عما تداوله شعراء الطّفولة من صور كنايةية وبخاصّة في شعره الوطني ومن ذلك قوله من قصيدة (تحية نوفمبر):

نُتَوِّجُ مَجْدَنَا مَجْدًا ونُنَجِّزُ وَعْدَنَا عَهْدًا
خَرَجْنَا مِنْ دُجَى الْأَيَا مِ نَنْظُمٍ صُبْحَنَا عَقْدًا
وَعْدْنَا مِنْ ظَلَالِ الْأَمْسِ نَزْرَعُ دَرِينًا رُشْدًا²

ففي عبارة (دجى الأيام) كناية عن الاستعمار العاشم، وفي عبارة (ننظم صبحنا) كناية عن الاستقلال المجيد، وفي عبارة (ظلال الأمس) كناية عن الجهل الذي سلّطه المستعمر على أطفال الجزائر، وفي آخر شطر كناية عن المستقبل.

ويتواصل الشّاعر في ذات القصيدة مع المتلقّي الصّغير في لغة كنايةية عبر شبكة علاقات متجاوزة، مستعملاً مجموعة من الكلمات المشهدية في مقطع تشكيلي هو:

عيونُ الله تحرُسنا وتزرع قلبنا سعداً
فغارَ الليل مُنتَجِراً يُجْرِجِرُ دَيْلُهُ صَيْدًا
سَلِمَتِ قَوَافِلَ الْأَجْيَا لِ هُبِّي واقطعي وعدا
على أن تُكْملي الإنجا زِ لآ، لَنْ تتركِي جَهْدًا
لِنَمَسَحَ غَابَةَ الْأَشْوَا كِ نَقِطِفُ صُبْحَنَا وَرْدًا³

فعبارة (عيون الله) تعتبر قالباً جاهزاً اعتاد كثير من شعراء الطّفولة على استعمالها وهي كناية عن رعاية الله - سبحانه وتعالى - لعباده المؤمنين غير أنّ استعمال لفظ (قلبنا)

¹ - جمال الطاهري: الزهور، ج5، ص:16.

² - جمال الطاهري: الزهور، ج3، ص:06.

³ - المصدر نفسه، ص:ن.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

بصيغة المفرد معطوفة على الجمع أفسد جمال هذه الصورة، وقد نتلمس له عذر الوزن الموسيقي في ذلك. وعبرة (غار الليل) كناية جميلة تدلّ على ابتعاد المستعمر الغاشم من الجزائر، وجاء بلفظ (قوافل) كناية عن الكثرة، واستخدم عبارة (غاية الأشواك) للدلالة على الموروث الذي خلفه المستعمر من جهل وفقر وتخلف، واستعمل لفظ (الصّبح) كناية عن المستقبل والأمل المنشود لقطف ثمار الاستقلال التي كنى عنها بلفظ (الورد). غير أنّ الكناية الأولى (عيون الله) وعلى الرغم من استهلاكها تبقى صعبة ومعقدة ولا يمكن بأي حال تجسيد المعنى فيها، وتقريبه للمتلقّي الصّغير، وفي ذلك ابتعاد عن الغاية من الصورة الكنائية في شعر الأطفال.

ويتفرّد الطاهري عن شعراء الطّفولة بصور كنائية يمتزج فيها الوعي البصري بالوعي الدّهني، ودائماً يذوب في الطّبيعة لصنع ذلك، فهو رومانسي بامتياز، يصهر مطالعته وتجاربه وحتى مرجعيته النّفسيّة، في صوره الشّعريّة بشتّى أنواعها، فنجد أنّه كان إنساناً قبل كلّ شيء "له أحاسيسه الإنسانيّة والعاطفيّة والأبوية لكلّ الأطفال، وله تعاملاته وحياته الخاصّة التي يحتلّ الأطفال فيها مكاناً متميّزاً في قصائده التي لم يكتبها إلّا من أجل الأطفال. ويظهر ذلك في كثير من قصائده، العاطفة الرّقيقة والرّغبة الجياشة في التّحدّث بأسلوب هادئ وبسيط يريح ويستمتع به كلّ الأطفال"¹ وليس أدلّ من ذلك ما قاله على لسان الطّفّل الفلسطيني وهو يخاطب أمّه اللّاجئة في مقطع من قصيدة (إلى أمّ لاجئة):

ظَلُمُوكِ يَا أُمِّي الصَّغِيرَةَ مِثْلَمَا ظَلَمُوا الْبَشَرَ
أَبَدًا هُنَا نَهَى الْحَيَاةَ، وَهُمْ هُنَا عَشِقُوا الْكَدْرَ
نَهَى الطَّبِيعَةَ وَالنُّجُومَ، وَكُلَّ مَا لَثَمَ الْبَصَرَ
وَاللَّهُ إِذَا بَعَثَ الْهَوَى وَالرُّوحَ فِي قَلْبِ الْحَجَرِ
أُمَّهُ قَوْلِي لِلوَرَى، وَلَمَنْ هُنَا ذَبَحُوا الزَّهْرَ

¹ - إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي: أدب الأطفال المنظوم (شعر الأطفال: اتجاهاته ونفده) (د، ط) مركز الاسكندرية للكتاب، مصر، 2009، ص: 175.

لا.. لن يكون مَرَامُكُمْ، فالحبُّ في الكونِ انتصر¹

نحسّ من خلال هذه المقطوعة روحاً شاعرية لطيفة في تصوير الأمّ اللاجئة التي غريبوها عن موطنها فلسطين؛ وهي لا تزال شابة صغيرة على لسان طفل الحجارة الذي يهوى الحياة، ويحلم بالعودة؛ لتحقيق أمانيه التي تمرح في صدره، في خطاب مزماري جميل تضاعل فيه الشّاعر حدّ الدّوبان في دلال الطّفل وشعوره المتهدّل في روح شاعرية بسيطة تغوص في أعماق المتلقّي بأنسنته لحجر الانتفاضة وبعث الرّوح فيه، وجعله يشارك في حركة وامتداد الانتفاضة وإعطائه موقفاً إيجابياً. واستيراد عبارة (ذبخوا الزّهر) كناية عن عذابات الطّفولة الفلسطينية وذبحها في مهدها. وعلى الرّغم من أنّ معظم الدّلالات جاءت ضامرة ومصفّحة وعتية الفهم على الأطفال إلّا في المراحل المتأخّرة تبقى هذه المقطوعة مصبوغة بنسمات الطّفولة الرّقيقة؛ في حركة مريحة للمتلقّي الصّغير.

2.2.1- الصّور الرّمزية:

جاء في اللّسان أنّ الرّمز "تصويت خفي باللّسان كالهمس، ويكون تحريك الشّفتين بكلام غير مفهوم باللفظ من غير إيّانة بصوت، إنّما هو إشارة بالشّفتين وقيل الرّمز إشارة وإيماء بالعينين والحاجبين والشّفتين والقم²" فالرّمز في لغتنا هو إشارة ويعتبر طريقة من طرق الدّلالة التي تساعد على الإفصاح بتعبير غير مباشر عن التّواحي النّفسية الخفية.

أما على مستوى الاصطلاح فقد تعرض مصطلح (الرّمز) إلى الاضطراب في فهمه وتحديدده، فتعدّدت تعريفاته واختلفت حسب الاتجاهات التي تعرضت له وتشترك في كون الرّمز "شيء ما، يعني شيئاً آخر"³ وهو مفهوم يبدو أنّه رضع من ثدي الرّومانسية؛ حتى صار ظاهرة فنّية من ظواهر القصيدة العربية الحديثة ووسيلة للتعبير عن التّجارب الشعورية والانطباعات النّفسية التي ترتقي فوق موجودات الظواهر المادّية في الواقع

¹ - جمال الطّاهري: الزهور، ج3، ص:12.

² - ابن منظور أبو الفضل جمال الدين: لسان العرب (د، ط) دار المعارف، القاهرة (د، ت) ص:1727.

³ - محمد فتوح أحمد: الرمز والرمزية في الشعر المعاصر (د، ط) دار المعارف، مصر، 1977، ص:34.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

بالرّمز واللّمح؛ وترتقي بها إلى الأحلام وعالم المثالية، فعالم الواقع حسّي وعالم المثالية حدسي ولزومهما معا يشكّل إبداع الرّمز في الأدب.

ويتميّز الرّمز في الأدب بصلاحيته للاستعمال في أغراض مختلفة، وتلعب العوامل النفسية دوراً في تحديد دلالاته "كما أنّ الرّمز قد يشمل كلّ أنواع المجاز المرسل والتشبيه والاستعارة بما فيه من علاقات دلالية معقّدة بين الأشياء"¹ والطفل بخياله الوثّاب، وباله الخالي من مضنيات الحياة "يجد في الرّمز الشّفاف ملاذا يرتاح إلى ظلاله وأبعاده؛ لأنّ علاقته به تكون أقرب إلى لهوه وتسلياته الطّبيعية التي ترتبط بحياته الواقعية أولاً وبخيالاته وأحلامه المنطلقة إلى آفاق بعيدة لا تعرف الحدود ثانياً، ومن ثمّ لترضي نزعات داخلية في أعماقه"² غير أنّ الرّمز في شعر الأطفال يستدعي عدم الغوص في الغموض ومثاهاته، ووجوب مراعاة قدرات الأطفال في فهم العالم المثالي بتقريبه من عالمه المحدود.

والرّمز من التقنيات التي عني بها شعراء الطّفولة في الجزائر في شعرهم الموجّه للأطفال بالاعتماد على أسلوب الإيحاء الذي تآرجح بين البساطة والعمق، حسب مشارب الشّعراء ومدى إدراكهم لخصائص الطّفولة؛ لأنّ الرّمز الشعري "مرتبط كلّ الارتباط بالتّجربة الشعورية التي يعانيتها الشّاعر، والتي تمنح الأشياء معنى خاصاً، وليس هناك شيء ما هو في ذاته أهمّ من شيء آخر إلا بالنسبة للنفس وهي في بؤرة التّجربة. فعندئذ تتفاوت أهميّة الأشياء وقيمتها"³ بالنسبة للشّعراء، ومن هنا حقّ لشاعر الطّفولة؛ بل وجب عليه أن يستخدم المواقف والأحداث استخداماً رمزياً في شعره للأطفال عوضاً عن التّجربة الشعورية الخاصّة التي قد تميل بالرّمز في الشعر إلى العمق الذي يتجاوز بعد التّفكير عند الأطفال.

¹ - مجدي وهبة، كامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللّغة والأدب، ط2، مكتبة لبنان، بيروت، 1984 ص:181.

² - أنور عبد الحميد الموسى: أدب الأطفال... (علم وفن)) ص:540.

³ - عزالدين إسماعيل: الشّعر العربي المعاصر قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية، ط3، دار الفكر العربي، مصر (د، ت) ص:199.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

وجمال الطاهري واحد من شعراء الطّفولة في الجزائر الذين وظفوا الرّمز في دواوينهم الشّعريّة للأطفال، ولعلّ أبرز ما وظف الطاهري من رموز كان في الشعر الوطني والقومي والديني ففي قصيدة (الجزائرية) يقول:

رفعتِ القبضة الرّعاءَ لَمّا صاحَ نوفمبرُ
حملتِ الجُرحَ جُرحِ الشّعبِ لَمّا شعبُنا كبّرَ
وثارَ الكِبْرُ كالبركانِ في أعماقِنا زمجرُ
وصحتِ... اليومِ يا أوراسُ يعلّي جُرحنا الأكبرُ
صحبتِ أخاكِ في الميدانِ لَمّا ثارَ كالبحرِ
دفعتِ الرّوجَ إعصاراً فدقّت ساعة الصّفْرِ
وكنّت الصّيحةَ الخضراءَ في تحليقة النّسرِ
وقلت: الجرحُ يا ولدي... لجرحِ الرّوحِ والكِبْرِ¹

فقد صارت كلمة (نوفمبر) في ثقافتنا الثّورية نحن الجزائريين، وفي ثقافة كلّ أحرار العالم، رمزا للثّورة والتحرر من قيود المستعمر، ويتحوّل (أوراس) إلى رمز للبطولة والفداء والكفاح المسلّح أجل تحرير الأرض والعرض من ظلم الطّغاة والجبابة. و(جرح الشعب) رمز لحياة الحرمان والكبت التي عرفها الشعب الجزائري تحت حكم فرنسا الاستعمارية وهنا حقّ للشّاعر أن يستعمل كلمة (كِبْر) للتعبير عن إعجاب الشعب الجزائري بنفسه ليرى نفسه أكبر بثورته من فرنسا التي استصغرها الشّاعر بطمس اسمها. ثمّ يلوذ بالطّبيعة ويستعير منها عناصرها (البحر، الإعصار) ليرمز بها للخوف والرّهبة والرّعب الذي سيمزّق أشرعة فرنسا من قبل الثائر الجزائري ويثير الهلع لدى مستوطنيتها، ويرمز لنداء نوفمبر بـ(الصّيحة الخضراء) التي - وإن كانت صورة إيجابية - جاءت مفاجية للسياق مع (تحليقة النّسر) وهذا الأخير رمز تراثي عربي ارتبط ذكره في الأدب العربي بخالد بن الوليد وصلاح الدين الأيوبي، وهو رمز للقومية العربية، وهو في عمومته رمز للقوّة والشّجاعة وبعد النّظر والخلود.

¹ - جمال الطاهري: الزهور، ج3، ص:19.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

ومن الرموز الأسطورية المفردة؛ التي لعبت رمزيتها أدواراً كبيرة في الأدب العربي يستحضر جمال الطاهري شخصية صلاح الدين في قوله من قصيدة (حيوا البنين):

حيوا أحفادَ المسلمين قد أفلحوا دنياً ودين
بهم دمي صلاح الدين وأحمد الهادي الأمين¹

ويأتي بهذا الرمز التاريخي؛ للدلالة على دوره الكبير في توحيد كثير من القوى العربية والإسلامية في حربه ضد الصليبية، والذي ظلت الثورات عبر تاريخ الإنسانية تستلهم منه الدور. وأمّا ألفاظ (أحمد، الهادي، الأمين) فهي ألفاظ تراثية دينية تحيل رمزيتها مباشرة على شخصية سيدنا محمد ﷺ وما يعاب على الشاعر في هذه الصورة الرمزية تقديم رمزية صلاح الدين على شخصية الرسول ﷺ.

ويحوّل جمال الطاهري اسم العلامة عبد الحميد بن باديس رائد النهضة الجزائرية إلى رمز فدّ للتعليم وطلب العلم، ويختصر اسمه برمز مفرد (باديس) في هذا المقتطف من أنشودة (وصية باديس):

باديس قال باديس قال بالعلم تجنّب المنال
به نعز، به نسود به سرفى إلى الكمال²

ويتبادر إلى ذهن الطاهري رمزية أسطورية أخرى، جذورها متشبّثة بالأرض وتمتدّ أغصانها محتضنة أطفال فلسطين، تتألم مثلهم، صامدة مثلهم، تُجرف مثلهم؛ لتبقى مثلهم رمزاً للبقاء والصمود، إنّها شجرة الزيتون، يقول:

من خصلة الزيتون ساحت على بيتي
والنار في الكانون تَهْتَأُجُ مِنْ زَيْتِي³

من خلال ما تقدّم نلاحظ أنّ الصورة الرمزية عند جمال الطاهري ارتبطت بشحنات شعورية بسيطة، كانت في مجملها فردية مستقلة، تعدّدت موضوعاتها ودلالاتها واستخداماتها، ولكنّه أهمل الصورة الرمزية الجماعية المتوارثة أو ما يسمّى بالصورة

¹ - جمال الطاهري: الزهور، ج4، ص:12.

² - جمال الطاهري: الزهور، ج3، ص:07.

³ - جمال الطاهري: الزهور، ج4، ص:18.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

الرمزية التمثيلية؛ التي تتجلى ملامحها في القوالب الحكائية الرمزية، حيث لم يفرد لها قصائد بعينها، ولكن تظهر ملامحها في مسرحه الشعري للأطفال الذي يحتاج إلى دراسة مستقلة؛ لأن شخصياته مخلوقة وليس لها أساس واقعي، وقد أنسها وهذا ما يوائم مرحلتها الطفولة الأولى والثانية، ولكن أبعادها الرمزية لا تتفق وهاتين المرحلتين؛ لكثرة الإحالات فيها على الرغم من بساطة تصوير الشخصيات، فالانتقال من دلالة الحيوان إلى دلالة الرمز الذي نستشف منه العبرة الأخلاقية في عالم الطفل الواقعي من أصعب الأمور على الطفل في الصورة الرمزية التمثيلية، ولكن لجمالية هذه الصورة سأمثل لها بهذا المقطع القصير من مسرحيته الطفلية (الدجاجة المخدوعة) على لسان الراوي الذي يحكي واقعا مريرا نحياء، ويحمل دلالات تكشف عن واقع الشاعر النفسي:

وَحَدَّقَ الْعُقَابُ	من ذروة السحاب
بَدَتْ لَهُ دِجَاجُهُ	سمينة رجراجة
دِجَاجَةٌ كَسَلَانَةٌ	مخدورة نعسانة
نَامَتْ بِلا حِرَاكٍ	تُغْنِي عن العراك
كصخرة مَوَاتٍ	قَرَّتْ وفي ثَبَاتٍ
مُغْمَضَةً الْعَيْنَيْنِ	مقفولة الأذنين
فَانْقَضَ كَالرِّصَاصِ	وَعَاصَ كَالغَوَاصِ
تَحْسَبُهُ طِيَّارَةً	صاعقةً منهارَةً
وفي بضعِ ثَوَانٍ	قد حَقَّقَ الأمانِي
واقْتَنَصَ الْوَلِيمَةَ	مأدبةً عَظِيمَةً ¹

3.1 - عناصر الصورة الشعرية ودلالاتها:

إنّ للصورة الشعرية في شعر الأطفال في الجزائر عناصر تتأزر مع روافدها ومنابعها ومصادرهما؛ لتمنحها القوة الفنية وسحر التشكيل، ولذلك نجد شاعر الأطفال "عندما ينتقي ألفاظا للصورة يستحضر حينذاك عن طريقها الأشكال لها والألوان والأحجام وغيرها في نسق معين يبعث الحركة فيها، مثل أيّ كائن حي منظور في الواقع

¹ - جمال الطاهري: الدجاجة المخدوعة، ص: 21.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

وقد اتخذ مظهراً من مظاهر الطبيعة¹ وإن كان من العسير التّحديد الدّقيق لعناصر الصّورة وخصائصها في الأدب بعامّة لتجربتها الحسيّة، فإنّها في أدب الطّفل يمكن الوقوف عليها لارتباطها بالحواس من سمع وبصر وشمّ ولمس، فضلاً عن الحركة التي تسري في خواطر الأطفال.

1.3.1 - عنصر اللون (البصر):

يعتبر اللون من أجمل عناصر الطبيعة، ومن أهمّ عناصر الصّورة الشعريّة؛ لتنوّع دلالاته الفنّيّة، ذلك أنّ الصّورة الشعريّة "لا تخلو بحال من اللون فيها، من أحمر وأبيض وأخضر وغيرها من الألوان المركّزة والخفيفة... وكذلك ما توحى به بعض الألفاظ من رموز تدلّ على لون أو معنى فيه شبه اللون"² وشعراء الطّفولة في الجزائر وبخاصّة أصحاب الاتّجاه التربوي ركّزوا في شعرهم للأطفال على الألوان التي تجعل الصّورة قريبة من الأطفال، خصوصاً في المراحل الأولى، أين يكون "اللون الأحمر هو المفضّل عند الأطفال، يليه اللون الأصفر، ثمّ الأزرق فالأخضر، وينفعل الأطفال الذين تقع أعمارهم بين نهاية مرحلة الرّضاعة وسن ما قبل المدرسة باللّون الأحمر كثيراً، في حين يكون اللون الأصفر أقلّها تفضيلاً لديهم، وحين يصل الأطفال إلى العمر المدرسي (ست سنوات) يصبح اللون الأزرق هو المفضّل لديهم"³ ويزداد حظ هذه الألوان ميلاً ومعرفة وتسمية مع تزايد الخبرات والتّعلّم.

وجمال الطّاهري من شعراء الطّفولة الذين أشاعوا الألفة بين المعنى واللّون بما يتّفق مع الغرض، وكان للطّبيعة أثر واضح النّراء اللّوني عنده، حيث وجد في الاحمرار قوّة معنوية في تشبيه لون الورد بالخذّ المحمّر دلالة على الجمال والوسامة والحسن حيث يقول:

¹ - علي علي صبح: البناء الفنّي للصورة الأدبية في الشعر (د، ط) المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، 1996 ص:220.

² - المرجع نفسه، ص:226.

³ - شاكر عبد الحميد: التفضيل الجمالي (دراسة في سيكولوجية التذوق الفنّي) المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت 2001، ص:241.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

مَا أَحَلَى مِنْ لَوْنِ الْوَرْدِ أَحْمَرَ كَمَا لَوْنِ الْخَدْ¹

وَرَمَزَ بِاللَّوْنِ الْأَحْمَرَ إِلَى تَضْحِيَاتِ الشَّهِيدِ مِنْ أَجْلِ الْوَطَنِ فِي قَوْلِهِ:

دَمُهُ فِي كُلِّ شَبْرٍ يَلْتَمُّ الْأَعْلَامَ أَحْمَرَ²

ويستعير لفظ (الدّم) للدلالة على اللون الأحمر وهو يصف الفنان وريشته في قوله:

قَدْ أَرَوَى الرَّيْشَةَ مِنْ دَمِهِ فَإِذَا بِمَزِيحِ الْأَلْوَانِ قَدْ جَمَحَ³

كما وظّف الشاعر اللون الأحمر كمصدر للإزعاج وإثارة الخوف والهلع في صورة

تشبيهية للديك (كوكو) وهو يهاجم الدجاجة الدخيلة:

وَهَبَّ لِلدَّخِيلِ فِي قَفْزَةٍ طَوِيلَةٍ

أَحْمَرَ مِثْلَ النَّازِ قَدْ حَوَّطَتْ بَدَارُ⁴

أما اللون الأصفر وهو ثاني الألوان التي يتذوّقها الأطفال حسب الدراسات النفسية

فهو لون التوهج والشروق، ولون الشمس والنور، ويتميز بخاصية الجمال حين يخالطه

الأحمر عند الغروب، كما أنه دلالة على المرض، لكنّ جمال الطاهري لم يستعمله

في شعره للأطفال إلا مرتين للدلالة على التغيّر اللوني واحدة للتعبير عن صفرة الزرع

صيفاً؛ للدلالة على النضج، حين قال:

الزَّرْعُ الْأَصْفَرُ أَنْشَانِي وَبَدَارُهُ أَنْشَا أَجْدَادِي⁵

والأخرى صور فيها حالة أوراق الخريف وكيف تلهو بها الرياح، للدلالة

على الموت والفاء، في قوله:

رَمَتْ بِهَا مُهْشَمَهُ مَصْفَرَّةً مَحْطَمَهُ⁶

¹ - جمال الطاهري: الزهور، ج2، ص:17

² - جمال الطاهري: الزهور، ج3، ص:04.

³ - جمال الطاهري: نفع الياسمين، ص:16.

⁴ - جمال الطاهري: الدجاجة المخدوعة، ص:07.

⁵ - جمال الطاهري: نفع الياسمين، ص:03.

⁶ - المصدر نفسه، ص:10.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

وحالات التّغَيّر اللّوني هذه عبّر عنها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيَجُ فَتَرَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَمًا¹ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ¹

أما اللون الأزرق فقد كان ارتباطه في الطبيعة بالسّماء وانعكاسها على الماء، وهو اللون الوحيد الذي يغمر الأرض، وتعدّدت دلالاته عند الشّعوب بتعدّد المعتقدات، وقتامته في الموروث التّشكيلي تدلّ على الخمول، وفي التّراث العربي تدلّ على الطّاعة والولاء أما الفاتح منه فيدلّ على براءة الأطفال، ورغم هذه الدّلالات وغيرها، فإنّ جمال الطّاهري لم يستعمله في شعره للأطفال كثيراً فقد أوردّه وهو يصف جناح الفراشة ويتمثّله شراعا يصارع الموج الذي اكتسب اللون الأزرق من زرقة السّماء فيقول:

فانظُرْها اليَوْمَ قَدْ حَطَرَتْ بجناحٍ من صنْعِ الأفقِ
كشِراعٍ من نُورِ أخرقٍ يختالُ على موجِ أزرقٍ²

كما تجلّى اللون الأزرق عنده في تصويره الفنّي المرتكز على اللون وظلاله، وما ينبعثُ عنها من تراسل للحواس، فالشّاعر لم يعجبه منظر الغدير وإثما أعجبه زرقتة والصفاء فيه، ولم تعجبه الشّمس بقدر انعكاس لونها على الماء، فأبدع بخياله الخلاق هذه اللّوحة:

أحبُّ السّماءَ، ومرأى الغديرِ وأعشقُ زُرقتَهُ وصفاءَهُ
وشمسُ بلادي، جدائلُها أراها تُراقصُ فوقَ المياهِ
إلى أن يقول:

وزُرقةٌ بحرٍ المحيطِ العظيمِ أقدّسُ في النَّاسِ حبَّ الإلهِ³

¹ - سورة الزمر: الآية: 21.

² - جمال الطّاهري: نفع الياسمين، ص: 16.

³ - جمال الطّاهري: الزهور، ج1، ص: 15.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) أنموذجا

وللون الأخضر حكاية أخرى في شعر الأطفال، فهو الأوسع استعمالاً عندهم والأكثر حضوراً في ترانيمهم الطفلية؛ لأنه الأوضح في دلالاته، فهو قرين الشجرة في كل مواطنها، ويحتلّ "مكانة متميزة في التراث العربي الإسلامي، وله حضور في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وفي كتب التراث، وقد كثف هذا الحضور اهتمام الشعراء به ليس فقط في الشعر الموجّه للأطفال؛ بل وحتّى في الشعر الموجّه للراشدين... ويحتلّ اللون الأخضر مكانة رفيعة ويحمل دلالات عميقة لعلّ أبرزها أنّه يرمز للعقيدة الإسلامية"¹ وأكثر استعمالاته كانت مع النباتات وما تشكّله من رياض وحقول فضلاً عن الثياب، وبعض الحشرات الصّغيرة.

ويعتبر اللون الأخضر من أكثر الألوان ألفة للطفل؛ لذلك استعمله الشاعر جمال الطاهري في ديوانيه في عدّة صور شعرية لونية؛ غير أنّه لم يرق ليشكّل ظاهرة فنيّة عنده، وفضلاً عمّا ذكرته في موضعه من الصّورة الرّمزية، جاء باللون الأخضر؛ ليصف به الرّوض كناية عن الوطن فقال:

يَا ملعبَ الأحفاد يَا رَوْضِي الأَخْضَرَ²

وفي ذات المعنى يصف به الزّرع في مرحلة اخضراره، مستعملاً اللون

في موضعه فيقول:

الزّرعُ الأَخْضَرُ بالوادي يُنْمِي ويجدّدُ أعيادي³

ويستعمله كضرب للتّفاؤل، في بعد رمزي مركّب، وصورة كنائية عن الوجه الأخضر

ضاحك العينين فيقول:

ها هو الفجرُ تَنَنَّى وبهذا الصّبحِ بَكَرَ

ضاحكَ العينيّنِ بِشِراً أخْضَرَ الأعماقِ أخْضَرَ⁴

¹- العيد جلولي: النصّ الشعري الموجّه للأطفال في الجزائر، ص: 340.

²- جمال الطاهري: الزّهور، ج1، ص: 19.

³- جمال الطاهري: نفع الياسمين، ص: 03.

⁴- المصدر نفسه، ص: 07.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

وللثياب الخضر دلالة اجتماعية عالية، فهي لباس الملوك ورؤوس الأقوام لذلك
فاضل عليها الشاعر خضرة الأعشاب بقوله:

مَا أَعَذَبَ خُضْرَةَ أَعْشَابٍ أَحْلَى مِنْ أُرُوعِ أَثْوَابٍ¹

عظفا على ما سبق في معالجتنا للصورة اللونية عند جمال الطاهري نلاحظ أنه
نهل من سحر الألوان، مستلهما جمالها من الطبيعة، غير أنه لم يمزجها ولم يذكرها
في قصيدة تشكيلية، واكتفى بالفاظ (مزوّقة، زركش، قطيفة، قوس قزح، مزينة، الألوان
أصباغ، منمّقة، مزيج اللون، ألوان الرّاسم...) ليعبر بها عن تمازج الألوان، ولم يوظّف
اللون الأبيض في شعره قط، ودلّ عليه بالثلج والقطن.

2.3.1- عنصر الشم:

تعتبر الحواس مدخلا مفيدا لأيّ عمل فنيّ موجّه للأطفال، والشمّ واحدة منها، إذ
يعتبر عنصرا أساسا في الصورة الشعرية في شعر الأطفال؛ لأنه وسيلة في إثارة المخيلة
وتقريب كلّ ما يدلّ على الرائحة عموما إلى ذهن المتلقّي الصّغير، ولعلّ أقربها إلى نفوس
الأطفال تلك الصّور التي تحمل دلالات عن الرائحة الطيّبة العطرة، إذ خلافها قد نأى
عنه شعراء الأطفال؛ لاعتبارات تربوية نفسية، فالصورة ذات الرائحة الكريهة قد تشوّه
الدّوق الجميل عند الطّفل.

يعتبر جمال الطاهري في شعره للأطفال من المقلّين في الصّورة الشّمّية وكانت
نافلته أنّه اتّجه مباشرة إلى خلاصة الرّوائح الطيّبة وهي (العطر) ليصف بها رائحة
لفظة (بابا) على لسان الطّفل في تعبير مجازي جميل فيقول:
ولها عطرٌ مثلُ الوردِ²

وفي ذات المعنى، وتعبيرا عن أحلى رائحة عطر في الوجود، يحكي الشاعر عن عطر
(بنيتته) مشبّها إياها بالفلّة قائلا:

يَا مَأْمِي يَا بَسْمِي العطرُ عمّ فلّتي

¹ - جمال الطاهري: الزهور، ج2، ص:17.

² - جمال الطاهري: الزهور، ج5، ص:11

أنتِ أنيسٌ وحدتي يا فلذتِي والعين¹

والشّم يكون بالاستنشاق عن طريق الأنف، ودائماً الطاهري يستعمل لفظ (العطر) للدلالة على الرائحة الزكية، ويشرح صورة الشّم مخاطباً الأطفال:
وانشِفُوا عطرَ الوردِ عبقّتْ كلَّ الوجود²

ويستعمل الفعل (فاح) للدلالة على انتشار رائحة الزهور في قوله:
يا مرحباً هذي الزهورُ فاحتْ بآياتِ العطور³

3.3.1 - عنصر الذوق:

الذوق عنصر آخر من عناصر الصورة في شعر الأطفال، ويسمى في الاستعمالات العامة (الطعم)، ويستعمل شعراء الطفولة للتعبير عن صور هذا العنصر معجماً خاصاً يضم ألفاظاً معروفة ومألوفة لدى الأطفال من مثل: حلو، حلوة، مرّ، عذب أعذب، أحلى، أشهى، أطيب وغيرها مما يلائم الذوق المرتبط عادة بحاسة اللسان التي يميّز بها الإنسان بين الأذواق.

يستحضر الشاعر جمال الطاهري مجموعة من الألفاظ؛ لينثر مجموعة من الصور الذوقية في صورة تركيبية؛ لجلب انتباه المتلقّي الصّغير لأطول مدّة لتفكيك جزئيات هذا المركّب في مقطع من أنشودة (كلمة بابا):

يا ما أطيّب	كلمة بابا
فلها طعم	مثل الشهد
ولها عطر	مثل الورد
نعم حلو	مثل السكر ⁴

1 - جمال الطاهري: الزهور، ج5، ص:12

2 - جمال الطاهري: الزهور، ج1، ص:07.

3 - جمال الطاهري: الزهور، ج3، ص:10.

4 - جمال الطاهري: الزهور، ج5، ص:11.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

فقد استعمل (أطيب، طعم، حلو) للدلالة على وصف الأذواق الجميلة التي يحبها الأطفال. وتكررت هذه الألفاظ في قوله:

لَمَ الأَطْيَابُ حَلْوٌ ذَا اللَّيْلِ¹

ولم يستعمل الذوق المر إلا مرة واحدة مقرونا بالشهد للتخفيف من وطأة المرارة مع ذكر الطعام والشراب وهما مصدرًا كل نوق، على لسان طفل يحكي عن أمه:

قَدْ ذاقَتْ شَهْدًا مِنْ مُرِّي وَلِهَذَا نَدَعُوها مَآمًا

قامت بطعامي وشرابي خاطت قمصاني وثيابي²

4.3.1 - عنصر الحركة:

يوصي المهتمون بشعر الأطفال، أن يكون هذا الأخير مشحوناً بالمرح ولا ويتحقق هذا المرح إلا بتجسيد صورة الحركة فيه، ذلك أن طبيعة الطفل هي الحركة، فهو يكره الأشياء الجامدة؛ لذلك عمد الشعراء إلى أنسنتها لإضفاء الحركية عليها، وعادة ما تتمظهر صورة الحركة في اللعب، والتحول من الثبات إلى التمايل والميسان بفعل عناصر الطبيعة كالنسيم مع الأزهار، والرياح مع الأشجار، وغيرها.

لقد جسّد جمال الطاهري صورة الحركة في أنشودة (الهرة) التي فصلت معالمها في الفصل السابق في موضعها، وفضلاً عن ذلك كانت الصورة الحركية واضحة في معظم قصائده وأناشيده للأطفال ولا يمكن مسحها إلا بالتمثيل لها ففي أنشودة (العب يا طفلي) صورة تموج بحركة الطفل وطبيعة لعبه مع استحضار حركة النحلة في قوله:

اركضْ معي اركضْ بِالطَّوْلِ أَوْ بِالْعَرْضِ
زَيْنُهَا ذِي الأَرْضِ يَا وَرْدَةَ الحَقْلِ
اركضْ معي خَبَبًا وَاذْرَعْ هُنَا طَرَبًا
سَبْحَانَ مَنْ وَهَبًا إِشْرَاقَةَ الحَقْلِ

¹ - جمال الطاهري: الزهور، ج5، ص:17.

² - جمال الطاهري: نفع الياسمين، ص:11.

قُمْ وَاَبْدِ الْحَفْلَا وَاَمْرَحْ بِهِ نَحْلَا¹

ويعبر عن الحركة بسعي النمل:

انظر إلى النمل يسعى بلا مهل²

ويصف حركة الفراشة، فحتّى في سكونها حركة بقوله:

بين الزرع تلعب إذا نأت ستقرب
أو سكنت تضطرب تعلو فوق النجوم³

5.3.1 - عنصر الصوت:

الصوت ظاهرة طبيعية، انتشر استعماله بين علماء اللغة والموسيقيين ووظفه الشعراء كعنصر من عناصر تشكيل الصورة الشعرية في أشعارهم "والسمع هو الحاسة الطبيعية التي لا بدّ منها لفهم تلك الأصوات... والسمع أقوى من الحواس الأخرى وأعمّ نفعاً للإنسان من النظر مثلاً في تمييز المرئيات، ومن الشمّ في التعرف على الروائح... والسمع حاسة تستغلّ ليلاً ونهاراً، وفي الظلام والنور وفي حين أنّ المرئيات لا يمكن إدراكها إلاّ في النور"⁴ لذلك عني شعراء الطفولة في كلّ مصر بالصورة الصوتية، فاستعملوا في تشكيلها أصوات الحيوانات القريبة من الطفل، كما فعل جمال الطاهري مع صوت الديك وصوت الهرة الذي فصلت فيه في الفصل السابق، كما وظّفوا صوت الإنسان وأصوات الطيور وأصوات الطبيعة وعناصرها؛ لتشكيل صورهم الصوتية.

وجمال الطاهري نوع في هذا اللون من الصور، فقد وسم بعض أناشيده بلفظ الصوت وبما يدلّ عليه على غرار: (صوت ماما) و(الطير غنى) و(أنشودة المطر) و(صوت الريح) وغيرها وكثر فيها لفظ(صوت) والمشتقات التي تدلّ عليه كثيراً جداً للدلالة على أهمية الصوت بالنسبة للطفل، والتي لا يمكن مسحها في هذه المساحة، و فقط نقتطف منها هذه الصورة:

¹ - جمال الطاهري: الزهور، ج5، ص:13.

² - المصدر نفسه، ص:04.

³ - جمال الطاهري: نوح الياسمين، ص:18.

⁴ - إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية (د، ط) مطبعة نهضة مصر، مصر (د، ت) ص:14.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

صوتٌ يُسعدُ قلبَ الفلاحِ
نغمٌ ينشدُ لحنَ الإصلاحِ¹
وهذه الصورة:
والرعدُ قد هدرُ بصوتهِ المخيفِ²
كما تجلّت الصورة الصوتية في هذا المشهد الرائع:
يا شمعُ كُفِّ النَّوْحِ قد غرّدَ الشّادي
غنّت طيورُ الدَّوْحِ للرائحِ والغادي³

6.3.1- عنصر الحجم:

أزعم أنّي لم أجد جانب الحقيقة في إيراد هذا العنصر لأهميته الكبرى في شعر الأطفال، ولن أعالجه في جانبه الرياضي والفيزيائي، وإنما قصدت له لأميح اللثام عن العناصر التي تعامل معها جمال الطاهري في شعره للأطفال، في رسم بعض صورهِ الشعريّة، التي يمكن من خلالها سبر أغواره الطفولية التي تساقط إليها من علياء بلوغه.

بتتبعي لمضامين دواوينه الشعريّة وقفت على حقيقة مفادها أن الطاهري كان طفلاً صغيراً؛ باستخدامه الحجم الصّغيرة في العمر، والقصيرة في الطّول والخفيفة في الوزن وما سواها كان عرضاً للإيضاح.

ففي عالم الإنسان كان تعامله مع الطّفل في شتّى مراحلهِ، فقد كرّر لفظ الطّفل وحده أكثر من عشرين مرّة، فضلاً عن توظيفه لكلّ ما يدلّ على صغير الإنسان؛ بل عمد إلى تصغير الصّغير، ولعلّ الأجل في كلّ هذه الصّور قوله:

بنيّتي يا فرحتي يا قرّة العينِ التي
بها تطولُ عيشتي يا فلذتني والعينِ⁴

¹ - جمال الطاهري: الزهور، ج5، ص:15.

² - جمال الطاهري: الزهور، ج2، ص:10.

³ - المصدر نفسه، ص:13.

⁴ - جمال الطاهري: الزهور، ج5، ص:12.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

وفي عالم الحيوان تعامل الطاهري مع الحيوانات القريبة من عالم الطفل وبيئته موظفاً صورة الحجوم الصغيرة والخفيفة (العصفور، الفراشة، النحلة، الثعلب، الجراء الديك، الدجاجة، الصيصان، النمل، الهرة...) وكلها يعرفها الطفل وبإمكانه استحضار صورها لقربها منه، وأجمل هذه الصور على الإطلاق تجلت في قوله:

أحبُّ الطيورَ أحبَّ غناها أحبُّ الجراءَ أحبُّ الشياهُ
أودُّ امتلاكَ خروفٍ صغيرٍ وهراً ودودٍ، وجروٍ وشاه¹

أما عالم النبات فقد وظف الشاعر فيه عنصر الشجرة وما دونها طولاً وخفةً وجمالاً ولم يبتعد عن عالم الطفل الطبيعي، فتغنّى بالنباتات القصيرة والثمار الصغيرة التي يحبّها الأطفال من مثل: (الزهور، النور، الفل، السوسن، الورد، العنبر، الخزامى، تفاحة الياسمين، الأعشاب، الزرع، الريحان، التين، الزيتون...) فضلاً عن عناصر طبيعية أخرى ذات حجوم صغيرة، ولا يمكن الإمام بها بأي حال لكثرتها، وإن كبرت عمد إلى تصغيرها، ولعلّ أرفعها كانت واضحة في قوله:

يا شمسُ يا شمسُ حبيبٍ من عروسه
استيقظي واشرقِي وابتسمي تالقي²

2- التشكيل الموسيقي:

1.2- مفهوم الموسيقى وعلاقتها بالطفل:

الموسيقى فنّ جليل، قديم قدم الإنسان منذ عصور التاريخ السحيقة، لها تأثير في النفوس "كون الناس يستعملونها تارة عند الفرح واللذة والأعراس والولائم، وأخرى عند الحزن والغمّ والمصائب والمآتم، وطوراً في بيوت العبادة والأعياد وأونة في الأسواق والمنازل وفي الأسفار والحضر وعند الراحة والتعب وفي مجالس الملوك ومنازل السوق ويستعملها الرجال والنساء والصبيان والمشايخ والعلماء والجهلاء والصنّاع والتجار وجميع

¹ - جمال الطاهري: الزهور، ج2، ص:15.

² - المصدر نفسه، ص:19.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

طبقات النَّاس¹ ومثل هذا الفيض الذي يتدفَّق على الأسماع حري به أن يكون غذاء للروح، وشفاء للنفوس وإلهاماً للشعراء.

والموسيقى في الشعر علم يبحث في أحوال الأنغام بين التأليف والإيقاع في لغة صوتية خالية من حروف الكلام، تصاغ على أحد الأوزان المعروفة في علم العروض. والاستجابة لهذه الأنغام التي اصطلح عليها بموسيقى الشعر هي استجابة فطرية في كل إنسان، وبخاصة لدى الأطفال "الذين يحبون الأصوات المتناغمة، ذات الإيقاعات الحلوة. فهم ينامون بهدوء واطمئنان على صدور أمهاتهم، أو في أسرّتهم، وهم يستمعون إلى أمهاتهم يغنّين لهم بأصوات إيقاعية ونغمات عذبة... فالموسيقى هي التي تضيء على جمال المعنى في الشعر جمالاً في الصورة والتعبير. وهذا ما يجعل الأطفال يقبلون على الشعر، يقرؤونه، يحفظونه، ينشدونه، ويتغنّون به بحب وإعجاب"² بين الفترة والأخرى، فهم أثناء لعبهم وفي انفرادهم، وداخل البيت وخارجه وفي المدرسة يغنّون ويردّدون الأناشيد والأغاني حتّى وإن كانت دون فهم. فالمهم عندهم النغم الصوتي المثير الذي يصلهم عن طريق السمع، والأطفال في ذلك يتوحّدون مع نظام الحياة حولهم؛ لأنّه يمجج بكلّ أنواع الموسيقى انطلاقاً من قلب الأم الذي يتوسّده الطفل وهو يرضع إلى نغمات التّنفّس عنده وعندّها إلى حركات التّرقيص وغيرها، "فنراه يستجيب استجابة حركية عند استماعه لصوت مفاجئ أو لحن موسيقي معيّن، كذلك نراه يستجيب لتحديد مصادر وأماكن المثيرات الصوتية، فيلتفت إلى مصدر الصوت فتنتج الاستجابة المرتبطة بهذا المثير الصوتي..."³ الذي ينبع من تدفّق الموسيقى في وجدانه، وفي روح حياته.

والطفّل في استجابته للمثيرات الصوتية قد يستقبل أصواتاً موسيقية وقد يستقبل غيرها، وهنا وجب تربية الدّوق عنده منذ مرحلة الواقعية والخيال المحدود؛ لأنّ "موسيقى الطّفّل تعمل على إنضاج شخصيته، وتكاملها بوجه عام وعلى انضاج الجانب الوجداني بشكل خاص، حيث أنّها تربي ذلك الجانب وتعمّقه بالخبرات الحيّة، وتعدّه للتناغم

¹ - محمد كامل الخلعي: كتاب الموسيقى الشّرقية (د، ط) مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2012، ص: 12.

² - عبد الفتاح أبو معال: أدب الأطفال وأساليب تربيتهم وتعليمهم وتنقيفهم، ص: 216.

³ - شريف إبراهيم خميس: النّدوق الموسيقي، ط1، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2011، ص: 14.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

مع المعاني والقيم المجسدة في العمل الموسيقي الأصيل¹ وهو ما أثار اهتمام البشرية بالنغم الموسيقي ودوره في حياة الطفل، فكانت أغاني الترقيص والهددة وهديل المهد ثم شعر الأطفال حديثاً، وكلّ أولئك ينشر البهجة في نفوس الأطفال، ويشبع ميولهم الموسيقية. وليس أدلّ على أهميتها من عناية المجتمعات بها وجعلها ملاصقة لمختلف مراحل الطفولة الدراسية، بتأليف مناهج لها، وتسميتها بالتربية الموسيقية كمنهج دراسي في كلّ صفّ دراسي.

إنّ شعر الأطفال لا يكتسب صفات لاصقته (الأطفال) وخصائصها إلا إذا نهض على الإيقاع الذي يقبل التعبير الحركي، والتعبير النغمي، وهو ما نادى به معظم منظري أدب الأطفال في مؤلفاتهم المختلفة إلى أن يكون اللعب والغناء هما منطلقاً شعراء الطفولة، فبهما "يقاس الإيقاع، وعدّ هذا المنطلق عالمياً وليس من طوابع شعر الأطفال العربي وحده، فضرورات شعر الأطفال ثلاث هي: التوضيح المادّي والتلاعب بالألفاظ والتدقيق الذي لا غنى عنه أولاً والتلاعب بالألفاظ وحسن اختيارها وترقيصها ثانياً والصقل ثالثاً، وما يوجب عناصر الحيوية الثلاثة أيضاً... التناغم الإيقاعي والموسيقى في البناء الشعري..."² فضلاً عن الابداع الفنّي الكامن في شخصية شاعر الطفل الذي يعمل على صياغة الألفاظ بأحسن وسائل التعبير؛ لتشكيل الثراء التصويري بمختلف العناصر، التي لا تتفصل عن عناصر الإيقاع الموسيقي التي نوجزها في الآتي:

- الاعتماد على التكرار: ويقصد به تكرار مقطع من بيت في كلّ أبيات القصيدة، فالطفل يميل بنزعتة إلى التكرار المألوف.

- التعبير بالحركة: ويقصد به صياغة المقطوعات التي تتضمن حين ترديدها حركات يقوم بها الطفل، مثل: لعب الكرة، الجري، القفز، ليردّها الأطفال وهم يلعبون وقد تكون إيقاعية مع اللحن والموسيقى.

- الوزن والإيقاع: ويقصد به اختيار الشاعر للأوزان القصيرة ذات الإيقاع الذي يتمثّل في الأوزان والقوافي والكلمات، وعليه فالشعر العمودي أفضل من الشعر الحر عند الأطفال.

¹ - هادي نعمان الهيتي: أدب الأطفال (فلسفته-فنونه-وسائطه) ص: 222-223.

² - أنور عبد الحميد موسى: أدب الأطفال... (علم وفن)) ص: 507.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

- دوران الشعر حول هدف تربوي
- ارتباط الشعر بالمعجم اللغوي الطفلي¹.

2.2- الموسيقى الخارجية:

ترتبط الموسيقى عند الطفل بالصوت الحسن الذي "يجري في الجسم مجرى الدم في العروق فيصفو له الدم، وتنمو له النفس، ويرتاح له القلب، وتهتز له الجوارح، وتخف له الحركات"² فالموسيقى في الشعر تصدر عن لسان الشاعر، وتستقبلها أذن المتلقي ويعيها قلبه، وتهتز لها بقية جوارحه، ومن هنا اعتبر الوزن والإيقاع والقافية من أهم السمات الجوهرية في الشعر بعامة وشعر الأطفال بخاصة، باعتبارها منابع الموسيقى الخارجية في الشعر، والتي يحكمها علم العروض.

1.2.2- الوزن والإيقاع:

والوزن هو "مجموعة الأنماط الإيقاعية للكلام المنظوم التي تتألف من تتابع معين لمقاطع الكلمات أو التي تشتمل على عدد ما من تلك المقاطع اللغوية، ففي العربية يتألف من المقاطع تفعيلات، ومن هذه التفعيلات تتكون البحور الشعرية"³ وهذه التفعيلات تنتج من تتابع الحروف الصائتة بالحروف الصامتة، أو ما يعبر عنه بالحركات والسكنات.

والأوزان في شعر الأطفال لها ارتباط بالانفعالات الطفلية، بمعنى أنها "تختلف باختلاف الموضوعات والانفعالات التي يعبر عنها، فعندما نشعر بالسعادة يكون الإيقاع سريعاً، أمّا في حالات الحزن فيبطئ الإيقاع... وقد يختلف الإيقاع خلال البيت الواحد رغبة من الشاعر في التأكيد على فكرة أو كلمة وخلال القصيدة، قد يبطئ الإيقاع أو يسرع للتعبير عن اختلاف المزاج، أو تغيّر الطابع"⁴ وعلى عموم ما سبق يلجأ شاعر

¹ - نجلاء محمد أحمد: أدب الأطفال، ص: 110-111.

² - أحمد زلط: أدب الطفل العربي دراسة معاصرة في التأصيل والتحليل، ط1، دار هبة، مصر، 1998، ص: 121.

³ - مجدي وهبة، وكامل المهندس: معجم المصطلحات الأدبية في اللغة والأدب، ط2، مكتبة لبنان، بيروت، 1984 ص: 433.

⁴ - كمال الدين حسين: أدب الأطفال (المفاهيم، الأشكال، التطبيق) ص: 133-134.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

الأطفال في أكثر تأليفاته الشعرية لهم إلى الأوزان القصيرة المناسبة في حركتها وإيقاعها لأنها الأنسب لهذا اللون الشعري، ومصدر الراحة للنّاطم والمتلقّي الصّغير على حدّ سواء.

وبتصّفحي لشعر الأطفال عند جمال الطاهري في ديوانيه الزهور ونفح الياسمين لاحظت وجود رابط بين معظم قصائده وأناشيده للأطفال وهو الإيقاع المنغوم، وهو دليل على ارتكازه في نظم شعره على البحور الشعريّة القصيرة التي تتّسم بالسرعة، وهو أمر حتمّ عليه اصطفاء الألفاظ المناسبة للجرس الموسيقي فانصرف إلى الأوزان الشبيهة بالأسجاع؛ والتي كان لبحر الرّجز ومجزؤه فيها سبق الاستعمال بما يقارب نصف ما نظم في ديوانيه، على اعتبار أنّه من البحور الصّافية التي تتسجم نغماته بتطابق تفعيلاته (مستقلن) التي تتكرّر ثلاث مرات في كلّ شطر، غير أنّه ليس بالمستطاع تتبّع جميع اتّجاهاته التي اتّخذها الشّاعر فيه لكثرتها، وسأكتفي بتمثيل صورته المجزوءة التي تصرّف فيها في قوله:

طُيُورُنَا عَنَّا مَضَتْ

حِينَ السَّمَاءُ أَعْوَلَتْ

وَالْوُرُقُ أَضَحَّتْ تُفْرَشُ

وَفِي التُّرَابِ عُفِّرَتْ

بِنْتُ العُصُونِ أُسْقِطَتْ

وَالصُّبْحُ طَيْفٌ مُوحِشٌ¹

كما استعمل بحر المتدارك استعمالاً مكثّفاً، وهو بحر يتميّز بخصائص جعلته كوعاء غنائي ملائم لشعر الأطفال لقصره وخفته. وهو البحر الذي يتميّز بالوزن الفريد في الشعر العربي، فهو يتكوّن في صورته الأصلية من (فاعِلن) أربع مرّات في كلّ شطر:

فاعِلن فاعِلن فاعِلن فاعِلن فاعِلن فاعِلن فاعِلن فاعِلن

ويجوز فيه أن يكون على ستّ تفعيلات فقط، كما يجوز فيه زحاف الخبن فتتحوّل التّفعيلة إلى (فَعِلُن) كما يجوز فيه العلة الجارية مجرى الزحاف وهي علة التّشعيت فتصير التّفعيلة بحذف الثالث المتحرّك (فَعِلُن) وقد يجتمعان معا فتحدث الطّرافة في هذا البحر، وهذا نغم

¹ - جمال الطاهري: نفح الياسمين، ص: 09.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

ينسال طرباً وعذوبة ورقّة ليس مثيلاً لها إلاّ رقّة الأطفال، على مشطور المتدارك وتفعيلته (فَعْلُنْ):

لَيْلِي مُقْمِرٌ	هَيَّا نَسَهْرُ
هَيَّا نَسَمَرُ	حُلُوْ ذَا اللَّيْلِ
حُلُوْ ذَا اللَّيْلِ	قَدْ ضَمَّ الْكُلُّ
أَهْلًا قَدْ حَلَّ	حُلُوْ ذَا اللَّيْلِ
ضَمَّ الْأَحْبَابُ	حَيْرُ الْأَصْحَابُ
لَمْ الْأَطْيَابُ	حُلُوْ ذَا اللَّيْلِ ¹

كما لجأ الطاهري إلى مجزوءات بحور أخرى كالمتقارب والوافر والرمل والهزج والطويل بنسب قليلة، وعمد إلى المزج بين مجزوءاتها أحياناً في القصيدة الواحدة؛ كالمزج بين المتقارب والرمل، ومن كثرة تصرفه في التفعيلات واعتماده على التسكين الذي يوجي بالهدوء والبساطة في العروض والضرب، جعل الالتباس يسود التمييز بين البحور المستعملة، ولكن هذه الوتيرة "تنفق وحاجات الطفل التي تجسد رغبة الشاعر في نقل الجمل القصيرة إلى الطفل وبأسلوب سهل بسيط عبر تفعيلات تتراوح بين الواحدة والثلاث تفعيلات في الشطر الواحد مع الميل إلى تكرار التفعيلة نفسها عبر المقاطع الشعرية مع تسكين النهايات، أو الوقوف على الحركة القصيرة عروضاً"² ويميل في أكثر شعره إلى الحركة والسكون، أو الحركتين والسكون، وأحياناً إلى الشطر والنهك تلمساً منه لتسريع الإيقاع وتيسير الغناء والإنشاد.

2.2.2 - القافية:

يعرّف علماء العروض القافية بأنّها: "المقاطع الصوتية التي تكون في أواخر أبيات القصيدة، أي المقاطع التي يلزم تكرار نوعها في كلّ بيت"³ وقد اختلف في عدد حركاتها ونوعها فذهب بعضهم على رأي الخليل إلى أنّها "آخر ساكن في البيت إلى أقرب ساكن

¹ - جمال الطاهري: الزهور، ج5، ص:17.

² - عبيد النوايسة: أدب الأطفال في الأردن، ص:277.

³ - عبد العزيز عتيق: علم العروض والقافية (د، ط) دار النهضة العربية، بيروت، 1987، ص:134.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

بإليه، مع المتحرك الذي قبله "وقال الأخفش: إنها آخر كلمة في البيت، وقال قطرب والفرّاء إنها حرف الرّوي"¹ وهي في الحقيقة تعريفات فيها بعض التّكّلف، لأنّها تتفاوت بوضوح في عدد الأصوات المتكرّرة، ويصعب على الباحث تحديدها في ظلّ ذلك وقد ذهب إبراهيم أنيس إلى أنّ الواجب في ذلك هو الإشارة إلى أقصر صورة لتكرار الأصوات، دون أن يحدّد هو الآخر هذا العدد فيقول: "ليست القافية إلّا عدّة أصوات تتكوّن في أواخر الأَشطر أو الأبيات من القصيدة، وتكرّرها هذا يكون جزءاً هاماً من الموسيقى الشعريّة. فهي بمثابة الفواصل الموسيقية يتوقّع السّامع تردّدها ويستمتع بمثل هذا التّردّد الذي يطرق الآذان في فترات زمنية منتظمة وبعدّ عدد معين من مقاطع ذات نظام خاص يسمّى الوزن..."² وسأعتمد تعريف الخليل لأنّه الأكثر دقّةً وشيوعاً في دراسة القافية في الشعر العربي، ولأنّ "المختار عند أكثر العلماء هو ما ذهب إليه الخليل؛ وذلك لأنّ مذهب الخليل يَنْتظم جميع ما يعرض في القافية من الحروف والحركات التي توجب اختلافها أن يسمّى البيت معيباً"³.

ولأهميّة القافية في الشّعر جعلها ابن رشيق "شريكة الوزن في الاختصاص بالشّعر ولا يكون شعراً حتّى يكون له وزن وقافية"⁴ ذلك أنّ القافية بحروفها وحركاتها لها علاقة بفكر الشّاعر وعاطفته، والموضوعات التي يتناولها وبخاصة في شعر الأطفال، فالقافية فيه تعتبر "محطّة استراحة، يلتقط فيها الطّفل أنفاسه عند الحفظ والإلقاء، فقد ظلّ كثير من الشّعراء متمسكاً بها، لأنّها في رأيهم تساعد على الإلقاء، والتّعبير الموحى الذي يشارك فيه النّطق، وتعبيرات الوجه، وحركات اليدين، كما يشارك الجذع في الانحناء والتّمايل تأثراً وطرباً"⁵.

¹ - محمد بن حسن بن عثمان: المرشد الوافي في العروض والقوافي، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت، 2004 ص:152.

² - إبراهيم أنيس: موسيقى الشّعر، ط2، مكتبة الأنجلو مصريّة، مصر، 1952، ص:244.

³ - الخواص شهاب الدين: الكافي في علميّ العروض والقوافي، ط1، تحقيق: عبد المقصود محمد عبد المقصود مكتبة الثقافة الدّينية، القاهرة، 2006، ص:124.

⁴ - ابن رشيق أبو علي الحسن القيرواني: العمدة في محاسن الشّعر وآدابه ونقده، ص:151.

⁵ - أنور عبد الحميد الموسى: أدب الأطفال... (علم وفن)) ص:513.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

لقد تمسك معظم شعراء الطّفولة بالقافية، ولكنهم تحلّوا من إطارها الملزم في القصيدة كلّها، فتلاعبوا بها ونوعوا فيها في غير إهمال، وربما كانت طبيعة شعر الأطفال، وما يؤدّيه من أدوار تربية وغنائية، وكثرة المواقف فيه من أسباب اتّجاههم إلى ذلك، وجمال الطاهري في معظم انتاجه الشعري للأطفال اعتمد على نظام التتويج في القوافي استجابة لما سبق، وهذا لا يعني أنّه جمّد القلب الملتزم في شعره للأطفال بل اعتمدها في أكثر من قصيدة منها قصيدة (وصية باديس) التي اعتمد فيها قافية مطّردة في أبياتها الستة:

باديسُ قال، باديسُ قال هبّي ابنتي كوني المِثالُ
كوني مثلاً رائعاً في كلِّ أنٍ ومجالٍ¹

كما اتّقت القافية عنده في قصيدة (تحية نوفمبر) على مسار 18 بيتاً وهو عدد أبياتها نقتطف منها أوّل بيت وآخر بيت:

تُتوجُّ مجدناً مجدّاً ونُجزُّ عهدنا عهداً
لنمسخ غابة الأشوا كِ نقطفُ صبحنا ورّداً²

كما اعتمد القالب التقليدي للقافية في قصيدة (صياح الديك) ولم يغيّر فيها، نمثّل لها بالبيت الثالث والرابع من أصل 8 أبيات:

قُومُوا لجدِّ واجتِها دُ، واكتساب، وكفّاح
كي تكسبوا أرزاقكم هبّوا لتدبير النَّجّاحِ³

وفي قصيدة (هللوا الله أكبر) وهي من مطوّلاته في شعر الأطفال إذ بلغ عدد أبياتها 24 بيتاً التزم فيها وحدة القافية على شاكلة:

يا حكاياتِ الجهادِ أبشيري فالتنصرُ أزهرُ⁴

¹ - جمال الطاهري: الزهور، ج3، ص:07.

² - المصدر نفسه، ص:ن.

³ - جمال الطاهري: الزهور، ج4، ص:05.

⁴ - جمال الطاهري: نفع الياسمين، ص:07.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

وفعل الشّي نفسه في قصيدة (عرس الطّبيعة) على مدار 15 بيتاً، نمثّل له بهذين البيتين الجميلين:

وهذي الجداولُ ترقصُ نشوى
تبرّج للحقلِ وهو كيوسُ
لأجلِ عريسِ خجُولٍ وحائِرٍ
فَ أَدَعَهُ اللّهُ حَسَنًا مَّكَابِرُ¹

وما عدا ذلك، فقد كانت مطالب شعر الأطفال الغنائية والإنشادية المطبوعة بالإيقاع الحركي، دافعا للتّويع في القافية فيما يفوق 120 قصيدة طفلية فضلا عن مسرحيته الشعريّة التي يفوق عدد أبياتها 350 بيتاً، وهو عدد لا يمكن دراسة وزنه وقافيته في مثل هذه المساحات القصيرة، وعموما فقد عمد جمال الطّاهري إلى نظام الأراجيز في متونه الشعريّة، فهو يبني البيت أو البيتين على قافية واحدة في الصّدر والعجز، ثمّ ينتقل بنفس الطّريقة إلى البيت أو البيتين التّاليين، وأحيانا ينتهج ذلك في شطر بأكمله ومن ذلك نظمه من قصيدة (أدبني ربّي):

والمسلمُ الـأقوى
إيمانهُ سلّوى
بالعلمِ والتّقوى
دربَ الهدى يَهْوَى

ثمّ ينتقل إلى قافية أخرى في البيتين التّاليين:

والمسلمُ الصّحيحُ
يسمو عن التّجريحِ
بفعله المّليحِ
والشرّ والقبيحِ²

كما أبدع الشّاعر في التّشكيل المقطعي بالمقابلة بين شطري الصّدرين والمقابلة بين شطري العجزين في كثير من قصائده الطفلية، نمثّل لذلك بقوله:

ثقيلةٌ في جونا الغيومُ
سوداءُ في سمائنا تحومُ
ثقيلةٌ تدبُّ كالأفيالِ
تسعى كما القطعانِ في الأدغالِ³

كما تفرّد بإبداع آخر على مستوى التّويع في القافية، حيث يقابل القافية في العروض والضّرب في البيت الأول ويلحق بها قافية عروض البيت الثاني ويخالفها

¹ - جمال الطّاهري: الزّهور، ج1، ص:15.

² - جمال الطّاهري: الزّهور، ج2، ص:05.

³ - المصدر نفسه، ص:10.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

في ضربه، ويكرّر هذا النهج مع بقية المقاطع مثنى، مثنى مع تغيير القافية، وقد استعمل هذا الأسلوب الرّاقص في كثير من الأناشيد نمثّل له بهذا المقطع:

أنظر لذي الغيمَات	حامت بها النَّسَمَات
تحكي بها الخيرات	عن حسنِ خلقِ اللّهِ
انظر لذي الأطيّار	تسيحُها أشعّار
تشدو لها الأوكاز	عن حسنِ خلقِ اللّهِ ¹

ولمّا كان شعر الأطفال حديثاً حداثة الشّعْر الحر، فقد أوجد الطّاهري فيه القصيدة القصيرة بأسلوب النثر الفنّي، احتذاء بمعطيات وثقافة العصر، وسار في إقامة تشكيله على نظام القافية المقطعية المترسلة، نمثّل لذلك بهذه الخطفة من متماوجة (تمهّل تر الحياة أجمل):

تمهّل ترى الحياة أجمل
انظر ذي الدنيا وتأمّل
لا اقصد "قصر وتكاسل"
لاحظ... فالكون غدا أجمل
مهلا ولتنتظر ذا الزّهرا
قد فتح مشدوها عطرا
و الربع اعشوشب قد خضرا²

3.2.2 - عيوب الوزن والقافية:

يعتبر العيب في الوزن إخلال الشّاعر بما هو واجب الالتزام به في القافية وفيما يعرض للشّعْر من زحافات وعلل، وغيرها، وإن كان أكثرها جائزا، لكنّها تبقى عيوباً وأمراضاً تصيب وحدة القصيدة على مستوى وزنها وقافيتها وسأقتصر في عجالة على عيبين اثنين فقط وهما التّدوير والتّضمين.

¹ - جمال الطّاهري: الزّهور، ج5، ص:03.

² - جمال الطّاهري: الزّهور، ج4، ص:10.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

التدوير عيب من عيوب الوزن، ومعناه في تعريف العروضيين "هو ذلك الذي اشترك شطراه في كلمة واحدة، بأن يكون بعضها في الشطر الأول وبعضها في الشطر الثاني"¹ وعيبه في شعر الأطفال أنه يكسر الوتيرة الإيقاعية ويضعف الموسيقى، ويجهد القارئ الصّغير، فالتدوير ليس مستحسنًا وليس مرفوضًا في كلّ الأحوال؛ لكن الشرط فيه هو تحقيق الغرض الفنّي، وبالرجوع إلى ديواني جمال الطاهري نلاحظ أنه بحنكته الشعريّة لم يقع في شرك التدوير بكثرة، إلّا في القليل، وفضلاً عما ذكرت في موضع القافية نضيف قوله

والصنعة مفتاح الأرزاء قِ بأيِّ مكانٍ يُعنى بكِ²
وقوله:

تفهقه فيه عيون الأزهيب - سكرى بفضل الجمال المفاخر³

وأكثر منه في قصيدة (تحية نوفمبر) على مدار 10 أبيات من 18 بيتاً نمثّل له بالآتي:

سلمت قوافل الأجيال ل هبّي واقطعي وعدًا
على أن تكملني الإنجا ز لا، لن تتركني جُهدًا
لنمسح غابة الأشوا كِ نقطفُ صبحنا وردًا⁴

أمّا التّضمين وهو في عرف العروضيين تعلق قافية البيت بصدر البيت الذي يليه ومنه الجائز والقبيح، وصاحبنا الطاهري وقع في تضمين صّلة لا يتمّ الكلام إلّا بها، وهو من التّضمين المعيب الوحيد في ديوانه: وكان ذلك في قوله:

بُنيتي يا فرحتي يا قرّة العين التي
بها تطولُ عيشتي يا فلذتي والعين⁵

¹ - نازك الملائكة: قضايا الشعر المعاصر، ط3، منشورات مكتبة النهضة، سوريا، 1967، ص:91.

² - جمال الطاهري: الزهور، ج4، ص:08.

³ - جمال الطاهري: الزهور، ج1، ص:15.

⁴ - جمال الطاهري: الزهور، ج3، ص:06.

⁵ - جمال الطاهري: الزهور، ج5، ص:12.

3.2- الموسيقى الداخلية:

إذا كانت الموسيقى الخارجية في الشعر يحكمها الوزن والقافية كمظهرين أساسيين كما سلف الذكر؛ فإنّ الموسيقى الداخليّة تحكمها الموهبة والحس الشعري والقدرة الخاصّة للشاعر وفاعليته "التي تنقل إلى المتلقّي ذي الحساسية المرهفة الشّعور بوجود حركة داخلية، ذات حيوية متنامية، تمنح التتابع الحركي وحدة نغمية عميقة عن طريق إضفاء خصائص معينة على عناصر الكتلة الحركية"¹ سواء على مستوى الأصوات المفردة وما ينتج عن مخارجها أو ما ينتج عن تآلف الكلمات، والعبارات، فهي ذلك "الإيقاع الهامس الذي يصدر عن الكلمة الواحدة بما تحمل في تأليفها من صدّي ووقع حسن، وبما لها من رهافة، ودقّة تأليف وانسجام حروف، وبعد عن التّنافر، وتقارب المخارج"² وهذا الإيقاع يمتدّ بامتداد الخيال والعاطفة الدافقة للشاعر، وهو ميدان فسيح متعدّد السبيل وكثير الأدوات ولا يمكن قطف كل ثماره بمنجل البديع والجناس والطّباق والمقابلة وتقسيمات البيت، والتّوازي النّحوي والصّرفي، والتّكرير والتّماتل، وغيرها من المحسّنات التي تزيد من رنين البنية الإيقاعية والانسجام بين معاني الألفاظ وجرسها في الشّعْر لأنّها تحتاج إلى أبحاث لغوية وبلاغية وصوتية متعمّقة ومنفصلة؛ لاستيفائها حقّها من الدراسة مساحة وزمنا.

وقد حرص الشعراء على استعمال عناصر الموسيقى الداخليّة في أشعارهم ولكنّها ورغم أهميّة دورها الموسيقي، فقد تعامل شعراء الطّفولة معها بحذر في شعرهم للأطفال وعوّضوا عنها بما أوصى به منظّرو أدب الأطفال من خصائص واجبة الحضور في شعر الأطفال، وعليه سأكتفي في مقامي هذا بالإشارة إلى التّصريح، ودراسة التّكرار كظاهرة فنّية تبرز بوضوح في الشّعْر الموجّه للأطفال.

¹ - كمال أبو ديب: في البنية الإيقاعية للشعر العربي، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1974، ص: 230-231.

² - عبد الرحمن الوجي: الإيقاع في الشعر العربي، ط1، دار الحصاد، دمشق، 1989، ص: 74.

1.3.2 - التصريح:

التصريح هو توافق العروض مع الضرب في الوزن والروي، وهو بهذا الشكل كثير جدا في كل دواوين شعراء الطفولة في الجزائر؛ وقد استعمله جمال الطاهري في أغلب قصائده وأناشيده الطفلية؛ لقدرتة على زيادة تركيز الإيقاع ودعم موسيقى القافية، فلم يفرط في وجوده وأورده في البيت الواحد، في مثل قوله:

به نرتادُ الحضارة¹ به نعلو عن حواره¹

وفي مثل قوله:

هبوا إلى خير العمل² أعطوا لنا خير المثل²

والتزمه في البيتين المتتاليين محترما فيه تجنيس الفاصلة مع روي القافية الرئيسية فيما يسمّى بالقافية الداخلية، مع التزام الوزن الصرفي والعروضي؛ لتحقيق أعلى نسبة للإيقاع في مثل قوله:

كم سرتُ أعاني في عُسري والدنيا ضاقت من أمري
ومتاعبُ عمري كالجسر³ خرباً يتأججُ كالجمر³

كما تعامل مع التصريح في أنشودة (صوت ماما) بفنية التناوب في حرف الروي الذي غيره ستّ مرّات، وهو تنويع مفرط في الروي دون التنويع في القافية وهذا شكل محبّب في أناشيد الأطفال، يساعد على إعلاء الجرس الموسيقي وسرعة اللحن، فالطاهري كان على وعي وهو ينظم هذه الكلمات الرقيقة الخفيفة السريعة في مقطع هفيف:

صوتُ ماما أعذبُ ياما
كالموسيقى ماس رقيقا
ما أحلاه هبّ شذاه
مثلُ الورد⁴ عذبُ الشهد⁴

¹ - جمال الطاهري: نفع الياسمين، ص: 02.

² - المصدر نفسه، ص: 25.

³ - جمال الطاهري: الزهور، ج4، ص: 04.

⁴ - جمال الطاهري: الزهور، ج5، ص: 05.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

ولم يتجاوز جمال الطاهري في استعماله للتصريح وتواليه إلى المرتعات والمخمسات، إلا بالأشكال التي بينتها وهي كثيرة تكاد تغطي كل القصائد والأناشيد ولم يفعل ذلك عن تقصير، وإنما شكل المقطعية في القصيدة الطفلية الواحدة لا يتجاوز حدّ البيتين أو الثلاثة أبيات، وكانت معظمها في شكل موازونات تنبئ عن شاعرية النصّ الداخليّة.

2.3.2- التكرار:

يعتبر التكرير أو التكرار ظاهرة لغوية، ورد استعماله في كلّ لغات البشر على اعتبار "أنّ التكرير - أو التّماتل الصّوتي- أمر لازم في لغة البشر فإنّ المعاني - من ناحية- أوسع مدى من الألفاظ، وهذا يستدعي إعادة الألفاظ على أوجه مختلفة من الهيئات أو الدلالات المجازية والرمزية لاستيفاء المعاني كما أنّها - من ناحية أخرى- متكررة في الحديث الواحد عند قصد التأكيد"¹ ولهذا ورد استعماله في الشّعر والنثر، ومثّل ظاهرة أسلوبية في شعر الأطفال لأنّه "إلحاح على جهة عامة في العبارة يعنى بها الشّاعر أكثر من عنايته بسواها"² وقد نبّه إليه كثير من أدباء الطفولة وشعرائها باستعمالهم المكثّف له لوظيفته التّربوية، فهو طريقة من طرق التلقين المستعملة في المناشط الدراسية ويستعمله الطّفل في حديثه اليومي بإعادة الكلام لتثبيتته، وفضلاً عن ذلك نشير إلى "أنّ كل تكرار، مهما يكن نوعه، تستفاد منه زيادة النّغم وتقوية الجرس"³.

¹ - عزالدين علي السيد: التكرير بين المثير والتأثير، ط2، دار عالم الكتب، بيروت، 1986، ص: 07.

² - نازك الملائكة: قضايا الشعر المعاصر، ص: 242.

³ - يوسف حسين بكار: بناء القصيدة في النّقد العربي القديم (في ضوء النّقد الحديث) ط2، دار الأندلس، بيروت 1982، ص: 197.

2.3.2. أ- تكرر البداية (الاستهلال):

وهو تكرر الشاعر لكلمة سواء كانت حرفاً أو اسماً أو فعلاً وقد يكون في بداية القصيدة، ويسمى التكرار المطلعي أو الاستهلاكي، "ويستهدف في المقام الأول الضغطة على حالة لغوية واحدة، توكيدها عدة مرات بصيغ متشابهة ومختلفة من أجل الوصول إلى وضع شعري معين قائم على مستويين رئيسيين: إيقاعي ودلالي"¹. وبنظرة احصائية للحروف المكررة في مطالع الأبيات والسطور في شعر جمال الطاهري للأطفال تجلت هيمنة حرف العطف (الواو) على هياكل كلِّ القصائد، فقد كرّر هذا الحرف ما يقارب ثلاثمائة مرّة، وجاء توظيفه بشكل رأسي عبر إيقاعات موسيقية متوالية؛ لجعل بني القصائد متماسكة وربط أواخر الأبيات بأوائل الأبيات التالية، بغية الارتباط العام للمعنى وخير مثال على ذلك قوله:

وَ الزَّهْرُ يَعْطِي الثَّمْرَةَ
وَ الجذعُ يعطينا الخشبَ
وَ الأرضُ تغدو مزدهرةً
وَ الفرْنُ يُذَكِّيه الحَطَبُ²

وأحدث نغمة موسيقية عبر تكرر أسلوب النداء من خلال حرف النداء (يا) في غير موضع، ووظيفه ليعبر به عن الإلحاح في الطلب؛ لاستجلاب الشفقة والعطف؛ بجعله نقطة مركزية في دعائه:

يَا رَبِّي بَارِكْ لِي فِي طَيِّبِ الأَعْمَالِ
يَا وَافِرَ البَدَلِ زَيْنَ لِي الأَقْوَالِ³

كما شكّل من حرف النّهي (لا) نسقا بنائياً قوياً، حين كرّره ليحقّق الهدف الذي يسعى إليه، في مشهد تصويري حين أنسن الشمعة؛ ليحدّد موقفه النفسي من احتراقها

¹ - محمد صابر عبيد: القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدلالية والبنية الإيقاعية (د، ط) منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001، ص: 186.

² - جمال الطاهري: نفع الياسمين، ص: 22.

³ - جمال الطاهري: الزهور، ج5، ص: 01.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

ويحوّله إلى مصدر سعادة يبعث النور في مولد الرسول ﷺ:

لَا نُوحَ يَا شَمُوعَ فِي مَوْلِدِ الْهَادِي
لَا تَسْكِبِي الدَّمُوعَ فِي خَيْرِ مِيْلَادِ
لَا تَحْرِقِي الضَّلُوعَ فِي عِيدِ أَعْيَادِ¹

ويبدو أن تكرار البداية يشكّل ظاهرة فنية في شعر الأطفال عند جمال الطاهري للتّويع فيه، وقد اعتمده بشكل كبير بشتّى تنويعاته، لتعميق الدلالات وتوكيد المعاني ومن صورته تكرار الفعل (مدح) بصيغة المضارع الغائب، لتقرير المعنى بذات اللفظ وللدلالة على أنه يواكب ثورة التّشديد في حاضرها، مما يؤسس نوعاً من الانسجام الإيقاعي المتولّد عن هذا التكرار، إذ يقول:

يَمْدُحُ الْفَلَّاحَ حَرًّا طَافِحَ الْأَمَالِ أَكْثَرَ
يَمْدُحُ الْجَنْدِيَّ فَهَدًّا فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَزَارُ
يَمْدُحُ الْعَمَالَ جَمْعًا إِنَّهُمْ جَنْدُ نَوْفَمْبَرِ²

ويتراكم التكرير عند جمال الطاهري وكأنّه "لابدّ أن يتوفّر فيه ذهنياً مسافة في الدلالة تسمح للفظّة التالية أن تستقرّ بعدها محقّقة نوعاً من اكتمال المعنى أو بيانه أو تحقيقه"³ وقد حقّق ذلك بتكرير المصدر (العمل) مع سابقته حرف الجر (ب) ثماني مرات في أربعة أبيات في تتابع رأسي وأفقي؛ لاستقطاب وعي القارئ الصّغير، ولفت نظره إلى قيمة العمل، إذ يقول:

بِالْعَمَلِ، بِالْعَمَلِ يُسْتَعَادُ الْأَمْلُ
بِالْعَمَلِ، بِالْعَمَلِ يَسْتَبِينُ الْبَطْلُ
بِالْعَمَلِ، بِالْعَمَلِ يُسْتَلْدُّ الْعَلَا
بِالْعَمَلِ، بِالْعَمَلِ دَامَ عَزَّ الْأَلَى⁴

¹ - جمال الطاهري: الزهور، ج2، ص:13.

² - جمال الطاهري: الزهور، ج3، ص:04.

³ - محمد عبد اللطيف: بناء الأسلوب في شعر الحدائث (التكوين البديعي) ط2، دار المعارف، القاهرة، 1995، ص:113.

⁴ - جمال الطاهري: الزهور، ج3، ص:09.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

كما استعمل الشاعر العنوان كمفتاح دلالي وحوّله إلى صدر في الأبيات التي تكرر فيها، وفعل ذلك في كثير من القصائد نذكر منها على سبيل التمثيل لا الحصر: في قصيدة (بني وطني) حيث استعمل العنوان كمطلع للقصيدة وقصيدة (أدبني ربّي) استهلّ به القصيدة وكرّره كشطّر في البيت الثالث وقصيدة (سيأتي الربيع) الذي كرّره ستّة مرات، وقصيدة (يا شمس) كرّر العنوان في بداية القصيدة وفي منتصفها وفي قصيدة (نعم أجر العاملين) كرّر العبارة ستّ مرات في المطلع وفي استهلال خمس أبيات أخرى وفي أنشودة (يا هنا) يوظّف العنوان في تأملات طبيعية، ليأسر بها تركيز الطّفّل على مفاتن الطبيعة نختار مقطعاً من هذا التكرار الذي وظّفه خمس عشرة مرّة في 16 بيتاً:

يَا هُنَا، يَا هُنَا مِنْ لَدِيهِ الزَّهْرُ
يَا هُنَا، يَا هُنَا بِرَجُوعِ الرَّبِيعِ¹

وفعل الشيء نفسه في قصيدة (كفّ بكفّ) حيث كرّر العنوان بلفظه وصورته في بدايتها إذ يقول:

كفّ بكفّ، ربّنا المستقبّل
كفّ بكفّ، فالغداؤُ أجمل²

ومما لاحظته على هذه النماذج المكرّرة خلوّها من الروابط "فظلت كلّ جملة منعزلة عن أخواتها ممّا يناسب الجوّ النفسي الذي يوشح الأبيات"³ فالصلّات فيها منطقية وتتوالى آلياً لإحداث خفة في الإيقاع والغناء.

2.3.2 ب- تكرار اللازمة:

وبأقلّ تكثيف وظّف الشاعر جمال الطاهري تكرير ما يسمّى باللازمة في شعره للأطفال، واللازمة هي تكرار بيت بكامله بلفظه الحرفي بعد كلّ مقطع أو في البداية

¹ - جمال الطاهري: الزهور، ج1، ص:13.

² - جمال الطاهري: الزهور، ج3، ص:13.

³ - علي عشري زايد: عن بناء القصيدة العربية الحديثة، ص:63.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

أو في النهاية، وعادة ما تكون منتظمة، وقد يعترينا تغيير طفيف وقد قصد إليها الشاعر لتوكيد الإنشاد والغناء في شعر الأطفال، فضلاً عن إصراره تبليغ فكرته وشعوره للمتلقين الصغار؛ الذين يسعدون وهم يكرّون هذه اللزمات في أناشيدهم وبخاصة حين يتشكّلون في فرق غنائية أو إنشادية صفيّة.

ففي براعة ومقدرة ليست بالسهلة، وحين تسيطر عظمة الله سبحانه وتعالى وكرمه على وجدان الشاعر وفكره، يلجأ إلى تكرار اسمين من أسماء الله الحسنى في شكل لازمة بعدية للمقاطع الخمس من قصيدة (دعاء) نقتطف منها مقطعين:

أيا نورَ قلبي	وبهجة لبي
ومصباح دربي	ومهبط حبي
إلهي العظيم	وربي الكريم
أخير دليل	وهادي السبيل
شفاء العليل	وعوني الجليل
إلهي العظيم	وربي الكريم ¹

وفي قصيدة (إننا جيل نوفمبر) تحضر اللازمة البعدية كخاتمة مقطعية لسبعة مقاطع متتالية، فتكررت ستّ مرات؛ لربط الطّفّل بالهدف العام للقصيدة نمثّل لشكلها في المقطعين الأولين:

أشرقَ الفجرُ بهيّا	فانجلى سحرُ الوجود
مبدياً صُبْحاً سعيداً	بالأمني والوعود
بالحنايا، بالحنايا	نقتدي جيلَ نوفمبر
موسمُ الأفراحِ هيّا	نرسمُ الفجرَ الجديد
نعزفُ النصرَ نشيداً	فاشدُ يا أعذبَ عيد
بالحنايا، بالحنايا	نقتدي جيلَ نوفمبر ²

¹ - جمال الطاهري: الزهور، ج2، ص:01.

² - جمال الطاهري: نفع الياسمين، ص:05.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

وعلى نفس النهج وظّف الشاعر اللّازمة البعدية التي لفظها (فمّا أجلّ: قرآن ربّي) وجعلها أيضاً لازمة ختامية بتكريرها سبع مرّات بعدد مقاطع قصيدة (قرآن ربّي) وكرّر (سبحانك ربّي سبحانك) كلازمة بعدية وختامية خمس مرّات في قصيدة (ابتهالات) كما وظف اللّازمة القبلية البعدية التي تجمع بين الاستهلال والمقطعية والنّهاية في قصيدة (نعم أجر العاملين) حيث استهلّ القصيدة بقوله:

نعمَ أجر العاملينُ بنسَ أجر العاطلين¹

ليكرّرها بعد ذلك أربع مرّات بعد كلّ مقطع، ويختم بها القصيدة دون تغيير في لفظها أو شكلها. كما عمد إلى اللّازمة الصّوتية التي تعتمد على الحركة والسّكون، في تكرار أفقي متتابع للحرف (لا) أربع مرّات مع عبارة (لن أبالي) والكلّ في تكرار عمودي كلازمة قبلية وبعدية ثلاث مرّات، للتعبير عن شدّة الرّفص ويأتي بهذا النّوع من التّشكيل للإقرار بأهمّية تأثير التكرار في الدّلالة، والتّوقيع الإيقاعي المنعوم؛ وهو تفرّد عند جمال الطّاهري لم ألاحظه عند غيره من شعراء الطّفولة، وهذا مقطع من ذلك من قصيدة (أغنية نائر):

لا، لا، لا، لا لن أبالي

هيئوا قبري ونعشي

واقفوا عيني برمشي

واقطعوا أسباب عيشي

لن أبالي

لا، لا، لا، لا لن أبالي²

¹ - جمال الطّاهري: الزهور، ج2، ص:07.

² - جمال الطّاهري: الزهور، ج1، ص:11.

خلاصة:

ومجل القول واعتماداً على ما سبق يمكننا القول: إنّ جمال الطاهري في شعره للأطفال لم يبتعد في تعبيره بالصورة عن الأصول المنطقية للطفل والطفولة، وابتعد عن الصور المعقّدة، باستعماله رموزاً ملائمة وقريبة من الأطفال وعالمهم الحسي، وكانت عناصرها من بيئتهم، ترأّست فيها حواسهم، من بصر وذوق وشم وسمع. كما اعتمد الأوزان الخفيفة والقصيرة القابلة للإنشاد والتغني، وتوظيف البحور الصافية كالرجز والمتقارب، والرمل، والهزج، والوافر، والكامل، والمتدارك، منوعاً في القوافي، باستعمال التوازي المتجانس، والميل إلى التوازن الصوتي.

وشكّل التكرار في شعره للأطفال ظاهرة فنية تستحقّ الدراسة، وبخاصة وأنه عمد إلى توظيف كلّ صور التكرار من أدوات وأسماء وأفعال وعبارات، وشكّل العبارات في أبيات بكاملها، أو أسطر، كما اعتمد اللّزمة بأنواعها المختلفة في شكل واضح في العمودي والحر؛ بغية طرد الملل والتّفور عن نفس الطفل فضلاً عن التأثير في المعنى وإبرازه في معرض الوضوح، وتوفير جو موسيقي يقوي النّغم. ومن شدّة إلحاحه عليه وظّفه في قصيدة (إلى اللّقاء) وهي خاتمة ديوانيه، بشكل مكثّف في مواضع شتى وبصور مختلفة؛ وهو ما يسمى بالتكرار التراكمي على مستوى الحروف والأفعال والأسماء، وهو في أكثر أشكاله غير منتظم، وقد آثرت أنا الآخر أن أختتم بها دراستي الفنية، في مقطع قصير منها:

بل فقولوا إخوتي إلى اللّقاء	لّا، لّا تقولوا إخوتي حان الوداع
مفرحٌ جدّاً لنا لفظ اللّقاء	مؤلّمٌ جدّاً لنا لفظ الوداع
إلى اللّقاء رُفقتي	إلى اللّقاء صحبتي
سنلتقي يومَ هنا ¹ .	إلى اللّقاء إخوتي

¹ - جمال الطاهري: الزهور، ج3، ص:20.

خاتمة

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) أنموذجا

لقد اتضح لنا من خلال البحث: شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) أنموذجا، أنه ليس بالإمكان الإحاطة بكل نتائجها؛ لأن أبوابها الثلاثة بفصولها الستة وأجزائها العديدة لا تزال تحتاج إلى بحوث أخرى متعمقة، ولكن بعد نبشنا في تأصيلات هذا الفن، وبعد الرحلة البحثية في ديواني جمال الطاهري: الزهور بأجزائه الخمسة، ونفح الياسمين، ومسرحيته الشعرية: الدجاجة المخدوعة، وبانتهاء فصول هذا البحث، ساقطنا الحتمية إلى استخلاص أهم النتائج وبعض الملاحظات في الآتي:

1- شعر الأطفال بعامة له جذور أصيلة وإرهاصات في الأدب العربي القديم فيما يعرف بأغاني الترقيص والهددة والتزفين، وإن غابت اصطلاحاته الأدبية في الأدب الرسمي شعرا ونثرا، فقد تعددت أغراضه بين المدح والدعاء والمضارعة، والألغاز الشعرية، في شكل منظومات قصيرة يغلب عليها طابع الرجز حرصا على انسجامها الإيقاعي.

2- ظهر شعر الأطفال في الأدب العربي الحديث مع مطلع النهضة العربية الحديثة في صورة اقتباسات معدلة وأخرى مترجمة، عن أدب الأطفال في أوربا بعد عودة البعثات العلمية المصرية من أوربا وبخاصة من فرنسا، فكانت بواده الأولى في مصر، وكان من أبرز عوامل ظهوره انتشار التعليم والصحافة لينتشر في مراحل تالية في كثير من الأقطار العربية الأخرى.

3- تشكل شعر الأطفال في المغرب العربي عامة، وفي الجزائر خاصة في أحضان الحركة الإصلاحية مع بداية العقد الثالث من القرن الماضي على يد المعلمين في المدارس والمعاهد الحرة، لغايات تعليمية وتربوية، وأهداف وعظمية من زاوية الإصلاح الثقافي والاجتماعي؛ لأن معظم من نظموا شعرا للأطفال كانوا على اتصال مباشر مع المتعلمين من خلال التعليم، أو المناسبات الدينية والوطنية والحفلات المختلفة، فظل هذا اللون الشعري حبيس هذه المظاهر مما أعاق تطوره الفني تماشيا وظروف المرحلة وطبيعتها السياسية والاجتماعية.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

4- مع بداية الاستقلال في الجزائر ظهرت ملامح نهضة جديدة في شعر الأطفال ذات اتجاه تطوري، عرف بالاتجاه التربوي الجديد، استطاع أن يتجاوز المنهج الإصلاحي التقليدي بعد انفتاحه على الثقافة العربية والأجنبية التي كانت محاصرة من قبل المستعمر قبل الاستقلال، إلى مستويات جديدة وأساليب متجددة في أدب الأطفال بعامة وشعر الأطفال بخاصة، وكان من أهم مظاهر تجديدها ظهور الشعر الحر للأطفال، والتنويع في القوافي، وكانت انطلاقته الحقيقية مع بداية ثمانينات القرن الماضي.

5- أعمال الشاعر جمال الطاهري تستحق الدراسة والنّش في أغوارها؛ لأنه عايش من خلالها معظم النواحي الضرورية لحياة الطفل واهتماماته، فتناول الجوانب الدينية للطفل، وجسد علاقته بربه، ووافق قيمه الشعريّة مع العقيدة الإسلامية للطفل، ونوع في مضامين الموضوعات الاجتماعية وواعم بينها وبين مراحل الطفولة، وأدرك أهمية الجوانب المرتبطة بحياة الطفل، فغذاها بالتقويم التربوي، ونوع في مضامينه، فضلا عن موضوعات الطبيعة حيث كان ممثلا لاتجاهها الرومانسي بامتياز، وألمّ بكثير من القضايا الوطنية والقومية. وركّز في أعماله الشعريّة على الضرورات النفسية، بتحايشه السلوكيات السيئة للطفل؛

6- أهمل جمال الطاهري كغيره من شعراء الطفولة في الجزائر كثيرا من الموضوعات المعاصرة، على الرغم من معاصرته سنوات الانفتاح والتطور التكنولوجي، والعشرية السوداء، فأسقط من قاموس موضوعاته عدّة مضامين جديدة على الطفل الجزائري وبالذات موضوع البيئة وتلوّثها، والوسائط المعلوماتية الحديثة، وبعض القضايا العالمية كالسلام والتعايش وحقوق الطفل وغيرها.

7- أمّا لغته الشعريّة فقد راعى فيها مراحل التطور اللغوي للطفل، فجاءت مناسبة لقاموسه اللغوي، حيث تميّزت المفردات والعبارات بالوضوح والسهولة والقصر مع مناسبتها للموضوعات، وخلّوها من كلّ فجّ ومعقّد وغريب، إلّا فيما قلّ من رموز وخيالات محلّقة، وبعض الألفاظ الجديدة؛ التي تدفع الطفل إلى المتابعة التواصليّة وتقويم اللسان وإثراء القاموس اللغوي الفصيح؛ الذي حرص عليه في لفظه وعباراته وصوره وعموما فقد حقّق كثيرا من شروط الكتابة للأطفال.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

8- تعددت مجالات الصّورة الشعريّة عند جمال الطّاهري، حيث حرص على التّويع في مصادرها، بين الطّبيعة ومظاهر الكون وعوالم الإنسان والحيوان والنبات، وانتزع معظمها من عالم المحسوسات، وعالج أنماطها ضمن إطار البلاغة العربيّة من تشبيه واستعارة وكناية، متجاوزاً التّيّارات التّقليديّة إلى الصّورة الرّمزية التي قدّمها بفتية واضحة للأطفال، كما لم يغيب عناصرها وتناولها بحذّاقه بدلالاتها المختلفة، وتراسل الحواس فيها.

9- اعتمد جمال الطّاهري في تشكيل هياكل شعره للأطفال على الإيقاع الحركي الغنائي الرّاقص، وراعى في ذلك طبيعة المتلقّي الصّغير، الذي يبحث عن السّرعة الإيقاعية والفضاء الحركي، فنظم معظم شعره على مجزوءات البحور الصّافية ذات الإيقاع السّاحر الجذاب، وبعض مشطوراتها، مستعملاً تقنية اختصار الزّمن بالتّسكين والتّقليص فيما يسمّى بالتّفعيلات المبتورة؛ لتحقيق مطلب السّرعة، وهو توجّه جديد في شعر الأطفال في الجزائر.

10- تمسكّ جمال الطّاهري بالقافية، والتزم قلبها التّقليدي في بعض شعره للأطفال ولكنّه تحلّل في معظمه من إطارها الملزم، فأخضعها إلى تنوّعات جديدة تتسجم مع طبيعة المتلقّي الصّغير، وهو توجّه تبنّاه الاتّجاه التّربوي الجديد، على عكس التّيّار التّقليدي الإصلاحي الذي حافظ على الشّكل التّقليدي العام للقصيدة الطّفلية.

11- شكّل التّكرار ظاهرة فنيّة في شعر الأطفال في الجزائر، لدوره التّوكيدي وتقريره في نفوس الأطفال الصّغار، وجمال الطّاهري جعله مرتكزاً لثبيت الإيقاع الدّخلي من خلال أشكاله المختلفة، داخل كيان القصيدة الطّفلية.

12- لم يقنّن جمال الطّاهري أعماله الشعريّة للأطفال وفق مراحل الطّفولة ومن خلاله شعراء الطّفولة في الجزائر، واكتفى بعموم التّوجيه (للأطفال، للفتيان والفتيات) وهو ما أحالني كدّارس لشعره على دراسة مراحل الطّفولة وما يلائمها من صنوف الأدب لتصنيف إنتاجه ومواءمته وفق هذه المراحل.

وفي النّهاية تظنّ دراستي لشعر الأطفال في الجزائر من خلال أعمال الشّاعر جمال الطّاهري محاولة - أزمع أنّها جادة - وأحسب أنّي التقطتها من جيّها، وأخرجتها

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

من سجنها؛ لتأويل ما غاب عنها من معالجات في موضوعاتها وتشكيل بنياتها الفنية في الجزائر. والتي توصلت فيها إلى قناعة مفادها أنّ هذا الشاعر لم يتحوّل فيها من اهتمامه بقضايا الأدب والنقد للكبار من خلال مقالاته النقدية المتناثرة في الصحف الوطنية والعربية، إلى الاهتمام بالكتابة للصغار بحثاً عن الشهرة والمجد الأدبي؛ وإتّما تضحية منه بتسخير موهبته الأدبية الممزوجة بنفحاته التربوية، ومعرفته بعلم النفس من أجل أطفال الجزائر، وهو تحوّل صعب لا يمتطي سهوته إلا فارس مُجيد.

وأرجو أن تجد هذه الأعمال؛ وغيرها طريقها إلى مناهج التربية الوطنية كأناشيد ومحفوظات ضمن مناهج اللغة العربية، ومناهج التربية الموسيقية، ومعلقاً كلّ آمالي على الباحثين لدراسة شعر الأطفال في الجزائر، وإمّاطة لثام التّغيب عنه وحجب النظرة القاصرة إليه، بتنشيط المتابعات النقدية لشعراء الطفولة وما أكثرهم في الجزائر، وما أكثر إنتاجهم الذي صار ضرورة عصرية ملحة لأطفال الجزائر؛ فمستقبل الإبداع في ذلك يبقى رهين حركة نقدية واعية وأصيلة تعمل على مواكبة هذا الإنتاج بالمتابعة والتقييم والتقويم.

المصادر والمراجع

1- المصادر

2- المراجع

1.2- المؤلفات والدراسات

2.2- المؤلفات المترجمة

3.2- القواميس والمعاجم

4.2 - الرسائل الجامعية

5.2- الدوريات والمؤتمرات

6.2- المواقع الإلكترونية



1- المصادر

القرآن الكريم برواية حفص

- 1- جمال الطاهري: الزهور، ط1، ج1، قصائد للفتيان والفتيات، دار الحضارة، المدينة 1991.
- 2- جمال الطاهري: الزهور، ط1، ج2، قصائد للفتيان والفتيات، دار الحضارة، المدينة 1991.
- 3- جمال الطاهري: الزهور، ط1، ج3، قصائد للفتيان والفتيات، دار الحضارة، المدينة 1992.
- 4- جمال الطاهري: الزهور، ط1، ج4، قصائد للفتيان والفتيات، دار الحضارة، المدينة 1992.
- 5- جمال الطاهري: الدجاجة المخدوعة، ط1، مسرحية شعرية للأطفال، مؤسسة أشغال الطباعة، المدينة، 1992.
- 6- جمال الطاهري: الزهور، ط1، ج5، قصائد للأطفال، مؤسسة أشغال الطباعة المدينة، 1993.
- 7- جمال الطاهري: نوح الياسمين، ط2، مجموعة أناشيد للأطفال، مؤسسة أشغال الطباعة، المدينة، 1997.

2- المراجع

1.2- المؤلفات والدراسات

- 1- إبراهيم أحمد نوفل: أضواء على أدب الأطفال، ط1، دار مكتبة الكندي، الأردن 2014.
- 2- إبراهيم العرب: آداب العرب، ط2، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1913.
- 3- إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية (د، ط) مطبعة نهضة مصر، مصر (د، ت).
- 4- إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ، ط5، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 1984.
- 5- إبراهيم أنيس: موسيقى الشعر، ط2، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 1952.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) أنموذجا

- 6- إبراهيم محمود وآخرون: ثقافة الطّفّل واقع وآفاق (د، ط) دار الفكر، دمشق، 1997.
- 7- ابن العديم الحلبي كمال الدين عمر بن أحمد: الدراري في ذكر الدراري، ط1 تحقيق: علاء عبدالوهاب محمد، دار الهداية، القاهرة، 1994.
- 8- ابن جنّي عثمان أبو الفتح: الخصائص، ط1، ج1، مطبعة الهلال، مصر، 1913.
- 9- ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد: مقدّمة بن خلدون، ط1، دار ابن الهيثم، القاهرة مصر، 2005.
- 10- ابن رشيق أبو علي الحسن القيرواني: العمدة في محاسن الشعر، وأدابه ونقده ط5، ج1، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، 1981.
- 11- ابن سينا أبو علي الحسين بن عبد الله: كتاب السياسة، ط1، تقديم وضبط وتعليق: علي محمد إسبر، بدايات للطباعة والنشر، سوريا، 2007.
- 12- ابن ظفر الصّقلي محمد بن عبد الله: أنباء نجباء الأبناء، ط1، مطبعة التّقّم دمشق (د، ت).
- 13- ابن عبد ربّه أحمد بن محمد: العقد الفريد (د، ط) ج2، تحقيق مفيد محمد قميحة دار الكتب العلمية، بيروت (د، ت).
- 14- ابن عبد ربّه أحمد بن محمد: تأديب الناشئين بأدب الدّنيا والدّين (الياقوتة) (د، ط) تحقيق: محمد إبراهيم سليم، مكتبة القرآن، القاهرة (د، ت).
- 15- ابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر: تحفة المودود بأحكام المولود (د، ط) تحقيق: عثمان بن جمعة ضميرية، دار عالم الفوائد، جدّة، (د، ت).
- 16- ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر: تفسير القرآن العظيم (د، ط) ج2، دار الكتاب الحديث، بيروت (د، ت).
- 17- ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر: تفسير القرآن العظيم (د، ط) ج3، دار الكتاب الحديث، بيروت (د، ت).
- 18- ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر: تفسير القرآن العظيم (د، ط) ج4، دار الكتاب الحديث، بيروت (د، ت).
- 19- ابن هشام جمال الدين عبد الله بن يوسف الأنصاري: مغني اللّبيب عن كتب الأعاريب، ط1، ج5، تحقيق: عبد اللطيف محمد الخطيب، المجلس الوطني للثقافة

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) أنموذجا

والفنون والآداب، الكويت، 2000.

20- ابن يعيش موقّق الدين يعيش بن علي: شرح المفصل (د، ط) ج1، إدارة الطباعة المنيرية، مصر (د، ت).

21- أبو العلاء المعريّ أحمد بن عبد الله: ديوان لزوم ما يلزم، حرّره وشرح تعابيره وأغراضه: كمال الأزجي، ط1، مج2، دار الجيل، بيروت، 1992.

22- أبو القاسم الشّابي: أغاني الحياة (د، ط) الدار التّونسية للنشر، تونس، 1970.

23- أبو القاسم سعدالله: تجارب في الأدب والرحلة، ط1، مؤسسة الكتاب الوطني الجزائر، 1983.

24- أبو القاسم سعدالله: دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ط5، دار الرائد للكتاب الجزائر، 2007.

25- أبو حامد الغزالي محمد بن محمد: إحياء علوم الدّين (د، ط) ج3، مكتبة ومطبعة كرياضة فوترا سماراغ، إندونيسيا، (د، ت).

26- أبو داود سليمان بن الأشعث: كتاب السنن، ط1، ج1، تحقيق: محمد عوامة مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت (د، ت).

27- إحسان عباس: اتجاهات الشعر العربي المعاصر (د، ط) الإصدار: 2، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت 1978.

28- أحمد أبو السّعد: أغاني ترقيص الأطفال عند العرب، ط2، دار العلم للملايين لبنان، 1982.

29- أحمد الشايب: الأسلوب، ط8، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1991.

30- أحمد بن عبد الله: رسائل إخوان الصّفاء وخلان الوفاء، الجسمانيات الطّبيعيات (د، ط) مج2، دار صادر، بيروت (د، ت).

31- أحمد خليل جمعة: الطّفّل في ضوء القرآن والسنة والأدب، ط1، اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، وبيروت، 2001.

32- أحمد زلط: أدب الأطفال بين أحمد شوقي وعثمان جلال، ط1، دار النّشر للجامعات المصرية، مصر، 1994.

33- أحمد زلط: أدب الأطفال (أصوله-مفاهيمه-رواده) ط2، الشركة العربية للنشر

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) أنموذجا

والتوزيع، القاهرة، 1994.

34- أحمد زلط: أدب الطفل العربي دراسة معاصرة في التأصيل والتحليل، ط1، دار هبة، مصر، 1998.

35- أحمد زلط: أدب الطفولة بين كامل كيلاني ومحمد الهراوي (د، ط) دار المعارف القاهرة، 1994.

36- أحمد زلط: أدب الطفولة ((أصوله ومفاهيمه)) ط4، الشركة العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، 1997.

37- أحمد سحنون: الديوان، ط2، ج1، منشورات الحبر، الجزائر، 2007.

38- أحمد سويلم: ثقافتنا في مفترق الطرق، ط1، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة 2004.

39- أحمد شوقي: الشوقيات، ط1، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012.

40- أحمد عبده عوض: أدب الطفل العربي، ط1، دار الشامي للنشر، مصر، 2000.

41- أحمد علي كنعان: الطفولة في الشعر العربي والعالم مع نماذج شعرية للأطفال شعراء، ط1، دار الفكر، دمشق، 1995.

42- أحمد عيسى: الغناء للأطفال عند العرب (د، ط) المطبعة الأميرية، القاهرة 1936.

43- أحمد فضل شبلول: الطفل والحرب في فضاء الشعرية العربية المعاصرة (د، ط) الاسكندرية، 2004.

44- أحمد مبارك سالم: أدب الطفل المسلم (خصوصية التخطيط والابداع) سلسلة روافد، الإصدار: 76، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، 2014.

45- أحمد مصطفى المراغي: علوم البلاغة، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة 2000.

46- أحمد نجيب: أدب الأطفال علم وفن، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، 1991.

47- أحمد نجيب: أدب الأطفال في ضوء الإسلام، ط2، مؤسسة الإسراء، قسنطينة 1991.

48- الأسعد عمر: أدب الأطفال (د، ط) مؤسسة الورق، الأردن، 2010.

49- إسماعيل الملحم: كيف نعتني بالطفل وأدبه، دار علاء الدين، ط1، دمشق

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

.1994

50- إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي: أدب الأطفال المنظوم (شعر الأطفال: اتجاهاته ونقده) (د، ط) مركز الاسكندرية للكتاب، مصر، 2009.

51- إسماعيل عبد الفتاح: أدب الأطفال في العالم المعاصر، ط1، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، 2000.

52- آشتي شوكت: القيم الاجتماعية في أدب الأطفال، ط1، دار النضال (د، ب) .1999

53- الألوسي محمود شكري: بلوغ الأدب في معرفة أحوال العرب، ط2، ج3، شرح وتصحيح: محمد بهجة الأثري، دار الكتاب العلمية، بيروت (د، ت).

54- أنور عبد الحميد الموسى: أدب الأطفال... ((فنّ المستقبل)) ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 2010.

55- أيمن عامر: الابداع والصراع، ط1، ايتراك للنشر والتوزيع، القاهرة، 2004.

56- باحارث عدنان حسن: أبحاث في تعليم الفتاة المسلمة في ضوء التربية الإسلامية ط1، دار الصمعي، السعودية، 2012.

57- البخاري محمد بن إسماعيل: الجامع الصحيح، ط1، مج1، دار بن الجوزي القاهرة، 2011.

58- البرجس عارف مفضي: التوجيه الإسلامي للنشء في فلسفة الغزالي، ط2، دار الأندلس، بيروت، 1983.

59- بشرى موسى صالح: الصّورة الشعرية في النّقد العربي الحديث، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1994.

60- بشير يموت: شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، ط1، المطبعة الأهلية بيروت، 1934.

61- بكار عبد الكريم: مشكلات الأطفال، ط2، دار وجوه، السعودية، الرياض، 2011.

62- البلاذري أحمد بن يحيى: أنساب الأشراف، ط1، ج1، دار الفكر، بيروت، 1996.

63- بيان الصّفي: تحيا الشجرة (شعر للأطفال) (د، ط) منشورات اتحاد الكتاب العرب، سوريا، 1998.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) أنموذجا

64- بيان الصّفي: شعر الأطفال في الوطن العربي (دراسة تاريخية نقدية) وزارة الثقافة، دمشق، 2008.

65- تركي رابح: أصول التربية والتعليم، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1990.

66- التّرمذي محمد بن عيسى: الجامع الكبير (سنن الترمذي) ج5 (د، ط) تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التّراث العربي، بيروت (د، ت).

67- الثعالبي أبو منصور بن إسماعيل: فقه اللغة، ط1، شركة الأرقم بن أبي الأرقم بيروت، 1999.

68- جابر عصفور: الصّورة الفنّية في التّراث النّقدية والبلاغي عند العرب، ط3 المركز النّقافي العربي، بيروت، 1992.

69- جابر عصفور: مفهوم الشّعر، ط5، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1995.

70- الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر: البيان والتبيين، ط7، ج1، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1998.

71- الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر: كتاب الحيوان، ط1، ج5، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1943.

72- الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر: كتاب الحيوان، ط2، ج3، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1943.

73- الجرجاني عبد القاهر بن عبد الرحمن: أسرار البلاغة في علم البيان، ط1 تحقيق: عبد الحميد هنداي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001.

74- الجرجاني عبد القاهر بن عبد الرحمن: دلائل الإعجاز (د، ط) تعليق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1984.

75- جرجس همّام: مدارج القراءة، ط13، ج2، المطبعة الأمريكية، بيروت، 1914.

76- جرير بن عطية الخطفي: الدّيون (د، ط) دار صادر، بيروت، (د، ت).

77- جلال شمس الدين: علم اللّغة النّفسي المناهج والنّظريات (د، ط) ج1، مؤسسة الثقافة الجامعية، مصر (د، ت).

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) أنموذجا

- 78- الجمل سليمان: الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية، ط1 ج4، المطبعة العامرة الشرفية، مصر، 1303هـ.
- 79- جميل صدقي الزهاوي: الديوان، ط1، المطبعة العربية، مصر، 1924.
- 80- حافظ إبراهيم: الديوان، ط2، ضبط وتصحيح: أحمد امين وآخرون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1987.
- 81- حدّاد علي: اليد والبرعم، دراسات في أدب الطّفل، ط1، مركز عبّادي للدراسات والنّشر، اليمن، 2000.
- 82- حسن أحمد عيسى: الابداع في الفن والعلم، سلسلة عالم المعرفة، العدد:24 المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1979.
- 83- حسن الصّفار: الشّباب وتطلّعات المستقبل، ط1، أطياف للنّشر والتّوزيع (د، ب) 1428هـ.
- 84- حسن شحاتة: أدب الطّفل العربي دراسات وبحوث، ط2، الدّار المصرية اللّبنانية القاهرة، 1994.
- 85- حسن طبل: الصّورة البيانية في الموروث البلاغي، ط1، مكتبة الإيمان، مصر 2005.
- 86- حسين عبد الحميد أحمد رشوان: الطّفل (دراسة في علم الاجتماع النفسي) ط1 المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، 1992.
- 87- حسين نصار: الشعر الشعبي العربي، ط2، منشورات اقرأ، بيروت، 1980.
- 88- حلمي خليل: الكلمة دراسة لغوية معجمية (د، ط) دار المعرفة الجامعية، مصر 1998.
- 89- حلمي خليل: اللّغة والطفل دراسة في ضوء علم اللّغة النّفسي، ط2، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1987.
- 90- حنفي بن عيسى: محاضرات في علم النّفس اللّغوي، ط6، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2011.
- 91- الخطيب التبريزي يحي بن علي الشيباني: شرح ديوان الحماسة، ط1، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

92- الخطيب التبريزي يحي بن علي الشيباني: شرح ديوان عنتر، ط1، قدّم له ووضع هوامشه وفهارسه: مجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت، 1992.

93- الخطيب القزويني محمد بن عبد الرحمن بن علي: الإيضاح في علوم البلاغة ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003.

94- خليل مطران: الديوان، ط1، ج3، دار الهلال، مصر، 1949.

95- الخواص شهاب الدين: الكافي في علمي العروض والقوافي، ط1، تحقيق: عبد المقصود محمد عبد المقصود، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2006.

96- راشد علي عيسى: التشكيل الجمالي في أدب الطفل، ط1، دار فضاء، الأردن 2012.

97- الرّاعب الأصبهاني حسين بن محمد: محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، ط1، ج1، دار مكتبة الحياة، بيروت (د، ت).

98- ربحي مصطفى عليان: أدب الأطفال، ط1، دار صفاء، الأردن، 2014.

99- الرّبعي بن سلامة، وآخرون: موسوعة الشعر الجزائري (د، ط) مج1، مج2 دار الهدى، عين مليلة، 2009.

100- رزق الله حسون: النّفثات، ط1، دار طباعة استقاف أوستن، لندن، 1867.

101- رضوان إبراهيم: التّعريف بالأدب التّونسي، ط1، الدّار العربية للكتاب ليبيا- تونس، 1977.

102- رؤية بن العجاج: الديوان (د، ط) تصدير: وليم بن الورد البرونسي، دار بن قتيبة، الكويت (د، ت).

103- زكي مبارك: الأخلاق عند الغزالي (د، ط) مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة القاهرة، 2012.

104- الزّوزني: شرح المعلقات السبع، تحقيق: أحمد أحمد شتيوي، ط1، دار الغد الجديد، القاهرة، 2009.

105- سعاد عبد الوهاب عبد الكريم: إسلاميات أحمد شوقي (دراسة نقدية) (د، ط) مطابع أهرام الجيزة الكبرى، مصر (د، ت).

106- سعد أبو الرضا: النص الأدبي للأطفال (أهدافه ومصادره وسماته) ط1، دار

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

النشر، الأردن، 1993.

107- سعد إسماعيل شلبي: الأصول الفنيّة للشعر الجاهلي، ط2، دار غريب، القاهرة
1992.

108- سعيد إسماعيل علي: اتجاهات الفكر التربوي الإسلامي (د، ط) دار الفكر
العربي، 1991.

109- السعيد الورقي: لغة الشعر العربي الحديث، ط3، دار النهضة العربية، بيروت
1984.

110- سليمان العيسى: أراجيح تغني للأطفال، كتاب دار دبي الثقافية
الإصدار: 26، 2009.

111- سليمان العيسى: ديوان الأطفال، ط1، دار الفكر، دمشق، 1999.

112- سمير عبد الوهاب أحمد: أدب الأطفال (قراءات نظرية ونماذج تطبيقية) ط2
دار المسيرة، عمان، 2009.

113- سهير أحمد محفوظ: كتب الأطفال في مصر، ط1، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة
2001.

114- سيد قطب: التصوير الفني في القرآن، ط16، دار الشروق، القاهرة، 2002.

115- سيد قطب: التصوير الفني في القرآن، ط17، دار الشروق، القاهرة، 2004.

116- سيد قطب: الديوان، ط1، جمعه: عبد الباقي محمد حسين، دار الوفاء، مصر
1989.

117- سيد قطب: النقد الأدبي أصوله ومفاهيمه، ط6، دار الشروق، القاهرة، 1990.

118- سيد قطب: في ظلال القرآن، ط32، مج5، دار الشروق، القاهرة، 2003.

119- سيد نوفل: شعر الطبيعة في الأدب العربي (د، ط) مطبعة مصر، القاهرة
1945.

120- السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر: المزهّر في علوم اللّغة وأنواعها
(د، ط) ج2، شرحه وضبطه وصحّحه: محمد أحمد جاد المولى وآخران، المكتبة
العصرية، بيروت، 1986.

121- شاكر عبد الحميد: التفضيل الجمالي (دراسة في سيكولوجية التذوق الفني)

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) أنموذجا

المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، 2001.

122- شاكِر لقمان: شعر ملوك الطوائف في الأندلس (د، ط) دار نوميديا، قسنطينة 2009.

123- شريف إبراهيم خميس: التذوق الموسيقي، ط1، دار المعرفة الجامعية الاسكندرية، 2011.

124- الشّريف محمد بن شاكِر: نحو تربية إسلامية راشدة من الطّفولة حتّى البلوغ، ط1 مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2006.

125- شريفة غطّاس، وآخرون: كتابي في اللّغة العربيّة، الدّيون الوطني للمطبوعات المدرسية، الجزائر، 2006.

126- شمس الدين عبد الأمير: الفكر التّربوي عند ابن جماعة، ط1، الشّركة العالميّة للكتاب، بيروت، 1990.

127- الشّهال رضوان: الشّعْر والفن والجمال (د، ط) دار الأحد، بيروت، 1961.

128- صالح بن إبراهيم الحسن: الكتابة العربيّة من النّقوش إلى الكتاب المخطوط (د، ط) دار الفيصل الثّقافيّة، الرياض، 2003.

129- صلاح فضل: نظرية البنائية في النّقد الأدبي، ط1، دار الشّروق، القاهرة 1998.

130- الضّبّي المفضّل بن سلمة: الفاخر في الأمثال، ط1، تحقيق: محمد عثمان، دار الكتب العلميّة، بيروت، 2011.

131- طه وادي: الشّعْر والشّعراء المجهولون في القرن التّاسع عشر، ط1، دار نوبار للطّباعة، القاهرة، 2002.

132- عباس محمود العقاد: ابن الرّومي حياته من شعره (د، ط) مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012.

133- عبد الحميد بن باديس: آثار بن باديس، ط3، مج3، تصدير: عمار طالبي الشركة الجزائريّة، الجزائر، 1997.

134- عبد الحميد بوزوبنة: نظرية الأدب في ضوء الإسلام، ط1، ج1، دار البشير عُمان، 1990.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

135- عبد الحي كمال: الأحاجي والألغاز الأدبية، ط2، نادي الطائف الأدبي
السعودية، 1401هـ.

136- عبد الرحمن العيسوي: مشكلات الطفولة والمراهقة (أسسها الفسيولوجية والنفسية)
ط1، دار العلوم العربية، بيروت، 1993.

137- عبد الرحمن الوجي: الإيقاع في الشعر العربي، ط1، دار الحصاد، دمشق
1989.

138- عبد الرزاق جعفر: أسطورة الأطفال الشعراء، ط1، دار الجليل، بيروت، 1992.

139- عبد الرؤوف أبو السعد: الطفل وعالمه الأدبي، ط1، دار المعارف، القاهرة
1994.

140- عبد العزيز عتيق: علم العروض والقافية (د، ط) دار النهضة العربية، بيروت
1987.

141- عبد العزيز عتيق: في البلاغة العربية (علم البيان) (د، ط) دار النهضة العربية
بيروت، 1985.

142- عبد الفتاح أبو معال: أدب الأطفال وأساليب تربيتهم وتعليمهم وتنقيفهم، ط1
دار الشروق، عمان، 2005.

143- عبد القادر القط: الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر (د، ط) مكتبة
الشباب، القاهرة، 1988.

144- عبد اللطيف الصوفي: فن القراءة، ط4، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر
2009.

145- عبد الله الركيبي: دراسات في الشعر العربي الجزائري الحديث (د، ط) الدار
القومية للطباعة والنشر، مصر، 1961.

146- عبد المجيد طعمة حلبي: التربية الإسلامية للأولاد، ط1، دار المعرفة، بيروت
2001.

147- عبد المعطي نمر موسى، ومحمد عبد الرحيم الفيصل: أدب الأطفال، ط1، دار
الكندي، الأردن، 2000.

148- عبير التوايسة: أدب الأطفال في الأردن (الشكل والمضمون) ط1، دار اليازوري

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) أنموذجا

الأردن، 2004.

- 149- عزالدّين إسماعيل: التفسير النفسي للأدب، ط4، دار غريب، القاهرة (د، ت).
- 150- عزالدّين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية ط3، دار الفكر العربي، مصر، (د، ت).
- 151- عزالدّين علي السيد: التكرير بين المثير والتأثير، ط2، دار عالم الكتب، بيروت 1986.
- 152- عطية سليمان أحمد: النمو اللغوي عند الطفل، ط1، دار النهضة العربية، القاهرة 1993.
- 153- علاء الفاسي: رياض الأطفال (د، ط) مطبعة الرسالة، الرباط، 1982.
- 154- علي أبو المكارم: الجملة الفعلية، ط1، مؤسسة المختار، مصر، 2007.
- 155- علي الحديدي: في أدب الطفل، ط6، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 1991.
- 156- علي بن خلف الكاتب: موادّ البيان، ط1، تحقيق: حاتم صالح الضامن، دار البشائر، سوريا، 2003.
- 157- علي جواد الطاهر: في القصص العراقي المعاصر، ط1، ج1، المكتبة العصرية بيروت، 1965.
- 158- علي عبد الواحد وافي: عبد الرحمن بن خلدون (حياته وآثاره ومظاهر عبقريته) (د، ط) مكتبة مصر، مصر، (د، ت).
- 159- علي عشري زايد: عن بناء القصيدة العربية الحديثة، ط4، مكتبة ابن سينا القاهرة، 2002.
- 160- علي علي صبح: البناء الفني للصورة الأدبية في الشعر (د، ط) المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، 1996.
- 161- عمر الدسوقي: في الأدب الحديث، ط1، دار الفكر العربي، مصر، 2000.
- 162- عمر بن قينة: المشكلة الثقافية في الجزائر، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع عمّان، 2000.
- 163- عميش عبد القادر: قصّة الطّفّل في الجزائر، ط2، دار الأمل، تيزي وزو 2012.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) أنموذجا

164- عناد غزوان: مستقبل الشعر وقضايا نقدية، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة العراق، 1994.

165- العيد جلّولي: النصّ الشعري الموجّه للأطفال في الجزائر، دراسة، ط1، موفيم للنشر الجزائر، 2008.

166- العيد جلّولي: قصص الأطفال بالجزائر، دراسة (د، ط) دار الإرشاد، الجزائر 2013.

167- الغالي أحرشواو: اللّغة والطفل، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1993.

168- غسان يعقوب: تطور الطفل عند بياجيه (د، ط) دار الكتاب اللبناني، بيروت 1982.

169- فاضل الكعبي: كيف نقرأ أدب الأطفال، ط1، مؤسسة الوراق، الأردن، 2012.

170- فروخ عمر: تاريخ الأدب العربي، ط4، ج1، دار العلم للملايين، بيروت، 1981.

171- فوزي عيسى: أدب الأطفال (الشعر - مسرح الطفل - القصة) ط1، دار الوفاء الاسكندرية، 2008.

172- القابسي أبو الحسن علي بن محمد: الرسالة المفصّلة لأحوال المتعلّمين وأحكام المعلمين والمتعلّمين، ط1، دراسة وتحقيق: أحمد خالد، الشركة التونسية للتوزيع، تونس 1986.

173- القالي أبو علي إسماعيل بن القاسم: الأمالي (د، ط) ج2، دار الكتب العلمية بيروت (د، ت).

174- قدامة بن جعفر: نقد الشعر، ط1، مطبعة الجوائب، القسطنطينية، 1302هـ.

175- القسطلاني أحمد بن محمد: المواهب اللدنيّة بالمنح المحمدية، ط2، تحقيق: صالح أحمد الشّامي المكتب الإسلامي، بيروت، 2004.

176- كامل الكيلاني: أساطير افريقية، ط1، دار مكتبة الأطفال، القاهرة، 2002.

177- كامل الكيلاني: ديوان الأطفال (د، ط) موقع صفحات، القاهرة، 2011.

178- كمال أبو ديب: جدلية الخفاء والتجّلي دراسات بنيوية في الشعر، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1979.

179- كمال أبو ديب: في البنية الإيقاعية للشعر العربي، ط1، دار العلم للملايين

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) أنموذجا

بيروت، 1974.

180- كمال الدين حسين: أدب الأطفال (المفاهيم، الأشكال، التطبيق) ط2، دار العالم العربي، القاهرة، 2010.

181- ماجد عرسان الكيلاني: تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية، ط2، دار ابن كثير، دمشق، 1985.

182- مجموعة من الباحثين: تاريخ الأدب التونسي الحديث والمعاصر، ط1، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، تونس، 1993.

183- محمد أبو العلا: علم النفس (د، ط) مكتبة عين شمس، القاهرة، 1989.

184- محمد أبو موسى: التصوير البياني، ط3، مكتبة وهبة، القاهرة، 1993.

185- محمد الأخضر عبد القادر السّائحي: روعي لكم (تراجم ومختارات من الشعر الجزائري الحديث) (د، ط) المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

186- محمد السيد حلاوة: الرعاية الثقافية وأدب الطفل (مدخل إلى أدب الطفل) (د، ط) دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر، 2011.

187- محمد الصّالح الجابري: ديوان الشعر التونسي (د، ط) الشركة التونسية للتوزيع تونس، 1976.

188- محمد الصّالح خرفي: أدب الأطفال في الجزائر، ط1، دار ميم، الجزائر، 2014.

189- محمد العيد آل خليفة: الديوان (د، ط) دار الهدى، عين مليلة، 2010.

190- محمد بن حبيب البغدادي: المحبّر، ط1، دار الآفاق الجديدة، بيروت (د، ت).

191- محمد بن حبيب البغدادي: المنمّق في أخبار قریش، ط1، عالم الكتب، بيروت 1995.

192- محمد بن حسن بن عثمان: المرشد الوافي في العروض والقوافي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004.

193- محمد حسن بريغش: أدب الأطفال أهدافه وسماته، ط2، مؤسسة الرّسالة، بيروت 1996.

194- محمد حسن عبد الله: الصّورة والبناء الشعري (د، ط) دار المعارف، القاهرة 1981.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) أنموذجاً

195- محمد حماسة عبد اللطيف: الجملة في الشعر العربي، ط1، مكتبة الخانجي القاهرة، 1990.

196- محمد حماسة عبد اللطيف: النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي ط1، دار الشروق، بيروت، 2000.

197- محمد سعيد مرسي: فنّ تربية الأولاد في الإسلام، ج1 (د، ط) دار الطباعة والنشر الإسلامية، القاهرة، 1998.

198- محمد سلامة آدم، وتوفيق حداد: علم نفس الطفل، ط1، وزارة التعليم الابتدائي والثانوي الجزائر، 1973.

199- محمد صابر عبيد: القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدلالية والبنية الإيقاعية (د، ط) منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001.

200- محمد عبد الحميد، والسيد بهنسي: تأثيرات الصورة الصحفية النظرية والتطبيق ط1، عالم الكتب، القاهرة، 2004.

201- محمد عبد اللطيف: بناء الأسلوب في شعر الحداثة (التكوين البديعي) ط2، دار المعارف، القاهرة، 1995.

202- محمد عثمان جلال: العيون اليواظ في الأمثال والمواعظ، ط1، مطبعة النيل مصر، 1906.

203- محمد علي سعد: المنجد في الأدب والنصوص، (د، ط) دار العلم والإيمان مصر، 2007.

204- محمد عماد الدين إسماعيل: الطفل من الحمل إلى الرشد، ج2، ط1، دار القلم الكويت، 1989.

205- محمد غنيمي هلال: الرومانتيكية (د، ط) نهضة مصر للطباعة، القاهرة (د، ت).

206- محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، ط1، دار نهضة مصر، القاهرة 1997.

207- محمد فتوح أحمد: الرمز والرمزية في الشعر المعاصر (د، ط) دار المعارف مصر، 1977.

208- محمد قاسمي: ببليوغرافيا الشعر العربي الحديث والمعاصر بالمغرب، ط1

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) أنموذجا

منشورات المكتب المركزي لاتحاد كتاب المغرب، المغرب، 2000.

209- محمد قرانيا: قصائد الأطفال في سوريا (د، ط) منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق، 2003.

210- محمد قطب: منهج التربية الإسلامية، ط14، ج1، دار الشروق، القاهرة، 1993.
محمد كامل الخلعي: كتاب الموسيقى الشرقي (د، ط) مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة مصر، 2012.

211- محمد محمد داود: العربية وعلم اللغة الحديث، ط1، دار غريب، القاهرة، 2001.

212- محمود السيد شيخون: الاستعارة نشأتها وتطورها، ط2، دار الهداية (د، ب) 1994.

213- محمود حسن إسماعيل: المرجع في أدب الطفل، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة 2004.

214- محي الدين خريف: ديوان نبع العطاش، طبعة خاصة، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت، 2012.

215- مدحت كاظم وأحمد نجيب: التربية المكتبية، ط1، جمعية المكتبات المدرسية القاهرة، 1974.

216- مروان كوجك: أناشيد إسلامية، ط3، دار الأرقم، الكويت، 1987.

217- مريم سليم: أدب الطفل وثقافته، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 2001.

218- مسلم بن الحجاج أبو الحسن: صحيح مسلم، ط1، ج1، دار الفكر، بيروت 1993.

219- مسلم بن الحجاج أبو الحسن: صحيح مسلم، ط1، مج2، دار طيبة، الرياض 2006.

220- مسلم حسب حسين: جماليات النص الأدبي (دراسات في البنية والدلالة) ط1 دار السياب، لندن، 2007.

221- المصري محمد أمين: لمحات في وسائل التربية الإسلامية وغاياتها، ط4، دار الفكر، القاهرة، 1978.

222- معروف الرصافي: الديوان (د، ط) مراجعة: مصطفى الغلاييني، مؤسسة هنداوي

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) أنموذجا

للتعليم والثقافة، مصر، 2012.

223- مفتاح محمد دياب: مقدّمة في ثقافة وأدب الأطفال، ط1، الدار الدولية للنشر

والتوزيع، مصر وكندا، 1995.

224- مفدي زكرياء: ديوان اللّهب المقدّس (د، ط)، موفيم للنشر، الجزائر، 2007.

225- منقذ بن محمود السّقار: الدّين المعاملة (د، ط) الإدارة العامّة للثقافة والنّشر

(د، ب) 2009.

226- منيرة صالح: راهن أدب الطّفّل في الأردن، ط1، دار غيداء، عمّان، 2011.

227- نازك الملائكة: قضايا الشّعْر المعاصر، ط3، مطبعة النهضة، بيروت، 1967.

228- نجلاء محمد علي أحمد: أدب الأطفال، ط1، دار المعرفة الجامعية، مصر

2011.

229- نجلاء محمد علي أحمد: أغاني وأناشيد الأطفال، ط1، دار المعرفة الجامعية

مصر، 2011.

230- نجيب محفوظ: حول الثقافة والتّعليم، ط1، الدّار المصرية اللبنانية، القاهرة

1990.

231- نزار قبّاني: الأعمال السياسية الكاملة (د، ط) ج3، منشورات نزار قبّاني، بيروت

(د، ت).

232- نعيم اليافي: مقدّمة لدراسة الصّورة الفنّية (د، ط) منشورات وزارة الثقافة والارشاد

القومي، دمشق، 1982.

233- نمر موسى عبد المعطي، والفيصل محمد عبد الرحيم: أدب الأطفال، ط1، دار

الكندي، الأردن، 2000.

234- هادي نعمان الهيتي: أدب الأطفال (فلسفته، فنونه، وسائطه) (د، ط) الهيئة

المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1986.

235- هادي نعمان الهيتي: ثقافة الأطفال، (د، ط) المجلس الوطني للثقافة والفنون

والآداب، الكويت، 1988.

236- هاشمية حميد جعفر الحمداني، وعبدالإله عبد الوهاب العروادي: أدب الأطفال

بين المنهجية والتطبيق، ط1، دار الرضوان للنّشر والتوزيع، عمّان، 2014.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

237- هدى فناوي: الطّف وأدب الأطفال (د، ط) مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة 2009.

238- الولي محمد: الصّورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنّقد، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1990.

239- يحي بن حمزة العلوي اليمني: الطّراز المتضمّن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز مراجعة: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995.

240- يوسف حسين بكار: بناء القصيدة في النّقد العربي القديم (في ضوء النّقد الحديث) ط2، دار الأندلس، بيروت، 1982.

2- المؤلفات المترجمة

241- أرشيبالد مكليش: الشّعر والتّجربة (د، ط) ترجمة: سلمى الخضراء الجويني مؤسسة فرانكلين للطباعة والنّشر، بيروت، 1963.

242- أرنولد جزل: الطّف من الخامسة إلى العاشرة، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد (د، ط) ج1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1995.

243- جان بياجيه: سيكولوجيا الذّكاء، ترجمة: yalande Emanuelle، عويدات للنشر والطّباعة، بيروت، (د، ت).

244- جون كوين: النظرية الشعرية، ط4، ج1، ترجمة: أحمد درويش، دار غريب القاهرة، 2000.

245- ستيفن أولمان: دور الكلمة في اللّغة (د، ط) ترجمة: كمال محمد بشير، مكتبة الشباب، مصر، (د، ت).

246- سلمى الخضراء الجيوسي: الاتّجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث ط1، ترجمة: عبد الواحد لؤلؤة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2011.

247- سيث ليرر Seth Lerer: أدب الأطفال من إيسوب إلى هاري بوتر (د، ط) ترجمة: ملكة أبيض، منشورات الهيئة العامة السّورية للكتاب، دمشق، 2010.

248- مود أسطفان هاشم: تجارة الحرف المطبوع، ط1، ترجمة: خليل أحمد خليل دار السّاقى، بيروت، 1993.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) أنموذجا

- 249- نعوم تشومسكي: آفاق جديدة في دراسة اللّغة والعقل، ط1، ترجمة: عدنان حسن، دار الحوار، سوريا، 2009.
- 250- هيقل: المدخل إلى علم الجمال - فكرة الجمال، ط2، ترجمة: جورج طرابيشي دار الطليعة، بيروت، 1988.

3.2- القواميس والمعاجم:

- 251- ابن فارس أحمد بن زكرياء القزويني: معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، ج3 (د، ط) دار الفكر للطباعة، القاهرة، 1979.
- 252- ابن منظور أبو الفضل جمال الدين: لسان العرب (د، ط) مج11، دار صادر، بيروت، (د، ت).
- 253- أحمد عمر مختار وآخرون: معجم العربية المعاصرة، ط1، مج1، عالم الكتب القاهرة، 2008.
- 254- جبور عبد النور: المعجم الأدبي، ط2، دار العلم للملايين، بيروت 1964.
- 255- الرازي محمد بن أبي بكر: مختار الصّاح، ط1، المطبعة الكلية مصر، 1329هـ.
- 256- الفيروز آبادي مجد الدّين محمد: القاموس المحيط، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، ط8، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2005.
- 257- الفيومي أحمد بن محمد بن علي: المصباح المنير، (د، ط) مكتبة لبنان بيروت، 1987.
- 258- مجدي وهبة، كامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللّغة والأدب، ط2، مكتبة لبنان، بيروت، 1984.
- 259- مجمع اللغة العربية: المعجم الوجيز (د، ط) دار التحرير للطبع والنشر مصر، 1989.
- 260- مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، ط4، مكتبة الشروق الدولية، مصر 2004.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) أنموذجا

261- محمد التّونجي: المعجم المفصل في الأدب، ط2، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1999.

262- معلوف لويس وآخرون: المنجد في اللّغة والأعلام، ط42، دار المشرق بيروت، 2008.

4.2 - الرسائل الجامعية

263- البكري طارق: مجلات الأطفال ودورها في بناء الشخصية الإسلامية (أطروحة دكتوراه مخطوطة) جامعة الأوزاعي، الكويت، 1999.

264- زهراء خواني: أدب الأطفال في الجزائر (دراسة لأشكاله وأنماطه) (أطروحة دكتوراه مخطوطة) جامعة تلمسان، 2008.

265- عبد الرحمن بغداد: إسلاميات أحمد شوقي (دراسة نصّية تناسية) (أطروحة دكتوراه مخطوطة) جامعة تلمسان، 2007.

266- عمر أحمد الرياحات: الشاعر وذاكرة الطّفل في الشعر العربي الحديث (أطروحة دكتوراه مخطوطة) جامعة مؤتة، 2010.

267- هيفاء بنت رشيد عطا الله الجهني: التّزعة الإنسانية في الشعر (أطروحة دكتوراه مخطوطة) جامعة أم القرى، السّعودية، 2006.

5.2 - الدوريات والمؤتمرات

268- إلهام عبد الوهاب المفتي: صناعة اللّغز المنظوم في الأدب العربي، مجلّة جامعة أم القرى لعلوم اللّغة وآدابها، العدد: 11، نوفمبر، 2013.

269- سمير عبد الوهاب: التربية الوجدانية للأطفال تساؤلات ومنطلقات، كلية رياض الأطفال، جامعة القاهرة، المؤتمر السنوي من 8 إلى 9 أبريل 2006، مركز الدراسات المعرفية، القاهرة.

270- عبد الرحمن عبد الوهاب: التشريعات الوطنية والدّولية وحقوق الطّفل، مجلة الطّفولة والنّتمية، عدد2، مج1، المجلس العربي للطّفولة والنّتمية، مصر، 2001.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) أنموذجا

271- علي عبد الرحمن يوسف: التربية الوجدانية للطفل، كلية رياض الأطفال جامعة القاهرة، المؤتمر السنوي من 8 إلى 9 أبريل 2006، مركز الدراسات المعرفية القاهرة.

272- عمر محمد الطالب: نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني وعلاقتها بالصورة الشعرية، مجلة آفاق الثقافة والتراث، العدد 31، جامعة الموصل، العراق، أكتوبر 2000.

273- عمر محمد طالب: المسرحية التعليمية في العراق، مجلة آداب المستنصرية العدد 13، كلية الآداب بالجامعة المستنصرية، العراق 1986.

274- عيسى فتوح: أدب الأطفال في سوريا (نشأته، وتطوره) مجلة الموقف الأدبي العدد: 95، اتحاد الكتاب العرب، سوريا، 1979.

6.2- المواقع الإلكترونية

275- بيلو صالح آدم: حول الشعر التعليمي، مجلة الجامعة الإسلامية، ج 52 المدينة المنورة، <http://shamela.ws/browse.php/book-23069>

276- جميل حمداوي: أدب الأطفال بالمغرب، مجلة طنجة الأدبية <http://www.aladabia.net>

277- جميل حمداوي: أدب الأطفال في العراق، جريدة البيئنة - <http://www.al-bayyna.com>

278- مجلة الحياة للأطفال: قصائد عربية، <http://www.alhayatlilalfal.net>

279- محمد بن سمينة: محمد الصالح رمضان وجهوده في خدمة الدين والوطن والعلم، جريدة البصائر، <http://www1.albassair.org>

فهرس

1- فهرس الآيات

2- فهرس الأحاديث

3- فهرس الجداول

4- فهرس الهنويات

1- فهرس الآيات

رقم	الآية حسب ترتيب القرآن الكريم	السورة	رقم الآية	الصفحة
1	﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾	البقرة	83	286
2	﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا...﴾	البقرة	129-128	83
3	﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ...﴾	البقرة	133	84
4	﴿إِن فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ...﴾	البقرة	164	150
5	﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ...﴾	البقرة	233	286
6	﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي...﴾	آل عمران	6	81
7	﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ...﴾	آل عمران	37	83
8	﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ...﴾	آل عمران	38	82
9	﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ...﴾	آل عمران	110	78
10	﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ...﴾	آل عمران	164	242
11	﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ...﴾	المائدة	31	170
12	﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا...﴾	الأنعام	38	171
13	﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ...﴾	الأنعام	140	78
14	﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ...﴾	الأعراف	57	165
15	﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ...﴾	الأعراف	180	206
16	﴿وَأذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ...﴾	الأعراف	205	206

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

208	118	التوبة	﴿حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ...﴾	17
212	128	التوبة	﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنَ...﴾	18
156	101	يونس	﴿قُلِ أَنْظِرُوا مَاذَا فِي...﴾	19
170	13	يوسف	﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا...﴾	20
234	4	الرعد	﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُّتَجَوِّرَاتٌ...﴾	21
161	26-24	إبراهيم	﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا...﴾	22
218	94	الحجر	﴿فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ...﴾	23
79	59-57	النحل	﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ...﴾	24
88	78	النحل	﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِّنْ بُطُونٍ...﴾	25
230	70	الإسراء	﴿كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ...﴾	26
217	78	الإسراء	﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ إِلَّا شَمْسٍ...﴾	27
73	46	الكهف	﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ...﴾	28
83	12	مريم	﴿يَيَّحِييَ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ...﴾	29
83	39	طه	﴿أَنْ أَقْدِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَأَقْدِفِيهِ...﴾	30
44	5	الحج	﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي...﴾	31
82	14-12	المؤمنون	﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ...﴾	32
45	31	النور	﴿أَوِ الْطِفْلِ الَّذِينَ لَمْ...﴾	33
45	59	النور	﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ...﴾	34

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) أنموذجا

207	81-78	الشعراء	﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ...﴾	35
179	21-20	النمل	﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا...﴾	36
236	35	النمل	﴿وَإِنِّي مُرْسَلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ...﴾	37
212	88	النمل	﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً...﴾	38
209	20	العنكبوت	﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ...﴾	39
232	58	العنكبوت	﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا...﴾	40
74	30	الروم	﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا...﴾	41
84	13	لقمان	﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ...﴾	42
212	7	السجدة	﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ...﴾	43
84	5	الأحزاب	﴿أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ...﴾	44
213	21	الأحزاب	﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ...﴾	45
82	101-100	الصفافات	﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ...﴾	46
81	6	الزمر	﴿تَخَلِّقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ...﴾	47
344	21	الزمر	﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ...﴾	48
44	67	غافر	﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ...﴾	49
217	4-3	فصلت	﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْءَانًا...﴾	50
164	28	الشورى	﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ...﴾	51
106	49	الشورى	﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾	52

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

82	15	الأحقاف	﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ...﴾	53
189	7	محمد	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَنصُرُوا...﴾	54
207	50	الذاريات	﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم...﴾	55
176	24	الحشر	﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ...﴾	56
213	4	القلم	﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾	57
79	9-8	التكوير	﴿وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُئِلَتْ . بِأَى...﴾	58
166	12	التكوير	﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِرَتْ﴾	59
279	7	الفجر	﴿الَّتِي لَمْ تَخْلَقْ مِثْلَهَا فِي الْبَلَدِ﴾	60
279	2-1	البلد	﴿لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ . وَأَنْتَ...﴾	61
83	8-6	الضحى	﴿أَلَمْ تَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى...﴾	62
240	1	العلق	﴿أَقْرَأَ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾	63
247	5-2	العلق	﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ . أَقْرَأ...﴾	64

2- فهرس الأحاديث

الرقم	الأحاديث بالتسلسل الهجائي	الصفحة
1	"... فَإِذَا لَقِيتُمْهُمْ فَاصْبِرُوا، وَعَلِّمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ..."	187
2	"أَدَّبُوا أَوْلَادَكُمْ عَلَى ثَلَاثَةِ خِصَالٍ: حُبُّ نُبِيِّكَ..."	84
3	"رِيحَانَةٌ أَشْمُهُا وَرِزْقُهَا عَلَى اللَّهِ"	84
4	"لَأَنْ يَغْدُوَ أَحَدُكُمْ فَيَخْطُبَ عَلَى ظَهْرِهِ، فَيَتَصَدَّقَ..."	231
5	"مَا أَطْيَبَكَ مِنْ بَلَدٍ وَأَحَبَّكَ إِلَيَّ وَلَوْلَا أَنَّ قَوْمِي..."	181
6	"مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبْوَاهُ..."	74

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) أنموذجا

194	"مَا مِنْ نَفْسٍ تَمُوتُ، لَهَا عِنْدَ اللَّهِ حَيْرٌ، يَسْرُهَا..."	7
84	"مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ..."	8
222	"من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: ..."	9

3- فهرس الجداول:

الرقم	عنوان الجدول	الصفحة
1	جدول (01) يتضمّن 35 قصيدة تعالج موضوعات شعر الطبيعة.	151
2	جدول (02) يتضمّن 22 قصيدة تعالج موضوعات الشعر الوطني والقومي.	183
3	جدول (03) يتضمّن 15 قصيدة تعالج موضوعات الشعر الديني.	205
4	جدول (04) يتضمّن 17 قصيدة تعالج موضوعات الشعر الاجتماعي.	221
5	جدول (05) يتضمّن 13 قصيدة تعالج موضوعات الشعر التعليمي واللغة العربية.	239

4- فهرس المحتويات:

03 إهداء
04 مقدمة
12	مجلد : أصرب الأطفال وثقافتهم وشعرهم - إشكالية المصطلحات والمفاهيم ..
13 تمهيد
14 1- أدب الأطفال
18 2- ثقافة الأطفال
24 3- شعر الأطفال
36 4- ترجمة الشاعر: جمال الطاهري
	<u>الباب الأول:</u>
39 التّعبير والتّأصيل في شعر الأطفال
40 الفصل الأول: نّوعين الشّعر ومصطلح الطّفولة
41 تمهيد
44 1 - تعريف الطّفولة
44 1.1 - الطّفّل في اللّغة
48 2.1 - الطّفّل في الاصطلاح
50 2 - مراحل الطّفولة
52 1.2 - مرحلة الواقعية والخيال المحدود
59 2.2 - مرحلة الخيال المنطلق
65 3.2 - مرحلة الطّفولة المتأخّرة
69 4.2 - المرحلة المثالية (الرّومانسية)
73 3- أهمية الطّفولة
78 4- الطّفولة في الإسلام
90 خلاصة
91 الفصل الثاني: نشأة شعر الأطفال ونظوره في الأصرب العربي

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

92	تمهيد.....
94	1- شعر الأطفال في التراث العربي القديم.....
98	1.1- في مدح الأولاد.....
102	2.1- في الدعاء للأولاد.....
104	3.1- في المشبه من الأولاد.....
105	4.1- في ترقيص البنات.....
107	5.1- في الألغاز الشعرية.....
109	2- شعر الأطفال في الأدب العربي الحديث.....
111	1.2- في مصر.....
119	2.2- في سوريا.....
124	3.2- في لبنان.....
128	4.2- في العراق.....
130	5.2- في تونس.....
133	6.2- في المغرب.....
134	3- شعر الأطفال في الأدب الجزائري الحديث.....
135	1.3- فترة ما قبل الاستقلال.....
140	2.3- فترة ما بعد الاستقلال.....
144	خلاصة.....

الباب الثاني:

147	الموضوعات في شعر الأطفال عند جمال الطاهري.....
148	الفصل الأول: موضوعات شعر الطبيعة والوطن والقومية.....
149	تمهيد.....
150	1- موضوعات شعر الطبيعة.....
153	1.1- مضموناً الشمس والصباح.....
155	2.1- مضامين القمر والنجوم والليل.....
157	3.1- مضامين فصل الربيع وما يتصل به.....

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

- 162 4.1- مضامين فصل الشتاء وما يتّصل به.....
- 170 5.1- مضامين الحيوان.....
- 181 2 - موضوعات الشعر الوطني والقومي.....
- 184 1.2- مضامين الوطن.....
- 188 2.2- مضامين الثورة والشّهد.....
- 195 2.3- مضامين القومية والعروبة.....
- 200 خلاصة.....
- 202 الفصل الثاني: موضوعات الشعر الصّيني والاجتماعي والتعليقي.....
- 203 تمهيد.....
- 204 1- موضوعات الشعر الديني.....
- 206 1.1- مضامين التوحيد والابتهاالات.....
- 212 2.1- مضامين مدح الرسول ﷺ.....
- 216 3.1- مضامين القرآن الكريم.....
- 220 2- موضوعات الشعر الاجتماعي.....
- 221 1.2- مضامين الأسرة وما يتّصل بها.....
- 229 2.2- مضامين المجتمع وتركيباته.....
- 237 3- موضوعات الشعر التعليمي واللّغة العربية.....
- 240 1.3- مضامين التعليم والتربية.....
- 250 2.3- مضمون اللّغة العربية.....
- 255 خلاصة.....
- الباب الثالث:**
- 257 البناء الفني في شعر الأطفال عند جمال الطاهري.....
- 258 الفصل الأول: بنى اللّغة الشعرية.....
- 259 تمهيد.....
- 262 1- مراحل التطور اللغوي عند الطّف.....
- 264 1.1- مرحلة الصياح.....

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

- 265 2.1- مرحلة البأبة.....
- 266 3.1- مرحلة الكلام.....
- 267 1.3.1- المرحلة المقطعية (مرحلة الكلمة الجملة)
- 268 2.3.1- مرحلة التركيب.....
- 270 2- اللغة الشعرية.....
- 272 1.2- على مستوى الألفاظ.....
- 274 1.1.2- ألفاظ الطبيعة.....
- 278 2.1.2- ألفاظ الوطن والثورة.....
- 281 3.1.2- ألفاظ الشعر الديني والاجتماعي والتربوي.....
- 292 2.2- على مستوى الجمل والتراكيب.....
- 295 1.2.2- الجمل الاسمية.....
- 296 2.2.2- الجملة الفعلية.....
- 300 3.2- توظيف العامية والأخطاء الإملائية.....
- 305 4.2- توظيف اللغة الشعرية الصعبة.....
- 309 خلاصة.....
- 311 الفصل الثاني: بنية الصورة الشعرية، والتشكيل الموسيقي.....
- 312 تمهيد.....
- 313 1- الصورة الشعرية.....
- 313 1.1- مفهوم الصورة الشعرية.....
- 319 2.1- أنماط الصورة الشعرية.....
- 321 1.2.1- الصور البلاغية.....
- 321 1.2.1.أ- الصور التشبيهية.....
- 329 1.2.1.ب- الصورة الاستعارية.....
- 333 1.2.1.ج- الصورة الكنائية.....
- 337 2.2.1- الصور الرمزية.....
- 341 3.1- عناصر الصورة الشعرية ودلالاتها.....

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

342 1.3.1- عنصر اللون (البصر)
346 2.3.1- عنصر الشم
347 3.3.1- عنصر الذوق
348 4.3.1- عنصر الحركة
349 5.3.1- عنصر الصوت
350 6.3.1- عنصر الحجم
351 2- التشكيل الموسيقي
351 1.2- مفهوم الموسيقى وعلاقتها بالطفل
354 2.2- الموسيقى الخارجية
354 1.2.2- الوزن والإيقاع
256 2.2.2- القافية
360 3.2.2- عيوب الوزن والقافية
362 3.2- الموسيقى الداخلية
363 1.3.2- التصريح
364 2.3.2- التكرار
365 2.3.2.أ- تكرار البداية (الاستهلال)
367 2.3.2.ب- تكرار اللآزمة
370 خلاصة
371 <u>خاتمة</u>
376 <u>المصادر والمراجع</u>
377 1- المصادر
377 2- المراجع
377 1.2 المؤلفات والدراسات
394 2.2- المؤلفات المترجمة
395 3.2- القواميس والمعاجم
396 4.2- الرسائل الجامعية

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) أنموذجا

- 396 5.2- الدوريات والمؤتمرات
- 397 6.2- المواقع الالكترونية
- 398 فهارس
- 399 1- فهرس الآيات
- 402 2- فهرس الأحاديث
- 403 3- فهرس الجداول
- 404 4- فهرس المحتويات

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة العربي التبسي - تبسة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

إعداد الطالب: يوسف عمر.

إشراف الدكتور:

لزهر فارس.

خلاصة بحث دكتوراه ل. م. د بـعـنـوان:

شعر الأطفال في الجزائر

أعمال جمال الطاهري (1947-1999) نموذجاً

هذا البحث يتضمّن محاولة أكاديمية لدراسة شعر الأطفال في الجزائر استناداً إلى أحد رواد الاتجاه التربوي الجديد في الجزائر في فترة ما بعد الاستقلال؛ وهو الشاعر والمرّي جمال الطاهري من خلال أعماله الشعريّة الطفلية المطبوعة: ديوان نوح الياسمين، ديوان الزهور بأجزائه الخمسة والمسرحية الشعرية: الدجاجة المخدوعة؛ جريا على عدة مناهج أهمها منهج تحليل المضمون؛ لاستنباط ما يحمله هذا الشعر من منظومات قيمية، وخصائص فنيّة، والكشف عن مساهمته في بناء الشخصية الطفلية الجزائرية.

فكانت الموضوعات التي عالجها جمال الطاهري في شعره للأطفال قريبة من واقع الطفل، حيث أخضعها لأهوائهم، وعبر فيها عن أحاسيسهم، وهاجر معهم في رحلة متنوّعة المضامين، والتزم هاجسهم: الأدبي، والثقافي، والطبيعي والوطني، والثوري والقومي، والديني، والتربوي، والاجتماعي؛ وجعل كلّ أولئك يجري معانٍ في أوردتهم وهواء يتنفّسونه، بإصابة أذواقهم الشعريّة على امتداد مراحل الطفولة المختلفة.

_____ شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

واعتمد جمال الطاهري في عموم لغة شعره للأطفال على اللفظة البسيطة السهلة والتركيب التقريري القصير، وعول في كل ذلك على أصالته الدينية وموهبته الأدبية وتجربته التربوية، وقربه من عالم الطفولة باعتباره أستاذاً للغة العربية، حيث لم يتجاوز حدود المعجم الطفلي إلا بما وقع في مستواه.

والملاحظ أنّ جمال الطاهري التزم الشروط الفنية في شعره للأطفال إذ لم يبتعد في صوره الشعرية عن دين الأطفال، باستخدامه الرموز الموائمة والقريبة من عالمهم الحسي، وفي البنية الموسيقية استعمل البحور الخفيفة والقصيرة، ذات القوافي المتنوعة والقابلة للإنشاد والغناء، وحقّق مطلب التكرار بامتياز؛ وبذلك يكون قد نجح في شعره للأطفال من خلال ربط تجربته، وخبراته بتجربة وخبرات المتلقين الصغار، بما يخاطب ثقافتهم، وأفكارهم، وقدراتهم العقلية والنفسية؛ لتحقيق التّدوق والإحساس إنشاداً أو قراءة أو سماعاً، وهذا لا يتأتّى إلا لمثل شاعر أستاذ.

République Algérienne Démocratique et populaire
Le Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche
Scientifique

Université : Larbi Tebessi - Tébessa
Faculté des lettres et des langues
Département de langue et littérature arabe

Réalisé par l'étudiant:
Amor Youcef

Sous la direction de:
Ds. Fares Lazhar

Résumé du Mémoire de doctorat L.M. D intitulé :
**« La poésie enfantine en Algérie - Œuvres de Djamel Attaheri
(1947-1999) comme modèle »**

Ce travail de recherche se veut comme un essai académique pour étudier la poésie enfantine en Algérie en se référant à l'un des pionniers de la nouvelle tendance de l'éducation en Algérie dans la période post-indépendance, il s'agit du poète et éducateur *Djamel Attaheri* à travers ses œuvres de poésie enfantines imprimée : la collection *Nafah El Yasmine* (Odeurs du jasmin), la collection des *fleurs* en cinq volumes et le drame poétique: *la poule trompée*, en parcourant plusieurs méthodes dont la plus importante est celle d'analyse de contenu, pour en déduire ce que cette poésie peut retenir comme valeurs et caractéristiques artistiques, ainsi que montrer sa contribution à la construction de la personnalité enfantine algérienne.

Les thèmes que *Djamel Attaheri* avait traités dans sa poésie pour les enfants étaient très proches de leur réalité. Ces thèmes les ont soumis aux caprices des enfants, et y exprime leurs sentiments, et il est parti avec eux dans un voyage de contextes variés, appartenant à leurs soucis littéraire, culturel, naturel, national, révolutionnaire, nationaliste, religieux, éducatif et social; et il a fait de tous cela des sens qui circulent dans leurs veines, et de l'air qu'ils respirent, en touchant leurs goûts tout au long des différentes étapes de l'enfance.

Le poète *Djamel Attaheri* a, généralement, compté dans sa poésie pour les enfants sur une langue facile avec un vocabulaire

simple, et avec des structures courtes et normative, en se basant sur son originalité religieuse, son talent littéraire, expérience éducative et sur sa proximité du monde de l'enfance en étant un professeur de la langue arabe, donc, il n'a pas dépassé les limites du lexique infantile.

Le remarquable, dans ce cas, c'est que *Djamel Attaheri* a respecté les conditions artistiques dans sa poésie pour les enfants car il n'a pas rompu dans ses figures poétiques avec l'attitude des enfants, en utilisant les symboles de complaisance proche de leur monde réel. Dans la structure musicale, le poète a utilisé des rythmes légers et courts, avec des rimes variées, qu'on peut chanter facilement, le poète a utilisé la figure de style de répétition par excellence; ainsi, Il a réussi dans sa poésie pour les enfants en liant son expérience avec celle des apprenants, en faisant appel à leur culture, leurs idées et leurs aptitudes mentales et psychologiques, pour réaliser chez eux l'appréciation, la sensation en chantant, en lisant ou en écoutant ; chose qui ne devient possible que lorsqu'il s'agit d'un poète professeur.

شعر الأطفال في الجزائر - أعمال جمال الطاهري (1947-1999م) نموذجاً

RÉPUBLIQUE ALGÉRIENNE DÉMOCRATIQUE ET POPULAIRE
MINISTÈRE DE L'ENSEIGNEMENT SUPERIEUR ET DE LA RECHERCHE SCIENTIFIQUE
L'UNIVERSITE LARBI TEBESSI - TEBESSA



FACULTE DES LETTRES ET DES LANGUES
DEPARTEMENT DES LANGUES ET DES LETTRES ARABES

Thèse présentée en vue d'obtention de Doctorat troisième cycle "LMD"
Option : Linguistique et analyse de discours

POÉSIE ENFANTINE EN ALGÉRIE

ŒUVRES DE DJAMEL ETTAHERI (1947-1999) COMME MODÈLE

Sous la direction de:
FARES Lazhar

Présenté par:
AMOR youcef

Membres du jury

N°	Nom et prénom	Grade scientifique	L'université d'origine	Qualité
1	RAIS Rachid	Professeur	Larbi Tébessi -Tébessa	President
2	FARES Lazhar	Maître de conference "A"	Larbi Tébessi -Tébessa	Encadreur et rapporteur
3	HABILA Chérif	Professeur	Larbi Tébessi -Tébessa	Examineur
4	HACHELAFI Lakhdar	Professeur	L'Université Ziane Achour -Djelfa	Examineur
5	LARIT Messaouda	Maître de conference "A"	L'Université Mouloud Mammeri – Tizi-Ouzou	Examineur
6	KAROUI Samira	Maître de conference "A"	L'Université Abbes Laghrour- khenchela	Examineur

Année universitaire: 2016/2017